السباق إلى العقول

تأليف

الدكتور/عبدالله قادري الأهدل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)). [آل عمران: 102]

((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا)) [النساء: 1]

((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)). [الأحزاب: 70-71]

ما يراد السباق به إلى العقول.

أما بعد: فإن ما يراد السباق به إلى العقول هو الحق أو الباطل، فأهل الحق يسابقون بالحق إلى العقول، و أهل الباطل يسابقون بالباطل إلى العقول.

الله هو الحق.

والله سبحانه وتعالى هو الحق، كما قال سبحانه وتعالى: ((ذلك بأن الله هو الحق، وأنه يحيي الموتى، وأنه على كل شيء قدير..)) [الحج: 6]

وقال تعالى: ((ذلك بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير..)) [الحج: 62-لقمان: 30]

وقال تعالى: ((فتعالى الله الملك الحق، لا إله إلا هو رب العرش الكريم)) [المؤمنون: 116].

وجزاء الله لعباده يوم القيامة على مواقفهم من دين الإسلام في الدنيا، هو الحق، كما قال تعالى: ((يومئذٍ يوفيهم الله دينهم الحق ويعملون أن الله هو الحق المبين..)) [النور: 25]

خلق الله الكون كله بالحق.

والحق جل وعلا خلق الكون كله: السماوات والأرض، وما بينهما وما فيهما وما فوق ذلك بالحق، وقوله تعالى هو الحق، كما قال

تعالى: ((وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق، ويوم يقـول كن فيكون، قوله الحق وله الملك...)) [الأنعام: 73]

وقال تعالى: ((ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق..)) [إبراهيم: 19]

وقـال تعـالى: ((وما خلقنا السـماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق..)) [الحجر: 85]

وقـال تعـالى: ((وما خلقنا السـماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق..)) [الأحقاف: 3]

وقـال تعـالى: ((خلق السـماوات والأرض بـالحق تعـالى عمّا يشركون..)). [النحل: 3]

وقال تعالى: ((خلق السـماوات والأرض بـالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين)). [العنكبوت: 44]

وقـال تعـالى: ((أو لم يتفكـروا في أنفسـهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق..)) [الروم: 8]

وقال تعالى: ((خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير)) [التغابن: 3]

أرسل الله رسله وأنزل كتبه بالحق.

وأرسل الحق جل وعلا رسـله، وأنـزل كتبه بـالحق. كما قـال تعالى: ((إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا)). [البقرة: 119]

وقال تعالى: ((نزّل عليك الكتاب بـالحق، مصـدقا لما بين يديـه، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنـزل الفرقـان)) [آل عمران: 3]

وقـال تعـالى: ((إنا أنزلنا إليك الكتـاب بـالحق لتحكم بين النـاس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)) [النساء: 105]

وقال تعالى: ((يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بـالحق من ربكم فآمنوا خيرٌ لكم)).[النساء: 170]

وقال تعـالى: ((وأنزلنا إليك الكتـاب بـالحق مصـدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه)) [المائدة: 48]

وقـال تعـالى: ((هو الـذي أرسل رسـوله بالهـدى ودين الحـق)) [الفتح: 28، والصف: 9]

سـعادة أهل الحق بقبـول الحق وشـقاوة أهل الباطل برفضه.

وقد سعد قـوم بهـذه الكتب الـتي أنزلها الله تعـالى على رسـله بالحق لإيمانهم بها، كما سعدوا بأولئك الرسل الذين أرسلهم بالحق لطاعتهم لهم واتباع منهجهم، ففازوا بالفلاح في الدنيا والآخرة. كما قـال تعـالى: ((ألم، ذلك الكتـاب لا ريب فيه هـدى للمتقين، الـذين يؤمنـون بـالغيب ويقيمـون الصلاة ومما رزقنـاهم ينفقـون، والـذين يؤمنـون بما أنـزل إليك وما أنـزل من قبلك وبـالآخرة هم يوقنـون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)) [البقرة: 1-5]

وشقي آخرون بإنزال تلك الكتب وإرسـال أولئك الرسـل، لعـدم إيمـانهم بـالحق الـذي نـزلت به تلك الكتب، وعـدم طـاعتهم لأولئك لرسل الـذين جـاءوهم بـالحق من ربهم. كما قـال تعـالى: ((وقـال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين..)) [سبأ: 43]

وقـال تعـالى: ((وما نرسل المرسـلين إلا مبشـرين ومنـذرين، ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضـوا به الحق واتخـذوا آيـاتي وما أنذروا هزوا..))[الكهف: 56]

وقال تعالى: ((واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يُرجعون..))[القصص: 39

وقال تعـالى: ((وقـال الشـيطان لما قضي الأمر إن الله وعـدكم وعد الحق ووعدتكم فـأخلفتكم وما كـان لي عليكم من سـلطان إلا أن دعــوتكم فاســتجبتم لي فلا تلومــوني ولومــوا أنفســكم، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفـرت بما أشـركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم..)) [إبراهيم: 22]

والحق ضد الباطل والضلال. جاء الرسل بالحق ودعوا إليه وجـاء الشيطان وأتباعه بالباطل والضلال ودعـوا إليـه، والحق تعـالى يريد أن يحق الحق ويبطل الباطل.

كما قال تعالى: ((فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصـرفون...)) [يونس: 32]

وقــــال تعــــالى: ((ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كــــره المجرمون...)) [الأنفال: 8]

وقـال تعـالى: ((بل نقـذف بـالحق على الباطل فيدمغه فـإذا هو زاهق..)) [الأنبياء: 18]

ويعترف أهل الحق بالحق عندما ينالون رضا الله اعـتراف شـكر وغبطة وسرور في جنـات عـدن. كما قـال تعـالى: ((والـذين آمنـوا

وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالــدون، ونزعنا ما في صــدورهم من غل تجــري من تحتهم الأنهـار وقـالوا الحمد لله الـذي هـدانا لهـذا وما كنا لنهتـدي لـولا أن هـــدانا الله لقد جـــاءت رسل ربنا بـــالحق ونـــودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون...))[الأعراف: 43]

ويعترف أهل الباطل بالحق، عندما ينالون جـزاء إنكـارهم له في الـدنيا، وهم في نـار جهنم يتمنـون أن يجـدوا شـفيعا ينفعهم أو إذنا لهم بـالرجوع إلى الـدنيا ليعملـوا عملا يكـون أساسه الحق وليس الباطل. كما قال تعالى: ((يوم يـأتي تأويله يقـول الـذين نسـوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شـفعاء فيشـفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الـذي كنا نعمل قد خسـروا أنفسـهم وضل عنهم ما كانوا يفترون...)) [الأعراف: 53]

والـذي كـانوا يفـتر ونـه، هو الباطل الـذي آمنـوا به في الـدنيا، والكفر بـالحق الـذي أقـروا به بعد دخـولهم النـار كما قـال تعـالى: ((والــذين أمنــوا بالباطل وكفــروا بالله أولئك هم الخاســرون..)) [العنكبوت: 52]

والباطل هو الضلال الذي يقابل الحق والهدى، وكل ما عدا الحق والهـدى فهو باطل وضـلال. كما قـال تعـالى: ((فـذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون..))[يونس: 32]

وقال تعالى: ((ومن أضل ممن اتبع هواه بغـير هـدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين...)) [القصص: 50]

وقال تعالى: ((أولئك الـذين اشـتروا الضـلالة بالهـدى فما ربحت تجارتهم...))[البقرة: 16]

والحق يطلق على الثـابت المسـتقر، والباطل يطلق على نقيض الحـق، وهو ما لا ثبـات له عند الفحص عنه [المفـردات في غـريب القرآن، للراغب الأصفهاني. الطبعة الهندية ص50]

والضلال أيضا ضد الهداية، وهو العـدول عن الصـراط المسـتقيم والزائل المضـمحل. [المرجع السـابق، ص299، وكتب اللغة مـادة (ض ل ل]

وحيث إن الباطل هو ضد الحق-وكذلك الضـلال-فـإن بيـان الحق يوضح معنى الباطل-وكذلك الضلال-.

وقد فصل الإمـــــام [العلامة الحســــين بن محمد بن المفضل الملقب بـــالراغب الأصــفهاني المفسر اللغــوي، المتــوفى ســنة 502هـ-.] رحمه الله معاني الحق في القرآن الكريم، فقال: (أصل الحق المطابقة والموافقـة، كمطابقة رجل البـاب في حقه لدورانه

على استقامة. والحق يقال على أوجه:
الأول: يقال لموجِد الشيء، بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحق، قال الله تعالى: ((و ردوا إلى الله مولاهم الحق...)) وقيل بعيد ذلك: ((فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون..)) [يونس: 30-32]
والثاني: يقال: للموجَد، بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كله حق. وقال تعالى: ((هو الذي جعل الشمس ضياءً ا والقمر نورا...)) إلى قوله تعالى: ((ما خلق الله ذلك إلا بالحق...)) [يونس: 5]
وقال في القيامة: ((ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق..)) [يونس: 53]
وقوله عز وجل: ((الحق من ربك..)) [البقرة: 147، آل عمران: 60] ((وإنه للحق من ربك..)) [البقرة: 149]
والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق، قال الله تعالى: ((فهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق...)) [البقرة: 213]
والرابع: للفعل والقول، بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حق، وقولك حق.
قال الله تعالى: ((كذلك حقت كلمة ربك..)) [غافر: 6] ((حق القول مني لأملأن جهنم..)) [السجدة: 13]
وقوله عز وجل: ((ولو اتبع الحق أهواءهم...)) [المؤمنون: 71] يصح أن يكون المراد به الله تعالى، ويصح أن يراد به الحكم الذي هو بحسب مقتضى الحكمة.
ويقال: أحققت كذا، أي أثبته حقا، أو حكمت بكونه حقا.
وقوله تعالى: ((ليحق الحق..)) [الأنفال: 8] فإحقاق الحق على ضربين: أحدهما بإظهار الأدلة والآيات، كما قال تعالى: ((وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)) [النساء: 91] أي حجة قوية. والثاني: بإكمال الشريعة وبثها في الكافة، كقوله تعالى: ((والله متم نوره ولو كره الكافرون..)) [الصف: 8] ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله..)) [التوبة: 33 ، الفتح: 28 ، الصف: 9] انتهى كلام الأصفهاني
ومما ذكره الإمام الأصفهاني رحمه الله يتبين أن الله تعالى هو الحق، كما أطلق ذلك على نفسه في كتابه، وهو تعالى الموجد للكون كله بحسب ما تقتضيه الحكمة، أي جميع مخلوقاته تعالى قد

أوجـدها وفق الحكمة الكاملة التامـة. وأن فعله تعـالى حق لأن كل شيء أوجده إنما أوجده بـالحق، وأن كل ما جـاء به الرسل من عند الله تعالى حق، من عقيدة وشريعة وخلق....

وأن قوله تعالى وكلماته كلها حق.

المعنى الشرعي للحق والمعنى الشرعي للباطل.

فالمعنى الشرعي-وأقصد هنا: المعنى الشرعي العام للحق، كما يتضح مما مضى ومن الرسالة الربانيـة، منذ خلق الله تعـالى الخلق وشرع لهم منهاجه الـذي فـرض عليهم السـير عليه- هو الإيمـان به وبكل ما أخبر به من الغيب، وطاعته المطلقة وعبادته واتباع رسله، وعـدم معصـيته، والكفر بكل من يخـالف منهجـه، وتطـبيق شـرعه، والاستسلام لذلك والرضا به.

أما الباطل، فمعناه الشرعي-وأقصد أيضا المعنى الشرعي العام الشـامل لكل ما هو باطل عند اللـه- فهو الكفر بالله تعـالى، أو بما أخبر به في وحيه المنزل المحفوظ، وما جـاء به رسـوله صـلى الله عليه وسلم من عنده، والاستكبار عن طاعته وطاعة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم وعـدم اتباعه ومحاربة شـرعه، وعـدم الاستسـلام لحكمه وعدم الرضا به، فكل ذلك باطل.

وقد أجمل الحق عز وجل المعـنى الشـرعي للحق وللباطل في هذه السورة القصيرة، وهي: ((بسم الله الرحمن الرحيم، والعصـر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملـوا الصـالحات وتواصـوا بالحق وتواصوا بالصبر)) [رقم السورة في المصحف: 103]

فالإيمان والعمل الصالح يدخل تحتهما كل مفردات الحــق، وإنما أفـرد التواصي بـالحق والتواصي بالصـبر لمزيد الاهتمـام بهمـا، لأن الحق لا يثبت ويقــوى إلا بهمــا، فهما من ذكر الخــاص بعد العــام- والعــام هنا هو الإيمــان الــدال عليه الفعل "آمن" والعمل الصــالح. والباطل هو ما كان نقيض ذلك، ولهذا أثبت سبحانه وتعـالى لمن لم يكن عنــده هــذا الحق الخســران المؤكــد، وبهــذا يعلم عظم هــذه السورة القصيرة التي قال عنها الإمام الشافعي رحمه الله: "لو لم ينزل الله على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم".

ومن الآيات التي أجمل فيها معنى الباطل قول الله تعالى: ((قل إنما حرم ربي الفـواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغـير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون..)) [الأعراف: 33

أيهما أسبق وجودا الحق أم الباطل؟

وما دام الله سبحانه وتعالى هو الحق- و ((هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم..)) [الحديد: 3] وهو الذي خلق الكون كله بالحق، ولم يعرف من يؤمن بالباطل ويصر عليه وعلى نشره إلا إبليس لعنه الله ثم من تبعه بعد ذلك- فإن الباطل أمر طارئ والحق هو الأصل الثابت، فالحق هو الكلمة الطيبة، والباطل هو الكلمة الخبيثة.

والكلمة الطيبة هي كلمة الله ومنهاج رسله، والكلمة الخبيثة هي كلمة الشيطان وسبل اتباعه، كما قال تعالى: ((ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)) [إبراهيم: 25-27]

تأمل هذه الآيات من سورة إبراهيم الواضحة غاية الوضوح، في ثبات الحق وطيبته ورسوخه وسمو قه وعلوه وامتداده ودوام آثاره التي لا يخلو زمان من قطوفها الدانية ومنحها السابغة، ومع ثبات الحق ثبات أهله في الدنيا والآخرة.

أما الباطل، فهو خبيث مقطوع الجذور لا ثبات له ولا قرار، وهكذا أهله مضمحلون ((ويضل الله الظالمين..)).

وقبل هذه الآيات صور سبحانه وتعالى اضمحلال أهل الباطل وأعمالهم و باطلهم أبلغ تصوير، فقال تعالى: ((مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)) [إبراهيم: 18-19] ثم اتبعها بقوله تعالى مبينا أن الباطل وأهله في شذوذ عن الكون كله: ((ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق..))

قلت: إنه لم يُعرَف من يؤمن بالباطل ويصر عليه وعلى نشره إلا إبليس لعنه الله، فالباطل إذًا طارئ طروء إبليس.

وقبل أن يغري إبليسُ آدمَ وزوجه حواء عليه السلام، بأكل الشجرة التي حرم الله عليهما الأكل منها، نهاهما الله تعالى عن الأكل منها وحذرهما منه، أي إن حفظ العقول من الباطل كان أسبق من إيصاله إليها، كما قال تعالى: ((وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تأكلا من هذه الشجرة

فتكونا من الظالمين)). [البقرة:35]
وكان آدم عليه السلام عنـدما أهبطه الله هو وزوجه وإبليس إلى الأرض، على الفطرة والدين والتوحيد الخالص، وكان قائما بالخلافة الــتي ناطها الله به وأخــبر بها ملائكتــه، وكــان إبليس وحــده على الشـرك والمعصـية، كما سـيأتي، وهـذا يـدل على بطلان ما يـزعم المتخرصون من المؤرخين الـذين يفـترون على الله بـدون علم ولا برهان، أن الأصل كان عبادة غير الله وأن العقيـدة قد تطـورت من الشرك والوثنية حتى وصلت إلى التوحيد، فهـذا افـتراء وتقوُّل على التاريخ وجهل بالله وبكتبه ورسله ووحيه الذي لا مستند سـواه لأحد في هـذا البـاب، الـذي هو من الغيب، ولا سـبيل إليه إلا بـوحي من الخالق، وقد أخبرنا الخالق سـبحانه وتعـالى أنه جعل آدم خليفة في الأرض، والخليفة الذي يمنحه الحق تبارك وتعـالى الخلافـة، لا بد أن يــزوده الحق عز وجل بالمنهــاج الحق الــذي يقــوم بالخلافة على أساسه ((قلنا اهبطـوا منها جميعا فإما يـأتينكم مـني هـدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كفـروا وكـذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون..)).[البقرة: 38-39]
ومما يدل على أن آدم وذريته كانوا على هـدى من عند اللــه، ما تضـمنته قصة ابـني آدم الـذي قتل أحـدهما أخـاه، فقد دلت القصة على أنهم كــانوا يتقربــون إلى الله بقــرابين، وأن الله يتقبل من المتقي ولا يتقبل من الظــالم، وأن المتقين كــانوا يخــافون الله ويتورعون عن معصيته، وأنهم كانوا يؤمنون بالجنة والنـار والجـزاء، كما قـال تعـالى: ((واتل عليهم نبأ ابـني آدم بـالحق إذ قرّبا قربانا فتقبل من أحـدهما ولم يتقبل من الآخـر، قـال لأقتلنـك، قـال إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إليّ يدك لتقتلـني ما أنا بباسط يـدي إليك لأقتلك إني أخـاف الله رب العـالمين، إني أريد أن تبـوء بـإثمي وإثمك فتكـون من أصـحاب النـار وذلك جـزاء الظـالمين، فطــوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصــبح من الخاســرين)) إلى قوله تعالى: ((فأصبح من النادمين)). [المائدة: 27-31]
فـآدم وذريته كـانوا على التوحيد والطاعـة، وكـان لهم منهج من عند الله يسـيرون عليه ويتقربــون إليــه، وكــانوا يعرفــون الحلال والحــرام والجنة والنـار والإثم والجـزاء، وكـان إبليس نفسه الـذي أغــوى آدم وزوجه في الجنة أولا وأقسم على ضــلال ذرية آدم بعد طــرده من رحمة الله ثانيــا، كــان يعلم الحق والباطــل، وارتكب الباطل وعصى أمر الله متعمدا متكبرا.
ولسـنا في حاجة إلى مناقشة شـبهات جهلة التـاريخ الغـابر، فلا

توجد وثيقة أصــدق من كتــاب الله ولا أصح منه حــتى نحتــاج إلى مناقشـتهم على ضـوئها ((إن هـذا القـرآن يهـدي للـتي هي أقـوم)) [الإسراء: 9]

من هم أهل الحق؟

تنبيهات ثلاثة مهمة:

الأول: يجب أن يعلم أن مـرادي بأهل الحق في هـذا الكتـاب أن صـاحب الحــق-بل هو الحــق-: الله جل جلالــه، ثم أنبيــاؤه ورسـله وكل من تبعهم واهتــدى بهـديهم، والمسـلمون الـذين يقرون ويعترفون بأن الإسلام حق ويدخلون فيه بشـهادة ألاّ إله إلا الله محمد رســول اللـــه، وأنه يجب العمل به وتطبيقه في الأرض، وأنه لم يبق في الأرض بعد بعثة الرســول أي دين حق يقبله الله من أهله، ويدخل في زمرة أهل الحق من المسـلمين الذين تلك صفتهم من حصل منهم نوع تقصير من ارتكاب بعض المعاصي أو ترك بعض الطاعات-ما عدا الشرك بالله-الـتي هي تحت مشيئة الله إن شاء غفرها لهم، وإن شـاء عـذبهم بهـا، ثم أدخلهم الجنــة، وقد يكــون عند بعض هــؤلاء شــيء من الباطل الذي يجب الرد عليه، ولكنهم لا يخرجـون من صف أهل الحــق-إلا عند الخوارج ومن تبعهم في مذهبهم عالما أو جاهلا.

وأن مرادي بأهل الباطـل: كل من لم يـدخل في الإسـلام، أو انتسب إليه ولكنه ارتد عنه، أو زعم أنه مسـلم وحـارب تطـبيق شـــريعة الله في حيـــاة المســـلمين وكـــلَّ من دعا إلى ذلك التطبيق.

ولا يـدخل في أهل الباطل من اجتهد من العلمـاء فأخطأ في نظر غيره من المجتهدين، فإن للمجتهد أجرين إذا أصاب وأجـرا إذا أخطأ، وقد يكون الخطأ عند من خطَّأه.

التنبيه الثـــــــاني: أني لم أقصد بأهل الحق فئة معينة من المسلمين، ولا أهل بلد معين، كما لا أقصد من أهل الباطل فئة معينة ولا أهل بلد معين، وإنما قصـدت أهل الحق من حيث هم من أي فئة كـانوا، وفي أي أرض من أرض الله حلـوا، وقصـدت أهل الباطل من حيث هم من أي فئة كـــــــانوا، وفي أي أرض حلوا.

التنبيه الثالث: أن قصدي بالحق هو الحق الرباني الـذي كلف الله عباده التسـليم له بـه، والهـدى الإلهي الـذي أنـزل به وحيه وبعث به رسله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، والذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وهو الإسلام.

وليس مـرادي ما وصـلت إليه الأمم من التجـارب القانونية والإدارية والكونية التي قد يوجد فيها الحق والباطل، وهي أمور تشترك فيها كل الأمم في كل الأزمان، فلست أنفي وجود حـقٍّ مَّا عن أهل الباطل، وإنما أنفي عنهم الحق الإلهي الذي جحدوه وكفروا به وحاربوه.

وبنـاء على هـذا فصـاحب الحق الأول هو الحق جل جلالـه، فمن أسمائه الحق، كما سبق وخلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق وأنزل كتبه ووحيه بـالحق، وبعث رسـله بـالحق، وكلماته كلها حق و أفعاله كلها حق.

ثم أنبياء الله ورسله الذين كلفهم تبليغ رسالاته إلى الناس، ومن استجاب لهم من أقوامهم فـآمن بما جـاءوا به وعمل به ودعا إليـه، وبخاصة من ناصـــرهم وصـــار حواريا لهم، يظهر ذلك من قصص الأنبيــاء والرسل مع أقــوامهم، وقد أمر الله تعــالى نبيه ورســوله الخـاتم أن يقتـدي بمن سـبقه من الرسـل-بعد أن ذكر طائفة منهم بأســمائهم-فقــال: ((أولئك الــذين هــدى الله فبهــداهم اقتــده..)) [الأنعام: 90]

وهم أهل طاعته الذين أنعم عليهم، ذلك المـوكب العظيم الـذي قال الله تعـالى فيهم: ((ومن يطع الله والرسـول فأولئك مع الـذين أنعم الله عليهم من النبــيين والصــديقين والشــهداء والصــالحين وحسن أولئك رفيقا..)) [النساء: 69]

وخير أمم الحق أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي شـهد الله لها بالخيرية الـتي نالتها بما منحها الله تعـالى من المـؤهلات ((كنتم خـير أمة أخـرجت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهـون عن المنكر وتؤمنون بالله)).[آل عمران: 110]

وهم حــزب الله وأوليــاؤه الــذين يجاهــدون في ســبيله ويحبهم ويحبونه، ولا يخافون لومة لائم ويتولونه ويتولـون أوليـاءه، كما قـال تعـالى: ((يا أيها الـذين آمنـوا من يرتد منكم عن دينه فسـوف يـأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمـنين أعـزة على الكـافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشـاء والله واسع عليم، إنما وليكم الله ورسـوله والـذين آمنـوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكـاة وهم راكعـون، ومن يتـول الله

ورسوله والذين أمنوا فإن حزب الله هم الغالبون..)).[المائدة: 54-56] ((والمؤمنـــون والمؤمنـــات بعضـــهم أوليـــاء بعض يـــأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر ويقيمـون الصـلاة ويؤتـون الزكـاة ويطيعـــون الله ورســـوله، أولئك ســـيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم..)).[التوبـة: 71] ((أولئك حــزب الله ألا إن حــزب الله هم المفلحون..)).[المجادلة: 22] هؤلاء هم أهل الحق.

فمن هم أهل الباطل؟

وأهل الباطــل-على عكس أهل الحــق-فقائد هم وقـــدوتهم في الباطل هو إبليس، أول من عصى الله واســـتكبر عن طاعته وكفر بـه، وأغـوى من أطـاع ربـه، وحسـده وكـان سـببا في إخراجه من الجنـة، وأقسم على الاسـتمرار في إضـلال ذريته إلى يـوم البعث، وهكذا اتباعه الذين يتبعـون خطواته ويسـيرون في شـعاب كفـره لا ينفعهم إنــذار، ولا تفيــدهم الآيــات يــأمرون بــالمنكر وينهــون عن المعروف.

قال تعالى: ((وإذ قلنا للملائكة اسـجدوا لآدم فسـجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين..)).[البقرة: 34]

وقال تعالى: ((ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسـجدوا إلا إبليس لم يكن من السـاجدين، قـال ما منعك ألاَّ تسـجد قـال أنا خـير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)).[العراف: 11-12]

وقــال تعــالى: ((تالله لقد أرســلنا إلى أمم من قبلك فــزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم)).[النحل: 63]

وقال تعالى: ((والذين ينفقون أمـوالهم رئـاء النـاس ولا يؤمنـون بالله ولا بـاليوم الآخر ومن يكن الشـيطان له قرينا فسـاء قرينـا)).[النساء: 38]

وقـال تعـالى: ((الشـيطان يعـدكم الفقر ويـأمركم بالفحشـاء)).[البقرة: 268]

وقال تعـالى: ((يا أيها الـذين أمنـوا لا تتبعـوا خطـوات الشـيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكـر)).[النـور: 21]

وقال الله تعالى عن إبليس نفسه: ((قال فبما أغويتـني لأقعـدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكـثرهم شـاكرين)).[الأعـراف: 16-17]

وقـال تعـالى عن اتبـاع إبليس: ((إن الـذين كفـروا سـواء عليهم

أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)).[البقرة: 6]
وقال تعـالى: ((وما تـأتيهم من أية من آيـات ربهم إلا كـانوا عنها معرضين، فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كــانوا به يستهزئون)).[الأنعام: 4-5]
وقال تعالى: ((استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسـرون)).[المجادلـة: 19]

هل يعد متبع الباطل عاقلا؟

خلق الله تعالى الإنسان مزودا بـآلات حسـية ظـاهرة للعيـان، أو خفية في داخل جســمه، لتقــوم تلك الآلات بما هيأها الله ســبحانه وتعـالى من عمـل: أسـنان تطحن ولسـان يخلط ويتـذوق وينظـف، وجلد يحس ويتـألم، ويد تبطش وتأخــذ، وجل تمشي وتســير، وأذن تسمع، وعين تبصر، وأنف تشم وتستنشق الهواء النـافع للجسم من الخــارج ويعــبر منها الهــواء الفاسد من الــداخل، وحلق يــدخل منه الطعام والماء والهـواء، ومعـدة تهضم الطعـام، وقلب يضخ الــدماء وينقيها، وهكذا: الرئة، والكلى، والجهاز الإخـراجي والجهـاز الـدوري وغيرها، كل هذه الآلات وأجزائها تقوم بعمل قد هيأها الله لـه، فـإذا فقد أي منها تعطل عملها الذي هيئت له.
فـــإذا فقد البصر قيل لصـــاحبه أعمى، وإذا فقد الســـمع، قيل لصاحبه أصـم، وإذا فقد النطق قيل لصـاحبه أبكم، والبصر قد يفقد والعينــان في ظاهرهما ســليمتان، والســمع قد يفقد والأذنــان في ظاهرهما كذلك وهكذا....
وهناك آلة معنوية زود الله بها الإنسـان، لا يسـتفيد من كثـير من آلاته الحســية، إذا لم تكن هــذه الآلة موجــودةً، وهي العقل الــذي جعله الله ســبحانه وتعــالى ميزانا لإدراك الحق من الباطــل، في حدود مجاله الذي خلقه الله للعمل فيه.
وكل هذه الآلات إذا لم يستعملها الإنسـان فيما خلقت لـه، أو لم يستعملها في أهم ما خلقت له، فإنها تعتـبر بمنزلة الآلة المفقـودة، ولذلك يصح نفيها مع وجودها فيقال: فلان لا يسمع، إذا سـمع صـوتا بدون أن يصغي لذلك الصـوت ليفهم معنـاه، ويقـال: فلان لا يبصـر، إذا رأى شـيئا دون أن تحصل فائـدة من رؤيتـه، كما يقـال: فلان لا يعقل، إذا لم يستعمل عقله فيما يعود عليه بالفائدة.
ولهذا امتن الله تعالى على الإنسان بتزويده بهـذه الآلات النافعة التي تستوجب من الإنسان شكر ربه تعالى عليهـا، فـإذا لم يشـكره

بها وعليها فقد أصــبح كفاقــدها، لأن شــكر الله تعــالى هو أهم ما خلقت من أجله.

قال تعالى: ((والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمـون شـيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)).[النحل: 78]

ونفى ســبحانه عمن لم يشــكره بهــذا الآلات منافعهــا، وهي: الإبصار والسمع والفقه-أو العقل-فقـال تعـالى: ((ولقد ذر أنا لجهنم كثـيرا من الجن والإنس، لهم قلـوب لا يفقهـون بهـا، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون)).[الأنعام: 179]

وقـال تعـالى: ((وإن تـدعهم إلى الهـدى لا يسـمعوا، وتـراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون)). [الأعراف: 198]

بل إن الـذين لا ينتفعـون بهـذه الآلات في الـدنيا ينفونها هم عن أنفسـهم، عنـدما يعـاينون جـزاء الله لهم في الآخـرة على غفلتهم وعدم استعمالهم لها فيما خلقت له، كما قـال تعـالى: ((كلما أُلقـوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفـور، تكـاد تمـيز من الغيظ كلما أُلقيَ فيها فـوج سـألهم خزنتها ألم يـأتكم نـذير، قـالوا بلى قد جاءنا نـذير فكـذبنا وقلنا ما نـزل الله من شـيء إن أنتم إلا في ضـلال كبـير، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير))[الملك: 7-10]

ولهـذا خص من يعقل الانتفـاع بآياته الكونية والشـرعية، مع أن تلك الآيات قابلة لينتفع بها كل الناس، ولكن الذي لا ينتفع بعقله من تلك الآيات ينزل منزلة من لم تكن تلك الآيات قابلة لانتفاعه منها.

قـال تعـالى: ((إن في خلق السـماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النـاس وما أنـزل الله من الســماء من مــاء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيـات لقوم يعقلون)).[البقرة: 164]

وليس المـراد هنا مجـرد وجـود عقل لهـؤلاء القـوم، وهو الـذي يقابله
الجنون، وإنما المراد عقل يهـدي صـاحبه إلى الانتفـاع بتلك الآيـات، بــدليل نفي الله تعــالى الســمع والعقل عن المكلفين بتصــديق الرسالة الذين أنكروها. كما قال تعالى: ((أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا، أم تحسب أن أكثرهم يسـمعون أو يعقلـون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)).[الفرقان: 43-44]

ومثله قوله تعالى: ((أفلم يسيروا في الأرض فتكـون لهم قلـوب

يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصـار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)).[الحج: 46]

فكل من كُلِّفَ خطابَ الله تعـالى، فلم يسـتجب لـذلك الخطـاب الحق بل اتبع الباطل، يصح أن ينفى عنه العقل باعتبـار أنه لم ينتفع بعقله في أهم ما خلق من أجله.

ولهذا نَفَى عن الكافرين بالحق المؤمنين بالباطل العقـلَ، فقـال جل وعلا: ((ومثل الـذين كفـروا كمثل الـذي ينعق بما لا يســمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون)).[البقرة: 71]

وقال عن أهل الكتاب الذين يستهزئون بدين اللـه: ((وإذا نـاديتم إلى الصـلاة اتخـذوها هـزوا ولعبـا، ذلك بـأنهم قـوم لا يعقلـون)) [المائدة: 58]

وقال فيمن افترى على الله الكذب، فأحل ما حرم الله أو حــرم ما أحل الله من المشـــركين-وغـــيرهم مثلهم-((ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون)).[المائدة: 103]

وقال تعالى: ((ولا تكونوا كالذين قـالوا سـمعنا وهم لا يسـمعون إن شر الـدواب عند الله الصم البكم الـذين لا يعقلـون)). [الأنفـال: 21-22]

وقال تعالى: ((ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون، ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون)).[يونس: 42-43]

وهكذا يصح نفي العلم عمن لم يعمل به.

وبهـذا يعلم أن الـذي يتبع الباطل ويـترك الحق غـير عاقـل، وإن توقّد عقله في كثير من ظاهر الحياة الدنيا. ولكنه –مع ذلك- مكلف بـأمر الله ونهيـه، محاسب على ذنبـه، لأنه لم يسـتعمل عقله الـذي منحه الله فيما خلق له.

وبهذا أيضا تعلم منزلة العقل المهتدي إلى الحق التــارك للباطل عند الله تعالى.

منزلة العقل عند الله وأثره في الحياة.

وظـاهر من الآيـات القرآنيـة-كما هو الواقـع-أن الإنسـان لو لم يمنحه الله العقل، لكان أضل من الحيوان، ولما كـان خليفة وسـيدا في الأرض.

ولو أن أهل العقــول أعملوها وفكــروا بها في المجــالات الــتي وجدت من أجل إعمالها والتفكـير بعقـولهم فيهـا، وعملـوا بمقتضى النتائج التي تتوصل إليها على أساس سليم، لسعد الناس بـذلك في الدنيا والآخرة.

ومن تلك الميــادين: الكــون الــذي أبدعه الله في الســماوات والأرض وما بينهما، مما يمكن للعاقل أن يتناوله بالتفكير فيه بعقله، وهو كتاب الله المفتوح الـذي فيه من الدقة والإحكـام والإتقـان، ما يذهل العقول ويجعلها تستسلم للخـالق وتسـتفيد من مخلوقاته في تسخيرها لصالح الأمم، بقوانينها ونواميسها الـتي أودعها الله تعـالى فيها.

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قـول الله تعـالى: ((هو الـذي أنــزل من السـماء مـاء لكم منه شـراب ومنه شـجر فيه تسـيمون، ينبت لكم به الـزرع والزيتـون والنخيل والأعنـاب ومن كل الثمـرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيـات لقـوم يعقلـون، وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقـــــــوم يذّكرون وهو الذي سخر البحر لتـأكلوا منه لحما طريا وتسـتخرجوا منه حليـةً تلبســونها وتـرى الفلك مــواخر فيه ولتبتغــوا من فضــله ولعلكم تشــكرون.. وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهــارا وسبلا لعلكم تهتدون.. وعلامات وبـالنجم هم يهتـدون... أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون.. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصـوها إن الله لغفور رحيم)).[النحل: 10-181ولا تفكير، ولا تـذكر، ولا شـكر لمن لا عقل له] ؟؟؟

فترى القرآن الكريم يجول بالعقل في السـماء-شمسـها وقمرها ونجومها وكواكبها ومائهــــا-وفي الأرض-بخيراتهــــا، من زروعها و أشجارها وبحارها وأنهارها وجبالها وسـهولها، ويجعل ذلك كله مجـالا للعقل ليتفكر فيه ويتذكر ويهتدي ويشكر، ومن شُـكْر ذلك اسـتغلالُ هذا الكون في مصالح العباد على أساس هدي الله تعالى.

ومن تلك الميـادين: فقه نصـوص القـرآن والسـنة، والتعمق في فهمها واستنباط ما تحتاج إليه البشرية منها، لتتقي ربها وتسـير في تصـرفاتها على منهجـه، مع فهم أسـراره وحكمه حيث أمكن ذلـك،

وإلا فالتسليم المطلق لشرع الله تعالى، فـإن التسـليم لشـرع الله هو عين الفقه والعقـــل، وعـــدم التســـليم لـــذلك هو عين الجهل والخطل.

قال تعالى: ((قل تعالوا أتل ما حـرم ربكم عليكم أن لا تشـركوا به شـيئا، وبالوالـدين إحسـانا، ولا تقتلـوا أولادكم من إملاق نحن نـرزقكم وإيـاهم، ولا تقربـوا الفـواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلـوا النفس الـتي حـرم الله إلا بـالحق، ذلك وصـاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشـده، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نكلف نفسا إلا وسعها، وإذا قلتم فاعـدلوا ولو كـان ذا قـرب،ى وبعهد الله أوفـوا، ذلكم وصـاكم به لعلكم تـذّكرون.. وأن هـذا صـراطي مسـتقيما فـاتبعوه ولا تتبعـوا السـبل فتفـرق بكم عن سـبيله، ذلكم وصـاكم به لعلكم تتقـون)). [التقوى تكليف بدون عقل]

فهـذه الوصـايا العشر الجامعـة، لو تأملها النـاس وفكـروا في مصالحها التي لا سعادة لهم بدونها، وفهموا معانيها والآثـار المترتبة على تطبيقها والعمل بها، لعاشـوا عيشة هنيئة في ظلال شـرع الله العظيم.

وقد ختم الله الخمس الأولى منها بقوله تعـــــــالى: ((لعلكم تعقلون..)). إشارة إلى أن هذه الأمور لا بد أن يسلم العقل بضرورة مراعاتها، و أن من لم يفقه الحكمة من هذه التكاليف ولا يستسـلم لشـــرع الله ويطبقـــه، ليس من العقلاء الأســوياء بل هو أضل من الحيوان.

وختم الأربع الوصـايا الأخـرى بقوله تعـالى: ((لعلكم تـذكرون..)). والتذكر لا يكون إلا من عاقل يفهم خطاب الله ويعلم أنه لا يـأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر.

وختم الوصـية العاشـرة-وهي أشـمل الوصـايا وأعظمهـا-بقوله تعـالى: ((لعلكم تتقـون..)) والتقـوى هي المقصـودة، لأن صـاحبها يتـورع عن تـرك الأمر وفعل النهي، تعظيما لله ورغبـةً فيما عنـده وخشية من عذابه.

وقال تعالى: ((فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهـوا في الـدين ولينـذروا قـومهم إذا رجعـوا إليهم لعلهم يحـذرون)).[التوبـة: 122]

وقال تعـالى: ((وإذا جـاءهم أمر من الأمن أو الخـوف أذاعـوا به ولو ردوه إلى الرســـول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الـــذين يستنبطونه منهم..)).[النساء: 13]

والاستنباط: الاستخراج والبحث.

والبحث والاستنباط هنا يعنيان الاجتهاد من أهله للوصول إلى الحكم الواجب تطبيقه العائد بالخير على الأمة، المُرضي لله تعالى، وهذا لا يكون إلا من ذوي العقول النيرة التي صاغها شرع الله.

ولولا أن الله تعالى هيأ للأمة الإسلامية أمثال هؤلاء العقلاء الذين يستنبطون لها أحكام الله من شريعته، لكان الشيطان قائدهم إلى كل سوء، ولعل ذلك من حكمة هذا التعقيب الرباني في هذه الآية: ((ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا)).

فالعقل السليم له أثره العظيم في حياة الناس، لأن أهل العقول السليمة يفكرون في مصالح الأمة ويدعونها إليها، كما يفكرون في المفاسد التي يجب اجتنابها وينهونهم عنها.

ويجب التنبيه هنا على عبارة شائعة متداولة بين عامة الناس، وأصبحت لكثرة ترددها وتكرارها كأنها قضية مسلمة، وأكثر من يرددها الرياضيون ومشجعوهم وهي: (العقل السليم في الجسم السليم). ولا شك أن في اجتماع سلامة الجسم وسلامة العقل نعمة عظيمة على صاحبهما، وإذا أريد بسلامة العقل السلامة من الآفات المعنوية والمادية فالنعمة بذلك أعظم. و لكن هذه العبارة غير مطردة، لوجود كثير من ذوي الآفات الجسمية-كالعمى، والصمم، والعرج، والشلل-ممن منحهم الله عقولا سليمة قوية مخترعة مبدعة في العلوم الإسلامية وما يخدمها كاللغة والأدب والبلاغة والتاريخ وغيرها من العلوم المسماة ب-(الإنسانية)، والعلوم الكونية المتعددة التي نفع الله بها العالم قديما وحديثا، ولوجود كثير من ذوي الأجسام السليمة القوية-كمصارعي الثيران والأقران من أبناء جنسهم، وبعض أفراد الفرق الرياضية الذين لم تتجاوز عقولهم التفكير في تقوية عضلاتهم وإشباع غرائزهم بما حل وحرم!

وكفى بالعقل منزلة عند الله معرفة الأمور الثلاثة الآتية:

الأمر الأول: أنه مناط التكليف وأن غير العاقل لا ينال شرف التكليف من الله تعالى، ذلك أن التكليف لا يكون إلا لمن أمكنه علم الحق والعمل به ومعرفة الباطل وتركه، وهذا لا يمكن إلا من أهل العقول.

ولهذا تجد علماء الإسلام يذكرون في كتبهم أصولا كانت أو فروعا أن من أهم شروط التكليف: العقل، فلا يكلف غير العاقل ...

الأمر الثـاني: أن العقل هو إحـدى الضـرورات الخمس الـتي لا تكـون الحيـاة في الأرض مسـتقرة ولا قائمة بـدون حفظهـا. وهي: الـدين، والنفس، والعقل، والنسـل، والمـال [راجع كتابنـا: الإسـلام وضــــرورات الحيــــاة ص 105 الطبعة الثانيــــة. نشر وتوزيع دار المجتمع. جدة.]

الأمر الثـالث: أن الله تعـالى أرسل رسـله وأنـزل كتبه لإبلاغ الناس دينه الحق، مبينا لهم بحججه وبراهينه أن ذلك الدين حق وأن ما خالفه باطـل، ملجئا تلك العقـول بتلك الحج والـبراهين، إلى التسـليم الاختيـاري بـأن دين الله حق وأنه الهـدى والرشـاد، وأنه جالب لمصالحهم في الدارين، واق لهم من المفاسد فيهما.

ومن هنا لم يـأذن الله تعـالى بـإكراه النـاس على الإيمـان بـه، مكتفيا ببيـان أن ذلك الإيمـان حـق، بيانا قائما على الحجة والبينة التي يقر بها عقل المخاطب-وإن كابر وعانـد-ويتـبين بها الرشد من الغي، كما قال تعالى في كتابه الكريم:((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَـدْ اسْتَمْسَـكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) [البقرة: 256]

وقـال تعـالى: ((وَلَـوْ شَـاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)) [يونس: 99]

وقد امتلأ كتاب الله بالآيات الدالة على هذا المعنى العظيم الذي يـــبين عِظَمَ منزلة العقل عند الله تعــالى، وحَفْــزَه على التأمل والتفكر الموصلَينِ له إلى معرفة الحق والباطل.

وإن أي إنسان عاقل يستغل طاقته العقلية في تأمل بعض تلك الآيـات، لا بد أن يـوقن بـأن ما جـاءت به رسل الله ونـزلت به كتبه حق.

و لنذكر بعضا من تلك الآيات بدون تعليق، ليتأملها طـالب الحق، ثم يسأل عقله بعد ذلك: هل تبين له أن الله تعـالى حق وأن عبادته حق، وأن الكون كله دال على ذلك، وأن الله تعـالى قد أنـزل عقله منزلة عظيمة يجب عليه أن يشـكرها ويصـون ذلك العقل من عبث المتلاعبين به أو لا؟

من ذلك قوله تعــالى: ((إِنَّ فِي خَلْــقِ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفلك الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّـمَاءِ مِنْ مَـاءٍ فَأَحْيَا بِـهِ لأرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّـحَابِ الْمُسَـخَّرِ بَيْنَ السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) [البقرة: 164]

وقوله تعالى: ((المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

الحق وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُـونَ (1) اللَّهُ الَّذِي رَفَـعَ السَّـمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ وَسَـخَّرَ الشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَـاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَـاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَـلَ فِيهَا رَوَاسِـيَ وَأَنْهَـارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الأَرْضِ قِطَـعٌ مُتَجَـاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِـدٍ وَنُفَضِّـلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَـوْمٍ يَعْقِلُـونَ)) (4) [الرعد]

ومنها قوله تعالى: ((أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(1)يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَـادِهِ أَنْ أَنـذِرُوا أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلا أَنَا فَـاتَّقُونِي (2) خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحق تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3)خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُـوَ خَصِـيمٌ مُبِينٌ (4)وَالأَنْعَـامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـافِعُ وَمِنْهَا تَـأْكُلُونَ(5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَـالٌ حِينَ تُرِيحُـونَ وَحِينَ تَسْـرَحُونَ (6)وَتَحْمِـلُ أَثْقَـالَكُمْ إِلَى بَلَـدٍ لَمْ تَكُونُـوا بَالِغِيـهِ إِلاَّ بِشِـقِّ الأنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَـرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7)وَالْخَيْـلَ وَالْبِغَـالَ وَالْحَمِـيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَـةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُـونَ (8)وَعَلَى اللَّهِ قَصْـدُ السَّـبِيلِ وَمِنْهَا جَـائِرٌ وَلَـوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(9) هُـوَ الَّذِي أَنـزَلَ مِنْ السَّـمَاءِ مَـاءً لَكُمْ مِنْـهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُـونَ وَالنَّخِيـلَ وَالأَعْنَـابَ وَمِنْ كُـلِّ الثَّمَـرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لآيَـةً لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُـونَ (12)وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَـوْمٍ يَـذَّكَّرُونَ (13)وَهُـوَ الَّذِي سَـخَّرَ الْبَحْـرَ لِتَـأْكُلُوا مِنْـهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْـتَخْرِجُوا مِنْـهُ حِلْيَـةً تَلْبَسُونَهَا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَـةً تَلْبَسُـونَهَا وَتَـرَى الفلك مَـوَاخِرَ فِيـهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14)وَأَلْقَى فِي لأَرْضِ رَوَاسِـيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُـبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَـدُونَ (15)وَعَلامَـاتٍ وَبِـالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَـدُونَ(16) أَفَمَنْ يَخْلُـقُ كَمَنْ لا يَخْلُـقُ أفلا تَـذَكَّرُونَ (17))) [النحل]

وقوله تعالى: ((وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَـاءً فَأَحْيَا بِـهِ لأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَـةً لِقَـوْمٍ يَسْـمَعُونَ(65) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَـامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًـا سَـائِغًا لِلشَّارِبِينَ(66) وَمِنْ ثَمَـرَاتِ النَّخِيـلِ وَالأَعْنَـابِ تَتَّخِـذُونَ مِنْـهُ سَـكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَـوْمٍ يَعْقِلُـونَ (67) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى

النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُــونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُـبُلَ رَبِّكِ ذُللا يَخْـرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَـرَابٌ مُخْتَلِـفٌ أَلْوَانُـهُ فِيـهِ شِـفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لآيَـةً لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُـرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُـــرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْـــدَ عِلْمٍ شَـــيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَـــدِيرٌ (70))) [النحل]

وقوله تعــالى: ((أَفَلَمْ يَسِــيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُــونَ لَهُمْ قُلُــوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْـمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَـارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)[الحج]

وقوله تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَـرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَـزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مَـاءً فَيُحْيِ بِـهِ الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِـكَ لآيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يَعْقِلُونَ (24) [الروم]

وقوله تعــالى: ((ضَــرَبَ لَكُمْ مَثلا مِنْ أَنْفُسِــكُمْ هَــلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ إيمــانكُمْ مِنْ شُــرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَـاكُمْ فَــأَنْتُمْ فِيــهِ سَـــوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) [الروم]

وقوله تعــالى: ((إِنَّ فِي السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَــاتٍ لِلْمُــؤْمِنِينَ(3)وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَـاتٌ لِقَــوْمٍ يُوقِنُــونَ(4)وَاخْتِلاَفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ وَمَا أَنـزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّـمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِـهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) [الجاثية]

وقوله تعــالى: ((أَتَــأْمُرُونَ النَّاسَ بِـالْبِرِّ وَتَنسَـوْنَ أَنفُسَـكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (44) [البقرة]

وقوله تعـــالى: ((إِنَّا أَنزَلْنَـــاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـــونَ (2) [يوسف]

وقوله تعالى: ((لَقَـدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيـهِ ذِكْـرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُـونَ(10) [الأنبياء]

وقوله تعالى: ((وَهُوَ الَّذِي يُحْيِ وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَـارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (80) [المؤمنون]

وقوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَـةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُـيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَـوَفَّى مِنْ قَبْـلُ وَلِتَبْلُغُـوا أَجَلا مُسَـمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـونَ (67) [غافر]

وقوله تعــالى: ((اعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَا قَـدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) [الحديد]

وبهـذا يعلم إجـرام قـادة الباطل وجنـايتهم على أنفسـهم وعلى

غيرهم، وتمسكهم بتقليد الآباء والمتبوعين الـذين عطلـوا نعمة الله عليهم بتلك العقول، ليميزوا بها الحق ويتبعـوه، ويعرفـوا بها الباطل ويجتنبوه، فحرموا أنفسهم وأتباعهم من هدى الله الذي لا يُحْرمه إلا من لا عقل له، بل عطلـوا بـذلك كل المنافذ المحسوسـة، كالسـمع والبصر التي تعرض على عقولهم ما تسمع وما تبصر من آيـات الله في أنفسـهم وفي الكـون الكبـير، وأنزلـوا أنفسـهم منزلة أحط من منزلة الحيوان!

قال تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَـالُوا بَـلْ نَتَّبِـعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْـهِ آبَاءَنَا أَوَلَـوْ كَـانَ آبَـاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُـونَ شَـيْئًا وَلاَ يَهْتَـدُونَ (170) [البقرة]

وقال تعالى: ((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْـمَعُ إلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(171) [البقرة]

وقـال تعـالى: ((إِنَّ شَـرَّ الـدَّوَابِّ عِنْـدَ اللَّهِ الصُّـمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ(22) [الأنفال]

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِـيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُـوبٌ لا يَفْقَهُـونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِــرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْـــمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ(179) [الأعراف]

وقال تعالى: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) [يونس]

وقال تعالى: ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَـزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَـاءً فَأَحْيَا بِـهِ لأرْضَ مِنْ بَعْـدِ مَوْتِهَا لَيَقُـولُنَّ اللَّهُ قُـلْ الْحَمْـدُ لِلَّهِ بَـلْ أَكْثَـرُهُمْ ل يَعْقِلُونَ (63) [العنكبوت]

وقال تعالى: ((ل يُقَـاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلا فِي قُـرًى مُحَصَّـنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَـدِيدٌ تَحْسَـبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُـوبُهُمْ شَـتَّى ذَلِـكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ ل يَعْقِلُونَ(14) [الحشر]

ولما كـانت العقـول والفطر السـليمة، تـرفض الباطل لفسـاده ومجافاته للحجج والـبراهين الـتي تسـند الحق وتظـاهره، لجأ أهل الباطل إلى إسناده وتأييده بالقوة والإكراه والتضليل والاستخفاف.

وقد دلت على ذلك أدلة كثــــيرة، لا تخفى على من تأملها في جميع حقب التـاريخ الممتـدة منذ أوجد الله الخليقة إلى يومنا هـذا، وسـتبقى كـذلك إلى قيـام السـاعة. كما دلت على ذلك سـير قـادة الباطل وأساليبهم، منذ أن خلق الله آدم السـلام وابتلاه بقائد قـادة الباطل: إبليس لعنه الله.

وبهـــذا يظهر الســـبب الـــذي جعل أهل الحق وأهل الباطل يتسـابقون إلى العقـول: أهل الحق بحقهم، وأهل الباطل ببـاطلهم،

لأن من سبق إلى العقـول بما عنـده ملك زمـام أصـحابها، وقـادهم إلى غايته بوسـائله المتاحة واسـتثمرها وحظي بنتائجهـا، ومن كـان أكثر سبقا إلى العقول كان-في الغـالب-أكـثر أنصـارا وأعوانـا، فـإن كثر أهل الحق وقويت شـوكتهم، أقـاموا الحق في الأرض ونشـروه وحموه من اعتداء أهل الباطل عليه، وإن كـثر أهل الباطل وقـويت شـوكتهم، أقـاموا الباطل في الأرض ونشـروه وحمـوه وحـاربوا به وبأعوانه الحـق، وأحـاطوا بـاطلهم بِجُـدُرٍ من الحـواجز الحسـية والمعنوية ضد هجمات الحق عليه ودحضه وكشف عواره للناس.

أسباب تأليف هذا الكتاب

لتأليف هذا الكتاب ثلاثة أسباب:

السبب الأول: ما حكاه القرآن الكـريم، من الصـراع الـذي دار بين أهل الحق من الأنبياء والرسل وأتبـاعهم، وبين أهل الباطل من الأمم السابقة.

إن المتأمل في ذلك الصراع يجد أن أهل الحق يسـابقون أهل الباطل إلى عقـول النـاس بما عنـدهم من الحـق، ويسـابقونهم إلى تفريغ تلك العقـول من الباطل الـذي تمكن من الوصـول إليهـا، ويسابقونهم إلى حمايتها من أن يصل إليها باطل جديد.

وأن أهل الباطل-كذلك-يسابقون أهل الحق إلى عقول النـاس بما عندهم من الباطـل، ويسـابقونهم إلى تثـبيت ما اسـتقر منه في تلك العقول، ويسابقونهم إلى حمايتها من الحق الـذي لم يصل إليها بعد.

وفي قصص الأنبياء مع أممهم بيـان واضح لهـذه المعـاني، كما سيأتي في فصول الكتاب.

و في سيرة الرسـول صـلى الله عليه وسـلم وما قـام به من تبليغ رسالة الله، وموقف قـادة الباطل من ذلك التبليغ أمثلة كثـيرة على هـذه المعـاني لمن تأملهـا. وكـذلك تـاريخ أصـحابه رضي الله عنهم وما قاموا به من دعـوة إلى الله وجهـاد في سـبيله، وكل من تبعهم على ذلك من أهل الحـق، ومواقف طغـاة الباطل منهم في جميع العصور.

السـبب الثـاني: ما حصل في هـذا العصر من الوسـائل الكثـيرة المؤثرة للسباق إلى العقول، ومن اهتمام أهل الباطل باختراع كثير منها واستغلالها في سبقهم بباطلهم إلى عقول النـاس، وتفريغ تلك العقـول من الحق الـذي وصل إليها وحمايتها من أن يصل إليها الحق، وتفريط أهل الحق وتقصـيرهم الشـديدين في اسـتغلال تلك الوسائل للسبق بحقهم إلى تلك العقول، وتفريغها من الباطل الذي وصل إليها وحمايتها مما لم يصل إليها منه.

السـبب الثـالث: خطـاب وجهه إلي عميد شـؤون الطلاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طلب مني فيه إلقـاء محاضـرة في قاعة المحاضرات الكبرى في الموسم الثقافي المعتاد كل عام ، وطلب ذكر عنـوان المحاضـرة، فلـبيت الطلب، وذكـرت له هـذا العنـوان: (السـباق إلى العقـول-الغايـات-الوسـائل والنتـائج). [-وقد بعث إلى بخطـاب الموافقة على العنـوان المـذكور بـرقم:: (10/ 413/ـ 19) وتاريخ: (23/4/1413هــ-). وألقيت المحاضـرة بتـاريخ:

10/5/1413هــ-بعد صـلاة المغـرب حضـرها كثـير من أعضـاء هيئة التدريس والطلاب بالجامعة. وكـانت المحاضـرة لا تزيد عن أربعين صـفحة بخط اليـد. وهـاهي اليـوم كتـاب بين يـدي القـارئ يزيد عن أربعمائة صفحة، وذلك من فضل الله وعونه.]

غايات أهل الحق

لأهل الحق غايات يسابقون بها أهل الباطـل، لإبلاغ تلك الغايـات إلى عقول الناس لتستقر فيها وتؤمن بها، وتصبح بذلك عقول حق.

ولأهل الباطل غايات يسابقون بها أهل الحق لإبلاغها إلى عقــول الناس لتستقر فيها وتستسلم لها، وتصبح بذلك عقول باطل.

غاية أهل الحق العليا في السباق إلى العقول.

هنالك غاية عليا لأهل الحق تتفــرع عنها كل الغايــات التي يسابقون بها أهل الباطل إلى العقول، وهذه الغاية هي: رضا الله سبحانه وتعالى.

فهم-أي أهل الحــق-يتحــرون هــذه الغاية العليا الشــاملة لكل الغايات. أليس الله تعالى هو الحق؟ أليسـوا يسـابقون بـالحق ومن أجل الحق؟ فماذا يريدون غير رضا الحق؟

فهذا نبي الله موسى عليه السلام يقـول الله تعـالى عنـه: ((وما أعجلك عن قومك يا موسى، قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربي لترضى)). [طه: 83-84]

وقـال تعـالى عن سـليمان بن داود عليهما السـلام: ((وقـال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والــدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبـادك الصـالحين..)). [النمـل: 19]

وختم تعـالى حـواره مع عيسى عليه السـلام بقولـه: ((هـذا يـوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنـات تجـري من تحتها الأنهـار خالـدين فيها أبــــدا رضي الله عنهم ورضــــوا عنه ذلك الفــــوز العظيم)). [المائدة: 119]

وقال تعالى: ((ومن الناس من يشري نفسه ابتغـاء مرضـاة الله والله رؤوف بالعباد)).[البقرة: 207]

وقال تعالى: ((ومثل الذين ينفقـون أمـوالهم ابتغـاء مرضـاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)).[البقرة: 265]

وقال تعالى عن أصحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان: ((والسابقون الأولون من المهــاجرين والأنصــار والــذين اتبعــوهم بإحســان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجـري تحتها الأنهـار خالـدين فيها أبـدا، ذلك الفوز العظيم)).[التوبة: 100]

وقال تعالى عنهم: ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفــار رحمــاء بينهم تــراهم ركعا ســجدا يبتغــون فضلا من الله ورضوانا)) [الفتح: 29]

وقـــــال عن أهل بيعة الشـــــجرة منهم: ((لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة)) [الفتح: 18]

وقال تعـالى بعد أن ذكر ما زين للنـاس من متـاع الحيـاة الـدنيا: ((قل أؤنـبئكم بخـير من ذلكم للـذين اتقـوا عند ربهم جنـات عـدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مهرة ورضــوان من الله والله بصير بالعباد)) [آل عمران: 15]

وقال تعالى: ((أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله)) [آل عمران: 162]

وقال تعالى: ((فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله)) [آل عمران: 174]

وقــال تعــالى عن حزبــه: ((رضي الله عنهم ورضــوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون...)) [المجادلة: 22]

وقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقــون إليهم بــالمودة وقد كفــروا بما جــاءكم من الحق يخرجــون الرسـول وإيـاكم، أن تؤمنـوا بالله ربكم إن كنتم خـرجتم جهـادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي)) [الممتحنة: 1]

وقال تعالى: ((لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معـروف أو إصـلاح بين النـاس ومن يفعل ذلك ابتغـاء مرضـاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما)) [النساء: 114]

وقـال تعـالى: ((يهـدي به الله من اتبع رضـوانه سـبل السـلام)) [المائدة: 16]

فأهل الحق يرجون من كل أعمالهم الصــالحة رضا الله ســبحانه وتعالى ويتبعون رضوانه، ورضاه تعالى هو غاية كل غاية، وهو تعالى لا يرضى إلا عن أهل الحق.

ومن أجل أن رضا الله تعـالى هو غاية أهل الحـق، يـأتي خطـاب الله تعـالى لهم-بعد أن يسـكنهم جنته ويعطيهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشــر-مخــبرا لهم بإحلاله هــذه الغاية العظيمة عليهم، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النــبي صــلى الله عليه وســلم قــال: (إن الله يقــول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولــون: وما لنا لا نرضى يا رب فقد أعطيتنا ما لم تعط أحـدا من خلقـك؟ فيقـول: ألا أعطيكم أفضل من ذلـك؟ فيقولـون: يا رب وأي شـيء أفضل من ذلـك؟ فيقـول: أحل عليكم

رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا.) [صحيح مسلم (4/1276)]
فهذا الحديث يفسر أن رضوان الله عن عباده هو غاية الغايات، لأنه أفضل ما يعطى أهل الجنة التي لا يدخلها إلا من رضي الله تعالى عنه.

حصول رضا النفس وطمأنينتها في الدنيا لمن رضي الله عنه.

ويجب أن يعلم أن هـذه الغاية –رضا اللـه-الـتي جعلها أهل الحق نصب أعينهم-بل جعلوها أم الغايات-للسباق إلى العقول بـالحق هي التي يتحقق بها الاطمئنان والسعادة والرضا لمن حققها، ويدل على ذلك أمران:

الأمر الأول: نصـوص الكتـاب والسـنة، ما ذكر هنا منها وما لم يــذكر، وبخاصــةٍ قوله تعــالى: ((رضي الله عنهم ورضــوا عنــه..)). [المجادلة: 22 والبينة: 8]

وإن صـــاحب هـــذه الغاية ليجد الرضا في نفسه والطمأنينة والسـعادة في أشد الظـروف امتحانا وابتلاء، يتضح ذلك بتأمل قوله تعالى-مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم، ويدخل فيه من اقتــدى به من أمتــه-: ((فاصـبر على ما يقولـون وسـبح بحمد ربك قبل طلـوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسـبح وأطـراف النهـار لعلك ترضى)).[طه: 13] وفي معنى ذلك قوله تعالى: ((ألا بــذكر تطمئن القلوب)). [الرعد: 28]

الأمر الثاني: شـهادة الواقع فما من أحد سـعى للوصـول إلى هذه الغاية-سواء كان فردا أو أسرة أو أمة-إلا وجد في نفسه الرضا الطمأنينة والسـعادة، وإن الـذين ينـأون بأنفسـهم عن هـذه الغاية ليحرمــون أنفســهم من الرضا والطمأنينة والســعادة، مع كــدهم واجتهادهم في الحصول على الرضا والطمأنينة والسعادة، عن غــير هذه السبيل العظيم.

وبهـذا يعلم أن أهل الحق عنـدما يسـابقون بـالحق إلى عقـول النـاس إنما يبتغـون للنـاس الوصـول إلى هـذه الغاية ليتحقق لهم الرضا والاطمئنان والسعادة، إذ كلما كثر أهل هـذه الغاية زادت في الأرض هذه المعاني التي ينشدها كل الناس.

وإذا كـان رضا الله هو الغاية العليا الشـاملة لكل غايـات أهل الحق من سباقهم إلى العقـول، فما الغايـات الـتي تتفـرع عن هـذه الغاية وتعتــبر وســائل لتحقيقهــا-وإن كــانت كل واحــدة منها غاية بــذاتها-؟[كــون بعض الغايــات تعتــبر وســائل لغايــات أخــرى أمر معروف.]

الغايات المتفرعة عن الغاية العليا:

من أهم الغايات المتفرعة عن تلك الغاية ما يأتي:
أولا: تبليغ رسالات الله إلى الناس.
ثانيا: إقامة الحجة على الخلق.
ثالثا: إخراج الناس من الظلمات إلى النور.
رابعا: تحقيق توحيد الله في الأرض.
خامسا: غرس الإيمان بالغيب في النفوس.
سادسا: تحكيم شرع الله في حياة الناس.
سابعا: تثبيت الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكافرين.
ثامنا: غرس الأخلاق الفاضلة ومطاردة الأخلاق الفاسدة.
تاسعا: طلب العزة من الله وحده..
عاشرا: القيام بالخلافة في الأرض على أساس هدى الله.

أولا: تبليغ رسالات الله إلى الناس.

والمراد إيصال تلك الرسالات ببراهينها وحججها، حتى تكون واضحة بينة تفهمها العقول فهما تقوم به الحجة على أصحابها، وهذا هو البلاغ المبين الذي هو وظيفة الرسل عليهم السلام ووظيفة أتباعهم.

قال تعالى: ((الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا)). [الأحزاب: 38]

وقال تعالى: ((ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم)).[الجن: 28]

وكان الرسل عليهم الصلاة والسلام يعلنون لأقوامهم أنهم جاءوهم لتبليغهم رسالات الله إليهم.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ((أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم)).[الأعراف: 62]

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ((أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين)). [الأعراف: 68]

وقال تعالى عن صالح عليه السلام: ((يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)).الأعراف: 79]

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ((يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين)). [الأعراف: 93]

وقال تعالى: ((فهل على الرسل إلا البلاغ المبين)). [النحل:

[35
وقال تعالى: ((وما على الرسول إلا البلاغ المـبين)) [النـور: 54، والعنكبوت: 18]
وإذا كـانت هـذه الوظيفة هي-في الأصـل-وظيفة الرسـل، فإنها وظيفة أتبـاعهم بعـدهم، وبخاصة أمة محمد صـلى الله عليه وسـلم الذين لم يبق دين حق في الأرض غير دينهم، قال تعالى: ((قل هذه سـبيلي أدعو إلى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعـني..)). [يوسـف: 108]
وإذا ما حصل تقصير أو توان في هـذه الوظيفة ممن كلفهم الله القيام بها-وحاشا رسل الله أن يقصروا ويتوانوا في ذلـك-فـإن ذلك إخلال بالوظيفة، كما قال تعالى: ((يا أيها الرسول بلغ ما أنـزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)).[المائدة: 67]

ثانيا: إقامة الحجة على الناس.

حـتى لا يكـون لهم عـذر يحتجـون به على ربهم، وهـذه الغاية ملازمة لما قبلهـا، لأن في تبليغ الرسـالات إقامة للحجـة، ولكن كلا منهما غاية من غايات أهل الحق في السباق إلى العقول.
قال تعالى: ((رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وكان الله عزيزا حكيما)).[النساء: 165]
وقال تعالى: ((وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون، أن تقولوا إنما أنـزل الكتـاب على طـائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغـافلين، أو تقولـوا لو أنا أنـزل علينا الكتـاب لكنا أهـدى منهم فقد جـاءكم بينة من ربكم وهـدى ورحمة فمن أظلم ممن كـذب بآيـات الله وصـدف عنها سـنجزي الـذين يصـدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون)).[الأنعام: 155، 157]

ثالثا: إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

إن أهل الباطل عندهم بصر مـادي-ينظـرون به فـيرون ما تمكن رؤيته من الكون العلوي والسـفلي، بل وصـلوا إلى رؤية ما لم يكن في الحسبان رؤيته من دقائق الأمور، وما بَعُدَ في هـذا الكـون، عن طريق ما صـنعوا من آلات مكـبرة ومقربـة، وعن طريق الصـواريخ والأقمـار الصـناعية الـتي غـزوا بهـا-كما يقولـون-الفضـاء، ولا زالـوا يطورونها.
وأما الأرض وبعض طبقاتها فقد مسـحوا كثـيرا منها ولا زالـوا

يمسحون ويطلعون فيها على أسرار خطيرة-غير الأسرار الطبيعية-[ومنها الأسـرار العسـكرية.] لا يعرفها كثـير من مسـئولي البلـدان التي هي فيها.

ومع هـذا كله فـإن أهل الباطل عميٌ يتخبطـون في ديـاجير ظلمـات الكفر والجهـل-وإن سـموا علمـاء، وأصـبح هـذا المصـطلح "علماء" يغلب عليهم عند عامة المثقفين في الأرض-.

وهم علمـاء فعلا في تخصصـاتهم الـتي مكنتهم من علم بعض ظواهر الحياة الدنيا، كما قـال تعـالى نافيا عنهم حقيقة العلم الـذي ينفعهم وينفع أممهم في الحياة الدنيا والآخرة، ومثبتا لهم ما حـازوه من علم بعض من ظــاهر الحيــاة الــدنيا: ((وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الـدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)). [الروم: 6، 7]

فأهل الباطل هــؤلاء-وغــيرهم-يعيشــون في ظلمــات-وإن ملأ الغـرور أدمغتهم والكـبرُ قلـوبَهم بما وصـلوا إليه من العلم المـادي-وهم في حاجة إلى من ينبههم من غفلتهم ويخرجهم من الظلمـات: ظلمـات الكفر والجهل بالخـالق وبـالغيب الـذي يجب الإيمـان بـه، وبشرع الله ووحيه ورسله، ومنهج الحياة الذي يسعدهم في دنيـاهم وأخراهم، إذا ما طبقوه في حياتهم.

قال تعالى: ((الله ولي الـذين آمنـوا يخـرجهم من الظلمـات إلى النور، والذين كفروا أوليـاؤهم الطـاغوت يخرجـونهم من النـور إلى الظلمات)). [البقرة: 257]

والله تعـالى يخـرج النـاس من الظلمـات إلى النـور بوحيـه، عن طريق رسله واتباعهم الذين يبينون للناس الحق والباطل ويدعونهم إلى الحق وينهونهم عن الباطل، كما قال تعالى: ((الر. كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمـات إلى النـور بـإذن ربهم إلى صـراط العزيز الحميد)). [إبراهيم:1]

وقـال تعـالى: ((ولقد أرسـلنا موسى بآياتنا أن أخـرج قومك من الظلمات إلى النور..)). [إبراهيم: 5]

وقـال تعـالى: ((رسـولا يتلو عليكم آيـات الله مبينـات ليخـرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمـات إلى النـور)). [الطلاق: 11]

وتخصيص المؤمنين بالإخراج من الظلمات إلى النور مبــني على كــونهم هم المنتفعين الــذين يســتجيبون لأمر الله ودعــوة رســله، فيخرجـون فعلا من الظلمـات إلى النـور، كتخصـيص كـون القـرآن هــدى للمتقين في مثل قوله تعــالى في كتابه العزيــز: ((ألم ذلك

الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين...)).[البقرة: 2]

مع أن كتـاب الله هـدى لجميع النـاس لو أرادوا الهدايـة، ولكنه خصّ المتقين لكـونهم المنتفعين بـه، والرسـالات جـاءت لإخـراج الناس كلهم من الظلمات إلى النور.

وقد يقول قائل مبهور بالاكتشافات العلمية المعاصرة، وما وصل إليه رواد الحضارة الغربية المادية: كيف يكون النـاس في ظلمـات، وبخاصة أهل الغـرب الـذين ذللـوا بعلمهم واكتشـافاتهم الصـعاب فحولـوا الظلام الـدامس إلى أنـوار تتلألأ في المـدن والقـرى والأريـاف، وقربـوا البعيد في الأسـفار وحمل الأثقـال، والتخـاطب بالأصـوات والرسـائل المكتوبة (بالفـاكس والتلكس وغيرهـا..) والصورة عن طريق التلفاز والأقمـار الصـناعية، وحولـوا وجه القمر الجميل -الـذي كـان الشـعراء والأدبـاء يتغزلـون بوجهه الصـبيح، مشبهين به الغانيات من النساء -إلى مطار يهبطون فيه ويصعدون، وأصـبحت الكـواكب البعيـدة هـدفا لاكتشـافاتهم تتـوالى صـورها المنقولة بوسـاطة الآلات الفضـائية الـتي تسـير من الأرض، بحيث تُـؤمَر وتُنهَى-على بعد المسـافة بينها وبين من يأمرها وينهاهـا- فتسـتجيب للأمر والنهي، وامتلأت الأرض بآثـار حضـارتهم، من طائرات وسيارات وقطـارات وسـفن بحريـة، أصـبحت مـدنا متنقلة فيها كل ما يبتغيه الإنسـان في المـدن الكـبرى، وأصـبحت الأرض بالمواصلات الحديثة شبيهة بقرية صغير يتواصل الناس فيها في كل لحظة من لحظات الزمن-وبخاصة بتلك الوسيلة المدهشة: الشـبكة العالمية "الإنـترنت" وشـيدت ناطحـات السـحاب ذات المرافق المريحة المدهشة، ووجد الإنسان الآلي الذي أصبح يجري العمليات الجراحية، والكمبيوتر الـذي عجز العقل الإنسـاني الـذي صـنعه عن مجاراته، ووجـدت صـواريخ تعـبر القـارات وأسـلحة حـرب النجـوم، وأصبحت طبقات الأرض عاجزة عن سـتر ما في طبقاته عن أقمـار التجسـس، وأصـبح الإنسـان يُصـنَع في أنـابيب، وتمكن الأطبـاء من زرع الأعضـاء في الأجسـام لتحل محل أعضـاء أخـرى.. [وأخـيرا وصلوا إلى الاستنساخ الحيواني وغيره...]الخ.؟؟!!

أهذا الإنسـان العصـري الـذي وصل إلى هـذه الدرجة من العلم، هو في ظلمات يحتاج إلى إخراج منها إلى نور؟!

ما الظلمات التي هو فيها الآن؟ وهو بهذه الحال؟

وما النور الذي سيخرج إليه؟

أهو الرجـوع إلى سـراج الـزيت؟ والسـفر على البغـال والحمـير والجمـال؟ والسـكنى في الكهـوف، وبيـوت القش وجلـود الأنعـام

والخيــام؟ وبصــفة عامة إحيــاء الرجعية والتــأخر والجمــود وكبت الحريــات ونسف الــديمقراطيات الــتي نعم بها الغــرب بعد جهد ونضال مريرين، وإعادة المرأة إلى مخـدعها لا تـرى أحـدا ولا يراها أحد؟!

والإجابة عن هذا السؤال تطـول، ولكن تعـال معي أيها القـارئ! لنتأمل قليلا في أحوال الناس في هذا العصر الـذي وصف السـؤال قدرا ضـئيلا من تقدمه المـادي، لـنرى إن كـان أولئك النـاس الـذين هذه صفتهم في ظلمات محتاجين إلى من يخرجهم منها إلى نور أو لا؟!

أمثلة لحياة القوم-المتحضرين-في بعض المجالات:

المجال الأول: الحياة الإيمانية:

قلت في آخر الحلقة السابقة، إجابة على تساؤلات قد تدور في ذهن القارئ: كيف يكون الإنسان المتحضر في هذا العصر في ظلمات، يحتاج إلى من يخرجه من الظلمات إلى النور؟: والإجابة عن هذا السؤال تطول، ولكن تعال معي أيها القارئ! لنتأمل قليلا في أحوال الناس في هذا العصر الذي وصف السؤال قدرا ضئيلا من تقدمه المادي، لنرى إن كان أولئك الناس الذين هذه صفتهم في ظلمات محتاجين إلى من يخرجهم منها إلى نور أو لا؟!

إن المتأمل في الحياة الإيمانية لأولئك المتحضرين يجدهم يؤمنون بكل شيء مادي يدخل في نطاق علمهم الدنيوي الظاهر، وكثير منهم لا يؤمنون الإيمان الحق، وهو الإيمان بالغيب، ومنه الإيمان بالخالق الإله المعبود.

فالذين يسمون بأهل الكتاب، من يدعي منهم أنه يؤمن بالله لا يؤمن به في الحقيقة، وإنما يؤمن بآلهة متعددة: الله، الابن، روح القدس، ويسمون الثلاثة إلها واحدا، مما جعل بعض الأطفال في مدارس الغرب يتساءلون: كيف يكون الثلاثة، واحدا ونحن ندرس في الرياضيات أن ضرب الثلاثة في واحد يساوي ثلاثة؟! فلا يجدون من القسس والرهبان جوابا، فينصرفون عن الدين إلى الإلحاد، ولهذا تجد كثيرا ممن يسمون بالنصارى ملحدين لا يؤمنون بإله.

وتجد دولا كبيرة قامت في الأرض على الإلحاد الصريح الذي ينكر وجود الخالق-أصلا-مع أن كل ذرة في الكون تصرخ في وجوههم وتحتج وتثبت أن الله الخالق موجود، بل وتدل على أنه المعبود الحق سبحانه وتعالى.

وإن العقل الذي لا يقر صاحبه بذلك إنما يشهد عليه بأنه أحط من أحقر الحيوانات.

وتجد وثنيين قد ملئوا جوانب كثيرة من الأرض يقدسون كل مخلوق ويعبدونه من دون الله، كالبقر والنار والشجر والحيوان والنهر، بل حتى الفرج، وتجد كبار فلاسفتهم يعيشون مع الكلاب والقطط والدجاج، في الغابات يعبدون غير الله، ويُعبَدون هم من دون الله.

وكنت أظن أن هؤلاء الوثنيين مثل وثنيي العرب الذين كانوا يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله، ولكني وجدتهم ينكرون إنكارا

شــديدا أن يكــون هنــاك رب خلق هــذا الكــون، وهم في ذلك كالشــيوعيين الملحــدين ولا يختلفــون عنهم إلا بــأنهم يعبــدون المخلوقات عبادة صريحة واضحة.

بل إنك لتجد جمهرة من المسلمين يعبدون القبور ويطوفـون بها ويتمسحون بترابها ويدعون أهلها من دون الله!

وتجد كثيرا من أبناء المسلمين ملحدين لا يؤمنون بالله ورسـوله واليوم الآخر، متبعين في ذلك ماركس ولينين وغيرهما.

نعم انهارت الدول الإلحادية ولكن الإلحاد ما زال موجودا.

والـذي لا يـؤمن بالله لا يـؤمن بـالغيب الـذي جـاءت به الرسل ونــزلت به الكتب، فلا يـؤمن بـوحي ولا رسـالة ولا كتب-وآخر تلك الكتب والمهيمن عليها القرآن الكـريم-،ولا بـرزخ ولا بعث ولا حشر ولا حساب ولا صراط ولا ميزان ولا جنة ولا نار ولا ملائكة، لا شــيء غير عالم الشهود.

فهل تـرى أمثـال هـؤلاء الـذي هـذه حيـاتهم في مجـال الإيمـان يعيشون في نور أو ظلمات؟!

وفقد الإيمــان بــالغيب يكفي وحــده للدلالة على أن صــاحبه في ظلمات، وكل خير مفقود هو أثر لفقد هذا المجال.

المجال الثاني: الحياة الاجتماعية.

الحياة الأسرية هي نواة الحياة الاجتماعية في كل الأمم، فإذا ما قامت الحياة الأسرية على أساس مـتين في علاقـات بعض أفرادها ببعض، ابتـداء من الـزوجين الـذين يكـون الـزواج سـكنا لهما وراحة وطمأنينة، بحيث يختار كل منهما صاحبه على أساس الدين الذي لا تستقيم الحياة الزوجية، ولا يحصل السـكن لكل من الـزوجين وثقة كل منهما بصاحبه إلا به، وقد يكون في بعض الأديان الباطلة شــيء من الوصــايا والآداب الزوجيــة، ولكنها لا تقــوم على تقــوى الله والخوف منه والرغبة في ثوابه، ولا تكون بـذلك مطبقة في الواقـع، وبخاصة عندما يكـون الهـدف من الـزواج لكل من الـزوجين المتعة المادية فحسب أو الكسب المادي، كطمع كل منهما في مـال الآخر ونحو ذلك-أي عندما تطغى الأنانية والأثرة.

وهذا ما هو حاصل اليوم في خضم الحضارة المادية.

لذلك تجد الصـراع والشـقاق بين الأزواج وكـثرة الطلاق وتشـرد الأولاد، وانتشار الأمـراض النفسـية، وتعـاطي الكحـول والمخـدرات والإدمان عليها، وفقد كل من الزوجين ثقته في الآخـر، وانبـنى على ذلك ما لا يحصى من الآثار الخطيرة.

من ذلك العـزوف عن الـزواج للتخلص من الارتباطـات القانونية وتحمل مشـقات تربية الأولاد-ماديـا-وأصـبح الآدميـون يعيشـون كما تعيش البهائم.

بل إن الزوج يرى امرأته وهي ترافق غيره، والمرأة تـرى زوجها وهو يرافق غيرهـا، وقد يتـآمر أحد الـزوجين وعشـيقه على الآخـر، فيقتلانه ليتخلصا منه ويعيشا عيشة الحيــوان برهة من الــزمن، ثم يستبدل كل منهما بقرينه قرينا آخر.

وقد تنجب هذه المرأة أولادا فينسبون إلى زوجها وهو يعلم أنهم ليسوا بأولاده، كما لا توجد ثقة عند الأبناء بأن هذا هو أبوهم.

ولهذا يحاول كل من الآبـاء والأبنـاء تخلص بعضـهم من بعض إما بالقانون-إذا أمكن-أو بالاعتداء على الحياة فإذا ما بلغ الولد-ذكـرا أو أنثى-السن القانونية وكان والـده يكـره حياته معـه، طـرده من بيته إلى غير رجعة وليصادف في حياته ما يصادف، وإذا كان الولد يكـره الحيـاة مع والديه أو أحـدهما غـادر المـنزل وقد لا يلتقيهم بعد ذلك في هذه الحياة، وقد يقتل أحدهما الآخـر، وكم من شـيخ فـان مـات في منزله فلم يعلم بموته أولاده، وهم في مدينته أو حارته أو عمارته أو في مكـان آخـر؟! فلا يُعـرف موته إلا برائحة جثته عنـدما تتخلل شـقوق الأبـواب والنوافذ فتنبه الجـيران ليسـتدعوا الشـرطة لتريحهم من تلك الرائحة.

ولعـدم ثقة كل من الـزوجين في صـاحبه وعـدم ثقة الآبـاء في نسـبة الأولاد إليهم، وعـدم ثقة الأبنـاء في أن أولئك آبـاؤهم، تـرى الغني الثري يقف ماله بعد موته على حيوانات أو غيرها، فــرارا من أن يحوزها من لا يثق بنسبته إليه.

هذه بعض أحوال الأسرة التي هي نواة المجتمـع، فكيف يا تـرى يكون المجتمع المكون من هذه الأسر؟

كيف تكـون الروابط بين أسـرة الـزوج وأسـرة الزوجـة؟ وكيف تكــون الروابط بين الجــيران؟ وكيف تكــون الروابط بين الإخــوان والأعمام والعمات والأخوال والخالات والأقارب الآخـرين، إذا كـانت تلك هي الروابط بين الأزواج والأبناء؟

هذا في الأقارب فما شأن الأباعد؟

إنه الـدمار الـذي يحطم الروابط المادية الـتي لا أسـاس لها من دين أو خلق، فلا يرحم قوي ضعيفا ولا يحترم صغير كبيرا.

فهل ترى أمثال هؤلاء الذين هذه حياتهم في المجال الاجتمــاعي يعيشون في نور أو ظلمات؟!

المجال الثالث: الحياة الاقتصادية.

والاقتصاد عند المتحضرين هو محور التنافس وميدان الصراع، يحطم القوي فيه الضعيف، وتقف وراءه حفنة قليلة من البشر تمتص به عرق العالم ودماءه: عصابة يقبع أفرادها في مكاتبهم ويقعدون على كراسيهم، ويديرون الاقتصاد العالمي كله بمكالمات هاتفية أو رسائل تلكس أو فاكس، أو بريد إلكتروني، يتلاعبون بأسعار النقد وأسعار السلع ويحطمون اقتصاد دول وشعوب، وتبتلع شركاتٌ كبرى شركاتٍ صغرى، سلاحهم الأساسي في كل ذلك الربا الذي دمر العالم وحطمه.

ينبني على هذا الجشع والاستغلال والتلاعب، أن يكدح البشر في العالم ويبذل غاية طاقته في العمل من أجل أن تقطف ثمار عمله تلك العصابة المرابية، فتكون الدول والشعوب أسيرة لتلك العصابة، تأخذ منها أقصى جهدها، وتعطيها ما لا يقيم ضرورتها من المعيشة.

وبتمكن تلك العصابة الشريرة من السيطرة الاقتصادية واحتوائها للمال ومرافقه، أصبحت تسيطر على مرافق العالم من الإعلام بكل وسائله من الصحيفة إلى القمر الصناعي وما يتصل به، تخدمها الوكالات الإعلامية الكبرى التي تنشئها أو تشتريها بالمال والجاه والمنصب وإشباع الغرائز.

وبذلك تحتكر المعلومات وتسرب منها ما تريد وتحتفظ بما تريد، وتأتي التحليلات والتحقيقات متمشية مع مقاصدها، و كثيرا ما تُقلب فيها الحقائق وتُضلل بذلك الأمم والشعوب، و تخدمها أجهزة الإعلام في الدول المستضعفة، لأنها تتلقى مادتها الإعلامية من و كالاتها، فتنتشر بين الناس معلومات مضللة في كل المجالات، ولا يتنبه لذلك إلا قلة من الناس لا حيلة عندهم في كشف ذلك وفضحه، بدون وسيلة إعلامية أمام تيار الوكالات المسيرة بذلك الاقتصاد، وسيأتي الكلام على مجالات أخرى للاقتصاد ودوره الفعال في التأثير عليها.

ومع الثراء الفاحش الذي تجمع في أيدي تلك العصابة، تجد الفقر المدقع قد أنهك مجموعات من البشر في جميع الدول بما فيها الدول المتحضرة (ماديا) يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، يتسكعون في الشوارع، لا يجدون من يشفق عليهم أو يرحمهم من أولئك الأثرياء، لا بصدقة ولا بوظيفة ولا بقرض حسن، فكثرت بسبب ذلك البطالة، لتسريح أولئك الأثرياء أعدادا هائلة من العمال، وبخاصة بعد أن حلت الآلة محل البشر، والذي يبقى في عمله من

الضعفاء، لا ينال من أجره إلا ما يجود عليه به الـثري الـذي يسـتغل أقصى جهـــده في العمـــل، ولا يعطيه من الأجر إلا أقل القليل مما يستحق.

وهنا يأتي دور نقابات العمال التي تقـوم بالمظـاهرات وتلجأ إلى الاعتصام، وتتوقف في بعض المؤسسات الأعمال، حتى يتم التفاهم مع رب العمل والعمال فيعود العمل لفـترة زمنيـة، و يتكـرر الـنزاع بعدها من جديد.

وحدِّثْ عن الجـوع الـذي يقتل شـعوبا بأكملهـا، والكـوارث الـتي تقضي على بلـــدان كثـــيرة، فلا تجد من عصـــابات الـــثراء عونا ولا إسعافا، وبخاصة إذا كانت تلك الشـعوب غـير مرضي عنها لأمر من الأمور.

واليـوم ظهر خـوف الشـعوب ذات الحضـارة المادية المتقدمـة- وكيف بغيرها؟- مما سمي بالعو لمة، التي حقيقتها سيطرة الأقويـاء على الضـــعفاء في كل المجـــالات: الاقتصـــادية، والسياســـية، والاجتماعيـة، والثقافيـة، والعسـكرية، والإعلاميـة، وجعل الشـعوب الضعيفة أشد ضـعفا، تقضي فيها الـدول القوية على كل مقوماتهـا، بل تقضي على سيادتها، وتصبح الـدول القوية تتحكم في كل شـأن من شؤون حياتها.

فهل ترى أمثال هؤلاء الذين هذه حياتهم في المجال الاقتصـــادي يعيشون في نور أو ظلمات؟!

وإنما أغفلت ذكر المعســكر الشــيوعي والاشــتراكي-وإن كــان موجودا في الصين الشـعبية بصـفة خاصـة، ومحافظا على فلسـفته الشــيوعية الــتي تجعل الشــعب كله خادما بلقمة عيشه ومســكنه الجماعي لا يملك لنفسه شـيئا-لأن هـذا المعسـكر قد قضي بنفسه على نفسه لمخالفة نهجه الفطرة والنـاموس مخالفة واضـحة، وهو في طريقه إلى الـــزوال كما حصل لما كـــان يســـمى بالاتحـــاد السوفيتي. وهاهي الصـين اليـوم تعلن تخليها عن نهجها الاقتصـادي الشيوعي، وتأخذ بـالنهج الرأسـمالي، وإن زعمت أنها لا تـزال على شيوعيتها...

المجال الرابع: الحياة السياسية.

الحياة السياسية في العالم الذي يقـال عنـه: إنه متحضـر-تقـوم كغيرها على أساس إبعاد منهج الله تعالى عن تسـيير حيـاة البشـر، وإحلال المناهج البشرية محلـه، وهو ما اشـتهر بالعلمانيـة، والعـالم الغـــربي منطقي مع نفسه في ذلـــك، بالنســـبة للديانة النصـــرانية

المحرفة.
فالإنجيل الــذي بأيــديهم ليس فيه ما يمكن أن يســتند عليه في التشريع والسياسة والاقتصاد والاجتماع والقضاء وغيرها، حتى يقال للنصارى: احكموا بالإنجيل في سياستكم .
وأمر الله أهل الإنجيل أن يحكموا بما فيه، وكذا أمر أهل التوراة أن يحكموا بما فيها، المراد منه الاعتراف والإقرار برسالة الرســول صــلى الله عليه وســلم الــتي وردت في الكتــابين، وأنكرها اليهــود والنصــارى وكتموهــا، وليس المــراد الحكم بكل ما فيهما بعد نــزول القرآن الذي هو المهيمن على جميع الكتب السماوية، وقد بين ذلك المفسرون...
وأهل الغــرب ليس عنــدهم-وخاصة ساســتهم-اســتعداد لقبــول تحكيم الإسلام حتى يبنوا حياتهم السياسية على مبادئـه-لا سـيما أن المسلمين أنفسـهم لا يحكمـون الإسـلام في أغلب بلـدانهم، فكيف يرجى من غيرهم أن يحكم به وهم بعيدون منه؟!.
لذلك قامت الحياة السياسية في الغرب-أوربا وأمريكا الشـمالية وما دار في فلكها من البلـــدان، كاســـتراليا واليابـــان-على مبـــدأ الديمقراطية الـتي يقـال عنهـا: إن الشـعب يحكم نفسه بنفسه إما بصــفة مباشــرة-وهــذه حلم لم يتحقق إلى الآن-أو عن طريق نوابه الــذين يختــارهم، والأســلوب الــذي تــدار به السياسة في الغــرب أسلوب جذاب في ظاهره وبخاصة إذا قورن بالسياسة الاســتبدادية " الدكتاتورية " التي اتبعها المعسـكر الاشـتراكي والـدول المسـماة بالعالم الثالث. فـإن الشـعب في الغـرب يختـار نوابه ويختـار قادته بدون شراء الأصوات مباشرة وبدون تزوير واضح، وبــدون مضــايقة شرطية "بوليسية" يتنافس الزعماء الذين يرشحون أنفسهم لقيادة بلدانهم، فـإذا اختـير أحـدهم سـلم السـابق الحكم للاحق بـدون أي عنــاء أو مشــقة، وهكــذا تتــداول الأحــزاب الحكم بطريقة ســلمية-بخلاف الزعمـاء الاسـتبداديين وأحـزابهم، فـإنهم لا يسـلمون الحكم لخصومهم إلا بالسلاح.
ولكن هل هــذه الصــورة الظــاهرة المفضــلة على الاســتبداد كما يراها النــاس في ظاهرها حــرة ليس فيها إكــراه، ونزيهة ليس فيها خداع؟؟
والجـــواب: لا، فحريتها ظاهرية ســـطحية، ونزاهتها وهميـــة، فــالأحزاب الغربية المســماة بالديمقراطية تضــلل عقــول الشــعوب الــتي تنتخب الزعمــاء، عن طريق أجهــزة الإعلام بتخطيط وتنظيم وتنفيذ معــدة إعــدادا محكمــا، من قبل مختصــين في كل شــأن من

الشؤون التي تهم تلك الشعوب، وأجهـزة الإعلام هي الـتي تُشـتَرى بدلا من شـراء الأصـوات مباشـرة، وهي تكـذب وتجعل الكـذب في صورة صـدق، والزعمـاء يكـذبون ويظهر كـذبهم في صـورة صـدق، إضافة إلى القذارة الأخلاقية التي يتبعونها في اتهاماتهم لخصــومهم بالحق والباطل، مع ما يعد به الزعيم الشعوب من الإنجـازات الـتي يتبخر كثير منها بعد وصوله إلى كرسي الحكم.

وإذا علمنا أن أغلب جماهير الشعوب غوغائيــة، لا تفكر ولا تحلل ولا تشــغل عقولها بمصــالحها، وإنما تَســمع وتُســتَخَف وتُقلِّد، وأن الــذين يقــودون تلك الشــعوب هم أفــراد قلائــل، أدركنا أن تلك الجماهير شبه مكرهة على انتخاب أولئك الزعماء، بسـبب التضـليل الذي تفعله أجهزة الإعلام وشـياطينها، وبسـبب الأكـاذيب والشـتائم التي يكيلها كل مرشح لخصمه، والوعود التي يقطعها على نفسه.

ويترتب على ذلك أن الحزب الحاكم له مناهج وخطط وأهــداف، كثير منها ليست هي التي يطمع فيها الشعب الـذي انتخبـه، فيمـني الشعب بخسائر لم تكن بحسبانه، وبخاصة ما يتعلق بالاقتصاد الذي لا يكون الرفاه إلا بازدهاره.

كما أن أولئك الزعماء تكون لهم طموحات استعمارية وسياسـية وعسكرية، فيجمعون بين أمرين:

الأمر الأول: التعــالي على الشــعوب الضــعيفة وقهرها وأخذ خيراتها وجعلها مصدرا رخيصا للخامات التي يصنعها وسـوقا يشـعل فيه غلاء بضائعه وصناعاته، فيدمر بذلك اقتصادها، وقد يدمر جيشها وسلاحها.

الأمر الثـاني: توريط شـعوبهم-ليحققـوا طموحـاتهم-في حـروب وعجز ميزانياتها بســبب إنفــاق الأمــوال على وســائل تخفيف تلك الطموحــات: من إنفــاق مبــالغ هائلة على الســلاح وما يتبعه وعلى تنفيذ خطط إعلامية وسياسية وغيرها، وبذلك ترتفع الضـرائب الـتي ترهق شعوبهم، بدلا من الرفاهية التي وعدوها بها.

والسبب في ذلك كله أن أولئك الزعماء يتصــرفون بــدون رقيب داخلي، والــرقيب الــداخلي لا يكــون إلا بتقــوى الله وهي معدومة عندهم.

نعم توجد رقابة من البرلمانــات والأحــزاب المعارضــة، وتعلن فضــائح ولكن بعد فــوات الأوان، ثم إن الرقبــاء الــذين يعارضــون الحــزب الحــاكم، إذا تولــوا الأمــور فعلــوا كما فعل من ســبقهم وهكذا....

فهل تــرى أمثــال هــؤلاء الــذين هــذه هي حيــاتهم في المجــال

السياسي يعيشون في نور أو في ظلام؟!

وهــــذا مع اعترافنا أن أســــاليب سياسة الــــدول الغربية الديمقراطية، أفضل بكثير من أساليب الحكم المستبدة في الــدول المسماة بدول الشمال، أو دول العالم الثالث.

المجــال الخــامس: حيــاة تطــبيق حقــوق الإنسان.

عنــدما يتــابع المــرء ما يصــدر عن زعمــاء الغــرب ومفكر يهم وأجهـزة إعلامهم، عما يتعلق بحقـوق الإنسـان ينقـدح في ذهنـه-إذا كان خالي الذهن-ثلاثة أمور رئيسة:

الأمر الأول: أن حقوق الإنسان هذه مصدرها الغـرب، فهو الـذي ابتكرهــا، وهو الــذي صــاغها ووضــعها، وهو حامل لوائها وناشــرها والداعي إليها.

الأمر الثـاني: أن المقصـود بالإنسـان جنسـه، بصـرف النظر عن لونه أو دينه أو نوعه أو أرضه.

فكل إنسان في الأرض يجب أن يتمتع بهذه الحقـوق المنصـوص عليها "بصرف النظر عن موافقة بعضها للإسلام أو مخالفته.." فهذا أمر آخر له موضوعه.

الأمر الثالث: أن حقوق الإنسان التي يدعون إلى تطبيقها، بلغت من الكمال والسمو والدوام ما يجعلها جديرة وحـدها بالاتبـاع، وكل ما عداها من التشريعات لا تدانيها!.

إن الإعلان العـالمي لحقـوق الإنسـان أقرته الأمم المتحـدة، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي دمرت العالم في مشـارق الأرض ومغاربها، بسـبب الأطمـاع الاسـتعمارية الغربية "المتحضـرة!" وقد سبقتها الحرب العالمية الأولى.

وهـذا الإعلان يؤكد على احـترام حريـات الشـعوب والجماعـات والأفراد دون تمييـز (بسـبب العنصر أو اللـون أو الجنس أو اللغة أو الــدين أو الــرأي السياسي أو أي رأي آخــر، أو الأصل الوطــني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخــر، دون أي تفرقة بين الرجال والنساء..).

وكان صدور هذا الإعلان سنة 1948م أي أن المـدة الـتي مضت لصدور هذا القانون 53 سـنة فقـط، وقد مضى على نـزول القـرآن الكــريم أكــثر من 1422هــ. والقــرآن والســنة والفقه الإســلامي المستنبط منهما قد تضمنت من حقـوق الإنسـان ما لم يخطر ببـال أحد من النـاس، بالتفصـيل الـوارد في الإسـلام، ليس في الكليـات

فقط وإنما في أدق الجزيئات، ابتداء من وجود الجنين في بطن أمه إلى أن يوافيه الأجل الفـــرد والأســـرة والشــعب والدولـــة، وليس المقـام مقـام اسـتعراض لـذلك، لا لكلياته ولا لجزيئاتـه، وقد كتب بعض علمـاء العصر في هـذا الموضـوع [أي في حقـوق الإنسـان، ومنهم الـــدكتور علي عبد الواحد وافي والشـــيخ محمد الغـــزالي وغيرهم.] وهو مفتوح للكتابة فيه والمقارنة التي تخجل تلك المـواد غير الوافية في الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان، بتفاصـيل حقـوق الإنسان الواردة في الإسلام.

يضـاف إلى ذلك أن حقـوق الإنسـان المفصـلة الربانية الـتي لا يعتريها النقص قد طبقت فترة طويلة من الزمن، فأسـعدت العـالم الذي استظل بظلهـا: مسـلمه وكـافره، ولا تـزال تنتظر من يطبقها بصدق لتنعم الأمم بها كذلك.

ولكن ما مدى تطـبيق الـدول المتحضـرة لحقـوق الإنسـان الـتي أقرتها وتعاقدت عليها؟

إن نظــرة خاطفة إلى تصــرفات الــدول المتحضــرة! في هــذا المجال تظهر للناظر الأمور الآتية:

الأمر الأول: أن الجنس الأبيض الغـــربي، لا يـــرى أي جنس آخر يقترب من مرتبته، وأنه هو وحده الـذي يجب أن يسـود، يتضح هـذا عمليـا، فصـاحب اللـون الأسـود مكث فـترة من الـزمن بعد إعلان حقـــوق الإنســـان، لا يحق له أن يختلط بـــالبيض في المـــدارس والجامعات والفنادق والمطاعم، ولم يَخِفْ هذا التمييز إلا بعد كفـاح مرير من السود في أمريكا، وإذا ما وصل الأسود إلى وظيفة حـاكم المدينة بسبب كثرة أنصاره من السـود، أخـذت أجهـزة الإعلام تمن على السود بما وصلوا إليه، وقبل سنوات فـازت امـرأة سـوداء في الانتخابات النيابية لتكون عضوا في الكونجرس الأمـريكي، فأحـدثت أجهزة الإعلام ضجة كبيرة لتمن على تلك المرأة السوداء الـتي هي أول امرأة سوداء تدخل البرلمان الأمريكي.

وقبل ســنوات رشح القس الأســود "جاكســون" نفسه في أول الأمر، ليكـون رئيسا للولايـات المتحـدة الأمريكيـة، ولكنه شـعر من أول وهلة أنه لا يساوي صفرا على اليسار فانسحب مبكرا.

ولا زال حي "هارلم" في نيويـورك سـبة في جـبين الغـرب، وهو حي يسكنه السود الذين يراهم الزائر كأنهم في كوكب غـير كـوكب الأرض، من البؤس والشقاء والحرمـان، ويجـوز أن يكونـوا هم غـير طـامحين إلى مسـتوى معيشي أفضـل، ولكن الإهمـال المتعمد من قبل الحــاكم الأبيض، له دور كبــير في ذلك الشــقاء، وهم على بعد

أمتار من مبنى هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الراعي لحقوق الإنسان!

وفي الدول الأوربية "المتحضرة!" تفرقة واضحة بين الإنسان المسلم والإنسان اليهودي، فالمجموعة الصغيرة من اليهود معترف بدينها في البلدان وتنال كامل الحقوق التي ينالها أهل البلد نفسه، والعدد الهائل من المسلمين لا تعترف أكثر تلك الدول بدينهم الإسلامي ولذلك حرم المسلمون من الحقوق التي حصلت عليها الطوائف اليهودية!

بل إن الهجمة الشرسة على المسلمين الآن في بعض الدول الأوربية تنذر بالخطر، فالقتل والاغتيال اللذان يتعرض لهما المسلمون في بعض الدول الأوربية-كفرنسا وألمانيا-وكذلك الاعتداء على بعض المراكز الإسلامية والمساجد، على مرأى ومسمع من الحكومات الأوربية، يدل على أن حقوق الإنسان المسلم في أوربا غير مرغوب في حمايتها، والحملات العنصرية تتصاعد ضد المسلمين كل يوم.

هذا على مستوى كل دولة على حدة.

فإذا نظرنا بعد ذلك إلى حقوق الإنسان في خارج الدول المتحضرة، رأينا من التحيز والتفرقة بين إنسان وآخر وشعب وآخر وجماعة وأخرى، ما يكذب دعوى الغربيين بأنهم حماة حقوق الإنسان.

دعاة حقوق الإنسان يكرهون الإنسان على التخلي عن عقيدته!

من حقوق الإنسان لدى الدول الغربية-وبخاصة أمريكا التي تزعم أنها حاملة لواء هذه الحقوق وحاميتها-عدم إكراه الإنسان على عقيدة معينة. فهل وفَّى حماة حقوق الإنسان بهذا الحق؟!

هذه أمريكا اليوم تسعى-وهي زعيمة الغرب-لإكراه أي دولة أو أي جماعة أو أي حزب في أي مكان في العالم، لإقامة منهاجها و نظامها ونشاطها على أساس علماني-بمعنى وجوب إبعاد أي تشريع مبني على أساس ديني عن حياة الشعوب-ومعلوم أن حياة المسلمين كلها يجب أن تبنى على أساس دينهم الذي نزل به كتابهم وجاءت به سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

وهم-المسلمون-يعتقدون جازمين أن الله قد فرض تطبيق أحكام القرآن والسنة في حياتهم، وأنهم إن جحدوا هذا الفرض فقد

خرجوا من ملة الإسلام، وأصبحوا أشد بعدا عن الله من جميع كفار الأرض، وإن خالفوا ذلك مع اعتقادهم بأنهم عاصون لربهم، فقد ارتكبوا كبائر الذنوب، ومع ذلك أصبح تطبيق الشريعة الإسلامية لدى أمريكا وحزبها (الغرب) جريمة وتطرفا وإرهابا، وانتهاكا لحقوق الإنسان، تُحارِب -أمريكا-أيَّ دولة تتجه لتطبيق شرع الله الذي تعتقد أنه مفروض عليها وعلى شعبها، تحاربها سياسيا واقتصاديا وتعليميا وإعلاميا ودبلوماسيا وعسكريا.

ومعنى هذا أن أمريكا وحزبها يفرضون على المسلمين فرضا ويكرهونهم إكراها، أن يعتقدوا أن حقوق الإنسان-المبنية على الكفر بشريعة الله وكتابه وسنة رسوله-هي الحق الذي يجب الإيمان به وتطبيقه، وأن يعتقدوا أن شريعة الله التي جاء بها القرآن والسنة باطل، لا يجوز أن تكون أساسا لأنظمتهم وحكمهم.

والدولة التي تطبق بعض أحكام الشريعة الإسلامية، يسلطون عليها وسائل إعلامهم ومنظماتهم الرسمية وغير الرسمية، فتوصف بأنها دولة وحشية وإرهابية ومنتهكة لحقوق الإنسان....! فأين تطبيقهم لمادة حقوق الإنسان التي تنص على حرية الاعتقاد؟ لما ذا لا يتركون المسلمين-وهم أهل الدين الحق الذي لم يبق دين في الأرض محتفظا بمرجعه الإلهي الصادق غيره-أحرارا في اعتقادهم وإيمانهم و تطبيق أحكام قرآنهم وسنتهم وشريعتهم ونظامهم الذي يختارونه؟ أليس هذا إكراها لدول وشعوب؟!! أليس إكراه الدول والشعوب أشد من إكراه الأفراد؟؟!!

دعاة حقوق الإنسان يحرمون الإنسان من المساواة التي منحه الله.

والتفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا استمرت عشرات السنين، والأوربيون يدوسون كرامة السود وهم أهل البلد: قتلوهم وعذبوهم وسجنوهم واعتقلوهم وشردوهم، ودعاة التحضر وحماة حقوق الإنسان ينكرون ذلك في أجهزة الإعلام، ويمدون أبناء جنسهم الأوربيين بكل ما يريدون من مال وسلاح وغيرهما، بطرق خبيثة ماكرة، وبخاصة عن طريق ربيبتهم المشابهة لدولة جنوب أفريقيا: دولة اليهود، ولا زالت الأغلبية السوداء صاحبة البلد تناضل من أجل حقوقها إلى الآن ولم تنلها.[كانت كتابة هذه السطور قبل تحرر جنوب إفريقيا من حكم البيض.]

والتفرقة العنصرية اليهودية في فلسطين، لا زالت جاثمة على

صـدور أهل البلـد، من الفلسـطينيين الـذين تـداس كـرامتهم، في منـازلهم وشـوارعهم ومسـاجدهم ومعتقلا تهم ومخيمـاتهم بكل وحشـية، والـدول الغربية المتحضـرة تمد اليهـود بالسـلاح والمـال والاقتصاد والدعم الكامل، سياسيا وعسكريا إذا اقتضى الأمر ذلـك، أي إن حقـوق الإنسـان الفلسـطيني مهـدرة كحقـوق الإنسـان الأفريقي.

وتلك الهند تحتل أرض المسـلمين في كشـمير بـرغم قـرارات "مجلس الأمن!" الـتي أعطت الحق للكشـميريين في تقرير مصيرهم باستفتاء يجـري بينهم، تقتلهم الهند وتسـجنهم وتشـردهم، والدول الغربية المتحضـرة الحامية لحقـوق الإنسـان، تسـمع وتـرى وتهز كتفيها غير عابئة بما يجري.

والمسـلمون في بورما يقتلـون ويشـردون ويعـذبون ويموتـون جوعا، ودول الغرب المتحضرة حامية حقوق الإنسـان تتفـرج وكـأن الأمر لا يعنيها.

والأغلبية المسـلمة في الحبشة وإريتريا تحكمها أقلية تتصـرف في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، والدول المتحضرة حامية حقـوق الإنسان تتفرج ولا تحرك ساكنا.

والأغلبية المسلمة في جنوب الفلـبين تطـالب بحقوقهـا، والدولة الصليبية تدوس كرامتها وتقتل وتشرد المسلمين، أمام أعين حمـاة حقوق الإنسان فلا تتحرك ضمائرهم.

والأغلبية المسلمة في جنوب تايلاند تضطهد وتحرم من حقوقها، أمام أعين حماة حقوق الإنسان!

والأغلبية المسـلمة في البوسـنة والهرسك تستأصل في بلـدها، من قبل الصليبيين الصـرب والـدول الغربية تنـذر وتتوعد ولا تحـرك ساكنا.

والمسـلمون في ليبريا يـذبحون وتقطع السـنة أئمتهم وتهـدم مساجدهم وتنتهك أعراضهم، وحماة حقوق الإنسان يشـاهدون دون أن يفعلوا شيئا!

لمـاذا كل هـذا السـكوت ولمـاذا يغض حمـاة حقـوق الإنسـان الطرف عن هـذه المآسـي، ولمـاذا لا يتـدخل مجلس الأمن الظـالم لنصر حقوق الإنسان المسلم.

لا سبب أمامنا نراه إلا شيء واحد، وهو أن هذا الإنسان مسـلم، لا قيمة له لأن المسلمين أذلوا أنفسهم لغير الله فزادوهم ذلا.

لكن حماة حقـوق الإنسـان لا ينـامون ولا يهـدؤون إذا ما انتهكت حقـوق إنسـان آخر غـير مسـلم أو انتهكت حقـوق مسـلم ولهم في

التدخل لحماية حقوقه-في الظاهر-مصلحة، ومصلحة حماة حقوق الإنسان هي المحور الأساس.

وإليك بعض الأمثلة:

عندما أعلنت كرواتيا في هذه الأيام -كان هذا وقت اشتداد الاعتداء على المسلمين في البوسنة والهرسك- استقلالها عن صربيا، وأعلن الصرب الحرب ضدها قامت دول التحضر الحامية لحقوق الإنسان بحملة سريعة ضد صربيا، وأعلن مجلس الأمن "اللعبة" بعث قوة تفصل بين الدولتين وتم ذلك، ولكنها لم تفعل ذلك مع البوسنة والهرسك، وكلاهما دولتان اعترف بهما، وهما من دول يوغوسلافيا السابقة ويجاور بعضهما بعضا، فلماذا!؟

أعلنت دول الغرب المتحضر الحامي لحقوق الإنسان حربا إعلامية ضد حكومة السودان، بسبب قتلها موظفَيْنِ سودانيين لدى الإدارة الأمريكية، لأنهما نصرانيان والغالب أنهما جاسوسان لأمريكا، لأن الحكومة السودانية سوغت قتلهما بالخيانة العظمى.

وأعلنت الحرب الإعلامية ضد ليبيا بتهمة أن اثنين من الرعايا الليبيين فجرا طائرة لوكوربي، وهددوا ليبيا بحرب عسكرية ولا زالوا.

أعلنوا حمايتهم لحقوق الإنسان الشيعي-الذي يظهرون كراهته- في جنوب العراق من أجل أغراض خاصة لهم في العراق.

أعلنوا حمايتهم لحقوق الإنسان الكردي في شمال العراق وأدخلوا قواتهم لأجله-في زعمهم-ولكنهم (يحمونه من العراق ويسمحون لتركيا أن تطارده وتقتله وتشرده وتتابعه حتى في الأرض العراقية).

عجب والله لحماة حقوق الإنسان الكردي من صدام حسين، وإهدار حقوقه للأتراك ما هذا المكيال الذي يكيل به حماة حقوق الإنسان؟!

دعاة الديمقراطية يحرمون الإنسان من الديمقراطية!

وحدث عن حقوق الإنسان المسلم السياسية والديمقراطية ولا حرج.

لو تتبعت أجهزة إعلام الغرب وأحصيت منها يوما واحدا كلمة الديمقراطية وحدها لملأتَ بها كراريس.

إن الديمقراطية أحد المحاور الرئيسة التي يدندن حولها الغرب المتحضر، ويلح على دول ما يسمى بالعالم الثالث على أن تطبق

المنهج الـديمقراطي الـذي أساسه إعطـاء الشـعوب حرية اختيـار حكامها.

ويحـترم الغـرب المتحضر فـوز أي حـزب يختـار في الانتخابـات- حتى ولو كـانت مـزورة مع انتقـاده للـتزوير-ولكن الغـرب المتحضر يحظر حظـرا باتـا، بأسـاليبه الخاصة وصـلاته بحكـام الشـعوب الإسلامية النابذين لشرع الله، قيامَ أي حزب على أسـاس الإسـلام، وإذا ما سـبق السـيف العـذل فقـامت جماعة إسـلامية واختارها الشعب، حاربوا تلك الديمقراطية التي أهلت الجماعة المسلمة إلى أن تكون هي الحاكمة، وفسـروا الديمقراطية الـتي ينـادون بها بأنها ليست الديمقراطية الـتي تكـون وسـيلة لوصـول الأصـوليين إلى الحكم، لأن وصـول الأصـوليين إلى الحكم يعـود بـالنقض على الديمقراطيـة، وأوعـزوا إلى أذنـابهم بحماية الديمقراطية الأصـيلة، بـالجيش وأجهـزة الأمن وفتح المعتقلات والسـجون لمن اختـارهم الشعب[ولا يخفى ما قام به تلاميذ أتاتورك العسـكريون والمـدنيون الأتـراك بضـغط حمـاة الديمقراطية وحقـوق الإنسـان من محاربة حزب الرفاه الإسلامي الذي وصل إلى الحكم عن طريق الانتخابات الديمقراطية .]

الشعب مسلم اختار من يحكمه بالإسلام، فأين وضعتم حق هـذا الشعب في حرية اختياره لحكامه يا دعاة حقوق الإنسان؟!

لقد اتخذ الغـرب المتحضر لافتة حقـوق الإنسـان والديمقراطية والحرية وغيرهـا، سـلاحا لحماية حقـوق الإنسـان الغـربي أو من له مصلحة في حمايته.

وإذا كانت أمريكا هي الدولة التي تقود الغرب في هـذه الفـترة، وتدعي أنها دولة حقـوق الإنسـان، فـإن بعض قادتها يصـرحون بـأن مصـالحهم هي الـتي تحـدد مـواقفهم، فبمقـدار المصـلحة يكـون الموقف.

قـال الـرئيس الأسـبق للولايـات المتحـدة الأمريكية ريتشـارد نكسـون: (وأول واجب علينا أن نفعله هو أن نفـرق بين مصـالحنا الحيوية، ومصالحنا الحساسـة، ومصـالحنا الهامشـية، ولا توجد دولة في العـالم تسـتطيع أن تـدافع عن جميع هـذه المصـالح طـوال الوقت....

وتكـون المصـلحة حيوية إذا كـان فقـدانها يهـدد أمن الولايـات المتحدة، فاستمرار استقلال أوربا الغربية واليابان وكندا والمكسيك ودول الخليج مسألة حيوية لأمن بلادنا.

وكـذلك لـدينا مصـلحة حيوية في أن لا تحصل الـدول المتخلفة

على السـلاح الـذري، وليس للولايـات المتحـدة الخيـار إلا القــوة المسلحة لتمنع تهديد مصالحها.

والمصـلحة الحساسة هي الـتي تشـكل تهديـدا مباشـرا لإحـدى النقاط الحيوية... ولذلك تعتبر أمريكا الوسطى وكوريا من المصالح الحساسة للولايـــات المتحـــدة، ومن الممكن أن تلجأ الولايـــات المتحدة أحيانا في معالجة المصالح الحساسة، وكأنها مصالح حيوية وكنوع من الاستراتيجية الدفاعية.

أما المصالح الهامشية فهي الأمور التي لو سـيطرت عليها قـوى معادية فإنها تشـكل تهديـدا غـير قـريب لمصـلحة حيوية أو مصـلحة حساسة.

وعلى سبيل المثال فإننا لا نحب أن تحتل إحدى الـدول المعادية دولة مـالي، ولكننا لا نعتقد أن احتلال مـالي سـوف يكـون له تـأثير على مصــالح الولايـات المتحـدة المهمــة، ومن هــذا فلا نفكر في استعمال القوة العسكرية لرد هذا الاعتداء.

إن اسـتراتيجيتنا الأمنية يجب أن تقيِّم كل ما يمكن عملـه، طبقا لمستوى الأهمية لمصالحنا وإمكاناتنا وما نواجه من أخطار.

فعلى سبيل المثال لا نرسل الوحدة: 82 المحمولة جـوا للـدفاع عن إحدى مصالحنا الهامشية في موريتانيـا، ولكننا نفعل ذلك بـدون تردد للدفاع عن مصلحتنا في الخليج [1]...)[كتاب الفرصة الســانحة. ترجمة أحمد صدقي. دار الهلال.] وقد فعلوا!.

من هــذا النص تعـرف السـبب في عـدم التـدخل في البوسـنة والهرسـك، لأن هـذا التـدخل ليس لأمريكا فيه مصـلحة لا حيوية ولا حساسة ولا هامشية، لأن المظلوم مسلم والظـالم نصـراني. اللهم إلا أن يقـال: إن لها مصـلحة هامشـية، وهي أن سـكوتها عن هــذا الظلم يشوه سمعتها أمـام العـالم الـذي تعلن له أنها حامية حقـوق الإنسان، ولهذا تسـتنكر في أجهـزة إعلامها هـذا الظلم وتهـدد-كـذبا وزورا-صـربيا، وتحث على إغاثة المسـلمين، فمصـلحة الغـرب هي الأســـاس. [-تـــدخلت أمريكا وأوربا عن بجيوشـــها في البوســـنة والهرسـك، بعد أن قتل مئـات الآلاف من المسـلمين وشـردوا من ديارهم، واغتصبت غالبَ أراضيه الصرب، ولا زال الصرب يحظـرون على المسلمين عودتهم إلى مدنهم وقـراهم الـتي تم الاتفـاق على عــودتهم إليها بمــوجب اتفاقية "دايتــون" أمــام ســمع وبصر أوربا وأمريكا.]

هذه هي يا أخي إشارة عابرة إلى صـورة مجـال تطـبيق حقـوق

1

الإنسـان، فهل تـرى أمثـال هـؤلاء المتحضـرين الـذي هـذه صـفتهم يعيشون في نور أو في ظلام؟!

ولو أطلقت لليراع الزمام لأطال في هـذا البـاب، ليظهر للجاهل أن العــالم المتحضــر!-المتخلف في مــيزان الله ومنهجه الربــاني- يعيش في ظلمـــــات، وأنه في أمس الضـــــرورة إلى أهل الحق ليخرجـوه من الظلمـات إلى النـور. وإخـراج النـاس من الظلمـات إحدى غايات أهل الحق التي يسابقون بها أهل الباطل إلى العقول.

واكتفى بهــذه المجــالات الخمســة، للتــدليل على أن العــالم المتحضر محروم من النـور الربـاني تحيط به الظلمـات الشـيطانية من كل جانب، وأنه يجب على أهل الحق السعي الجاد لإخراجه من الظلمات إلى النور.

وكما أن الكفر كله ظلمات، فإن الإسـلام كله نـور، قـال تعـالى: ((أوَمن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في النــاس كمن مثله في الظلمات ليس بخـارج منها كـذلك زين للكـافرين ما كـانوا يعملون))[الأنعام: 122]

وقد قارن القـرآن الكـريم بين ذوي العقـول الـتي صـاغها النـور الربـاني وأشـرقت عليها أنـوار وحيـه، وبين ذوي العقـول المظلمة الـتي أحـاطت بها الظلمـات من كل جـانب، فقـال الله تعـالى في الفـريقين: ((الله نـور السـماوات والأرض مثل نـوره كمشـكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كــوكب دري، يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربيــة، يكـاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضـرب الله الأمثــال للنــاس والله بكل شــيء عليم)) إلى أن قــال جل وعلا: ((والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جـاءه لم يجـده شـيئا ووجد الله عنـده فوفـاه حسـابه والله سـريع الحساب.. أو كظلمـات في بحر لجيٍّ يغشـاه مـوج من فوقه مـوج، من فوقه سحاب ظلمات بعضـها فـوق بعض إذا أخـرج يـده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)).[النور: 35، 40]

رابعــا:تحقيق توحيد الله تعــالى في الأرض وعــدم الإشراك به.

وإذا كـان رضا الله تعـالى هو غاية الغايـات، فـإن توحيد الله هو قائد جميع الغايـات والوسـائل إلى رضا اللــه، ومهما عمل الإنســان من أعمال ظاهرها الخير والصـلاح والنفع العـام أو الخـاص للبشـر،

فإن ذلك كله لا يوصل إلى رضا الله بدون التوحيـد، وهو ما تضـمنته قاعــدة القواعد الإسـلامية:[لا إله إلا اللــه] الـتي يطلق عليها كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص.

وهــذه الغاية هي الــتي أوجد الله من أجلها الكــون الــذي خلقه بـالحق، وهي الحــق، ومن أجلها خلق الملائكة والجن والإنس، ومن أجلها أنــزل الكتب وأوحى الــوحي وأرسل الرسل الــذين قاعـــدة دعوتهم هي التوحيد، وما من رسول بعثه الله تعالى إلى الخلـق، إلا كانت كلمة التوحيد هي أول ما يدعو إليه قومه.

قــال تعــالى: ((ولقد بعثنا في كل أمة رســولا أن اعبــدوا الله واجتنبوا الطاغوت)).[النحل: 36]

وقال تعالى: ((فإن أعرضوا فقل أنـذرتكم صـاعقة مثل صـاعقة عــاد وثمــود إذ جــاءتهم الرسل من بين أيــديهم ومن خلفهم أن لا تعبدوا إلا الله)).[فصلت: 13-14]

فسباق أهل الحق-وعلى رأسـهم رسل اللـه-إلى عقـول النـاس، أهم غاياته أن يصوغوا بسباقهم عقولا موحِّدة لا تشـرك بالله شـيئا، وتلك هي عبــادة الله الــتي لم يخلق الله الجن والإنس والملائكــة-كذلك-إلا من أجلها.

كما قــــال تعـــالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبــــدون)). [الذاريات: 56]

وبتحقيق هـذه الغاية تسـعد البشـرية كلها في الــدنيا والآخــرة، ويكون الناس كلهم عبيدَ اللـه، لا يسـتعبد بعضـهم بعضـا، فلا يكـون هناك سادة يظلمون ويتكبرون ويسـتبدون بـالأمر كما يشـاؤون، ولا عبيد يُظلَمون ويُذَلّون لمخلوقين أمثالهم، وإنما يستوي الناس كلهم في أنهم مخلوقون مربوبون عبيدٌ للـه، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بـالتقوى، كما قـال تعـالى: ((يا أيها النـاس إنا خلقنـاكم من ذكر وأنــثى وجعلنــاكم شــعوبا وقبائل لتعــارفوا إن أكــرمكم عند الله أتقاكم)).[الحجرات: 13]

لا حرية للإنسان إلا بتوحيد الله.

وبتوحيد الله تعالى يتحرر النـاس من عبودية الشـيطان والنفس والهوى، ومن كل العبوديات (الْمُذِلَّة) لغير الله تعالى، سواء كـانت تلك العبوديات لمال أو جاه أو منصب أو امرأة، أو لأشـخاص-أحيـاءً كــانوا أو أمواتــا-وتتمحض عبــوديتهم لله تعــالى وحــده، وتلك هي الحرية الحقة الــــتي يبحث عنها الأفـــــراد والأسر والأمم في كل الأزمـان، وبخاصة في هـذا الـزمن الـذي أصـبح غـالب النـاس فيه

يدعون أنهم أحرار، وهم مستعبدون استعبادا مذلا لغير الله تعالى.
وهل يكون حرا من تستعبده شهوات نفسه فتجعله أسيرا لها، سابحا في مستنقع ملذاتها المادية العاجلة، التي تحطم السدود الحامية لحفظ الدين والعقل والنفس والنسل والعرض والمال؟!
هل يكون حرا من يفقد دينه بالإلحاد والكفر الصريح والردة عن الإسلام؟ وهل يكون حرا من ينسى الله عند الشدائد ويلجأ إلى الموتى في قبورهم يدعوهم ويستغيث بهم؟ وهل يكون حرا من يُذهب عقلَه بتناول المسكرات والمخدرات؟ وهل يكون حرا من يعتدي على الأنفس والدماء، ولا يأمن هو من أن يَعتدِي على نفسه ودمه غَيْرُه دون قصاص أو رَدْع؟ وهل يكون حرا من ينفق ماله فيما يعود عليه وعلى أمته بالضرر ومن لا يأمن من الاعتداء على ماله؟ وهل يكون حرا من يُهلَك نسلُه ويُعتدى على عرضه؟ وهل يكون حرا من يضع له غيُره من البشر مناهجَ متناقضة لحياته، في الاعتقاد والتشريع والحكم و الخُلق و الاقتصاد والسياسة والإعلام والحرب والسلم ونظام الأسرة والأدب والفن والرياضة... فيخضع لذلك كله، دون أن يكون له اختيار أو انتقاد أو تظلم؟؟!!
إن الحرية الحقيقية هي أن يكون قلب الإنسان عبدا لله وحده، لا يتلقى أمره ونهيه إلا من الله فيتجه بنشاطه وجهة واحدة، من غير تناقض ولا قلق أو اضطراب، متحررا من عبودية كل من سواه، فلا يكون عبدا للشيطان ولا للنفس ولا للهوى، ولا تتنازعه آلهة الشهوات المتشاكسة تنازعا يجعله في حيرة وريب.
ولقد ضرب الله مثلا لمن هو حر حقيقة بعبوديته لله تعالى وحده، ومن استعبده غيره من الآلهة المتعددة، فقال تعالى: ((ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا بل أكثرهم لا يعلمون)).[الزمر: 29]
إن الآية تصور لنا رجلين:
أحدهما عبد مشترك لمالكين متعددين بينهم خلاف ونزاع شديد، كل شريك منهم يأمر ذلك العبد بأمر يخالف أوامر شركائه الآخرين ويصر على أن يطيعه في أمره، وطاعته لأحدهم معصية لأمر كل واحد من شركائه الآخرين، فلا يستطيع أن يرضي كل واحد من هؤلاء الشركاء، بل سيكونون كلهم ساخطين عليه، وسيعيش في حيرة وضنك وشقاء.
وثانيهما: عبد لرجل واحد لا يأمره ولا ينهاه إلا هو.
فأي العبدين أقرب إلى الحرية: الأول الذي فيه شركاء متشاكون، أم الثاني الذي هو عبد لرجل واحد؟!

المثل الأول لمن استعبده غير الله-أيا كان هذا الغير-والمثل الثاني لمن تمحضت عبوديته لله وحده، ولله المثل الأعلى.

وإنك لترى الرجل الضعيف المغلوب على أمره، الذي اعْتُدِيَ على نفسه وماله وعرضه وحرم من التمتع بحقه في الحياة فسجن أو أسر، وقد تمحضت عبوديته لله وحده، ولكنه حر قلبه مطمئن باله، وهو واقف مثل الجبل الراسي أمام الطغاة المعتدين الأقوياء غير مبال، وعنده إرادة قوية على تحرير جسمه من الأسر كما تحرر قلبه، لأنه يأوي إلى ركن شديد.

وترى الرجل الغني ذا السلطة والجند والجبروت، قد خضعت له الرقاب، ودانت له الأمراء ووقف بأبوابه الحجَّاب، فإذا سبرت أمره واختبرت سره، وجدته عبدا ذليلا لنفسه وشهوته وهواه، بل وجدته مستعبدا لبعض من هم في الظاهر عبيده، وهم أعوانه الذين يستند في طغيانه على عونهم، ويستنجد في ملماته بهم، فهو في ظاهره سيد، وفي حقيقته عبد كالعبيد.

وفي معنى الحرية الحقة والعبودية المذلة قال ابن تيمية رحمه الله: (.. فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استُعبِد بدنه واستُرِق، لا يبالي إذا كان قلبه مستريحا من ذلك مطمئنا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب-الذي هو الملك-رقيقا مستعبدا لغير الله، فهذا هو الذل والأسر المحض.. فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب...-إلى أن قال-: وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض، قلبه رقيق لمن يعينه عليها، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم... فهو في الظاهر رئيس مطاع، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم..) [مجموع الفتاوى: (10 /ـ 186-189).].

وبهذا يعلم أن الحرية التي يزعم ساسة الغرب ومفكروه-ومن انخدع بهم من ذراري المسلمين-أنهم أهلها وحماتها والداعون إلى تطبيقها، ليست هي الحرية الصحيحة التي ينشدها العالم اليوم، بل هي في حقيقتها عبودية مذلة لآلهة شتى يصعب حصرها. فهي من إطلاق الأسماء على غير مسمياتها، كإطلاق (المشروبات الروحية) على (الخمر) التي تذهب العقول وتسلب الأرواح والقلوب حياتها، وكإطلاق (النجوم) التي يُشَبَّه بها دعاةُ الخير وهداةُ العالَم[كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم).] على من مسخوا الفطر ونشروا المنكر والخنا من المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات.. وكإطلاق لفظ

(الملهمين) و (الـرواد) على رجـال السياسة الخرقـاء الـذين بـاعوا العباد والبلاد لأعداء الأمة الإسلامية....

تنبيه مهم:

ومع أن العبودية لله هي الحرية الحقـــــة، وعبودية ما ســـــواه عبودية مذلـة، فـإن الكـافر بالله المتصف بالعبودية المذلة لا يُكـرَه على الـدخول في الإسـلام ليتحـرر من تلك العبودية المذلـة، وإنما يبين له الحق وتقام عليه الحجة، ثم يـترك له الخيـار بين الحريـتين، لأن إكراهه على الـدخول في الإسـلام-بل في أي دين من الأديـان- غـــير ممكن في الواقع لأن أصل الإيمــان في القلب، و لا ســلطان لغـير الخـالق على قلـوب العبـاد، والـذي يظهر دخوله في أي دين تحت الإكـراه لا يكـون مؤمنا في الحقيقة بـذلك الـدين، ولهـذا قـال تعـالى: ((لا إكـراه في الـدين)) و (لا) هنا نافية للجنس أي لا إكـراه مشروع ولا إكراه واقع، بمعنى أن الإكـراه على اعتقـاد الـدين غـير مشروع، ولو حصل إظهـار الْمُكـرَه دخوله في الـدين المكـره على الدخول فيه فدخوله غير واقع في حقيقة الأمر، لأن الاعتقاد يكـون بالقلب، ومن ذا الذي يقدر على إدخال أي دين إلى قلب أي إنسـان لا يريده؟. ولهذا يطلق بعض الكتاب عبـارة: (إن حرية الاعتقـاد هي أول ,, حقوق الإنسان). ومرادهم بالحرية هنا أن الإنسان يدخل في الـدين باختيـاره ولا يمكن إكراهه على ذلك وليس مـرادهم أنه حر القلب والعقيدة بالمعنى الذي شرحناه، ولهذا عذر تعـالى من أظهر الكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمـان، كما قـال تعـالى: ((من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكـره وقلبه مطمئن بالإيمـان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)).

خامســا: غـــرس الإيمـــان بـــالغيب في النفوس.

إن الإنســان الــذي لا يــؤمن إلا بما تدركه حواســه، مباشــرة أو بالآلات التي يصنعها، لا فرق بينه وبين الحيوان إلا بسـعة أفقـه، لما ركبه الله فيه من عقل وتصـرف بـأدوات تعينه على ذلـك. وسـعة أفقه هذه التي فرقت بينه وبين الحيوان، هي التي أهلته لمعرفة ما ظهر له من الكون القريب.

والذي لا يؤمن بالغيب لا يمكن أن يعبد اللـه، لأن الله تعـالى من الغيب، ولا يعرف تعالى إلا بآثار خلقه المشهودة ووحيه.

والذي لا يؤمن بالغيب لا يمكن أن يـؤمن بـالوحي الإلهي والكتب

المنزلة والرسالة، ولا باليوم الآخر، ولا بالملائكة المقربين، لأن ذلك كله من الغيب.

وعدم الإيمان بالغيب يفضي إلى تسيب الإنسان وعدم التزامه بمنهج الله، واتباعه لهواه، فيتصرف في حياته كما يشاء لا يرده عن هواه إلا القوة المادية القاهرة، فإذا ظن أن تلك القوة-كالشرطة والقضاء والعقوبات الرادعة-لا تناله، أتى على كل ما يقدر عليه دون مراعاة لحقوق غيره، لأنه لا يؤمن بالله حتى يطمع في ثوابه ويخاف من عقابه، وهكذا يدمر ويفسد ولا يبالي شيئا.

ولهذا كان من أهم غايات أهل الحق في سباقهم إلى العقول غرس الإيمان بالغيب في نفوس الناس لتكون عقولهم مؤمنة، فيستجيبون لمراد الله منهم، فيأتون ما يرضاه ويتركون ما يسخطه، سائرين على منهج الوحي والرسالة والشريعة الربانية.

ولهذا كانت أول صفات المتقين الذين يهتدون بهذا الكتاب "القرآن الكريم" الإيمان بالغيب، ولا يهتدي به من لم يؤمن بالغيب، كما قال تعالى: ((الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب)).[البقرة: 1-3]

وقال تعالى: ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)). [البقرة: 177]

وقال تعالى: ((ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا)).[النساء: 36]

سادسا: تحكيم شرع الله في حياة الناس.

ومن أهم غايات أهل الحق في سباقهم إلى العقول إقناعها أو إقامة الحجة عليها، بوجوب تحكيم شرع الله تعالى في حياتهم لحفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وعرضهم، ومالهم، لأنه لا تُحفظ هذه الضرورات التي لا حياة للأمم بدون حفظها، ولا يوقى الناس شر الاعتداء عليها، ولا ينفى عنهم الظلم ويقر العدل، إلا بتحكيم شرع الله.

وكلما ابتعد الناس عن شرع الله اقتربوا من الاعتداء على هذه الضرورات، فضلا عن غيرها من الحاجيات والتكميليات، وهذا أمر مشاهد في حياة الناس في كل زمان.

ولهــذا كــان أهل الحق في ســباق شــديد مع أهل الباطل إلى عقول الناس بهذه الغاية، ليسـتقر في تلك العقـول ضـرورة تحكيم شرع الله، ونبذ حكم الطاغوت، لأن حكم الله لا يحابي أحدا: الغـني والفقير، والرجل المـرأة، والفـرد والجماعـة، والحـاكم والمحكـوم، كلهم أمـام شـرع الله سـواء، يُعطِي الحـقَّ صـاحبَه ويَقِف صـاحبَ الباطل ويمنعه من باطله.

ولهـــذا كـــان تحكيم شـــرع الله والرضا به من الإيمـــان بالله وتوحيده، وهو من صميم دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن اعتقد غير ذلك لم يفقه معنى القرآن ولا السنة ولا دعوة الرسل.

والــذي يــزعم أنه يــدعو إلى التوحيد ويهمل دعــوة النــاس إلى تحكيم شـــرع اللـــه، أو يجعل ذلك من الموضـــوعات الـــتي يمكن تأخيرها وتــأخير بيــان حكمهــا، لم يفهم معــنى لا إله إلا اللــه، لأن تحكيم شرع الله من توحيد الألوهية، ومن جوهر لا إله إلا الله.

والأنبياء عندما يـدعون النـاس إلى التوحيد والإقـرار بمعـنى: "لا إله إلا الله" يعلمون ويعلم أقوامهم أن ذلك يعـني تحكيم شـرع الله والتسليم المطلق لحكمه، وأنه لا خيار لهم في ذلك أبدا، لأن معـنى "لا إله إلا اللـــه" لا يقر حاكما غـــير اللـــه-إلا من حكم بحكم اللـــه- فالحاكم المطلق الذي لا معقب لحكمه هو الله.

فهـذه الكلمـة: "لا إله إلا اللـه" تشـمل الاستسـلام لله في كل شيء: في الأنفس والعقول والأنسال والأعراض والأمـوال وغيرهـا، لا يحكم في ذلك كله إلا الله، وأي حكم صـدر من غـير الله يخـالف حكم الله فهو حكم طــاغوت لا بد من الكفر بــه، ومن أطــاع حكم غــير الله ورضي به بــدلا من حكم اللــه، لم يــؤمن بمعــنى لا إله إلا الله.

فالإيمان حكم الله ولا بد من الرضا به، والعبـادة حكم الله ولا بد من الرضا بهــا، والمعــاملات الإســلامية الثابتة بنص من الله أو من رســوله صـــلى الله عليه وســـلم حكم الله ولا بد من الرضا بهـــا، والأخلاق حكم الله ولا بد من الرضا بهــا، والحـــدود حكم الله ولا بد من الرضا بهــا، لا بد من التســليم المطلق لله تعــالى في كل حكم يحكم به.

ومخطئ من يظن أن الرسـول صـلى الله عليه وسـلم لم يـدع إلى تحكيم شــرع الله في العهد المكي، ويخلط هــذه المخطئ بين معنى الدعوة إلى تحكيم شرع الله الذي هو من صميم توحيد اللــه، وبين معنى إقامة دولة تحكم بشرع الله.

فالدعوة إلى تحكيم شرع الله والاستسلام له دعوة إلى الإيمـان

بالله وإلى الإقرار بمعنى "لا إله إلا الله" وقد قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دعا الناس إلى الإقرار بلا إله إلا الله.

وأما إقامة الدولة التي تحكم بالإسلام وتنفذه على رعاياها، فقد أخرها الرسول صلى الله عليه وسلم-وما كان له إلا أن يؤخرها-إلى العهد المدني، حيث قويت شوكة المسلمين، وأصبح الرسول صلى الله عليه وسلم هو إمامهم في الصلاة، وقائدهم في الجهاد، وقاضيهم في الخصومات، والآمر الناهي في الدولة.

وإنما لم يسع لإقامة الدولة الإسلامية في مكة، لأن أهلها كانوا أهل القوة المادية والنفوذ، وكان المسلمون ضعافا-ماديا-مضطهدين، يفتنون ويعذبون، ولم يكونوا قادرين على رد العدوان بمثله-وإن كانوا يرغبون رغبة شديدة في ذلك-بل نهاهم الله عن قتال المشركين وأمرهم بالكف عن القتال.

وإذا كان كثير من العبادات والمعاملات والحدود وغيرها من الأحكام الشرعية، قد تأخر نزول الوحي بها إلى العهد المدني، وكان الاهتمام في العهد المكي بالنواحي الإيمانية والسلوكية وبعض العبادات كالصلاة ونحوها، فإن الدعوة في العهد المكي اهتمت بجانب الاستسلام لله في كل شيء وهو معنى الإسلام ومعنى كلمة التوحيد، وذلك أصل التشريع الإلهي.

ومع ذلك فإن بعض الآيات المكية قد نزلت تنعى على المشركين وتنكر عليهم، ما شرعوه لأنفسهم من تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله.

كما قال تعالى: ((فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين، ومالكم ألاّ تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين، وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون..)).[الأنعام: 118-121]

يدور كلام المفسرين لهذا الآيات على أمرين:

الأمر الأول: أن ما ذكر اسم الله عليه، هو ما ذبحه المسلمون أو أهل الكتاب وما لم يذكر اسم الله عليه هو ما مات حتف نفسه.

وكان المشركون من قريش يحرمون ما ذبح بالسكين ويحلون الميتة، ويرون أن ما ذبح قتله الإنسان، وما مات قتله الله، وأكل ما قتله الله أولى مما قتله الإنسان، سيرا على قياسات الشيطان

الذي عصا ربه بها.
الأمر الثـاني: أن المـراد بما ذكر اسم الله عليه ما سـمى اللـهَ عليه حين ذبحـــه، وما لم يـــذكر اسم الله عليه ما ذُكر عليه اسم الـوثن ونحـوه، وفي ذلك تفاصـيل لا يتسع لها المقـام.[راجع كتب التفسـير، ومنهـا: تفسـير القـرآن العظيم لابن كثـير (2/188) وما بعدها، طبع دار الخير، والجـامع لأحكـام القـرآن (7/72) وما بعـدها للقرطبي.]
والشاهد منها هو كونهم يحلون ما يريدون ويحرمـون ما يريـدون من عند أنفسهم، بدون هدي ولا بينة من اللـه، وهو تشـريع يعـارض تشريع الله، وتحكيم لهواهم الذي يخالف تحكيم شرع الله.
وإذا عرفنا أن سورة الأنعام من السور المكية، ومنها هذه الآيات تبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسـلم أمر بالـدعوة إلى تحكيم شرع الله في العهد المكي، وأن تحكيم شرع الله من الإيمان الذي لا تصح شهادة أن لا أله إلا الله إلا به.
ومثل ذلك قوله تعـالى: ((وقـالوا هـذه أنعـام وحـرث حجر لا يطعمها إلا من نشـاء بـزعمهم، وأنعـام حـرِّمت ظهورهـا، وأنعـام لا يذكرون اسم الله عليها افـتراء عليـه، سـيجزيهم وصـفهم بما كـانوا يفترون، وقالوا ما في بطون هـذه الأنعـام خالصة لذ كورنا ومحـرم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء، سيجزيهم وصـفهم إنه حكيم عليم...)).[الأنعام: 138-139]
وقد بين الإمام الأصولي العلامة أبو إسـحاق إبـراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، المشهور بالشـاطبي، في كتابه العظيم "الموافقات" أن الأصول الكلية للشريعة قد تضمنها القرآن الكـريم في العهد المكي، وأن ما نـــزل بعد ذلك في العهد المــــدني من التشريع، إنما هو مكمل لتلك الأصـول المكيـة، وأن ما قد يبـدو من التشريع المدني كليا إذا ما تؤمل حق التأمل وجد جزئيا بالنسبة إلى ما هو أعم منه، أو تكميلا لأصل مكي.
قـــال رحمه اللـــه: (المســـألة الثامنـــة. فنقـــول: إذا رأيت في المدنيات أصلا كليا فتأمله تجده جزئيا [قـال الأسـتاذ محمد عبد الله دراز في الحاشـــية: " كالجهـــاد فهو جـــزئي من الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر، كما سـيقرره قريبـا..] بالنسـبة إلى ما هو أعم منه، أو تكميلا لأصل كلي.[قـال دراز: " كـالنهي عن شـرب الخمر تكميلا لاجتنـــاب الإثم والعـــدوان كما ســـيقول....] وبيـــان ذلك أن الأصـول الكلية الـتي جـاءت الشـريعة بحفظها خمسة وهي: الـدين والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

أما الدين فهو أصل ما دعا إليه القـرآن والسـنة وما نشأ عنهمـا، وهو أول ما نزل بمكة.

وأما النفس فظـاهر إنـزال حفظها بمكـة، كقوله تعـالى: ((ولا تقتلوا النفس الـتي حـرم الله إلا بـالحق..)). [الأنعـام: 151] ((وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت..)).[التكوير: 9] ((وقد فصّـل لكم ما حرّم عليكم إلا ما اضطررتم إليه.)).[الأنعام: 119] وأشباه ذلك.

وأما العقل فهو، وإن لم يرد تحريم ما يفسـده وهو الخمـر، فقد ورد في المكيـــات مجملا، إذ هو داخل في حفظ النفس، كســـائر الأعضاء ومنافعها، من السمع والبصر وغيرهما، وكذلك منافعها.

فالعقل محفـوظ شـرعا في الأصـول المكية عما يزيله كسـائر الأعضاء ساعة أو لحظة [قال في الحاشية: " لعل الأصل: (لا ساعة أو لحظة) ومعناه أن ما يزيل العقل رأسا هو من الضروري الـداخل في حفظ النفس إجمالا، وأما حفظه على أنه يزول سـاعة ثم يعـود فيكون من المكملات...] ثم يعود كأنه غطي ثم كشف عنـه، وأيضا فإن حفظه على هذا الوجه من المكملات، لأن شرب الخمر قد بين الله مثالبها في القـرآن، حيث قـال: ((إنما يريد الشـيطان أن يوقع بينكم العـداوة والبغضـاء في الخمر والميسـر...)) [المائـدة: 91] فظهر أنها من العون على الإثم والعدوان.

وأما النســل، فقد ورد المكي من القـــرآن بتحـــريم الزنا والأمر بحفظ الفروج إلا على الأزواج أو ملك اليمين.

وأما المال، فورد فيه تحريم الظلم وأكل مال اليـتيم والإسـراف والبغي ونقص المكيال أو الميزان، والفساد في الأرض وما دار بهذا المعنى.

وأما العرض الملحق بها فداخل تحت النهي عن إذايات النفوس.

ولم ترد هذه الأمور في الحفظ من جانب العـدم إلا وحفظها من جانب الوجود حاصل، ففي الأربعة الأواخر ظاهر.

وأما الـدين فراجع إلى التصـديق بـالقلب، والانقيـاد بـالجوارح، والتصديق بالقلب آت بالمقصود في الإيمـان بالله ورسـوله واليـوم الآخر، ليفرع على ذلك ما جاء مفصلا في المـدني فالأصل وارد في المكي. والانقياد بالجوارح حاصل بوجه واحد [قال الأسـتاذ دراز: أي مـتى وجد تكليف واحد بـدني فإنه يتحقق به معـنى كلي الانقيـاد بـالجوارح الـذي هو أحد ركـني الـدين.] ويكـون ما زاد على ذلك تكميلا، وقد جـاء في المكي من ذلك النطق بالشـهادتين والصـلاة والزكاة، وذلك يحصل به معنى الانقياد.

وأما الصوم والحج فمدنيان من باب التكميل، على أن الحج كان

من فعل العرب أولا، وراثة عن أبيهم إبراهيم، فجاء الإسلام فأصلح منه ما أفسدوا، وردهم فيه إلى مشارعهم، وكذلك الصيام أيضا فقد كانت الجاهلية تصوم يوم عاشوراء، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه أيضا حين قدم المدينة صامه وأمر بصيامه حتى نسخه رمضان، وانظر حديث عائشة في صيام يوم عاشوراء [مسلم (2/792).] فأحكمهما التشريع المدني، وأقرهما على ما أقر الله تعالى من التمام الذي بينه في اليوم الذي هو أعظم أيامه حين قال تعالى: ((اليوم أكملت لكم دينكم..)) الآية، فلهما أصل في المكي على الجملة.

والجهاد الذي شرع بالمدينة فرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مقرر في مكة، كقوله تعالى: ((يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر..)) وما أشبه ذلك).[الموافقات (3/ 46-50) بتحقيق الأستاذ عبد الله دراز، والآية في سورة لقمان:]

وإذا علم أن أصول الشريعة الكلية قد نزلت في العهد المكي، وما نزل في العهد المدني فهو متمم أو مفصِّل لها، علم أن الدعوة إلى التشريع الإسلامي والدعوة إلى تحكيم شرع الله، من صميم الرسالة وأنها من الإيمان بالله تعالى وأن من اعتقد أن تحكيم شرع الله ليس من صميم التوحيد والإيمان فهو ضال جاهل لا يعلم دين الله حق العلم ولا يفقه حق الفقه، وفيما مضى كفاية لطالب الحق.

وهكذا كان أنبياء الله السابقون يدعون أقوامهم إلى تحكيم شرع الله تعالى، تطبيقا لمعنى لا إله إلا الله، فشعيب عليه السلام، دعا قومه إلى توحيد الله وإلى تحكيم شرعه الذي هو من التوحيد في الكيل والوزن وغير ذلك من الحقوق المالية، فأنكر عليه قومه تدخله في شؤون حياتهم وبخاصة المالية-وهو نهج العلمانيين في كل زمان، لا يستقر لهم قرار بوجود من يدعو إلى تحكيم شرع الله في حياة البشر، لأن ذلك يحرمهم من اتباع أهوائهم وتحقيق شهواتهم، عن طريق تشريعهم لأنفسهم ما يحقق لهم تلك الشهوات.

قال تعالى: ((وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم

بحفيظ، قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نـترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشــاء إنك لأنت الحليم الرشــيد)).[هــود: 84-89]]

تأمل ما أمرهم به شعيب: ((اعبدوا اللـه... ولا تنقصـوا المكيـال والميزان.. أوفوا الكيل والميزان)).

وتأمل رد قومه عليه: ((أصلاتك تأمرك أن نـترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء..)).

أمرهم نبيهم بالاستسـلام الكامل لله في الإيمـان والتصـرف في الأموال، وكانوا عند ذلك كفارا، ولو كـان التشـريع من عند أنفسـهم في الأموال لا يـدخل في الإيمـان بلا إله إلا اللـه، لأخر الـدعوة إليه حتى يؤمنوا بالله وحده، ولكن التشريع من الإيمان ولذلك جعله في دعوته قومه إلى الله من أولويــات تلك الــدعوة، وفهمــوا منها أن التسليم المطلق لله يقتضي ترك عبادة غير الله والتقيد بشرع الله في تصرفاتهم.

فالتسليم لشرع الله إيمان، ولا إيمان بدون تحكيم شرع الله.

وتأتي بعد ذلك الآيات المدنية، لتوضح توضيحا وافيا شافيا قضايا عملية تقرر فيها أن أعداء الإسلام من المنافقين-وهم الذين يمثلهم اليوم العلمانيون الذين يحاربون الإسلام-لما لم يرضوا بتحكيم شرع الله ورضــوا بحكم الطــاغوت، حكم الله عليهم بالضــلال البعيد مع ادعـائهم أنهم مؤمنـون، ووصف الضـلال بالبعيد يـدل على أنه ليس ضـلال مـؤمن يغفـره الله لـه، كما نص تعـالى على أنهم منـافقون، ونفى عنهم الإيمان نفيا مؤكدا حتى يستسلموا لشرعه ويرضوا به.

قـال تعـالى: ((الم تر إلى الـذين يزعمـون أنهم آمنـوا بما أنــزل إليك وما أنــزل من قبلك يريـدون أن يتحـاكموا إلى الطـاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنـافقين يصـدون عنك صدودا، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا، أولئك الــذين يعلم الله ما في قلوبهم-إلى قوله تعالى-فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجـدوا في أنفسـهم حرجا مما قضـيت ويسـلموا تسليما..)). [النساء: 60-65]

وهـذه الآية الأخـيرة ذكر بعض العلمـاء أنها نـزلت في الزبـير بن العـوام وخصم له من الأنصـار، اختصـما إلى النـبي صـلى الله عليه وسلم في بعض الأمر، ومعنى ذلك أنها نزلت في ملسمين، وبــذلك يكــون الإيمــان المنفي هو كمــال الإيمــان الــواجب، وليس أصل

الإيمان.
وقـال آخـرون: إنها نـزلت في المنـافق واليهـودي الـذين نـزلت فيهما الآية الأولى: ((ألم تر إلى الـــذين يزعمـــون...)) الآيـــة، وأن اليهودي أراد الاحتكام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والمنافق أراد الاحتكام إلى غيره.
ويــرى ابن جرير رحمه الله أن الآية الأخــيرة ينسـجم معناها مع الآية لأولى، ولا مـــانع من أن يكـــون فيها بيـــان لقصة الزبـــير والأنصاري.
قـال رحمه اللـه: (وهـذا القـول-أعـني قـول من قـال: عُنِي به المحتكمـان إلى الطـاغوت اللـذان وصف الله شـأنهما في قولـه: ((ألم تر الـذين يزعمـون أنهم آمنـوا بما أنـزل إليك وما أنـزل من قبلك)) أولى بالصواب لأن قوله تعالى: ((فلا وربك لا يؤمنـون حـتى يحكموك فيما شجر بينهم)) في سياق قصة الذين أُسْدِيَ لله الخـبر عنهم بقولـه: ((ألم تر إلى الـذين يزعمـون أنهم آمنـوا بما أنـزل إليـك..)) ولا دلالة تـدل على انقطـاع قصـتهم، فإلحـاق بعض ذلك ببعض ما لم تأت دلالة على انقطاعه أولى.
فـإن ظن ظـان أن في الـذي روي عن الزبـير وابن الزبـير-من قصته وقصة الأنصاري في شراج الحرة وقول من قال في خبرهما، فنزلت: ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكمـوك فيما شـجر بينهم)) ما ينبئ عن انقطاع حكم هـذه الآية من قصة الآيـات الـتي قبلهـا، فإنه غـــير مســـتحيل أن تكـــون الآية نـــزلت في قصة المحتكمين إلى الطاغوت، ويكون فيها بيان ما احتكم فيه الزبير وصاحبه الأنصـاري، إذ كانت الآية دالة على ذلك، وإذ كان ذلك غير مستحيل كان إلحـاق معـــنى بعض ذلك ببعض أولى، ما دام الكلام متســـقة معانيه على سـياق واحـد، إلا أن تـأتي دلالة على انقطـاع بعض ذلك من بعض فيعـدل به عن معـنى قبلـه).[جـامع البيـان عن تأويل آي القـرآن (5/159-160).].
وعلى هذا القول الذي رجحه ابن جرير رحمه الله يكون التحاكم إلى الطاغوت والنفور عن التحاكم إلى شرع الله كفـرا، وإن كـانت دلالة الآية يدخل فيها ما حصل للزبـير والأنصـاري، فـإن ذلك يكـون بيانا لنفي الإيمان الواجب وليس لأصل الإيمان.[لأن الأنصـاري وإن حصل عنده شيء من الامتعاض من حكم الرسـول صـلى الله عليه وسلم للزبير-لم يكن يريد التحاكم إلى الطـاغوت، بخلاف المنـافق.].
وعلى هذين المعنيين يمكن تنزيل الآيات الآتية:

((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون..))،
((ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هم الظالمون...))
((ومن لم يحكم بما أنـــــزل الله فأولئك هم الفاســـــقون..)). [المائدة: 44، 45، 47]

فالذي يحكم بغير ما أنزل الله معتقـدا جـواز ذلـك، ولو حكم بما أنزل الله مع هـذا الاعتقـاد، فكفـره كفر أكـبر، وظلمه وظلم أكـبر، وفســقه فسق أكــبر، أي إنه ليس مســلما بل هو خــارج عن ملة الإسلام.

والـذين فسـروا الكفر والظلم والفسق بـالكفر الأصـغر والظلم الأصغر والفسق الأصغر من السلف، لا بد أن يكـون مـرادهم بـذلك من حكم بغـير ما أنـزل الله في بعض القضـايا-لِهـوى أو صـداقة أو أخذ مـال ونحو ذلــك-وهو يعتقد أنه قد عصى ربه بما فعــل، وليس من اســتحل الحكم بغــير ما أنــزل الله صــراحة أو دلت القــرائن الظاهرة أنه يفضل حكم الطاغوت على حكم الله، فهذا لا يمكن أن يقصــــده الســــلف يكفر دون كفر أو ظلم دون ظلم أو فسق دون فسق، لأنه مؤمن بالطاغوت كافر بالله. والله تعـالى يقـول: ((ولقد بعثنا في كل أمة رســولا أن اعبــدوا الله واجتنبــوا الطــاغوت)). [النحل: 36]

قــال القرطــبي رحمه اللــه: (قوله تعــالى: ((ومن لم يحكم بما أنـــــزل الله فأولئك هم الكــــــافرون...)) و ((الظـــــــالمون)) و ((الفاسقون)) نـزلت كلها في الكفـار، ثبت ذلك في صـحيح مسـلم من حديث البراء، وقد تقدم، وعلى هذا المعظم.

فأما المسـلم فلا يكفر وإن ارتكب كبـيرة، وقيل فيه إضـمار أي ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن، وجحدا لقول الرسول عليه الصلاة والسـلام، فهو كـافر، قاله ابن عبـاس ومجاهـد. فالآية عامة على هــذا. قــال ابن مســعود والحســن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفـار أي معتقـدا ذلك ومستحلا له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكبُ جرمٍ فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى، إن شـاء عذبـه، وإن شـاء غفر له) [الجامع لأحكام القرآن (6/190)].

وقال ابن القيم، رحمه الله: (والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين، الأصغر والأكـبر بحسب حـال الحـاكم، فإنه إن اعتقد وجـوب الحكم بما أنـزل الله في هـذه الواقعـة، وعـدل عنه عصـيانا، مع اعترافه بأنه مسـتحق للعقوبـة، فهـذا كفر أصـغر، وإن اعتقد أنه غــير واجب وأنه مخــير فيــه، مع تيقنه أنه حكم الله [كما

يفعله من يسمون بالمشرعين في هذا العصر] فهذا كفر أكـبر، وإن جهله وأخطـأه، فهـذا مخطئ له حسـكم المخطـئين).[مـدا رج السالكين: (1 / 336).]

وإنما كـان تحكيم شـرع الله من غايـات أهل الحق في السـباق إلى العقول، لأن تحكيم شـرع الله يعصم الأمم من الزلل والفسـاد والظلم والطغيـان، ويقيم العـدل ويعطي كل صـاحب حق حقه ويساوي بين الناس، فلا يحـابي أحـدا على أحـد، وبه تسـتقيم حيـاة البشر ويحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والعرض والمال، كما قال تعالى في فيمن حكَّم شرعه: ((ولينصـرن الله من ينصـره، إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكاة وأمـروا بـالمعروف ونهـوا عن المنكر ولله عاقبة الأمـور..)). [الحج: 40، 41]

يضـاف إلى ذلك أن حكم الله عبـادة يكفر من جحـدها وحاربهـا، ولا يكون الإنسان موحدا لله إلا بإيمانه بذلك.

وأما تحكيم غير شرع الله فهو تحكيم للبشـر، والبشر تتحكم في تشريعهم الأهواء والجهل وعدم الإحاطة بالمصـالح والغفلة والحسد والحب والكره وغير ذلك.

وبذلك ينتشر الظلم والفسـاد والفـواحش والتنـاحر بين النـاس، لأن قـوانين البشر تتعـارض بتعـارض مصـالحهم وأهـوائهم وجهلهم وبتصارع الناس على كراسي الحكم، فإذا غلب فـرد فـردا أو حـزب حزبا أو دولة دولةً، شرع الغالب ما يريد من القوانين التي يحكم بها المغلوب، فيظلمه ويسـلبه حقوقه ويعيث في الأرض فسـادا، لعـدم وجود ما يضبطه من شرع الله، وذلك هو حكم الجاهلية.

((أفحكم الجاهلية يبغـون، ومن أحسن من الله حكما لقـوم يوقنون..)).[المائدة: 50]

((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصـام، وإذا تـولى سـعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحـرث والنسل والله لا يحب الفسـاد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العـزة بـالإثم فحسـبه جهنم وبئس المهـاد..)). [البقـرة: 204، 206]

سـابعا: تثـبيت الـولاء لله ولرسـوله وللمؤمـنين والبراء من الكافرين.

ويسابق أهلُ الحقِ أهلَ الباطلِ إلى عقول الناس، بغرس الـولاء

وتثبيته لله ولرســـوله وللمؤمـــنين والـــبراء من كل من حـــاد الله ورسوله والمؤمنين، عملا بقوله تعـالى: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللـهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا-إلى قوله-: وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ والَّذينَ آمَنُـوا فَـإِن حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُون)).[المائدة: 55-56]

وبقوله تعالى: ((لا تجد قوما يؤمنـون بالله واليـوم الآخر يـوادون من حـاد الله ورسـوله ولو كـانوا آبـاءهم أو أبنـاءهم أو إخـوانهم أو عشـــيرتهم أولئك كتب في قلـــوبهم الإيمـــان وأيـــدهم بـــروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضـوا عنه أولئك حـزب الله ألا إن حـزب الله هم المفلحـون)).[المجادلة: 22]

ولعلمهم بأن هذا الولاء يجعل صـاحبه يـدور مع الحق حيث دار ولو خالفه في ذلك أقرب المقربين إليه، كأبيه وابنه.. كما هو واضح من آية المجادلة السابقة.

ولأن المنهج الرباني الذي جاء به الرسـول من عند ربه هو الحق وكل ما خالفه فهو الباطـل، والأصل في المؤمـنين بهـذا المنهج أن يكونوا على الحق. فالولاء لله ولرسوله وللمؤمنين هو ولاء للحق.

ولأن الحق يقـــوى ويثبت في الأرض بكـــثرة المـــوالين له المتناصـرين عليـه. فـإذا قـوي الحق وثبت سـعد به أهل الأرض واهتدوا وكثر فيهم الصلاح الذي أساسه اتباع الحق، كما قال تعالى: ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)). [التوبة: 32]

وقال تعالى: ((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفـوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتـوه من بعد ما جـاءتهم البينـات بغيا بينهم فهدى الله الـذين آمنـوا لما اختلفـوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)).[البقرة: 213]

وبثبات الحق يضمحل الفساد الذي أساسه اتباع الهوى، كما قال تعالى: ((ولو اتبع الحق أهواءهم لفسـدت السـماوات والأرض ومن فيهن..)).[المؤمنون: 71]

ومن أمثـال القـرآن لثبـات الحق وما يـترتب عليه من صـلاح، واضمحلال الباطل وما يترتب على وجـوده من فسـاد قوله تعـالى: ((أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقـدرها فاحتمل السـيل زبـدا رابيا ومما يوقـدون عليه من النـار ابتغـاء حليـة، أو متـاع زبد مثله كـذلك يضـرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيـذهب جفـاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال)).[الرعـد: 17]

وغني عن البيان أن أهل الحق-رعاة ورعية-لا يخشون من الولاء لله ولرسـوله وللمؤمـنين، اعتـداءً من قـوي على ضـعيف أو خروجا من رعية على راع، بل ولا يخشى أهل الباطل من ولاء المؤمـــنين لله ورسوله ظلما ولا هضما ولا عدوانا، لأن الله بعث رسوله بالحق الذي يعطي كل ذي حق حقه.[وليس في جهاد قادة الباطل الــذين يحاربون الـدعاة إلى ال،له وتبليغ النـاس رسـالة الله وصـدهم عن سماع البلاغ المبين، ومنعهم عن الدخول في دين الله بعد أن يتبين لهم أنه الحــق، ليس في ذلك اعتــداء على أولئك القــادة، بل فيه إخـراج للبشر من ظلمـات الكفر إلى نـور الإيمـان، وإنقـاذ لهم من النار إلى الدخول في جنات النعيم...]

فالمؤمنون يتعاونون على البر والتقوى وينصر قـويهم ضـعيفهم: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)).[الحجرات: 10] (المؤمن للمؤمن كالبنيـان يشد بعضه بعضــا).[اللؤلؤ والمرجــان فيما اتفق عليه الشــيخان: (ص: 703 رقم: 1670).] ويقيمـون العـدل فيما بينهم وفيما بينهم وبين عدوهم، كما مضى في مثل قوله تعالى: ((ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)).[المائدة: 8]

ثامنا: غرس الأخلاق الفاضلة في النفوس.

الجـانب الخلقي في الإنسـان هو الـذي يحـدد موقع صـاحبه أهو إنسان حقا أم أنه أحط من رتبة الحيوان؟!

ولهـذا كـان أئمة أهل الحق الــذين يسـابقون غـيرهم من أهل الباطل بالحق إلى العقول، هم منبع الأخلاق الفاضـلة وقـدوة البشر فيها، ولهـذا وصف الله تعـالى خـاتم رسـله محمـدا صـلى الله عليه وسلم بهذا الوصف العالي: ((وإنك لعلى خلق عظيم)).[القلم: 4]

وعنــدما سـئلت أم المؤمــنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسـلم لم تـزد السـائل على قولها لـه: "كـان خلقه القرآن".[صحيح مسلم (1/513) بلفظ: " فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن ".]

وهـذا الجـواب المختصر الجـامع (والسـنة وحي كـالقرآن إلا أنها غير متلوة) يدل على أن تصرفات الرسـول صـلى الله عليه وسـلم في حياته سـواء في علاقته مع ربه أو مع النـاس قـريبهم وبعيـدهم كان محكومة بالقرآن، فإذا سمع الناس قوله صلى الله عليه وسلم أو رأوا فعلـه، علمـوا معـاني القـرآن الكـريم، فكـأن القـرآن ينطق بلسانه ويتحرك بحركته، ولهذا كـان صـلى الله عليه وسـلم القـدوة

الحسنة لأمتـه: ((لقد كـان لكم في رسـول الله أسـوة حسـنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)).[الأحزاب: 21]

والأخلاق الفاضلة في الإسلام شاملة لنشاط المـؤمن كله باطنه وظاهره، وليست مقصورة على تصرفات محدودة، ويدل على هـذا الشمول جواب عائشة السابق: "كان خلقه القرآن.."

ويمتاز اتصاف أهل الحق بالأخلاق الفاضلة عن سـواهم من أهل الباطل بأمور:

الأمر الأول: إيمـان أهل الحق بمشـروعية تلك الأخلاق الفاضـلة إيمانا صادرا عن شرع ربـاني، أي إنها أخلاق مشـروعة من عند الله تعـالى، فهو الـذي شـرعها ورضي الاتصـاف بها وإن كـانت العقـول السليمة تقر بأن تلك الأخلاق حميدة والاتصاف بها خير.

الأمر الثاني: أن أهل الحق يتصفون بتلك الأخلاق طمعا في رضا الله وهربا من سـخطه تعـالى، ويرجـون عليها ثوابه بـدخول الجنـة، والنجاة من النار.

الأمر الثـالث: أن أهل الحق يثبتـون على الالـتزام بتلك الأخلاق على كل حـال ويتخـذون اتصـافهم بها عبـادة لـربهم، فاتصـافهم بـالأخلاق الفاضـلة ثـابت ودائم، وليس تابعا للأهـواء يتقلب بتقلبها ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسـوله أمـرا أن يكـون لهم الخيرة من أمرهم)).[الأحزاب: 36]

الأمر الرابع: أن أهل الحق الذين يتصفون بتلك الأخلاق الفاضـلة يحبون لجميع النـاس أن يتصـفوا بها مثلهم من أجل سـعادتهم بهـا، ولذلك يسعى أهل الحق سعيا حثيثا لدعوة النـاس إلى الاتصـاف بها والتمتع بثمراتها، كما يسـعون إلى إزالة كل خلق سـيئ يفسد حيـاة البشر وينشر بينهم الضلال والفحش والمنكر.

نماذج من الأخلاق الفاضلة.

ولنذكر شيئا من الأخلاق الفاضلة التي يتصف بها أهل الحق، وقد يتصف ببعضها أهل الباطل، ولكن ليس كاتصاف أهل الحق بها، لأن أهل الحق يمتـازون عن سـواهم في الاتصـاف بـالأخلاق الفاضـلة بميزات لا توجد في غيرهم، كما مضى. ومن تلك الأخلاق:

أولا: الإخلاص في الأعمال.

أي إنهم يريدون بأعمالهم وجه الله وحده، فلا يتصفون بخلق ولا يعملون عملا يريدون من ورائه مدحا ولا ثناء من غير اللـه، ولا جاها أو منصبا أو مالا أو غير ذلك من المخلوقين، كما قـال تعـالى: ((وما

أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين..)).[البينة: 5]
والذي يعمل العمل مخلصا لله، لا يـترك عمله من أجل هـوى أو شـهوة أو تقـربٍ لأحـدٍ من الخلـق.[وقد فصـلت القـول في أهمية الإخلاص وصـعوبته والأسـباب المعينة على الاتصـاف به في كتـاب: الإيمان هو الأساس، في مبحث: الإيمان باليوم الآخر، فليراجعه من شاء...]

ثانيا: التزام الصدق.

وخلق الصدق في الإنسـان يجعله مسـتقيم السـيرة مع ربه ومع الخلـق: يصـدق في إيمانه وفي عبادتـه، وفي معاملاته مع أسـرته، ومع جيرانه ومع مجتمعه كله، وباستقامة الناس على هـذه السـيرة المبنية على الصدق تستقيم الحياة.

والصــدق شــرط أساسي في أهل الحق الــذين يســابقون أهل الباطل إلى العقول بحقهم، فلا يقبل الحقَّ الإلهيَّ إلا الصادقون، ولا يحمله إلا الصـــادقون، ولا يـــدعو إليه ويثـــابر في الـــدعوة إليه إلا الصادقون، ولا يصبر على البلاء في السـباق إلى العقـول بـالحق إلا الصادقون.

فالصـادقون هم أهل الحق الـذين يَحْيَـونَ صـادقين، مهما كلفهم الصدق من تبعات، ويموتون على الصدق، لأنهم يعلمــون أنه لا ينفع عند الله إلا الصدق، ولا يبقى الحق في الأرض إلا بالصــدق، ولا حق بدون صدق، كما أنه لا صدق بدون حق.

ولما كان الله تعالى هو الحق، وهو مصدر الحق أسند إلى نفسه الصدق، ونفى أن يكون أحد أصدق منه.

كما قال تعالى: ((قل صـدق الله فـاتبعوا ملة إبـراهيم حنيفا وما كان من المشركين)).[آل عمران: 95]

وقال تعالى: ((ومن أصدق من الله حديثا)).[النساء: 87]

وقال تعالى: ((وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا)).[النساء: 122]

والصدق من صفات أولي العزم من الرسل الـذين يسـألهم الله يوم القيامة عن صـدقهم إقامة للحجة على من كـذب بالصـدق، ولا يكذب بالصدق إلا الكاذبون.

قـال تعـالى: ((وإذ أخـذنا من النبـيين ميثـاقهم ومنك ومن نـوح وإبـراهيم وموسى وعيسى بن مـريم وأخـذنا منهم ميثاقا غليظـا، ليسـأل الصـادقين عن صـدقهم وأعد للكـافرين عـذابا أليمـا)).[الأحزاب: 8]

وقـــال تعـــالى: ((والـــذي جـــاء بالصـــدق وصـــدق به أولئك هم المتقون)).[الزمر: 33]

وأهل الحق الصـادقون ينفعهم صـدقهم عند الله يـوم يلقونه في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ((هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنـات تجـري من تحتها الأنهـار خالـدين فيها أبـدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم)).[المائدة: 119]

وإنما كـان للصـدق هـذه المنزلة العظيمة لما يـترتب عليه من الآثار السامية، فإن صـاحبه يَصْـدُق ربَّه في إيمانه وفي عبادتـه، فلا يكـــون منافقا يظهر خلاف ما يبطن، ولا مرائيا يعمل العمل الـــذي ظاهره الصلاح من أجل أن يراه الناس فيحمدونـه، فـإذا خلا بنفسه بارز الله بخلاف ذلـك، ويَصْـدُق النـاسَ الـذين يتعامل معهم في أي موقع كان، حاكما كان أو محكوما، خادما كان أو مخدوما، أبا كان أو ولـدا، يُصَـدِّق فعلُه قولَـه، فتسـري الثقة بين النـاس بالصـدق، ولا يتـوجس أحد من آخر خيفة بسـبب الكـذب. إيمانه صـادق وجهـاده بـأعز ما يملـك: (ماله ونفسـه)، صـادق كما قـال تعـالى: ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون))[الحجرات: 15]

ويُظهر هذه المنزلةَ العظيمة للصدق: الكذبُ الـذي هو من أبـرز صـفات أعـداء الله من الكـافرين والمنـافقين، وإمـام الكـاذبين هو إبليس الـذي يعـدهم ويمـنيهم ويكـذب عليهم ويغـريهم بالكـذب، فيضلهم عن الحق حتى يكذبوا به ويصدقوا الباطل، فإذا جـاء اليـوم الـذي لا ينفع فيه إلا الصـدق وعـاينوا جـزاء التكـذيب بالصـدق، بث حقده وأظهر ازدراءه لهم وأنـزل الحسـرة في قلـوبهم وتـبرأ منهم فعرفـوه على حقيقتـه، كما قـال تعـالى: ((وبـرزوا لله جميعا فقـال الضعفاء للـذين اسـتكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنـون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سـواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص، وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعـدكم وعد الحق ووعـدتكم فـأخلفتكم وما كـان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولومـوا أنفسـكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظـالمين لهم عـذاب أليم))[إبـراهيم: 22 أصل الصـراخ: الصـوت الشـديد، والصـارخ: المسـتغيث. والمصـرخ-على وزن المكرم-المغيث.]

تأمل قـول الله تعـالى: ((إن الله وعـدكم وعد الحق ووعـدتكم فأخلفتكم)) أي إن الله الحق أمركم بالحق ووعدكم على الإيمان به

وفعله وعدا حقا، وهو رضاه عمن آمن بالحق وفَعَلَه، وصدَق الله في وعده فأثاب أولياءه رضاه وجنته، كما قال تعالى بعد الآية السابقة: ((وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام))

أما إبليس فقد صدهم عن الحق وأغراهم بالباطل، ووعدهم في الدنيا بالسعادة إذا هم اتبعوه، وذلك كله كذب وافتراء، فلم يُعْمِلوا عقولهم ويفكروا بها ليعرفوا صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وكذب الشيطان، فاتبعوا خطوات الشيطان، فكانت تلك عاقبتهم في الآخرة: عذاب الله الذي لا يغني عنهم منه أحد من قادة الكفر والاستكبار الذين كان خطاب إبليس خيبة أمل لهم جميعا في ذلك الموقف الرهيب.

وهذا هو جزاء كل من اتبع أهل الباطل من زعماء الضلال المحاربين لله ولرسوله، الذين دأبهم الكذب على أتباعهم في دينهم ودنياهم يكفرون بالله ويحاربون شريعته، ويحلفون الإيمان المغلظة بأنهم هم المؤمنون: ((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كنوا يعملون)).[المنافقون: 1-2]

ويفسدون في الأرض بتأييد الكفر والكافرين وموالاتهم، ونشر الفسق والفجور وتيسير سبل ارتكاب الفواحش والمنكرات والمحرمات، ومناصرة الظلم والظالمين، وحجب العدل عن الضعفاء، والانغماس في الترف المهلك الذي يعينهم عليه السلطان والمال، ومحاربة أهل الحق والصلاح الذين يدعون الناس إلى الحق والصلاح، ويحذرونهم من المنكر والفساد، ويضلل أولئك المفسدون جماهير الناس المغفلين بقلب الحقائق، وبالكذب المتكرر منهم على تلك الجماهير مزينين لهم أعمالهم منفرين لهم من سماع ما يدعوهم إليه أهل الحق، ويدَّعون أن فسادهم صلاح وصلاح أهل الحق فساد، كما قال تعالى: ((ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد)).[البقرة: 204، 206]

((وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)).[البقرة: 11-12]

وإذا كان يترتب على الكذب واتباع أهله ذلك الجزاء الأخروي،

فإنه يترتب عليه في الدنيا أيضا الفوضى والاضطراب وسوء العاقبة والمحن التي تزلزل البشر زلزالا شديدا في كل شؤون حياتهم.

الأضرار الرئيسة المترتبة على الكذب.

ولو أردنا استعراض الأضـرار المترتبة على الكـذب لطـال الكلام على ذلك ولذلك نكتفي بالأضرار الرئيسة الآتية:

الضـــرر الأول: القـــول على الله بالباطل بعلم أو بغير علم.

وهذه صفة علمـاء السـوء من أهل الكتـاب ومن اقتـدى بهم من هذه الأمة، كما قال تعالى: ((فويل للـذين يكتبـون الكتـاب بأيـديهم، ثم يقولــون هــذا من عند الله ليشــتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)).[البقرة: 79]
وصــفة الجهلة من المشــركين أيضــا، كما قــال تعــالى: ((قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشـتملت عليه أرحـام الأنثـيين أم كنتم شهداء إذ وصـاكم الله بهـذا فمن أظلم ممن افـترى على الله كـذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظـالمين)).[الأنعـام: 144]

الضرر الثاني: تحليل ما حـرم الله وتحـريم ما أحل.

وهو مترتب على القول على الله بعلم أو بلا علم، مع نسبة ذلك إلى الله تعالى كذبا وبهتانـا، فيجمعـون بـذلك بين الكـذب والافـتراء على الله-عن علم أو عن غير علم-وتحـريم الحلال وتحليل الحـرام، ويـــدخل في هـــذا كل حلال وحـــرام. أو محاربة دينه وشـــريعته بإنكارهما، وادعـاء حق التشـريع ادعـاء صـريحا، ويصـدرون الأنظمة والقوانين التي تحرم ما أحل الله للناس وتضيق عليهم ما وسع الله لهم، أو تحلل ما حــرم الله من المعاصي المتنوعة بحسب الأهــواء في التحليل والتحريم معا.

الضرر الثالث: الكذب السياسي المدمر.

وهذا يحصل من الطغاة المحاربين للحق وأهله، عنـدما تعـوزهم الحجة ويصــرعهم برهــان الحــق، ومن الأمثلة الواضـحة على هــذا موقف فرعون من دعوة موسى وأخيه هارون عليهما السـلام، فقد حــاول محــاورة موسى فغلبه موســى، وحــاول الاســتعانة عليه

بالســحرة والحشــود الجماهيرية فغلبه موســى، فلجأ إلى الكــذب والافتراء مدعيا أن موسى إنما جـاءهم بما جـاء بـه، ليسـتولي على الحكم ويخرج أهل مصر من بلادهم ويتكبر عليهم-كما يقول المثـل: "رمتني بدائها وانسلت".

قال تعالى عن فرعون-بعد ذكره حوارا طويلا معـه: ((قـال للملأ حوله إن هـذا لسـاحر عليم يريد أن يخـرجكم من أرضـكم بسـحره فمـاذا تـأمرون، قـالوا أرجه وأخـاه وابعث في المـدائن حاشـرين، يأتوك بكل سحار عليم، فجمع السحرة لميقـات يـوم معلـوم، وقيل للناس هل أنتم مجتمعون، لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغـالبين، فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغـالبين، قـال نعم وإنكم إذا لمن المقـربين، قـال لهم موسى ألقـوا ما أنتم ملقـون، فـألقوا حبـالهم وعصـيهم وقـالوا بعـزة فرعـون إنا لنحن الغالبون، فألقى موسى عصـاه فـإذا هي تلقف ما يـأفكون، فـألقي السحرة ساجدين، قـالوا آمنا بـرب العـالمين، رب موسى وهـارون، قـال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبـيركم الـذي علمكم السـحر فسـوف تعلمـون، لأقطعن أيـديكم وأرجلكم من خلاف ولأصـلبنكم أجمعين، قـالوا لا ضـير إنا إلى ربنا منقلبـون، إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين)). إلى قوله تعـالى: ((فأخرجنـاهم من جنـات وعيـون وكنـوز ومقـام كـريم... وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين)).[طه: 34-36] ؟؟[1]

تلك هي عاقبة أهل الباطل الكاذبين من الطغاة الـذين يـدمرون أممهم بكذبهم عليهم، كما حصل لفرعون و قومه، وهـذه هي عاقبة أهل الحق الصادقين الذين ينصـحون لقـومهم ويبلغـونهم الحقـائق، بدون زيف ولا افتراء كما حصل لموسى عليه السلام ومن معه.

وما أكـثر صـنف فرعـون وقومه الـذين يكـذبون على أممهم في كل شئ ويستخفونهم فيطيعونهم، ويحـاول أهل الحق إنقـاذهم من سياسات ألئك الطغاة، فتوضع أمام محاولاتهم العقبات، ثم لا يتـبين القوم كـذب ساسـتهم إلا عنـدما يـنزل بهم الـدمار، فينـدمون ولات سـاعة منـدم. وهـذه الأمم اليـوم تسـاق إلى دمارها وهلاكها بكـذب طغاتها عليها وقلبهم الحقائق لها، وهذه الشـعوب في الأرض تُـدمر في دينها ونفسها وعقلها ونسلها وعرضها ومالها، ولا تعتبر بما جرى ويجــري من المصــائب النازلة بهــا، ولا زالت تســير وراء طغاتها كالشياه وراء الراعي الأحمـق، لم تسـتبن رشـدها الـذي دعاها إليه الصادقون من رجالها، على حد قول دريد بن الصمة:

---

[1] -طه: 34-36

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى === فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

أمثلة لكذب الطغاة المدمر للشعوب.

ولا بد من ذكر بعض الأمثلة الواقعة لتتنبه العقــول الغافلة بهــا، فقد عميت بصائر الأمم عن الاعتبار بمن سبقها في الأمم الماضية، ولعل في التذكير بالواقع ما ينبه تلك العقول الغافلة:

المثال الأول: الثورة الكمالية الـتي خطط لها اليهـود والنصـارى، للإجهــاز على ما بقي من رمز الخلافة الإســلامية الــتي حملها بنو عثمان.

فقد ضعفت هذه الخلافة، حتى أصبحت تسمى بالرجل المريض، واحتل أعــداء الإســلام من الصــليبيين الأوربــيين عاصــمة الخلافة (الأســـتانة) وقد أخرجـــوا صـــنما أحـــاطوه بهالة من العظمة والانتصـارات-وكـان الخليفة سـجينا في دار الخلافـة-حـتى انتعشت آمال المسلمين الذين ظنوا ذلك الصنم مجددا لمعركة بـدر، وجهـاد صــلاح الــدين، وتخيلــوا الملائكة وهي تحفه بالنصر في الســماء وكتائب الجهاد ترفع رايته الأرض، فمدحه الشعراء وأثنوا عليه ثنــاء عطرا، كما قال فيه شوقي:

الله أكبر كم في الفتح من عجب
"""""""""يا خالد الترك جدد خالد العرب
يـوم كبدر فخيل الحق راقصـة
"""""""""على الصعيد وخيل الله في السحب

وأخــذت أجهــزة الإعلام المتاحة في تلك الفــترة تكيل المــديحَ للقائد المنتصر، والقدحَ والـذمَّ للخليفة المغلـوب على أمـره، الـذي بقي يصــارع المســاومات اليهودية الصــليبية إلى آخر لحظة من ولايته.

وبذلك سوغ الكذبُ والتضليل لفرعونِ الـتركِ الصـغير أن يقضي على رمز الخلافة ويفصل الــدين عن الدولــة-كما أراد ذلك اليهــود والصليبيون-ويطرد الخليفة وأسرته إلى خارج حدود تركيا، ويحـارب الإسلام وأهله حربا بلا هوادة فيها. ولا زال أتباعه يحذون حــذوه في محاربة الإسلام والمسلمين، ليضـاعفوا له الـوزر الـذي سيتضـاعف لهم كذلك.[1]

وعند ذلك اســتيقظ الغــافلون عن المكر اليهــودي الصــليبي،

---

[1]-وما يفعله العسكر وحلفاؤهم في تركيا اليوم من حرب للقرآن ومدارسه، والمسـاجد وأئمتهـا، والدعاة إلى الله وأنصارهم، غير خاف على أحد.

وأخذوا ينوحـون على الخلافة والخليفة والإسـلام ويحـاولون محاولة فاشلة، أن يجدوا لعودتهما سبيلا، وهيهات، و ذاق المسلمون بعـدها أقسى عقاب وأعظم ذل. فنـاحوا وبكـوا، وهل يعيد المـوتى النـواح والبكاء؟!

وهنا قال شوقي في الخلافة التي أطاح بها خالد الترك!:

عادت أغاني العرس رجع نُواحِي
""""""""""""ونُعِيتِ بين معالم الأرواح
كُفِّنتِ في ليل الزفاف بثوبه
""""""""""""ودُفِنتِ عند تبلج الإصباح
ضجت عليكِ مآذن ومنابر
""""""""""""وبكت عليك ممالك ونَواح
الهند والهة ومصر حزينة
""""""""""""تبكي عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس
""""""""""""أمحا من الأرض الخلافةَ ماح؟

[راجع هذا المعاني في: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.(225) طبع دار الإرشـاد في بـيروت، للـدكتور محمد بن محمد حسين.]

وأما كيف خدع المسلمين مصطفى كمال أتاتورك، وكذب عليهم حتى صدقوه ودعموه، فيكفي نقل هذا المقطع من كتاب: تاريخ الدولة العثمانية [1]: (وكما أن الغربيين قد نجحوا في مخططهم وجعلوا العالم الإسلامي كله يسير فخورا بضع سنوات وراء الثورة الكمالية، فقد استغل مصطفى كمال عواطف المسلمين وأموالهم إلى أبعد حدود الاستغلال، وكسا ثورته لباسا إسلاميا، سواء بأحاديثه وتصريحاته وخطبه أو بمعاملته لزعماء المسلمين، فمن ذلك أنه استعان بالزعيم الليبي الشهير أحمد السنوسي وجعله مستشارا له، وكان يبرق إليه، كما قال لي صديقي الأمير شكيب أرسلان، إذا أراد شن هجوم على مكان ما قائلا: إننا ننوي الهجوم غدا أو بعد غدٍ على مكان ما، فاقرؤوا البخاري الشريف على نية النجاح والتوفيق.

واستغل أيضا أعمال وأقوال جمعية الخلفاء الهندية الـتي قـامت برعاية الأخـوين شـوكت علي ومحمد علي واسـتغل الشـعراء فمدحوه، والأدباء فأثنوا عليه، ومشـايخ الطـرق فرفعـوه إلى مقـام الولاية [-ولا زال بعضـهم يؤيد علمانيته إلى اليـوم. وهكـذا يسـتغل

[1] -للأستاذ محمد فريد بك المحامي تحقيق الدكتور إحسان حقي دار النفائس ص 754 وما بعدها.

الطغــاة المحــاربون للإســلام بعضَ المنتســبين إلى العلم والأدب للإشادة بهم حتى يغتر بهم عوام الناس فيؤيد الطواغيت.]

كان مصطفى كمال يبطن غير ما يظهر وينـوي أن يفعل غـير ما يقـول، إذ أنه ما كـاد ينتصر نهائيا ويطمئن إلى مصـيره، حـتى ألغى الخلافة وطــرد الخليفة من البلاد وطــرد الســيد أحمد السنوســي، وتنكر لكل القيم الإســلامية وســار بســيرة ليس فيها أي مصــلحة للإسلام ولا للمسـلمين، لا بل ليس فيها أية مصـلحة لتركيا نفسـها، فها هي تركيا بعد مضي ستين سنة على هذه الثـورة، ما زالت بلـدا ناميا ضـعيفا، لا حـول له ولا طـول، فالحركة العلمية فيها ضـعيفة، والأمية سائدة، والحيـاة الاجتماعية متـأخرة والحالة الاقتصـادية في الحضيض، وكل ما فعلته هذه الثورة أنها شغلت الناس بأمور جانبية تافهة مثل إلغاء الطربوش، وسفور النساء، ولو كان هـذان الأمـران تركا للزمن لتكفل بتحقيقهما من غير ثورة كما حــدث في كل البلاد الإســلامية...)ـ[ولا زال الكمــاليون مصــرين على تطــبيق العلمانية المعادية للإسلام والمحاربة لأهله في تركيا ويضـايقون دعـاة الحكم بالإســلام، بل بلغ بهم الأمر أن يغلقــوا مــدارس تحفيظ القــرآن الكريم، ويتخذون كل الوسائل للقضاء على تعليم الشـباب المسـلم العلوم الإسلامية، ومن ذلك إغلاقهم معاهد الأئمة والخطباء، وعــدم اعــترافهم بشــهادات الجامعــات الإســلامية في عواصم الإســلام، كــالأزهر والجامعة الإسـلامية وغيرهمـا، ولكن الصـحوة الإسـلامية تشق طريقها إلى إعادة مجد الإسـلام ورفع رايته وسينصـرهم الله على أعدائهم.]

المثــال الثــاني: الثــورة الناصــرية في مصر الــتي اتخذ زعماؤها الإسلام واجهة لثورتهم، والقومية العربية شعارا لهم، وعلى رأسـهم عبد الناصر الـذي اختفى وراء كبـار الضـباط في أول الأمـر، واغـتر بهم دعــاة الإســلام بســبب كــذبهم ووعــودهم الــتي قطعوها على أنفسهم، بل إن عبد الناصر بايع المرشد العـام للإخـوان المسـلمين "حسن البنــا"، ثم خــدعهم وقلب لهم ظهر المجن، وكــان من أهم أســباب نجــاح ثورته مناصــرتهم لــه، اعتمــادا على أن ولاءه وولاء الضباط الأحرار كـان في الأصل للإسـلام ودعاتـه، وكـانت التسـمية نفسها "الضباط الأحرار" قد أطلقها الإخوان الذين كـانوا مسـؤولين عن الضباط، ولكن عبد الناصر الذي بايع المرشد العـام وسـار تابعا للمسؤول الذي عينه الإخوان للإشراف على الضباط الذين انضــموا للحركة الإسـلامية وارتبطـوا بهـا، كـان يخطط في الخفـاء لسـحب الولاء له شخصـيا، بـدلا من الـولاء لله ولرسـوله وللمؤمـنين، وكافأ

الإخــوان الــذين خــدعهم وأقــام الثــورة على أكتــافهم، بما يعرفه القاصي والداني من الاعتقال والسجن والتعـذيب والقتل والتشـريد والحظر لنشاطهم.[راجع كتاب: صفحات من التاريخ، لصلاح شادي (1120) وما بعدها، وراجع كتاب: الإخوان المسـلمون لمحمـود عبد الحليم (وهو ثلاثة أجزاء).]

كما أنه عنــدما تمكن من الحكم أســرف في وعــوده وتبشــيره للشعب المصري والعالم العربي والشعوب الإسلامية، بأنه سيحقق لهم العــزة والكرامة ضد البغي والعــدوان الأجنــبي، ويرفع عنهم الذنب الذي نزل بهم وغلا في رفع شعار القومية العربية مخففا من ذكر الإسلام، ثم تطور حكمه إلى أن وصل إلى الاشـتراكية، العربية ثم الاشـتراكية العلميـة، وأحـدث شـقاقا ونزاعا شـديدا بين الـدول العربية، بل بين أحزاب قـامت معتمـدة على دعمه وتحر يشه وبين الحكومـات القائمــة، وحكم مصر حكما عسـكريا بغيضــا، وســلب الأغنيـاء غنـاهم، وزاد الفقـراء فقـرا، حـتى أصـبحت مصر شـبيهة بمقـبرة يخيم عليها الصـمت المطبـق، لا ينطق من سـكانها إلا من يسبح بحمد الطاغية.

وانقلبت العزة الـتي بشر بها الشـعب والعـرب والمسـلمين إلى ذلة نــالت كل عــربي ومســلم، ولا زال المســلمون يســبحون في مســتنقع تلك الذلــة، فقد احتل اليهــود مصر عمــرو بن العــاص ومرتفعات الجولان والقـدس وما حولها وغـزة، ولم تعد أرض مصر إلى المصريين إلا بعد أن سجد خَلَفُه أمام أقدام اليهود، ورفع العلم اليهـودي على مصـر، ولا زالت الأراضي الأخـرى-إضـافة إلى أرض فلسطين التي احتلها اليهود سنة 1948م-في قبضة اليهـود يعيثـون فيها فسادا يعلمه الناس كلهم.

وهــذا وغــيره من المصــائب والمحن الــتي أنزلها بالأمة كــانت عكس وعــوده وتصــريحاته، فقد كــذب على الأمة كما كــذب قبله مصطفى أتاتورك كذبا سياسيا مدمرا.

وليس من السـهل الاسـتمرار في ضـرب الأمثلة لطغـاة الكـذب السياسي المدمر للشعوب، فهو الأصل-وما عـداه اسـتثناء-في وعد طاغية العراق شعبه بإمبراطورية واسعة الأطراف، بالغزو المســلح الــذي بــدأه بــاحتلال الكــويت وما آل إليه أمر العــراق والشــعوب الإســلامية، وبخاصة العربية منها ما فيه غنــاء عن الأمثلة للأكــاذيب السياسية المدمرة.

ولم يعد يخفى على كثــير من أبنــاء الشــعوب كــذب طغاتها المحـاربين للإسـلام، والـذي تحتاجه تلك الشـعوب الآن ليس كشف

ذلك الكـذب المـدمر الـذي لم يعد خافيا عليهـا، ولكنها تحتـاج إلى معرفة السبيل التي تسلكها للتخلص من ذلك الدمار[1].

ولكــني أذكر مثــالا واضــحا من أمثلة كــذب الطغــاة المــدمر لشعوبهم نراه رأي العين اليوم ويراه العالم كلـه، وهو كـذب طاغية الصـومال الـذي اسـتولى على الحكم-كغـيره من حكـام الشـعوب الإسلامية-بالقوة العسكرية [2] مـدعيا أنه أراد بـذلك تخليص الشـعب الصومالي من محنته، واعدا إيـاه بـالعيش في جنة من الحيـاة، وهو الآن يعيش تعيسا جائعــا، عاريــا، عطشــانا، لم يبق من أفــراده إلا الجلد والعظم تلهبه الشمس المحرقة، ويقتله البرد القارس، وتفتك به الأمراض المتنوعة، عدا المئات الذين يموتون كل يوم من الجوع والعطش والمرض.

وأمــــامي الآن جريــــدة الشــــرق الأوسط[عــــدد (5110) 30/5/1413هـ-24/11/1992م. ص: 8 بقلم اللــــواء عمر الحــــاج محمد مصـلي.] وبها عنـوان: (الصـومال.... أسـوأ كارثة إنسـانية) أقتطف من المقــــال الــــذي كتب تحته المقطع الآتي لأنه يناسب المقام:

"النظام الذي اسـتولى على الحكم في عـام 1969م تراجع عن المبــادئ الــتي أعلنها بعد أعــوام قليلة من اســتيلائه على الحكم [3] وبعد أن أعلن حربا على الفســاد والمحســوبية واختلاس أمــوال، والقبلية، تعثرت خطاه من تلقاء نفسه، مما أدى إلى اختلال تـرتيب الأمور والتقاعس في تحقيق الوعـود. من تلك اللحظة بـدأ كل شئ يخطو عكس ما خطط له ســابقا [4] فظهــرت القبيلة بقــوة جبــارة وفعالــة، وســيطرت المحســوبية على الــدوائر الحكوميــة، ونهبت الأموال العامة والخاصة، وعمّت الفوضى ربوع البلاد.

هذه الظواهر السلبية مهدت الطريق إلى ظهور ديكتـاتور ينفـرد بحكم البلاد لا يشاركه أحد في اتخـاذ القـرارات، كما أن السـلطات كلها أصبحت في قبضته وتمكن من التخلص من المسؤولين الــذين كانوا يتقاسمون معه الحكم، وعين بـدلا منهم شخصـيات انتهازية لا تعارضه في أبسط الأمور.

---

[1] -لعل شيئا من ذلك يأتي في مكانه المناسب من هذا الكتاب.

[2] -سنة 1969م.

[3]

[4] -هذا إذا أحسن الظن بمن الأصل فيهم الكذب فيقال: خططوا بأن يقضوا على الفساد، أمـا إذا جرينا على الأصل فهو أن أصل التخطيط كان الهدف منه الفساد المـذكور وإن زعم صـاحبه أنـه أراد الصلاح.

والشك في ذي الكذبِ أصل ولو لم يكذبِ

هذا الخلل الذي أصاب النظام وفّر مناخا ملائما لتنشيط القبليـة، كما أعطى فرصة ثمينة لصيادي القبلية والمستفيدين منها، فزرعـوا الفتن والشـكوك بين القبائـل، وكسـبوا مراكز حكومية رفيعة في الدوائر الحكومية، وأداروا ظهورهم للمصلحة العامة.

ظهرت شخصيات كثيرة في قمة سـلم الحكم، لا يهمها التـاريخ وما يسـجله من تصـرفاتهم، فركـزوا نفـوذهم على الكسب غـير المشروع...".

هـذا النص من مقـال اللـواء عمر الحـاج، وهو وزير الـدفاع الصومالي السابق الذي كان مشاركا في الحكم، وقد جـرت العـادة أن التـاريخ الـذي يكتب في عهد الطغـاة وينشـر، يكـون غالبا في صفهم مـدحا وثنـاء بالكـذب والبهتـان، وأن التـاريخ الـذي يكتب بعد ذهابهم قد يكون صـادقا وقد يكـون مبالغا في ذمهم ونسـبة السـوء إليهم، ولكننا نعـرف أن هـذا الكـاتب لم يـذكر إلا قطـرة من بحـار تاريخ الزعيم الصومالي وكذبه السياسي المدمر.

كما أنه لم يـذكر ما يتعلق بمحاربته الإسـلام وعلمـاء الإسـلام الـذين أحـرق مجموعة منهم[راجع مجلة المجتمع الكويتيـة. عـدد (234). 15/11/1395هـ-. 28يناير سنة 1975م ص: 6 وما بعدها.] بسبب معارضـتهم لقـانون أصـدره يسـاوي بين المـرأة والرجل في الإرث الذي فرق الله فيه بينهما في نص كتابه.

والأمة التي تحارب عقيدتها ودينها وشريعتها ويحرق علماؤها، ثم لا تحـرك سـاكنا في ردع المعتـدي الآثم، لا بد أن تصل في النهاية إلى هذه المأساة التي يقول الله فيها وفي أمثالها: ((واتقـوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شـديد العقـاب)). [الأنفال: 25]

ومن هنا نعلم أن أهل الحق الصادقين يسعدون البشـرية بحقهم وصـدقهم، وأن أهل الباطل الكـاذبين يشـقون البشـرية ببـاطلهم وكذبهم.

ولعل الأمة الإسـلامية تتنبه لخطر كـذب قادتها الـذين يحـاربون الإسلام، وكذبهم السياسي المدمر الـذي تجند لترويجه كل طاقـات الدولـة، حـتى ينطلي عليها ويسـتمر في تضـليلها فـترة طويلـة، ولا تشـعر بآثـاره المـدمرة إلا بعد أن يفـوت الأوان وتتحطم الشـعوب اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وخلقيا وعسـكريا، حـتى يصـبح اسـتعمارها من قبل أعداء الإسـلام الـذين يـوفرون لها لقمة العيش وشـيئا من الأمن النسبي، أحب إليها من بقائها تحت مطـارق الخـوف والجـوع والسـلب والنهب والقتل والتشـريد [كما هو حاصل الآن في

الصومال الذي سيطرت عليه القوات الأمريكية تحت مظلة مجلس الأمن والإغاثة الإنسـانية مسـتترة بتأييد حلفائها الـذين شـاركوها بقوات رمزية شبيهة بالمحلل في فقه النكاح!]

الضرر الرابع للكذب: نشر الفاحشة بين المؤمنين.

ومن الأضـرار المترتبة على الكـذب: انتهـاك أعـراض النـاس والولـوغ فيهـا، ونشر الفاحشة بين المؤمـنين، بقـذف المحصـنات المؤمنـات الغـافلات-والمحصـنين كـذلك-وذلك مما يفقد الثقة بين الأسر والمجتمعات ويفككها، ويؤذي شرفاءها ويجرئ فسـاقها على ارتكـاب الرذائـل، والطمع في نيل المعصـية والإثم من أهل الطاعة والزلفى عند الله تعالى.

وهذا الاعتـداء الآثم على أعـراض الشـرفاء لا يقـدم عليه إلا من أصبحت الرذيلة صفة معتادة لهم، والكذب والافـتراء ديـدنهم، وحب انتشـار الفاحشة متأصلا في نفوسـهم، يـؤذيهم وجـود الطهر والطاهرين، ويرضيهم وجود القذر والقذرين، فلا يهدأ لهم بال حـتى يلطخوا سمعة الأطهار، وذلك دأب المنافقين الذين تلازمهم الأخلاق السيئة وبخاصة الكذب.

ولقد نـال أذاهم أطهر من وجد على الأرض رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، في زوجه أم المؤمـنين الصـديقة بنت الصـديق رضي الله عنهمـا، وكـان الـذي تـولى كـبر الإفك العظيم رئيس المنـافقين آنـذاك: عبد الله بن أبي بن سـلول، وجر معه بعض المسلمين الذين لم يحسنوا الظن بـبيت النبـوة والرسـالة، فـأنزلوا بـذلك من الأذى والفتنة والغم، ما يعجز عنه الوصف إلا أن يكـون وصف المؤمنة المحصنة الغافلة المظلومة، عائشة رضي الله عنها-كما روى القصة بطولها مسلم عنها [رقم الحديث: رقم:4974]

وفي ذلك أنزل الله تعالى آيات محكمة توبخ من وقعـوا في هـذا البهتان العظيم الذي رميت به السيدة الطاهرة-التي يعد من اتهمها بعد نزول هذه الآيات المبرئة لها مكذبا للقرآن، ومن كذب بالقرآن-كغلاة الرافضة-فقد كفر.

قـال تعـالى: ((والـذين يرمـون المحصـنات ثم لم يـأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبـدا أولئك هم الفاسقون...)).؟؟

ثم قال تعالى بعد ذلك: ((إن الذين جـاءوا بالإفك عصـبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم، لكل امـرئ منهم ما اكتسب من الإثم والـذي تـولى كـبره منهم له عـذاب عظيم، لـولا إذ سـمعتموه

ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مــبين-إلى قوله تعــالى-: ولــولا فضل الله عليكم ورحمته في الــدنيا والآخــرة لمســـكم في ما أفضـــتم فيه عـــذاب عظيم، إذ تلقونه بألســـنتكم وتقولــون بــأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحســبونه هينا وهو عند الله عظيم، يعظكم الله أن تعــودوا لمثله أبـــدا إن كنتم مؤمـــنين، ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم، إن الذين يحبـون أن تشـيع الفاحشة في الذين آمنـوا لهم عـذاب أليم في الـدنيا والآخـرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون)).[النور: 12-19]

فأهل الحق الصــادقون لا يفــترون ما يخــدش الأعــراض، بل لو عملوا منكرا ارتكبه مؤمن فالســتر عنـدهم عليه أولى، إلا إذا جـاهر صاحبه وعاند، وأهل الباطل الكاذبون يطلقون ألسنتهم في أعراض الناس افتراءً بدون علم.

الضرر الخامس: إهدار الحقوق بشهادة الزور.

ومن الآثار المترتبة على الكـذب شـهادة الـزور، وشـهادة الـزور تزهق بها الأرواح، وتنتهك بها الأعـــــراض، وتغتصب بها الأمـــــوال، وتســتحل بها الفــروج، ويــزكى بها الفســاق، ويفسق بها العــدول، ويفقد بها الكفء مكانه الـذي يسـتحقه لتنتفع به فيه الأمـة، ويوضع الخائن بها في مكان تقتضي الضرورة أن يكون فيه الأمين.

وقد شرع الله الشهادة من أجل توثيق الحق، والـذي يوثق الحق بشــهادته هو العــدل، أما شــاهد الــزور فإنه يضــيع الحق بــدلا من حفظه.

قال تعالى: ((وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشـهادة للــه)).[الطلاق: 2]

ونفى عن أهل الحــق-وهم المؤمنــون بــه-صــفة شـهادة الــزور، فقال تعالى: ((والذين لا يشهدون الزور)).[الفرقان: 72]

وأمرهم-أي أهل الحق-أن يشهدوا بالحق في كل حال، ولو كانت الشهادة تـؤدي إلى أخذ صـاحب الحق حقه منهم، كما قـال تعـالى: ((يا أيها الـذين آمنــوا كونــوا قــوامين بالقسط شـهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)).[النساء: 35]

الضرر السادس: اتهام الكـاذب بعيوبه مَن هم منها براء.

كما قــال تعــالى في مثل هــذا: ((ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا)). [النساء: 112]

وقد ذكر المفســرون أن هــذه الآية نــزلت في طعمة بن أبــيرق

الذي سرق سلاحا، فشكاه صاحب السلاح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقى السارق السلاح المسروق في بيت رجل برئ، ليبرئ نفسه ويحمل البريء إثمه، وعندما وجد السلاح في بيت الرجل البريء ثبتت-في الظاهر-براءة السارق، فأنزل الله هذه الآية وآيات قبلها منها قوله تعالى: ((إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما)). [النساء: 105، وراجع تفسير هذه الآيات في كتاب تفسير القرآن العظيم لابن كثير.]

وما أكثر ما يرتكب ناس مثل هذه الخطيئة! ويبرؤن أنفسهم مما ارتكبوه ويلطخون به البريئين.

وبنظرة في وسائل الإعلام في هذا العصر، يرى المرء العجب العجاب من الاتهامات الكاذبة من فرد لآخر، ومن جماعة أو حزب لجماعة أو حزب آخر، ومن دولة لدولة أخرى، وكثيرا ما يكون المتَّهِم غارقا في العيوب والنقائص التي اتهم بها غيره.

والسبب في ذلك هو الاتصاف بصفة الكذب التي تلازم أهل الباطل غالبا، وفقد صفة الصدق التي تلازم أهل الحق.

ثالثا: العدل.

والعدل من أسس صفات أهل الحق، وهو مطلوب ضرورة في الحياة عند كل الأمم، ولا تستقيم الحياة بدونه، والأمم كلها مسلمها وكافرها تعلم أنه ضرورة لحياتها، لأن كل فرد وكل أسرة وكل أمة تحرص على أن لا يمسها غيرها بالظلم، بل تحب أن ينصفها المتعامل معها، لكن الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وشريعة الله العادلة-وهم أهل الباطل-يحرصون على أن يعاملهم الناس بالعدل، والغالب أنهم إذا قدروا على ظلم غيرهم-من غير أن ينالهم ضرر-لا يتورعون عن الظلم، لأنهم لا يخشون جزاء ولا عقابا إلا إذا نالهم القانون والقضاء وما يسمى بأجهزة الأمن-في الدنيا-فإذا أمنوا من ذلك كله، فالأصل عندهم الأثرة وظلم الغير، لأنهم أهل باطل.

والذي لا يحب الظلم ويلازمه العدل مع القريب والبعيد والصديق والعدو، هو المؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم واليوم الآخر الذي يلتزم بشريعة الله وحكمه وينفذهما، وهؤلاء هم أهل الحق، لأن الحق تعالى أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم، وهم يطمعون في ثوابه على طاعته ويخافون من عقابه على معصيته، ويعلمون أن إيمانهم لا يكمل إلا إذا أحبوا لغيرهم ما يحبون

لأنفسـهم من الخـير، وقد يصل بهم إيمـانهم إلى التنـازل عن بعض حقوقهم الخاصة، إذا كان التنازل عنها مشـروعا، ولكنهم يحرصـون على إيفاء الناس حقوقهم بدون نقصان.

وقد أكد الله تعالى لعباده أنه يأمر بالعدل والإحسـان وينهي عما يناقضهما من الظلم والفساد والمنكر، فقال تعالى: ((إن الله يـأمر بالعـدل والإحسـان وإيتـاء ذي القـربى وينهي عن الفحشـاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون)).[النحل: 90]

وقد نهى الله رسوله عن اتباع أهواء أهل الكتـاب الـذين تفرقـوا من بعد ما جـاءهم العلم، وأمـره أن يعلن للنـاس إيمانه بما أنـزل الله، وأنه أمر بالعدل بينهم، كما قال تعالى: ((فلذلك فادع واسـتقم كما أمـرت ولا تتبع أهـواءهم وقل آمنت بما أنـزل الله من كتـاب، وأمـرت لأعـدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمـالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير)).[الشورى: 15]

وأمر الله تعالى عباده المؤمـنين-كما أمر نبيـه-بالعـدل ولو كـان على أنفسهم ونهاهم عن اتباع الهوى-كما نهى نبيه-كما قال تعـالى: ((يا أيها الـذين آمنـوا كونـوا قـوامين بالقسط شـهداء لله ولو على أنفسـكم أو الوالـدين والأقـربين إن يكن غنيا أو فقـيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فـإن الله كـان بما تعملون خبيرا)).[النساء: 135]

فالهوى كثـيرا ما يغـري الإنسـان بـالظلم وتـرك العـدل، إما لجر مصلحة لصاحبه أو لقريب أو صديق، وإما لإنزال ضرر بعـدو بغيض. والحق سبحانه وتعالى أراد أن يستأصل هذا الهـوى الظـالم في كلا الأمرين: محاباة القـريب، بل والنفس، كما مضـى، وبغض العـدو أو الخصم، فقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شـهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)).[المائدة: 8]

إنه قمة ما تحتـاج إليه الأمم في كل زمـان: أن ينصف القـادر خصمه ولو على نفسه أو أقربائه وأن يعدل مع أشدّ أعدائه.

وقد يـرى أعـداء الحق أن هـذا من المثاليـات قد تـدور بالخيـال ولكن تطبيقها في الواقع بعيد المنـال، وهـذا الـرأي صـحيح بـالنظر إلى الأوضاع التي يعيش الناس فيها بعيدا عن منهج الحق وتطبيقه: منهج الله الـذي أنزله في كتابه ودعا إليه عبـاده، وقد اسـتجاب لدعوته الرعيل الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فطبقوه تطبيقا تندب البشرية اليـوم حظها التعيس لفقـده، وتبعهم على ذلك أهل الحق ولا زال منهم من يتمسك به-وإن كانوا قلة في

هذا الزمان-ولو عـاد المسـلمون إلى ذلك المنهج من جديـد، لـرأت الأمم في الأرض ما تتمنـاه من العـدل الـذي أمر الله به على وجه العمـوم، وأمر به في الحكم كما قـال تعـالى: ((إن الله يـأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكمـوا بالعـدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا)).[النساء: 58]

وأمر به في الشهادة كما قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنـان ذوا عـدل منكم أو آخران من غيركم)).[المائدة: 106]

وأمر به في الصلح بين النـاس، بحيث لا يكـون في الصـلح ظلم لأحد المتخاصمين، بسبب ضعفه وقوة خصمه أو لغير ذلك، كما قال تعالى: ((وإن طائفتـان من المؤمـنين اقتتلـوا فأصـلحوا بينهما فـإن بغت إحـداهما على الأخـرى فقـاتلوا الـتي تبغي حـتى تفئ إلى أمر الله فـإن فـاءت فأصـلحوا بينهما بالعـدل وأقسـطوا إن الله يحب المقسطين)).[الحجرات: 9]

وأمر به في التعامل الأسري، فقال تعـالى: ((فـانكحوا ما طـاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فـإن خفتم ألا تعـدلوا فواحـدة أو ما ملكت إيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا)).[النساء: ؟]

وكل الحقـوق الـتي أمر الله بهـا، وكل المظـالم الـتي نهى الله عنها، إنما تتحقق بالعدل الذي هو ملازم لأهل الحق بحسب نصيبهم منه.

وصح عن: رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، أنه قـال: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور". [مسـلم: (3/1458) رقم الحديث: 1827.]

وقد ربى رسوله الله صلى الله عليه وسلم أصحابه-وكل رسـول سبقه كذلك-على العدل، حتى اعترف لهم بـذلك أعـداؤهم من أهل الكتـاب كما في حـديث ابن عبـاس رضي الله عنهمـا، قـال: افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، واشترط أن له الأرض وكل صفراء وبيضاء [يعني الـذهب والفضـة]. قـال أهل خيـبر: نحن أعلم بـالأرض منكم فأعطناها على أن لكم نصف الثمـرة، ولنا نصـف، فزعم أنه أعطاهم على ذلك، فلما كـان حين يصـرم النخل [يقطـع] بعث إليهم عبد الله بن رواحـة، فحـرز عليهم النخـل، وهو الـذي يسميه أهل المدينة الخرص، فقال: في ذِه كذا وكـذا، قـالوا أكـثرت علينا يا ابن رواحة، فقال: فأنا ألي[أي أتولى] حـزر النخل وأعطيكم نصف الذي قلت. قالوا: هذا الحق (و) به تقـوم السـماء والأرض قد رضـينا أن نأخـذه بالـذي قلت" [أبو داود واللفظ له (3/698) وابن

ماجة (1/ 582) وهو صحيح.].

وعن سليمان بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر، فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حليا من حلي نسائهم، فقالوا له: هذا لك [يعني رشوة] وخفف عنا وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: (يا معشر اليهود! والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم عليّ من الرشوة فإنها سحت، وإنا لا نأكلها). فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض [الموطأ (4/ـ 270) والحديث مرسل وهو يفيد شيئا مما جرى بين ابن رواحة واليهود.].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(وأمور الناس تستقيم مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم". فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شئ، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعد ل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة...) [مجموع الفتاوى: (28146).]

وإن الذي يتأمل أحوال العالم اليوم، يدرك المآسي التي نزلت به بسبب فقد العدل أو قلته التي تقترب من العدم، فلا نجد ضعيفا ينصفه القوي-إلا ما شاء الله-من الأفراد والجماعات والدول، ولو أردنا أن نضرب أمثلة لذلك لطال بنا المقام.

ويكفي أن تقعد قليلا أمام شاشة التلفاز، لترى ماذا يفعل اليهود بأطفال فلسطين وشيوخها ونسائها من قهر وإذلال وقتل وتشريد وسجن واعتقال وهدم منازل بالصواريخ على من فيها.

وأن ترى نصارى الصرب وهم يفعلون بالمسلمين في البوسنة والهرسك، أعظم مما فعله اليهود، وذلك في وسط قارة الحرية والعدل والمساواة [وفي هذه الأيام-من سنة 1417ه--1996م-يكشف عن مقابر جماعية لآلاف المسلمين الذين قتلهم الصرب عندما احتلوا مدنهم وقراهم.]

والعالم كله يمور بالفتن والمصائب بسبب الظلم وفقد العدل،

وهيئة الأمم المتحدة ومنظماتها ومجلسها المسـمى بمجلس الأمن، تتصـــرف فيها دولة واحـــدة اســـتبدت بـــالأمر، تحـــرك تلك الهيئة ومنظماتها ودول العالم كله كما تريد، فإذا رأت أن لها مصـلحة من التدخل في أي حدث يقع في العالم أجلبت بخيلها ورجلها وحشـدت كل الـدول لتحقيق مآربها ولو أهلكت بـذلك الحـرث والنسل مدعية أنها تنصف المظلـوم من ظالمـه، وإذا رأت أن عــدم التــدخل من مصــلحتها أحجمت عن التـــدخل في الحـــدث وروضت غيرها على الإحجام بأسلوب ماكر مخادع، أو بتهديد شديد ظالم.

وكيف يرجى من هيئة الأمم المتحـدة خـير لضـعيف وهي تصـدر قراراتها بالإجماع أو الأغلبية، فَتُعَطِّل كُلَّ تلك القرارات دولةٌ واحدة عند التنفيذ؟!

بل أين العــــدل والإنصـــاف فيما يســـمى مجلس الأمن وقد احتشـدت بجـواره جميع دول العـالم، ومع ذلك تسـتطيع دولة من خمس دول تعطيل أي قــرار يصــدره [الــدول الــتي لها منــدوبون دائمــون، ولها حق نقض أي قــرار يتخــذه المجلس مجتمعة أو كل دولة على حدة هي: أمريكا وفرنسا، وبريطانيـا، والصـين، وروسـيا، ولكن أمريكا في الوقت الحاضر تقود المجلس وغيره من منظمات الهيئة لانفرادها بالهيمنة الدوليـة، ومع زعمها أنها دولة ديمقراطيـة، فإن استبدادها الدولي لا حدود له إلا مصالحها وعجزها.].

وبهـذا يعلم أن العـدل-وهو صـفة ملازمة لأهل الحـق-هو الـذي يثبت الحق ويطرد الباطـل، وأن الظلم-وهو ملازم لأهل الباطـل-هو الذي تشقى به البشرية على مدار التاريخ.

وإذا شـــئت أن تعـــرف أنموذجا للظلم الغاشـــم، وبخاصة على المسـلمين من أعلى مسـؤول في هيئة الأمم المتحـدة، فـاقرأ عن مواقف أمينها العـام العـربي النصـراني المصـري بطـرس غـالي، [عنـدما كـان أمينا عاما للأمم المتحـدة]من قضـية المسـلمين في البوسنة والهرسك وإصراره على عدم تدخل الأمم المتحـدة لحماية هـؤلاء المسـلمين الـذين يتعرضـون لأبشع اعتـداء من قبل إخوانه الصرب النصارى [مجلة المجتمع الكويتية عدد 1002 ص22.].

رابعا: صفة الرحمة.

ومن صـفات أهل الحق الرئيسة خُلق الرحمـة، وهي تقتضي من المتصف بها الإشـــفاق على المخلـــوقين من النـــاس والحيوانـــات والرأفة بهم والإحسان إليهم.

ولما كان الله هو الحق ومصدر الحق ومُشَرِّعَه ومنزل الوحي به

وباعث الرسل من أجله، فهو تعالى الرحمن الرحيم الرؤوف الودود الذي وسعت رحمته كل شئ.[1]

[يجب أن يعلم ابتداء أن الله تعالى ليس كمثله شئ في ذاته ولا في أسمائه ولا في صـفاته: ((قل هو الله أحـد، الله الصـمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد...)) واشتراك المخلـوق مع الخـالق في الاتصاف بالرحمة ونحوها إنما هو اشتراك لفظي مثل أن يقال: إن الله موجود والمخلوق موجود، والفرق بين الوجود ين: أن وجود الله ذاتي أزلي أبـدي ووجـود المخلـوق اسـتمده من الخـالق وهو وجود محدود ببداية ونهاية وغير ذلك.]

وقد افتتح تعـالى كتابه الـذي أنزله على رسـوله رحمة للعـالمين بالبسـملة ((بسم الله الـرحمن الـرحيم)) وافتتحت بها كل سـور القرآن الكريم[ما عـدا سـورة بـراءة، الـتي يـرى بعض العلمـاء إنها مكملة لسورة الأنفال.] وتكـرر لفظ الرحمة ومقتضـياتها كثـيرا في القرآن الكريم وكذلك في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد وعد الله تعـالى أهل الحق من المؤمـنين الـذين يقومـون بمقتضى إيمانهم برحمتـه، فقـال تعـالى: ((والمؤمنـون والمؤمنـات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)).[التوبة: 71]

وأهل الحق المتصـفون بالرحمة يطلبـون من ربهم أن يـرحمهم، كما قـال تعـالى:((ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)).[البقرة: 286]

ووصف سبحانه كتابه الذي جاء بالحق بأنه رحمة، فقـال تعـالى: ((وهـذا كتـاب أنزلنـاه مبـارك فـاتبعوه واتقـوا لعلكم ترحمـون، أن تقولـوا إنما أنـزل الكتـاب على طـائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراسـتهم لغـافلين، أو تقولـوا لو أنا أنـزل علينا الكتـاب لكنا أهـدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة)).[الأنعام: 157]

ويدعو ملائكة الله المقربون-وهم في السماوات-للمؤمـنين-وهم في الأرض-الذين يشتركون معهم في الإيمـان والعمل بـالحق، بـأن يدخلهم الله الجنة ويقيهم السيئات التي تكون سببا في دخول النار، ثم يختمـون دعـاءهم لهم بقـولهم: ((ومن تق السـيئات يومئذ فقد

---

[1] -يجب أن يعلم ابتداء أن الله تعالى ليس كمثله شئ في ذاتـه ولا في أسـمائه ولا في صـفاته: ((قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن لـه كفـؤا أحـد...)) واشـتراك المخلـوق مـع الخالق في الاتصاف بالرحمة ونحوها إنما هو اشتراك لفظي مثل أن يقال: إن الله موجود والمخلـوق موجود، والفرق بين الوجود ين: أن وجود الله ذاتي أزلي أبدي ووجود المخلـوق اسـتمده من الخـالق وهو وجود محدود ببداية ونهاية وغير ذلك.

رحمته وذلك هو الفوز العظيم)).[غافر: 9]
بل إنهم استفتحوا دعاءهم للمؤمـنين بالتوسل إليه برحمتـه، كما قـال تعـالى: ((الـذين يحملـون العـرش ومن حوله يسـبحون بحمد ربهم ويسـتغفرون للـذين آمنـوا ربنا وسـعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم)).[غافر: 7]
ووصف إرســاله نبيه محمد صــلى الله عليه وســلم بأنه رحمة للعــالمين، فقــال: ((وما أرســلناك إلا رحمة للعــالمين)).[الأنبيــاء: 107]
وقال عن نبيه لوط عليه السلام: ((وأدخلناه في رحمتنا إنه كـان من الصالحين)).[الأنبياء: 75]
وقال عن بعض أنبيائه بعد ذكرهم: ((وأدخلنـاهم في رحمتنا إنهم من الصالحين)).[الأنبياء: 86]
وقال عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ((لقد جاءكم رسول من أنفســكم عزيز عليه ما عنتم حــريص عليكم بــالمؤمنين رؤوف رحيم)).[التوبة: 128]
ولشــدة رحمته صــلى الله عليه وســلم بأمتــه، وحرصه على أن يأخذوا منه الحق الـذي جـاءهم بـه، وخشـيته عليهم من البقـاء في الضلال الذي يؤدي بهم إلى سخط الله وأليم عقابه، كان صـلى الله عليه وسـلم يأسف أسـفا شـديدا يُخشى أن يقع بسـببه في الهلاك، ولذلك خاطبه الله تعالى مسليا ومصبرا: ((فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)).[الكهف: 6]
ووصفه الله تعالى هو وأمته بأنهم رحمـاء بينهم، فقـال: ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفـار رحمـاء بينهم)).[الفتح: 29، وشــدتهم على الكفــار إنما هي في الحقيقة من أجل رحمتهم إياهم وشـفقتهم عليهم من أن يموتـوا على كفـرهم فينـالوا عـذاب الله.]
وبرحمة الحق جل جلاله التي وسـعت كل شئ في هـذه الـدنيا-وإن خص بها أهل الحق في الهداية والرضا والثــواب الجزيل يــوم القيامة في الآخـرة-بعث رسـله وأنـزل كتبه وشـرع أحكامه لهداية البشر، وبها جعل الناس والدواب يتراحمون فيما بينهم في حياتهم.
ولكن الرحمة الحقيقية هي تلك الرحمة الــــتي يتصف بها أهل الحق، فتستولي على نفوسهم ومشاعرهم، وتجعلهم في كل لحظة من لحظات حياتهم يشفقون على أهل الباطل الذين قست قلوبهم وخلت من الرحمــة، حـتى على أنفسـهم فأصـروا على رفض الحق ومحاربته ومحاربة أهله والصد عنه، واستكبروا استكبارا.

لـــذلك تـــرى أهل الحق الرحمـــاء يحملـــون الحق إلى النـــاس، ويسابقون به أهل الباطل إلى عقول البشر، ويتحملون من المشاق والمحن والمؤامرات، ما لا تتحمله الجبال الرواسي.

والـــذي يرجع إلى قصص الأنبيـــاء وحـــوارهم مع أممهم ومواقف تلك الأمم من دعوتهم، من التكذيب والاستهزاء والتحقير والتهديـــد، مع صبر أولئك الأنبيـاء وتلطفهم ولينهم وحسن أسـلوبهم، تتـبين له الرحمة التي حلت في قلوب أولئك الرسل لقومهم.

نماذج للرحمة التي يتصف بها أهل الحق.

ويكفي أن نـذكر ثلاثة نمـاذج: اثنـان منهما لنبـيين وثـالث لأحد المؤمنين.

النموذج الأول: نبي الله نوح عليه السلام.

وهو أول رسـول بعثه الله تعـالى للنـاس في عهـده رحمة لهم، فمكث يـدعو قومه ألف سـنة إلا خمسـين عامـا، وهم يجادلونه بالباطل ويسـخرون منه ويحـاولون إدخـال اليـأس إلى قلبـه، وهو يمضي في طريقه صـابرا محتسـبا رحيما بهم شـفيقا عليهم، منوعا أساليبه في دعوتهم، يدعوهم في الليل والنهار، وفي السر والجهر، مرغبا لهم إذا اتبعوه، بالعيش الحسن في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، ومهددا إذا عصوه، بالهلاك في الـدنيا والعـذاب في الآخـرة، والقوم لا يزدادون إلا عنادا واستكبارا، حتى يأتي أمر الله، فيضـطر إلى أن يتعلم النجارة لصـنع سـفينة ينجو فيها بنفسه ومن آمن معه بأمر من ربه، ويرى فلذة كبده وهو يغرق مع أعداء الله.

وقد صورت الآيات القرآنية قصـته تصـويرا مفصلا دقيقا فلنـذكر بعض الآيات بدون تعليق فلا كلام يمكن أن يؤدي معانيها مثلها:

((ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سـنة إلا خمسـين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون)).[العنكبوت: 14]

((بسم الله الرحمن الـرحيم، إنا أرسـلنا نوحا إلى قومه أن أنـذر قومك من قبل أن يـأتيهم عـذاب أليم، قـال يا قـوم إني لكم نـذير مـبين، أن اعبـدوا الله واتقـوه وأطيعـون، يغفر لكم من ذنـوبكم ويـؤخركم إلى أجل مسـمى إن أجل الله إذا جـاء لا يـؤخر لو كنتم تعلمون، قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهـارا، فلم يـزدهم دعـائي إلا فرارا، وإني كلما دعـوتهم لتغفر لهم جعلـوا أصـابعهم في آذانهم واستغشـوا ثيـابهم وأصـروا واسـتكبروا اسـتكبارا، ثم إني دعـوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم وأسـررت لهم إسـرارا، فقلت اسـتغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل جنات ويجعل لكم أنهارا، ما لكم لا ترجـون لله وقـارا، وقد خلقكم أطوارا، ألم تروا كيف خلق الله سـبع سـماوات طباقـا، وجعل القمر فيهن نـورا، وجعل الشـمس سـراجا، والله أنبتكم من الأرض نباتـا، ثم يعيـدكم فيها ويخـرجكم إخراجـا، والله جعل لكم الأرض بسـاطا، لتسـلكوا منها سـبلا فجاجـا، قـال نـوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولـده إلا خسـارا، ومكـروا مكـرا كبـارا، وقـالوا لا تـذرن آلهتكم ولا تـذرن ودا ولا سـواعا ولا يغـوث

ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا، ولا تزد الظالمين إلا ضلالا، مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا، وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا، رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا)). [سورة نوح]

((كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر، ففتحنا أبواب السماء بماءٍ منهمر، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر، وحملناه على ذات ألواح ودسر، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر، ولقد تركناها آية فهل من مدكر)). [القمر: 9-15]

((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(25)أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ(26)فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ(27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ(28)وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ(29)وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(30) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ(31)قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(32)قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ(33)وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(34)أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ(35)وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(36)وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(37)وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ(38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ(39)حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ(40)وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا

بِسْـمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَـاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُـورٌ رَحِيمٌ(41)وَهِيَ تَجْـرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْـزِلٍ يَـابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ(42) قَالَ سَـآوِي إِلَى جَبَـلٍ يَعْصِـمُنِي مِنَ الْمَـاءِ قَـالَ لَا عَاصِـمَ الْيَـوْمَ مِنْ أَمْـرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَـالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ(43)وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَـمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيـلَ بُعْـدًا لِلْقَـوْمِ الظَّالِمِينَ(44)وَنَـادَى نُـوحٌ رَبَّهُ فَقَـالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْـدَكَ الْحَـقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَـاكِمِينَ(45)قَـالَ يا نـوح إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـالِحٍ فَلَا تَسْـأَلْنِ مَا لَيْسَ لَـكَ بِـهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(46)قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِـهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِـرْ لِي وَتَـرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِـرِينَ(47)قِيـلَ يَـانُوحُ اهْبِـطْ بِسَـلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَـاتٍ عَلَيْـكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّـهُمْ مِنَّا عَـذَابٌ أَلِيمٌ(48)تِلْـكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْـكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُـكَ مِنْ قَبْـلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ(49)[سورة هود]

هـذا هو النمـوذج الأول، وهو أول رسـول بعثه الله إلى النـاس ليخرجهم من الظلمات إلى النـور، وهو نـوح عليه السـلام ولـولا ما رزقه الله من رحمة وشفقة وصـبر، لما قـدر أن يسـتمر في دعـوة قومه الذين وقفوا منه هـذه المواقف تلك المـدة الطويلة المديـدة: ((وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِـهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْـفَ سَـنَةٍ إِلَّا خَمْسِـينَ عَامًا فَأَخَـذَهُمُ الطُّوفَـانُ وَهُمْ ظَـالِمُونَ(14)[العنكبـوت] وقصص الأنبياء عليهم السلام-غير نوح-شبيهة بقصته

النموذج الثاني: محمد رسـول الله صـلى الله عليه وسلم.

وهو الـــذي ختم به جميع الرســـل، وختم بكتابه ودينه المفصل الكامل جميع الكتب والأديان رحمة من الله للعالمين.

فقد بعثه صـلى الله عليه وسـلم في وقت أظلمت فيه الآفـاق بالشرك والوثنية والجهل، وانطمست معالم الرسـالات، وكلف تبليغ هذا الدين إلى قومه الأقربين، ثم عشيرته المحيطين به، ثم العـرب أجمعين، ثم أمم الأرض وعظماءها من الأمـراء والسـلاطين، ولقي صـلى الله عليه وسـلم ما لقيه إخوانه المرسـلون، من أقـوامهم الضالين من الأذى والامتحـان، والصد عن سـبيل الله واتبـاع سـبيل الشـيطان، وأوذي معه صـحبه الكـرام الـذين أقـام الله بهم دين

الإسلام.

دعا صـلى الله عليه وسـلم سـرا وعلنـا، وعـرض دعوته على الغـني والفقـير، والقـوي والضـعيف، وهجر بلاده مكة هو وصـحبه عندما سد المشركون أمـام دعوته الأبـواب، وكـانت أحب البلاد إلى الله.

واصل دعوته في المدينة، وهجم عليه المشركون من كل حـدب وصـوب، فجاهد في الله حق جهـاده مـدافعا عن دين اللـه، وقائما بدعوة الله، وسالت دماؤه الزكية وجـرح جسـمه الطـاهر وكسـرت أسـنانه النظيفـة، وقتل كثـير من أصـحابه، مستشـهدين في سـاح الجهاد الـتي اشـترك معهم فيها الملائكة المقربـون، حـتى نصر الله دينه وأعلى كلمته وكان ذلك كله امتثالا لأمر ربه، ورحمة بعبـاد الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور.

ولنقـرأ كـذلك بعض الآيـات في معاناته صـلى الله عليه وسـلم، وكيف وقف قومه المشـركون واليهـود والنصـارى، من الحق الـذي جاء به، وكيف صبر ومضى مشفقا عليهم رحيما بهم.

قال تعالى: ((وَهُوَ اللَّهُ فِي السماوات وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِـرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ(3)وَمَا تَـأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَـةٍ مِنْ ءَايَـاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِـينَ(4) فَقَـدْ كَـذَّبُوا بِـالْحَقِّ لَمَّا جَـاءَهُمْ فَسَـوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِـهِ يَسْـتَهْزِئُونَ(5)أَلَمْ يَـرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَـرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَـلْنَا السَّـمَاءَ عَلَيْهِمْ مِـدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَـارَ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـاهُمْ بِـذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَـأْنَا مِنْ بَعْـدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَـرِينَ(6)وَلَـوْ نَزَّلْنَا عَلَيْـكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ(7) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْـزِلَ عَلَيْـهِ مَلَـكٌ وَلَـوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِـيَ الْأَمْـرُ ثُمَّ لَا يُنْظَـرُونَ(8)وَلَـوْ جَعَلْنَـاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَـاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْـنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ(9)وَلَقَـدِ اسْـتُهْزِئَ بِرُسُـلٍ مِنْ قَبْلِـكَ فَحَـاقَ بِالَّذِينَ سَـخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْـتَهْزِئُونَ(10)قُـلْ سِـيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُـرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَـذِّبِينَ(11)قُـلْ لِمَنْ مَا فِي السـماوات وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَـةِ لَا رَيْبَ فِيهَا الَّذِينَ خَسِـرُوا أَنْفُسَـهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ(12)وَلَـهُ مَا سَـكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(13)قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِـذُ وَلِيًّا فَـاطِرِ السـماوات وَالْأَرْضِ وَهُـوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُـلْ إِنِّي أُمِـرْتُ أَنْ أَكُـونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْـلَمَ وَلَا تَكُـونَنَّ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ(14)قُـلْ إِنِّي أَخَـافُ إِنْ عَصَـيْتُ رَبِّي عَـذَابَ يَـوْمٍ عَظِيمٍ(15)مَنْ يُصْـرَفْ عَنْـهُ يَوْمَئِذٍ فَقَـدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ(16) وَإِنْ يَمْسَسْـكَ اللَّهُ بِضُـرٍّ فَلَا كَاشِـفَ

لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(17)وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ(18)قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19) الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(20)وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(21)وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ(22)ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(23)انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(24) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(25)))[الأنعام]

وقال تعالى: ((ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا، وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا)).[الإسراء: 89-93]

ومع هذه المواقف الجاسية العنيدة التي كان يقفها قومه المشركون منه، كان يحزن لحالهم ويتحسر ويهتم بأمرهم، رحمة بهم وإشفاقا على ما سيلقونه من مصير سيئ في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى له مسليا ومصبرا: ((واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون)).[النحل: 127]

وقال تعالى: ((ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون)).[النحل: 70]

وقال تعالى: ((فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)).[الكهف: 6]

هكذا كان صلى الله عليه وسلم يحزن لحال أمته الذين لم يستجيبوا لدعوته، مشفقا عليهم راغبا في هدايتهم برغم عدائهم وحربهم له ولدينه.

وكان صلى الله عليه وسلم أشد رحمة وشفقة على من آمن به من أصحابه، كما قال تعالى: ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم

عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)).[التوبة: 128والعنت المشقة]

وقال تعالى: ((واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم)).[الحجرات: 7]

وقال تعالى: ((محمد رسول الله والذين آمنـوا معه أشـداء على الكفار رحماء بينهم)).[الفتح: 29]

وقد ضرب لرحمته وشفقته على أمته، مثلا برجـلٍ اسـتوقد نـارا فلما أضاءت جعل الفـراش والـدواب تقع في النـار والرجل يحـاول منعها وحجزها عن النار، وهي تأبى إلا الوقوع فيها.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما مثلي ومثل أمـتي كمثل رجل اسـتوقد نارا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيـه، فأنا آخذ بحجـزكم، وأنتم تقحمـون فيـه..) وفي لفـظ: (مثلي كمثل رجل اسـتوقد نـارا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الـدواب الـتي في النـار يقعن فيهـا، وجعل يحجـزهن ويغلبنه فيتقحمن فيهـا، قـال: فـذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجـزكم عن النـار هلم عن النـار، هلم عن النـار، فتغلبـوني تقحمـون فيهـا..) [مسـلم (4/1789)، والتقحم الإقـدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت، والحجز جمع حجزة وهي معقد الإزار.].

والذي يدرس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما قام به من الدعوة إلى الله بين المشركين وحرصه الشديد على هـدايتهم، وسـيرته صـلى الله عليه وسـلم مع أهله وخَـدَ مه وأصـحابه، يـرى رحمته شاخصة في تلك السيرة العطرة، تتحرك بحركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتحدث بلسانه.

وعلى تلك الرحمة ربى أصـــحابه فكـــانوا يتســـابقون إلى نفع المحتاجين ونصرة الضعفاء.

ويكفي لمعرفة رحمة أبي بكر الصـديق رضي الله عنه برعيتـه، بيانه السياسي بعد بيعته الـــــذي أولى فيه من يســـــتحق الرحمة اهتمامه، حيث خصه بنسبة كبيرة من معاني ذلك البيان نصا، فكـان مما قاله في ذلك البيـان:"والضـعيف فيكم قـوي عنـدي حـتى أزيح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حـتى آخذ الحق منه إن شاء الله.." [تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطي ص69]

وكان-وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم-ووزيـره عمر بن الخطـاب رضي الله عنهمـا، يتسـابقان دون أن يعلم أحـدهما بالآخر لخدمة عجوز كبيرة السن، وكـان الخليفة يسـبق وزيـره إليها

[نفس المرجع: ص80].

النموذج الثالث: مؤمن آل فرعون.

وهو الـــذي انـــبرى محاميا عن موسى عليه الســـلام، ومرغبا فرعـــون وقومه في الاســـتجابة لدعوتـــه، ومرهبا لهم من مخالفته والاعتــداء عليه بالقتــل، في بيــان طويل وجــدال قــائم على الحجة والبرهان والعاطفة والرحمة.

فعنــدما ســمع فرعــون يســتأذن ملأه-وليس اســتئذانه منهم إلا لخداعهم وإظهار أنه يرجع إليهم في الأمــور المهمــة-قــائلا: ((وقــال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبــدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفســـاد)) وســـمع موسى عليه الســـلام وهو يستعيذ بربه-الذي لا ملجأ له سواه-كما قال الله تعالى عنه:((وقــال موسى إني عـــذت بـــربي وربكم من كل متكـــبر لا يـــؤمن بيـــوم الحســاب..)) خــرج ذلك الرجل المــؤمن رضي الله عنه من صــمته وهو من آل فرعـــون-فـــدافع عن موسى ودعا فرعـــون وقومه إلى اتباعه والبعد عن إيذائه، كما قال تعالى: ((وقال رجل مؤمن من آل فرعــون يكتم إيمانه أتقتلــون رجلا أن يقــول ربي الله وقد جــاءكم بالبينــات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صــادقا يصــبكم بعض الذي يعدكم به إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، يا قــوم لكم الملك اليــوم ظــاهرين فمن ينصــرنا من بــأس الله إن جاءنا)) [إلى هنا تظهر رحمة الرجل المـــؤمن بموسى عليه الســـلام، حيث يحذر قومه من قتله بسبب يقتضي مناصرته والاستجابة له، وهو أنه يقول ربي الله، ثم يفترض أنه إما أن يكــون صــادقا-وهــذا هو الــذي يعتقده هذا المحامي-وإما أن يكون كاذبا-حسب زعم فرعون وملؤه فـــإن صـــدق فســـيكون قتلهم له ومحاربة دعوته وبـــالا عليهم، وإن كــذب فــتركهم له لا يضــرهم ويتحمل هو كذبــه، وفي نصــحه هــذه رحمة بهم، ثم يظهر رحمته بهم بأنهم يحرزون الملك وهذا الملك لا يبقى مع الظلم بل ســينزل بهم بــأس الله فــإذا نــزل بهم فلا ناصر لهم، وفي هذا غاية النصح لهم والرحمة بهم.]

((قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. وقال الــذي آمن يا قــوم إني أخــاف عليكم مثل يــوم الأحــزاب مثل دأب قوم نــوح وعــاد وثمــود والــذين من بعــدهم وما الله يريد ظلما للعبــاد)) [وفي هــذا تخويف لهم من عقــاب الله في الــدنيا، وذلك رحمة بهم].

ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مـــدبرين ما لكم

من الله من عاصم ومن يضــلل الله فما له من هــاد)) [وفي هــذا تحذير لهم من عقاب الله لهم في الآخرة، وهو من رحمته بهم]
.إلى قوله تعالى ((وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهـدكم سـبيل الرشــاد))[وهــذا يعــارض قــول فرعــون: ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد.. كما سبق.].

((يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار، من عمل ســيئة فلا يجــزى إلا مثلها ومن عمل صــالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يـدخلون الجنة يرزقـون فيها بغـير حسـاب. ويا قوم مـالي أدعـوكم إلى النجـاة وتـدعونني إلى النـار. تـدعونني لأكفر بالله وأشـرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعــوكم إلى العزيز الغفار، لا جـرم أنما تـدعونني إليه ليس له دعـوة في الـدنيا ولا في الآخـــرة وأن مردنا إلى الله وأن المســـرفين هم أصــحاب النـــار. فســتذكرون ما أقــول لكم وأفــوض أمــري إلى الله إن الله بصــير بالعبـاد. فوقـاه الله سـيئات ما مكـروا وحـاق بـآل فرعــون ســوء العذاب. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)). [الآيات من سورة غافر: 28-48.]

ما أصـعب كلمة الحق أمـام الطغـاة الفراعنـة، وكثـيرا ما يكـون أناس يؤمنون بـالحق الـذي يكفر به الطغـاة الفراعنـة، ويـودون أن يؤمن به أولئك الطغـاة الفراعنة من أهل الباطل وأتبـاعهم، ولكنهم لا يجرءون على الجهر بذلك، فيؤمنون بالحق في أنفسهم ويكتمـون ذلك الإيمان، خوفا من جـبروت الطغـاة الفراعنة وليس عليهم شئ في ذلك الكتمـان اضـطرارا، ولكن الإيمـان عنـدما يقـوى والرحمة بالطغاة وأتباعهم عندما تشتد، وكذلك الرحمة بأهل الحق المهدَّدين بالقتل والأذى، يـأبى ذلك الإيمـان أن يبقى في الصـدور فيظهر في الأفعــال والأقــوال، وتتضــاءل قــوة الطغــاة الفراعنة في نفــوس المؤمـنين الـذين كـانوا يكتمـون إيمـانهم، فيصـدعون بـالحق رحمة بالداعي المغلوب وبالمدعو المعانـد، وهـذا ما حصل من مـؤمن آل فرعون رضي الله عنه وأرضـاه وأكـثر في قصـور الطغـاة الفراعنة من أمثالــه، وهكــذا يكــون أهل الحق رحمــاء فيما بينهم ورحمــاء بغـــيرهم، بخلاف أهل الباطل فالغـــالب فيهم أن تكـــون الرحمة منزوعة من قلوبهم، وبخاصة فيما يعارض مصالحهم-ولو كـانت تلك المصالح ظلما صريحا-وبخاصة مع أهل الحق فإن الغلظة والقسـوة تكون ملازمة لهم في معاملتهم.

أهل الحق يـــدعون أهل الباطل إلى الحق وينصـــحونهم بـــترك الباطل رحمة بهم، وأهل الباطل يحـــاربون أهل الحق وينابـــذونهم

العــداء، ويخرجــونهم من ديــارهم، ويفتنــونهم في دينهم بالضــرب والـرجم والحبس والقتـل، تجـبرا عليهم وقهـرا وإذلالا لهم وقسـوة عليهم.

والتـاريخ البشـري والقـرآن العظيم والواقع المعاصر كلها تـدل على ذلك.

ولو أردنا تتبع ذلك الظلم والقسـوة والقهر الـتي تبـاين الرحمة وتنافيهــا، من القــرآن الكــريم وكتب الســنة، والتــاريخ والواقع المعاصـر، لاحتـاج ذلك منا إلى كتـاب مسـتقل، فلنـذكر نمـاذج من القـرآن الكـريم ونشـير إلى شئ من الواقع للربط بين أهل الباطل في القديم والحديث.

سبق أن أهل الحق تلازمهم صـفة الرحمة في أغلب الأوقـات-هذا إذا كانوا من غير الأنبيـاء، وغـير الأنبيـاء ليسـوا بمعصـومين، أما الأنبياء فلا تفـارقهم سـجية الرحمـة، وأما أهل الباطل فالأصل أنهم غــير رحمــاء، فــإذا ما وجــدت عند بعضــهم بعض معــاني الرحمــة، فالغالب أنها تتعلق بتحقيق مصالح لهم.

ومن مستلزمات القسوة عند أهل الباطل اعتـداء القـوي على الضعيف.

مظاهر الاعتداء.؟؟؟

وللاعتداء مظاهر:

المظهر الأول: إخــراج القــوي الضــعيف من بلــده وداره.

وقد يكون المعتدى عليه من أهل الحق الرحماء الذين يريـدون الخير لذلك المعتدي، كالأنبياء والدعاة من أتباعهم.

فتأمل كيف يتلطف نـبي الله شـعيب عليه السـلام مع قومـه، ويطلب منهم الصبر والمهادنة-إذا لم يستجيبوا لدعوتـه-حـتى يحكم الله بينه وبينهم، وكيف يردون عليه؟

قال تعالى عنـه، وهو يخـاطب قومـه: ((وإن كـان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به، وطائفة لم يؤمنوا، فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)) فيردون عليه في قسـوة وكبريـاء: ((قـال الملأ الـذين اسـتكبروا من قومه لنخرجنك يا شـعيب والـذين أمنـوا معك من قريتنا أو لتعــودن في ملتنا قــال أولو كنا كــارهين)). [الأعراف: 87-88].

بل حكى الله تعـالى عن الكفـار عمومـا، تهديـدهم لأهل الحق

من الأنبياء الرحماء الذين جـاءوهم بالرحمة والخـير، بـإخراجهم من أرضهم، ما لم يتركوا دين الرحمة الذي جاءوهم به ويعودوا إلى ملة الكفر والعـذاب، كما قـال تعـالى: ((وقـال الـذين كفـروا لرسـلهم لنخـرجنكم من أرضـنا أو لتعـودن في ملتنـا، فـأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين)).[إبراهيم: 13].

وقال تعالى عن قوم لوط-وقد دعـاهم لـوط عليه السـلام إلى الطهر والعفة والبعد عن فعل الفاحشة المنكرة-الـذين سـخروا من دعوته لهم إلى التطهر من الفاحشة: ((وما كان جـواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)).[الأعراف: 82]

وقال تعالى-مسليا رسـوله صـلى الله عليه وسـلم وقد أخرجه قومه من أحب بلد إليـه-المسـجد الحـرام-: ((وكـأين من قرية هي أشد قـــوة من قريتك الـــتي أخرجتك أهلكنـــاهم فلا ناصر لهم)). [محمد: 13]

وقــال تعــالى-مبينا مكر قومه به وتــآمرهم عليه بالســجن أو القتل أو الإخراج من بلده: ((وإذ يمكر بك الـذين كفـروا ليثبتـوك أو يقتلـوك أو يخرجـوك ويمكـرون ويمكر الله والله خـير المـاكرين)). [الأنفال: 30]

وقــال تعــالى عن رأس المنــافقين-ومثله رؤوس العلمــانيين المنتسبين إلى الإسلام المحاربين له اليوم-وهو يهدد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بـه، وبخاصة المهـاجرين: ((يقولـون لئن رجعنا إلى المدينة ليخـرجن الأعز منها الأذل، ولله العـزة ولرسـوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون)).[المنافقون: 8]

وقـــال تعـــالى عن نبيه صـــلى الله عليه وســـلم وأصـــحابه المهاجرين الذين أخـرجتهم قـريش من ديـارهم وأمـوالهم وأهليهم: ((أذن للـذين يقـاتلون بـأنهم ظلمـوا وإن الله على نصـرهم لقـدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولـوا ربنا اللـه)).[الحج: 40] وما أشق خـروج الإنسـان-أي إنسـان من منزله وبلاده بـالقوة والإكـراه-وبخاصة عنـدما يكـون إخراجه بسـبب دعوته إلى الحــق، قوما ضلالا متمسكين بالباطل صادين عن الحق، فيخرجونه مقهـورا مظلوما، هو يجاهد في وصـول الخـير إليهم في حـال كونه مشـفقا عليهم رحيما بهم، وهم يصـــرون على إخراجه من ديـــاره، قاســـية قلوبهم لا تعرف الرحمة والرأفة بمن يستحقها.

المظهر الثاني: سجن المعتدى عليه بدون حق.

وهذه العقوبة القاسية تعتبر عند الطغـاة الفراعنة أهل الباطل

تفضلا منهم على أعـــــــدائهم من أهل الحـــــــق، لأن أهل الحق لا يستحقون الحياة، والسجن قد يكون محطة يعبر منها السـجين إلى مشنقة الموت، أو ينسى في السجن نسيان القسـاة الـذين نـزعت الرحمة من قلوبهم.

ففرعون يهدد موسى عليه السلام الرسول الموحد الذي يدعو إلى توحيد الله وعبادته وحـــده، ويحـــذره من أن يعبد إلها غـــيره، ويتوعده بالسجن مع المجرمين من قطاع الطرق وسارقي الأموال وقاتلي النفوس بدون حق، كما قال تعـالى عنـه: ((لئن اتخـذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين)).[الشعراء: 39]

هذا التهديد بالسجن قصد منه إكراه الرسـول الموحد الـداعي إلى التوحيد الـذي هو أصل كل حــق، على الإشــراك بالله وعبـادة الطاغوت الذي هو أصل كل باطل.

ويوسف عليه الســـلام تعـــرض للســـجن، بســـبب تنزهه عن الفاحشة التي طلبتها منه امرأة العزيز في قصر السـلطة، وقصـور طغاة الملوك والزعماء تضـيق بالطـاهرين الـذين يـنزهون أنفسـهم من الفـواحش، ولا يلقي الـترحيب فيها-غالبـا- والتمكين إلا لفسـقه والمجرمون الـذين يحبـون الفاحشـة، لـذلك حـاولت عزيـزة القصر إكراهه على المنكر واتخـذت لـذلك الإكـراه كل وسـيلة، فلما رفض صـاحب الحق طلبها واعتصم بالله طلبت سـجنه، فاسـتجاب لطلبها زوجها الديوثُ وسَـجَنَه، وكـان السـجن أحب إلى صـاحب الحق من أن يستجيب للباطل.

قال تعالى: ((ولقد همت به وهم بها لـولا أن رأى برهـان ربـه، كـذلك لنصـرف عنه السـوء والفحشـاء إنه من عبادنا المخلصـين، واسـتبقا البـاب وقـدت قميصه من دبر وألفيا سـيدها لـدى البـاب، قالت ما جزاء من أراد بأهلك سـوء إلا أن يسـجن أو عـذاب أليم)).[يوسف: 25]

وبعد إقرارها بأنها هي العاصـية وإقرارها بأنها هي الـتي راودته على الفاحشة، صـــدر منها التهديد الظـــالم الـــذي هو عـــادة أهل الباطـل، للمظلـوم الـبريء صـاحب الحـق، كما قـال تعـالى عنهـا: ((ولقد راودته عن نفسه فاستعصـــــم، ولئن لم يفعل ما آمـــــره ليسجنن وليكونن من الصاغرين)).[يوسف: 32]

ووقف صـــاحب الحق عـــالي الـــرأس، مفضلا الســـجن على الاستجابة للمنكر، كما قال تعالى عنه: ((قال رب السجن أحب إليّ مما يـدعونني إليه وإلاّ تصـرف عـني كيـدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين)).[يوسف: 32؟]

ويصــدر الحكم الظــالم من أهل الباطل على الــبريء المظلــوم صاحب الحق، دون رحمة لضعفه ولا تقدير لبراءته كما قال تعــالى: ((ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين)).[يوسف: 35 والآيــات: الأدلة والــبراهين والقــرائن الدالة على براءته واثم العاصية.]

المظهر الثالث: الرجم بالحجارة.

وقد هــدد أهل الباطل بــالرجم رسلَ الحق ودعاته وأهلــه، كما قـال تعـالى عن قــوم نــوح: ((قـالوا لئن لم تنته يا نــوح لتكــونن من المرجومين)).[الشعراء: 116]

وهدد آزر أبو إبراهيم ولدَه إبراهيم بالرجم، كما قال الله تعالى عنه: ((قـال أراغب أنت عن آلهـتي يا إبـراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا)).[مريم: 46]

وحكى الله عن قوم شعيب أنهم لم يــتركوا رجمه إلا خوفا من رهطه، كما قال تعـالى عنهم: ((قـالوا يا شـعيب ما نفقه كثـيرا مما تقول، وإنا لنراك فينا ضعيفا ولــولا رهطك لرجمنــاك، وما أنت علينا بعزيز)).[هود: 91]

ويظهر من بعض الآيات أن موسى عليه السلام هدده فرعــون وملؤه بالرجم فاستعاذ بالله من ذلك، كما قال تعــالى عنــه: ((وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون)).[الدخان: 20]

وذكر تعالى عن بعض الأمم أنها هددت رسلها بالرجم والعذاب المــؤلم، كما قــال تعــالى: ((قــالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهــوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم)).[يس: 18]

رسل الله وأتباعهم من أهل الحــق، يسـعون جـادين إلى إنقـاذ أهل الباطل من ضلالهم الذي يشـقيهم في الــدنيا والآخـرة، شـفقة عليهم ورحمة بهم، وأهل الباطل تتصـلب قلـوبهم وتقسو نفوسـهم، فيهددون من يريد رحمتهم، بالرجم والعذاب الأليم! لأن قلــوب أهل الحق مليئة بالرحمة وقلـــــوب أهل الباطل خالية من الرحمة مليئة بالقسوة.

المظهر الرابع: تقطيع الأطراف والصلب.

وهـذا النـوع من أنـواع الاعتـداء من قسـاة القلـوب-على أهل الباطل والتهديد به أمر شائع في طـواغيت الأرض وفـراعنتهم، وقد هـدد به فرعـون السـحرة الـذين اسـتنجد بهم للانتصـار على آيـات موسى وبراهينه بسـحرهم، فبطل سـحرهم وتسـلل الإيمـان بــرب

موسى ودعوته إلى قلوبهم، فانقلبوا مؤمـنين بـالحق الـذي جـاء به موسى عليه السلام، ضد الباطل الذي كانوا قد نشئوا عليه وأعـانوا عليه فرعـون، وعنـدما ((قـالوا آمنا بـرب العـالمين، رب موسى وهارون)) اشتدت قسوة فرعون فأخذ يعاتب وينكر ويهدد، كما قال تعالى عنه: ((قال فرعـون آمنتم له قبل أن آذن لكم، إن هـذا لمكر مكر تموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين)).[الأعراف: 121-124]

وقـال تعـالى: ((قـال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبـيركم الـذي علمكم السـحر فلأقطعن أيـديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عـذابا وأبقى)).[طـه: 71]

وقال تعالى عنـه: ((قـال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبـيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيـديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين)).[الشعراء: 49]

المظهر الخامس من مظاهر العنف والقسوة: الذبح، وهو أحد أنواع القتل.

وقد كان فرعون-لشدة قسوته-يذبح صغار بني إسـرائيل أمـام أعين آبـائهم وأمهـاتهم، ليستأصل ذريتهم الـذكور، حرصا على ملكه وخوفا متوهما أن يسلبوه ذلك الملك.

قـال تعـالى: ((وإذ نجينـاكم من آل فرعـون يسـومونكم سـوء العـذاب يـذبحون أبنـاءكم ويسـتحيون نسـاءكم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)).[البقرة: 49]

وقال تعالى: ((وإذ قال موسى لقومه اذكـروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)).[إبراهيم: 6]

وقـال تعـالى: ((إن فرعـون علا في الأرض، وجعل أهلها شـيعا يستضعف طائفة منهم، يذبح أبنـاءهم ويسـتحيي نسـاءهم، إنه كـان من المفسدين)).[القصص: 4]

المظهر السادس: التحريق.

ومن أنواع القتل الشنيع الـتي يتخـذها قسـاة القلـوب من أهل الباطل، تحريق أهل الحق بالنار.

كما فعل قوم إبراهيم الخليل عليه السلام-لـولا أن الله تعـالى سلب النار قدرتها على إيذائه بقدرته تعالى.
قــال تعــالى فيهم-بعد أن أقــام إبــراهيم عليه الســلام الحجة عليهم واعــترفوا بأنه على حق وأنهم هم أهل باطل وظلم-((قــالوا حرقــوه وانصــروا آلهتكم إن كنتم فــاعلين، قلنا يا نــار كــوني بــردا وسلاما على إبراهيم)).[الأنبياء: 68-69]
ومن أعظم القصص الدالة على أن أهل الباطل قد نـــــــزعت الرحمة من قلوبهم قصة أصحاب الأخـدود الـتي أشـارت إليها هـذه الآيــات: ((قتل أصـحاب الأخــدود، النــار ذات الوقــود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الــذي له ملك الســماوات والأرض والله على كل شيء شهيد، إن الــذين فتنــوا المؤمــنين والمؤمنــات ثم لم يتوبوا فلهم عــذاب جهنم ولهم عــذاب الحريــق)).[الــبروج: 4، 10 ويمكن مراجعة هذه القصة في كتب التفسير ومنها تفسـير القــرآن العظيم لابن كثير.]

المظهر السابع: القتل بكل الوسائل المؤدية إليه.

وهو شــامل لقتل أهل الباطل أهلَ الحــق، نصــرا للباطل على الحق، ومحاولة لاستئصال مصادر الحق الـتي تـؤدي إلى إبلاغ الحق إلى عقول الناس من أجل أن تخلو الأرض للباطل وأهله.
وشامل كذلك لاعتداء أهل الباطل على الضـعفاء من الصـغار-من أولادهم بسـبب خشـية العـار إن كـان القتل للبنـات، أو خشـية الفقـــر-أو أولاد أعـــدائهم، كما يحصل في الحـــروب، أو من بعض الطغـــاة الفراعنة لأولاد بعض الطوائف المضـــطهدة تحت حكمهم وسيطرتهم، وذلك كله يدل على نزع الرحمة والشـفقة من قلـوبهم فمن النـوع الأول-قتل أهل الحق من الأنبيـاء وأتبـاعهم-قوله تعـالى في اليهود القساة: ((ذلك بأنهم كانوا يكفـرون بآيـات الله ويقتلـون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)).[البقرة: 61]
وقوله تعالى: ((إن الذين يكفرون بآيـات الله ويقتلـون النبـيين بغـير حـق، ويقتلـون الـذين يـأمرون بالقسط من النـاس فبشـرهم بعذاب أليم)).[آل عمران: 21]
وقال تعالى: ((لقد سـمع الله قـول الـذين قـالوا إن الله فقـير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق، ونقول ذوقوا عذاب الحريق)).[آل عمران: 81]
وقال تعالى: ((كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفســهم، فريقا

كذبوا وفريقا يقتلون)).[المائـدة: 70.هـذه الآيـات وغيرها في أهل الكتاب.]

وقال تعـالى في مشـركي قـريش وهم يتـآمرون على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ويطرحـون خيـار اتهم في التخلص منه ومن دعوته-ومن ذلك القتل-: ((وإذ يمكر بك الـذي كفـروا ليثبتـوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خـير المـاكرين)). [الأنفال: 30]

ومن النـوع الثـاني-أي قتل الصـغار-ما كـان يفعله فرعـون مع أولاد بني إسرائيل الذكور، كما مضى قريبا.

ومن ذلك ما كـان يفعله مشـركو قـريش حيث يـذبح الأب ابنه خشية الفقـر، أو ابنته خشـية العـار، وهما ينظـران والأم تبصر قتل رضيعها، دون رحمة ولا شفقة، كما قال تعالى: ((وكذلك زيّن لكثـير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)).[الأنعام: 137]

وقـال تعـالى: ((ولا تقتلـوا أولادكم خشـية إملاق نحن نـرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا)).[الإسراء: 31]

وقال تعالى: ((وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسـودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون)).[النحل: 59]

وقــال تعــالى: ((وإذا المــوءودة ســئلت، بــأي ذنب قتلت)). [التكوير: 8-9]

ترى هل يوجد شيء من الرحمة في قلوب من يقتلــون الأولاد الصغار، سواء كانوا أولادهم أو أولاد أعدائهم؟!

المظهر الثامن: الأذى، بكل أنواعه.

وهو يشمل مظاهر القسوة المذكورة سابقا وغيرها.

وأذى أهل الباطل يشـمل المخلوقـات كلهـا: الإنسـان-وغـيره- سـواء كـان من أهل الحق أو من أهل الباطـل، فصـاحب الباطل القوي يؤذي الضعيف سواء كان من أهل الحق أو من أهل الباطـل، ولكن إيذاءه أهل الحق له الأولوية عنده، وسنقتصر عليه ههنا بـذكر بعض الآيات القرآنية التي نصت على الأذى.

قال تعالى-مخاطبا عباده المؤمنين مصبرا لهم، مبينا لهم، أنهم لا بد أن يتعـرض لهم أعـداء الحق من أهل الباطـل، من اليهـود والنصارى والمشركين سواء، بالأذى الذي يحتاجون معه إلى الصـبر والتقوى في ثباتهم على الحق:

((لتبلـون في أمـوالكم وأنفسـكم ولتسـمعن من الـذين أوتـوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور))[آل عمران: 186]

وقال تعالى-مسليا رسوله صـلى الله عليه وسـلم ومواسـيا له على ما كـان يلقـاه من أذى قومه المشـركين، بما لقيه قبله إخوانه المرسلون من أقوامهم-((ولقد كُذِّبت رسل من قبلك فصـبروا على ما كـذبوا وأوذوا حـتى أتـاهم نصر الله ولا مبـدل لكلمـات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين)) [الأنعام: 34]

وقـال تعـالى لرسـوله صـلى الله عليه وسـلم: ((وَلا تُطِـعِ الْكَـافِرِينَ وَالْمُنَـافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا))[الأحزاب: 48]

كان يمكن الاكتفاء بذكر أن أهل الباطل أعداء الحق قد نزعت الرحمة من قلـوبهم، لأنهم قد تكـبروا وتجـبروا وطغـوا لبعـدهم عن الله وعدم الاستجابة لرسله، ولـذلك هم لا يـدعون شـيئا من أنـواع الأذى إلا أنزلوه بالضـعيف، وبخاصة إذا كـان هـذا الضـعيف من أهل الحـق، كـان يكفي ذكر ذلك والاسـتدلال بآية أو آيـتين بـدون سـوق المظاهر الثمانية المذكورة الدالة على قسوتهم وعدم رحمتهم.

ولكن أردت من سوق هـذه المظـاهر التنبيه إلى شـيء-وليس كل شيء-من قاموس الشر والفتنة الـذي يزاوله أعـداء الحـق، من أهل الباطل ضد أهل الحق من الأنبيـاء والرسل عليهم الصـلاة والسلام وأتباعهم، ليفتنوهم عن دينهم بكل صنوف الأذى، وليصـدوا الناس عن الاستجابة لدعوتهم بغاية القسوة والشدة.

ولو أنا عـدنا إلى التـاريخ لضـرب أمثلة تنـدرج تحت هـذا القاموس وتزيد عليه لما اتسع المقام لذلك.

ولهذا نحاول أن ننبه على الواقع وما يجري فيه من وبال على العالم كله، من قبل الطغاة والفراعنة من أهل الباطل، وبخاصة على أهل الحق من الدعاة الذين امتلأت قلوبهم رحمة ورأفة، فأجهدوا أنفسهم واقتحموا العقبات لإبلاغ الخير إلى أهل الباطل، ليسعدوا بهذا الخير في الدنيا والآخرة، ولكن أهل الباطل وجهوا إليهم سهام العداء والحرب بقسوة بالغة فأنزلوا بهم كل أنواع الأذى والمحن.

نماذج من قساة القلوب في عصر حقوق الإنسان!

لا نريد-كما سبق-تتبع قسوة الطغاة ووحشيتهم التي يعاملون بها الضعيف من قديم الزمان، بسبب فقد قلوبهم الرحمة والرأفة، والاستشهاد على ذلك بحوادث التاريخ، سواء أكان ذلك صادرا من أهل الكتاب، من اليهود و النصارى، أو الوثنيين من مجوس وغيرهم من الهندوس والبوذيين، وسواء عاملوا بتلك القسوة والوحشية دعاة الحق من الأنبياء والرسل واتباعهم، أو عاملوا بها أبناء جنسهم من الكفار، فإن ذلك-لو أردنا تتبعه-من الصعوبة بمكان.

والذي يرغب في الاطلاع على نماذج من قسوة أي أمة من تلك الأمم فإنه واجد في كتب التاريخ القديمة والحديثة ما يغنيه، فهذه الرسالة ليست معنية بذلك، وحسبها أن تشير بسبابتها إلى المكتبات العامة والخاصة، والمكتبات التجارية لمن عنده تلك الرغبة.

ولكنها-أي هذه الرسالة-معنية بذكر نماذج تثبت بها دعواها، وهي أن صفات أهل الباطل الذين يسابقون بباطلهم أهل الحق إلى العقول، هي على نقيض صفات أهل الحق، فإذا كان أهل الحق يتصفون بالرحمة بالخلق، ورحمتهم بهم تحملهم على إبلاغ الحق إلى عقولهم، فإن أهل الباطل يتصفون بالقسوة والغلظة، ولعدم رحمتهم بالخلق يحاولون أن يسبقوا أهل الحق بإبلاغ باطلهم إلى عقول الناس، ويتخذون لذلك كل الوسائل القاسية الغليظة الخالية من الرحمة لذلك السباق.

ولما كانت النماذج المعاصرة، أقرب إلى ذهن القارئ لأنه يراها ويسمع عنها، ويعيش في زمن أحداثها، فإن الاستشهاد بها أقرب إلى إقامة الحجة بها.

وسنعرض هنا خمسة نماذج من قساة القلوب الذين نزعت الرحمة من قلوبهم:

النموذج الأول: قساة القلوب من اليهود.

النموذج الثاني: قساة النصارى.
النموذج الثالث: قساة الوثنيين.
النموذج الرابع: قساة الملحدين.
النموذج الخامس: قساة المنافقين.

النموذج الأول قساة اليهود.

إن الأمة التي تكذب قادة دعاة الحق-الأنبياء والرسل-وتقتلهم، وهم يتوجهــون إليها بــدعوتها إلى الــدخول في رحمة الله بها في الــدنيا والآخــرة، هي أمة بلغت أقصى حد القســوة والغلظــة، وإذا نـزعت الرحمة من قلوبها في معاملتها لأنبيائها ورسـلها، فما الـذي يتوقع منها في معاملتها لغـــيرهم؟ وبخاصة إذا كـــانوا أعــــداءها، وبالأخص إذا كـان أعـداؤها هم المسـلمين الـذين حسـدوا رسـولهم ورسـالته في أول مجيئهـا، وحـاولوا القضـاء عليها في مهـدها بقتل نبيها غيلة، وتأليب قوى الشر في الجزيرة العربية على حملتهـا، بعد نقضهم العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين الرسول صــلى الله عليه وسلم.

فهــاهم اليــوم يغتصــبون بلاد المســلمين-بمعاونة النصــارى-ويقتلون أبنـاءهم، ويسـجنونهم، ويعـذبونهم بأقسى أنـواع التعـذيب، ويخرجـــونهم من ديـــارهم، ويهـــدمون على رؤوســـهم منـــازلهم، ويدنســـون مقدسا تهم-ومنها قبلة المســـلمين الأولى ومســـرى رسولهم صلى الله عليه وسلم-.

وقد اغتصبوا أرض فلسطين سنة 1948م وأخذوا يعيثون فسـادا في البلاد والعباد، ولست بمحاول تتبع معاملتهم القاسية لأهل البلاد من ذلك التــــــاريخ، وإنما أذكر أمثلة قليلة من تلك المعاملة قريبة العهد، قرأها الناس في الصـحف والمجلات، وشـاهدوها في التلفـاز وسـمعوها في الإذاعـة، وأكـثر ما تـذكر ذلك مفصلا وسـائل الإعلام الأجنبية الموالية والمؤيدة لليهود: الأوربية والأمريكية [هذا كان قبل وجـود بعض الفضـائيات العربية الـتي أصـبحت تنقل مجـازر اليهـود للفلسطينيين ساعة بساعة، وفي مواقع الإنـترنت خـير شـاهد على ذلك] وشهادة الأهل على الأهل أقوى حجة من غيرهـا-ومع أن هـذه الإشارة كافية لمن يعيش في هذه الأيام على الكوكب الأرضي، لأن مظـاهر قسـوة اليهـود تعتـبر بدهية عنـدهم، ويكفي أن يُـذَكَّرُوا بها للدلالة على فقد اليهود الرحمة في قلوبهم، أقول مع أن ذلك كـاف فلا بد من ضرب أمثلة لتكون أكـثر تـذكير للحاضر ومرجعا للأجيـال القادمة.

وسأقتصر على بعض الأمثلة بــــذكرها من مرجع واحد وهــــو:

(الانتفاضة المباركة، وقائع وأبعاد)[للكاتب غسان حمدان].
فقد ذكر في الفصل الثـالث من الكتـاب-وعنوانه الإجـراءات الإسرائيلية الإرهابية-: العناوين الآتية:
سياسة القبضة الحديدية.الاعتقالات العشوائية.
مبدأ رابين [كان وزيـرا للـدفاع، ثم أصـبح رئيسا للـوزراء، وقد اغتاله بنو جلدته احتجاجا على ما ظهر لهم من تقارب مع الشـرطة الفلسطينية] في تكسير العظام. تعطيل الخدمات الصحية.
العقاب الجماعي. انتهاك حرمة المقدسات الإسلامية.
الحرب الاقتصادية. اشتراك المستوطنين في القمع.
محاولة كسر الإضراب التجاري. دفن الأحياء.
الاعتداء على المؤسسات التعليمية. هدم ونسف المنازل.
قنابل الغاز السامة. أجهزة عسكرية متطورة.
إبعاد المواطنين خارج فلسطين. الحرب النفسية.
التعتيم الإعلامي.
وسـأقتطف بعض الجمل مما فصل المؤلـف، بعد ذكـره هـذه البنـود قـال: (لم يـترك جنـود الجيش الإسـرائيلي أسـلوبا للتنكيل بالمواطنين إلا وتسابقوا على تنفيذه، حتى وإن أثار إرهابهم العالم-إلى أن قال-: وحـول الأسـاليب القمعية والإجـراءات الـتي اعـترف المجرم شامير[كان رئيسا للوزراء] بأن الجنود كلفوا بتنفيذها، فإنها تحتـاج إلى مجلـدات كبـيرة، ويكفي أن نـورد أبـرز هـذه الأسـاليب مدعمة ببعض الشواهد، على سبيل المثال، لا الحصر:
1-اقتحـام المنـازل بعد فـرض حظر التجـول، وتحطيم الأثـاث وزجاج النوافذ، والعبث بمحتويات المـنزل... بالإضـافة إلى الاعتـداء على الموجودين فيها... رجالا ونساء... كبارا في السن أو صغارا...
2-قذف قنابل الغاز السامة والمسيلة للدموع داخل المنازل... كما عمدت قوات العدو إلى أسـلوب جديد للتنكيل باسـتخدام هـذه القنابـل، حيث يقـوم الجنـود بـإطلاق عـدد من القنابل الغازية والدخانية في المنازل، ثم يجبرون المواطـنين على دخـول المنـازل تحت الضرب الشديد.
3-إطلاق يد حرس الحدود... بأعمال تخريب وإهانة..
4-إخراج الرجال والأطفال من منازلهم وضـربهم ضـربا مبرحا بالهراوات وأعقاب البنادق، ثم ربطهم إلى أعمدة الكهرباء والهاتف والاسـتمرار في ضـربهم إلى أن يفقد الشـخص المربـوط وعيـه، وعندئذٍ يرش عليه الماء البـارد ويعـود الضـرب من جديـد، وقد يلجأ الجنود إلى ضرب رأس المعتقل بالحائط والعمود...

5-استغلال تأخر بعض المواطنين في الوصول إلى منازلهم ليلا، فيقوم الجنود باعتقالهم وتكسير أطرافهم... وإلقائهم في أماكن نائية في الطريق...

6-تجميع أعداد كبيرة من المواطنين ممن يتصادف مرورهم في الشوارع، وحشرهم في محلات تجارية، بعد فتحها بالقوة ثم يقوم الجنود بإلقاء قنابل غاز مسيل للدموع...

ويغلقون أبواب المحال والمواطنون بداخلها...

7-... إلقاء الحجارة أو إطلاق النار على اللواقط الزجاجية للسخانات الشمسية المنصوبة على أسطح المنازل.. وتحطيمها.. إطلاق النار على خزانات المياه لتفريغها من الماء، بهدف تعطيش المجاهدين الصامدين، ووصل الأمر إلى أن يقوم بعض الجنود الذين يحتلون أسطح المنازل والمدارس بالتبول داخل خزانات المياه.. وتحطيم أسقف المنازل المصنوعة من القراميد، ونتيجة لهذا العمل باتت كثير من الأسر الفلسطينية في مخيم جباليا تحت المطر وفي البرد والعراء.

8-ربط بعض الشباب إلى مقدمة سيارات الجيب العسكرية، التي تنطلق بسرعة ثم تتوقف فجأة، مما يؤدي إلى قذف الشخص الذي كان موثوقا إلى مقدمة السيارة مسافة بعيدة عنها، مما يؤدي إلى إصابتهم بجروح وكسور ورضوض في جميع أنحاء الجسم.

9-استخدام الجيش بعض المعتقلين أو المارة دروعا بشرية في مواجهة المظاهرات، وحجارة المجاهدين..

10-إدخال الإطارات المشتعلة إلى منازل المواطنين الذين يرفضون إطفاءها مما يؤدي إلى احتراق المنازل أو أجزاء منها...

11-تجميع المعتقلين في سيارة باص.. والاعتداء عليهم بالضرب، ثم إلقاؤهم واحدا بعد الآخر أثناء سير الباص في أماكن مختلفة...

12-إلقاء مواد تموينية فاسدة، وبخاصة البسكويت والشكلاتة في مداخل القرى والمخيمات-لتقع-تحت متناول الأطفال في محاولة لتسميمهم وقتل أكبر عدد ممكن من أبطال الانتفاضة...

13-قتل الأسرى والمعتقلين.

14-استخدام طائرات الهليكوبتر.. في إطلاق القنابل الغازية والمسيلة للدموع، على جموع المتظاهرين في داخل القرى والمخيمات عند عجز قوات المشاة والآليات في اقتحام مناطق المظاهرات، كما جرى تطوير عدد من هذه الطائرات، حتى تتمكن من إلقاء كمية كبيرة من الحجارة على المجاهدين، حيث زودت

بمدفع قاذف للحجارة... كما تقـوم الطـائرات العسـكرية المروحية بعمليات إنـزال جـوي للمظلـيين في القـرى الـتي يغلق أهلها جميع مــداخلها في وجه الجنــود.. وتســتخدم شــبكة تلقيها من الطــائرة لاعتقال الشباب المجاهد-كما يفعل صيادو الأسماك في البحر-.

بل إن الجنود يحملون المعتقل في الطـائرة ويرمونه من الجو فيصاب بجروح وكسور خطيرة...

15-الانقضاض على من يتم القبض عليهم من الشــباب المجاهد بــالهراوات والعصي وأعقــاب البنــادق، وعلى جميع الأعضــاء في الجسد وخاصة اليدين والقدمين.. وهذا هو مبدأ إسحاق رابين الـذي نعت هــذه العمل بقولــه: (إن هــذا الأســلوب أكــثر فعالية من الاعتقــالات، حيث إن المعتقل في ســجن الفارعة مثلا يمكث.. (18يوما)يعود بعدها إلى الشوارع للتظـاهر وقـذف الحجـارة، أما إذا قام الجنود بكسر يديه فإنه لن يتمكن من العـودة إلى الشـارع قبل شهر ونصف على الأقل..[وقد شاهد العالم في كل مكـان الجنـود اليهود وهم يكسرون عظام الشباب الفلسطيني بالحجارة.]

وهكذا يضـرب الجنـود اليهـود كثـيرا من الشـباب الفلسـطيني حتى يموتوا...

16-يضاف إلى ذلك أنواع أخـرى من التعـذيب الوحشي الـذي يصعب حصـره، وقطع المواصـلات والاتصـالات الهاتفيـة، ومنع إبلاغ المــــواد الغذائية والتموينية إلى المخيمــــات، وقطع الخــــدمات الأساسية، كالكهرباء والماء وتخفيض السيولة النقدية في المنـاطق المحتلة إلى أدنى حد ممكن، ووقف صـــــــــرف رواتب المعلمين والمعلمــات، ورفع الضــرائب المرهقــة، ومنع تصــدير المنتجــات الزراعية لإحداث خسائر فادحة على الفلسطينيين، وإغلاق الأسواق وإتلاف المحاصيل الزراعية، وإغلاق الجامعـات والمـدارس، وتحويل بعض المـدارس إلى ثكنـات عسـكرية وتعطيل الخـدمات الصـحية، ومداهمة المستشفيات والعيادات الصحية.

17-انتهاك حرمات المقدسات الإسلامية:

-تكثيف الوجود العسكري حول المسـاجد وإقامة الحـواجز في الطـرق المؤدية إليها ومضـايقة.. الـذاهبين لأداء الصـلاة بتفتيشـهم ومصادرة هويا تهم-مع السب والشتم المؤذي لمشاعرهم-.

-اقتحام المساجد والاعتداء على المصلين بالضرب بــالهراوات وأعقاب البنادق والركل بالأرجل، ولا يستثنى من هـذا الاعتـداء أئمة المساجد.

-قطع الكهربــاء عن المســاجد قبيل موعد صـلاة الجمعة لمنع

الخطبـاء من التطـرق إلى الانتفاضة الجهادية عن طريق مكـبرات الصوت..
-اعتقال عدد من علماء الإسلام وخطباء المساجد.
-قذف قنابل الغاز داخل المساجد أثناء تجمع المصـلين وإغلاق أبواب المساجد، وأحيانا إطلاق الرصاص على المصلين...
-إغلاق عـدد من المسـاجد ومنع المواطـنين من أداء الصـلاة فيها...
-مصادرة مكبرات الصوت الخاصة بالآذان...
-الاعتداء على كبار العلماء مثل مفتي القدس ومحاولة إحـراق المسجد الأقصى...
-الإذن للعصابات اليهودية بتدنيس المسجد الأقصى.
-تمزيق جنود اليهود أعدادا كبيرة من المصـاحف وسب الـدين الإسلامي...
18-دفن الأحياء من شباب الجهاد.
19-هدم ونسف المنازل.
20-إبعـاد المواطـنين خـارج فلسـطين (إخـراجهم من أرضـهم وديـارهم..)[راجع الكتـاب المـذكور من صـفحة 327، 376 وقد حـاولت أن أسـجل للقـارئ صـور مختصـرة جـدا مع شـيء من التصرف.]
وبمناسـبة ذكر إبعـاد المواطـنين عن ديـارهم وأرضـهم، فـإن المناسب ذكر حادثة حصـلت هـذه الأيـام، وهي حادثة مؤلمة أمـام سمع العالم وبصره، وأمام سـمع العـالم الإسـلامي وبصـره، وأمـام من يسمى بالعالم العربي وبصره.
وخلاصتها:
أن شباب الجهاد (المنتمين إلى منظمة حماس)اختطفوا جنديا يهوديا في الأرض التي احتلها اليهود سنة 1948م وطالبوا بـالإفراج عن زعيمهم المقعد المحكـوم عليه بالسـجن الأسـتاذ أحمد ياسـين مقابل الإفراج عن الجندي اليهودي وحـددوا وقتا معينا لدولة اليهـود وإذا لم يفرجـوا عن الـزعيم المسـلم فـإنهم سـيقتلون الجنـدي اليهودي، وبعد مضي المدة المحددة بفترة قتلـوه ووجـدت القـوات اليهودية القتيل في الضفة الغربية مقتولا فطـارت طـائرتهم بعد أن حملوا حملة اعتقالات وداهموا المدن والقرى والمنازل وقتلوا عددا من شباب فلسطين وجرحوهم قبل العثور على جثة القتيل.
أما بعد ذلك فقد أضـاف اليهـود إلى قسـوتهم قسـوة أشد فأخـذوا آلافا من منـازلهم وزجـوا بهم في السـجون والمعتقلات

واختاروا أربعمائة وخمسة عشر من خيرة رجال الدعوة والجهاد من ذوي المؤهلات العلمية من حملة الدكتوراه والماجستير والليسانس من معلمين وأطباء ومهندسين وكتاب وعلماء شريعة وحملوهم في شاحنات معصوبي الأعين وتعاونت الحكومة اليهودية والمحكمة العليا اليهودية فأصدرت هذه حكمها القاسي الظالم وطرد العدد المذكور ونفذت تلك المحكمة اليهودية الظالمة هذا الحكم الجائر!

وفي الحدود بين ما يسمى بالشريط الأمني الذي اغتصبته الدولة اليهودية من لبنان وبين الحدود اللبنانية، أنزلوا المظلومين وأطلقوا فوق رؤوسهم النار ليدخلوا الأراضي اللبنانية، واستقبلهم الجنود اللبنانيون بالنار من الجهة اللبنانية، فإذا هم على قمة جبل تتساقط عليه الثلوج وهم في العراء في الشتاء القارص، لا طعام، ولا شراب ولا مأوى، ولا غطاء ولا دواء، وكان ذلك في يوم الخميس الموافق ل-23من شهر جمادى الآخرة سنة 1413هـ-17ديسمبر سنة 1992م، وتمكن الصليب الأحمر في الأيام الأولى من مساعدتهم بعدد من الخيام والأغطية والطعام والماء والدواء، ثم تآمر اليهود من الجنوب، والنصارى والعلمانيون من الشمال، على منع أي مساعدات لهم عن طريق أهليهم أو الصليب الأحمر، لا من فلسطين المغتصبة، ولا من لبنان، بحجة أن كل دولة منهما ليست مسؤولة عنهم، أما اليهود فلا يريدون الاعتراف بأن لهم أي حق في المساعدة التي تأتيهم من دولتهم، لأنهم قد أبعدوا إلى خارجها، وأما اللبنانيون فيريدون أن لا يتحملوا تصرفات حكومة اليهود، ويزعمون أن في ذلك ضغطا على اليهود لإعادتهم، فانقطع عنهم كل شيء في ذلك الجبل وفشت في بعضهم الأمراض وصورهم المحزنة تنقل للعالم كله عبر التلفاز، وأصدر مجلس الأمن الأمريكي الذي يُزْعَم له بأنه تابع لهيئة الأمم المتحدة، قرارا يدين الدولة اليهودية ويطلب منها إعادة النظر في قرارها، وبعث النصراني المتعصب الحاقد على الإسلام والمسلمين بطرس غالي أمين عام هيئة الأمم المتحدة، مندوبا عنه إلى دولة اليهود ودولة لبنان للإذن بإسعاف المظلومين، الذين يطلقون عليهم كلمة مبعدين، ولكن كلتا الدولتين ردته على عقبه خائبا وهو يوالي ضحكاته في اجتماعاته مع اليهود واللبنانيين وكأنه بعث لحضور عرس وليس لإنقاذ نفوس.

و هاأنا أكتب هذه الصفحات في يوم الثلاثاء الموافق 5 من شهر رجب سنة 1413هـ-وهم على حالهم من الجوع والعطش

والبرد والمرض وقد مضت عليهم اثنتا عشرة ليلة على تلك الحال، والعالم يتفرج والمسلمون يتفرجون والعرب يتفرجون!.

فهل من قسـوة فـوق هـذه القسـوة اليهوديـة، وهل يمكن أن تكون في قلوب أعداء الله وأعداء رسله رحمة بعد هذه الأعمال[1]؟!

وقد اضـطرت الدولة اليهودية المُغتَصِبَة إلى قبـول عـودتهم، لكـثرة الاحتجاجـات العالميـة، وزجت بكثـير منهم في السـجون بعد أشـهر من الإبعـاد والحرمـان من أي حق يسـتحقه أي حيـوان في الأرض!

هـؤلاء هم اليهــود وهــذا فعلهم بــذرا ري من آووهم وحمــوهم، وفتحــوا لهم أبــواب الاقتصـــاد والعلم والسياسة والحرية العقدية والعبادية من المســـلمين، عنــــدما كــــان النصــــارى يتتبعــــونهم ويضــطهدونهم، ويــنزلون بهم أنــواع النكــال فيجــازون الآن أبنــاء المسلمين الذين أحسنوا إليهم كما يجزى سنمار[راجع كتـاب: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية لعبد الله التل لمعرفة ما واجهه اليهــود من مطــاردة وقتل وتشــريد في الــدول الأوربيــة، وبخاصة بريطانيا وفرنسا وأسـبانيا وألمانيا وغيرها كبولنــدا وإيطاليا ورومانيا وبلغاريا وسويسـرا وهنغاريـا، وفي روسـيا أيضـا، كل ذلك بسبب ما عرفه العالم من مكر اليهود وخبثهم ومحاولتهم السيطرة على غــيرهم واســتعباد الشــعوب. ولم يجد اليهــود من يجمعهم ويرعـاهم ويحسن إليهم إلا المسـلمون في أسـبانيا ثم في البلـدان الإسلامية في الشرق راجع الكتاب المذكور من ص 106-120. دار القلم الطبعة الثانية.]

وكان ينبغي أن يعتبر اليهود بما نـالهم من عـذاب وقسـوة من عهد فرعون إلى عصرنا هذا، ويقدروا صفة الرحمة الـتي كـانوا في أمس الحاجة إلى من يعاملهم بها فيـدربوا أنفسـهم على اكتسـابها-وإن كــانت مفقــودة في قلــوبهم-ولكنهم لم يعتــبروا، بل لا زالت قلوبهم تقسو وتزداد غلظة كلما زادت قوتهم وسيطرتهم.

كانت كتابة هذه السطور قبل تسع سنين. وقد اشـتدت المحنة على إخواننا الفلسـطينيين، بعد قيـام الحـرة الجهادية الثانيـة-حركة الأقصى-الـتي أشـعل فتيلها المجـرم شـارون، عنـدما دنس بدخوله باحة الأقصى بحماية الجيش اليهــودي، بتــاريخ1/7/1421هـــ ـــ 28/9/2000م قبل أن يكــون رئيسا للــوزراء، وهو اليــوم[بعد أن أصــبح رئيسا للــوزراء] يعيث في الأرض المباركة فســادا لا يخفى

---

[1] -هذه الحادثة لا تحتاج إلى ذكر مرجع، ويكفي أن يعـرف القـارئ التـاريخ ثم يضـع يـده على أي جريدة أو مجلة في أي بلد وبأي لغة ليقرأ تفاصيل القصة، والذي يشاهد التلفاز لا يحتـاج إلى قـراءة، والذي سيقرأ القصة في المستقبل يستطيع البحث عن شريط فيديو ليرى ما رأينا.

على أهل الأرض جميعـــا، بعـــون ومـــدد من الدولة الصـــليبية المعاصـرة[أمريكـا] وحلفائها الأوربـيين، مع خـذلان زعمـاء العـالم الإسلامي، وبخاصة زعماء العرب للمظلومين من أبناء هذا الشـعب المجاهد المسلم، وكأن الأمر لا يعني هؤلاء الزعماء، الذين سيتفرغ لهم اليهـود بعد القضـاء على الشـعب الفلسـطيني وتشـريده من أرضه[نرجو الله ألاَّ يحصل ذلك] وسيقول كب زعيم عندئـذ: أكلت يوم أكل الثور الأبيض!

هؤلاء هم اليهود، فما نصيب النصارى من الرحمة؟!

النمـوذج الثـاني: قسـاة النصـارى في العصـور الماضية.

من الصـعب جـدا تتبع الأمثلة الدالة على أن الرحمة قد نـزعت من قلـوب زعمـاء النصـارى وكثـير من مفكـريهم، وأن القسـوة والغلظة والوحشية قد حلت محلها، ويكفي المرء دليلا على ذلك أن يتتبع ممارساتهم في هذا العصر، في مشارق الأرض ومغاربهـا، عن طريق أجهزة إعلام النصارى أنفسـهم-وما يخفونه أكـبر-وبخاصة ما يسومون به المسلمين من قتل وتشريد وظلم متعمد.

وسأكتفي بمثالين بارزين قـديمين دالين على قسـوة كثـير من النصـارى ووحشـيتهم وغلظ قلـوبهم وخلو قلـوبهم تلك من الرحمـة، قبل أن أنتقل إلى ذكر بعض الأمثلة المعاصرة الدالة على ذلك.

المثال الأول:

معاملة النصـارى في الأنـدلس للمسـلمين الـذين أسسـوا في بلادهم-عنـدما فتحوهـا-حضـارة لم تعهـدها أوروبا ولا غيرها من بلاد العالم، حتى أشرقت أنـوار تلك الحضـارة على أوروبـا، وكـانت هي منطلق التقدم المادي الـذي نشـاهده الآن في الغـرب، ولو أن أهل الغـرب أخـذوا بتوجيه المنهج الإسـلامي كلـه، لكـانوا حملة راية الإسلام وقادة المسلمين في العالم كله.

وشهد شاهد من أهلها.

وسـأنقل نصا فيه شـيء من الطـول لهـذا المثـال، من كتـاب لمؤلف غـربي حـتى ينطبق عليه المثل القـرآني السـائر: ((وشـهد شاهد من أهلها...))[يوسف: 36].

قال غوستاف لوبون: (وعاهد فرديناند[نصراني أسباني كاثوليكي

استولى على أخر مملكة إسلامية وهي غرناطة سنة 1492م.] العرب على منحهم حرية التدين واللغة، ولكنه في سنة 1499م، لم تكد تحل حتى حل بالعرب دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قرونا، والذي لم ينته إلا بطرد العرب من أسبانية، وكان تعميد العرب كرها فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهر بالنار إلا بالتدريج، لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة، ونصح كردينال طليطلة التقي! الذي كان رئيسا لمحاكم التفتيش، بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالا ونساء وشيوخا وولدانا، ولم ير الراهب الدومينيكي "بليدا" الكفاية في ذلك، فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي على دينه منهم، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب إذن، قتل جميع العرب بحد السيف، لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ويُدخِل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، ولم تر الحكومة الأسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكي الذي أيده الأكليروس في رأيه، لما قد يبديه الضحايا من مقاومة، وإنما أمرت في سنة 1610م بإجلاء العرب عن أسبانية، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع "بليدا" ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم، وهو الذي قتل مائة آلف مهاجر من قافلة واحدة، كانت مؤلفة من أربعين ألفا ومائة ألف مهاجر (140000)مسلم حينما كانت متجهة إلى إفريقية.

وخسرت أسبانية بذلك مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر، ويقدر كثير من العلماء، ومنهم "سيديو" عدد المسلمين الذين خسرتهم أسبانية منذ أن فتح "فرديناند" غرناطة حتى إجلائهم الأخير بثلاثة ملايين، ولا تعد ملحمة سان باتلمي إزاء تلك المذابح سوى حادث تافه لا يؤبه له.

ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين.

ومما يرثى له أن حرمت أسبانية عمدا، هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت لهم إمامة السكان الثقافية.. والصناعية..

وسيرى القارئ في الفصل الذي خصصناه للبحث في وارثي العرب، مقدار الانحطاط الذي أسفر عن إبادة العرب، وإذا كنت قد أشرت إلى هذا هنا فلأن شأن العرب المدني لم يبد في قطر ملكوه كما أبيد في أسبانية، التي لم تكن ذات حضارة تذكر قبل

الفتح العـربي، فصـارت ذات حضـارة ناضـرة في زمن العـرب، ثم هبطت إلى الـدرك الأسـفل من الانحطـاط بعد جلاء العـرب، وهـذا مثــال بــارز على ما يمكن أن يتفق لعــرق من التــأثير...)[كتــاب حضـارة العـرب، للـدكتور غوسـتاف لوبـون، ترجمة عـادل زعيـتر، الطبعة الرابعة ص 270، 272 وراجع الفصل الذي يليه لمعرفة أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا.].

المثال الثاني:

ومما يــدل على قســوة كثــير من النصــارى ووحشــيتهم وخلو قلــوبهم من الرحمــة، ما عــاملوا به المســلمين في بعض الحــروب الصليبية.

وأنقل في ذلك نصا فيه شيء من الطول كـذلك لنفس الكـاتب: "غوستاف لوبون" الذي قال:

(ويدل سـلوك الصـليبيين في جميع المعـارك على أنهم من أشد الوحــوش حماقــة، فقد كــانوا لا يفرقــون بين الحلفــاء والأعــداء، والأهلين الْعُزل والمحاربين، والنساء والشيوخ والأطفال، وقد كـانوا يقتلون وينهبون على غير هدى.

ونــرى في كل صـفحة من الكتب الـتي ألفها النصـارى في ذلك الزمن بـراهين على تـوحش الصـليبيين، ويكفي لبيـان ذلك أن ننقل الخــبر الآتي الــذي رواه الشــاهد الــراهب "روبــرت" عن ســلوك الصـليبيين الحربية [الصـواب أن يقـال: (الحـربي) لأنه نعت حقيقي لسلوك، وهو مفرد، ونعت المفرد يكون مفردا.] وذلك بالإضافة إلى ما حدث حين الاستيلاء على القدس.

قال المؤرخ الراهب التقي! روبرت:

" وكـان قومنا يجوبـون الشـوارع والميـادين وسـطوح الـبيوت، ليرووا غليلهم من التقتيـل، وذلك كـاللبؤات الـتي خطفت صـغارها، وكــانوا يــذبحون الأولاد والشــبان والشــيوخ ويقطعــونهم إرْبا إرْبــا، وكانوا لا يستبقون إنسانا، وكانوا يشـنقون أناسا كثـيرين بحبل واحد بغية السرعة، فيا للعجب ويا للغرابة أن تـذبح تلك الجماعة الكبـيرة المسـلحة بأمضى سـلاح من غـير أن تقـاوم![يبـدو أنه يسـتبعد أن يكون هؤلاء الضحايا مسلحين، لأنهم لو كانوا مسـلحين لـدافعوا عن أنفسهم.]

وكان قومنا يقبضـون على كل شـيء يجدونـه، فيبقـرون بطـون الموتى، ليخرجوا منها قطعا ذهبية، فيا للشره وحب الذهب! وكانت الدماء تسيل كالأنهـار في طـرق المدينة المغطـاة بـالجثث فيا لتلك الشعوب العمي المعدة للقتـل! ولم يكن بين تلك الجماعة الكـبرى

واحد ليرضى بالنصرانية دينا، ثم أحضر "بوهيموند" جميع الذين أعتقلهم في برج القصر، وأمر بضرب رقاب عجائزهم وشيوخهم وضعفائهم، وبسوق فتيانهم وكهولهم إلى إنطاكية لكي يباعوا فيها...". إلى أن قال:

"وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة عمر بن الخطاب نحو النصارى حين دخلها منذ بضعة قرون، قال كاهن مدينة "لوبوي" "ريموند داجي": حدث ما هو عجب بيد العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم.فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم(!) وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من على الأسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا...".

وروى ذلك الكاهن الحليم خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر، فعرض الوصف اللطيف الآتي:

" لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك، وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذي أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة..."[المرجع السابق: ص325، 327.]

قسوة النصارى ووحشيتهم في هذا العصر.

أما الأمثلة على قساوة قلوب النصارى وغلظتهم ووحشيتهم في هذا العصر وبخاصة على المسلمين، فالكرة الأرضية كلها تشهد بها وتئن من وطئتها، وساكنو هذا الكوكب يقرؤون ذلك ويسمعونه ويشاهدونه في كل مكان[لا نريد الحديث عن الفظائع التي أرتكبها النصارى في القارات التي احتلوها بالكامل وقضوا على سكانها بدون رحمة وجعلوا من بقى منهم ذليلا مهانا أقل عندهم من رتبة الحيوان، كما هو الحال في أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا، ولا الحديث عن تجارة الرقيق التي عمت أقطار إفريقية وأسهمت فيها كل دول النصارى فهذا أمر يطول (راجع كتاب إفريقيا الإسلامية للدكتورة عنايات الطحاوي ص 231).].

فقد عاثت الدول النصرانية فسادا، اعتدت فيه على ما اتفقت

الأمم على وجوب حفظه، من الضـرورات الـتي لا تحـيى تلك الأمم إلا بحفظهـا، وهي: النفـوس والعقـول والنسل والمـال-إضـافة إلى الدين ومن أمثلة ذلك:

أولا: في القارة الإفريقية:

فقد تـداعت دول أوروبا النصـرانية على البلـدان الإفريقيـة، في شمالها وجنوبها وشـرقها وغربها ووسـطها، وتقاسـموها فيما بينهم-على شـدة الاختلافـات السـائدة بينهم-وأنزلـوا بسـكانها من الـدمار والهلاك، ما تتورع عنه الوحوش في غاباتها، قضـوا في كل بلد على زعمائه وقادته وسـفكوا دمـاء الآلاف من أبنائـه، بـدون تفرقة بين الرجال والنساء، والشيوخ والكهـول والشـباب والأطفـال، وشـردوا الآلاف المؤلفة، وحرموا من بقي في البلاد من أقل حقوق الإنسـان التي يتشدق النصارى بالـدعوة إليهـا، فـأذلوا بـذلك سـكان البلـدان الإفريقية كلهم واسـتعبدوهم ونهبـوا خـيراتهم، كل ذلك باسم الاستعمار والتحرير.

في شمال إفريقيا:

فقد نقل الأمير شكيب أرسلان عن بعض المراسلين الأوروبـيين الذين رافقوا الجيـوش الإيطالية عنـدما اغتصـبت ليبيا شـيئا، يسـيرا مما ذكره أولئك المراسـلون وشـاهدوه من أعمـال غـزاة النصـارى الوحشية، فقال:

(وليس المسلمون وحـدهم هم الـذين شـاهدوا أعمـال الطليـان وضجوا منها، بل ثمة كثير من الإفرنج شاهدوها وأنكروها، ومن ذلك المسـتر "فرانسس مـاكولا" الإنجلـيزي الـذي كـان مرافقا للجيش الإيطالي في طرابلس عند الاحتلال وشاهد تلك الفظائع بعينه، فقد قال: "أبيت البقاء مع جيش لا هم له إلا ارتكاب جـرائم القتـل، وإن ما رأيته من المذابح، وتـرك النسـاء المريضـات العربيـات وأولادهن يعالجون سكرات الموت على قارعة الطريق جعلني أكتب للجنرال "كانيفا" كتابا شديد اللهجة، قلت لـه: إني أرفض البقـاء مع جيش لا أعده جيشا، بل عصابة من قطاع الطرق والقتلة).

(ومن ذلك شهادة الكاتب الألماني "فون غوتبرغ" الـذي قـال: " إنه لم يفعل جيش بعـدوه من أنـواع الغـدر ما فعله الطليـان في طرابلس، فقد كان الجنرال كانيفا يستهين بكل قانون حربي، ويأمر بقتل جميع الأسرى، سواء أقبض عليهم في الحـرب أو في بيـوتهم، وفي سيراكوزه الآن كثـير من الأسـرى الـذين لم يؤسر واحد منهم في الحـرب، وأكـثرهم من الجنـود الـذين تركـوا في مستشـفى

طرابلس.
وقد قبض الطليـان على ألـوف من أهل طـرابلس في بيـوتهم ونفوهم، بدون أدنى مسوغ إلى جزر إيطاليا حيث مات أكـثرهم من سوء المعاملة.
وأقر ما قاله "هرمان رنولوف" المراسل النمساوي الحربي فقد وجد في البـاخرة الـتي نقلت جانبا من هـؤلاء الأسـرى فوصف تلك الحالة، فقال:
" في الساعة السادسة من مساء كل يوم يكبل هـؤلاء المرضى بالحديد في اليد اليمـنى والرجل اليسـرى، حقا إن موسـيقى هـذه السلاسل تتفق مع المدنية الـتي نقلتها إيطاليا إلى إفريقيـا، لا ريب أن الطليـان قد أهـانوا كثـيرا، فلم يكف أنهم أسـقطوا منزلة أوروبا العسـكرية في نظر إفريقيـا، حـتى شـوهوا اسم النصـرانية أمـام الإسـلام "ثم قـال:" وقد قتل الطليـان في غـير ميـدان الحـرب كل عربي زاد عمره على أربع عشرة سنة، ومنهم من اكتفوا بنفيه.
وأحـرق الطليـان في 26 أكتـوبر سـنة 1911م حيا خلف بنك روما، بعد أن ذبحوا أكـثر سـكانه بينهم النسـاء والشـيوخ والأطفـال "قال:" ورجوت طبيبين عسكريين من أطباء المستشفى، أن ينقلوا بعض المرضى والمصـابين المطـروحين على الأرض تحت حـرارة الشـمس فلم يفعلا، فلجـأت إلى راهب من كبـار جمعية الصـليب الأحمـر، هو الأب "يوسف بـافيلاكو" وعرضت عليه الأمـر، وأخـبرت شابا فرنسـيا أيضـا، لكن الأب "بـافيلاكو" حـول نظـره عـني ونصح الشاب بأن لا يزعج نفسه بشأن عربي في سكرات الموت، وقـال: "دعه يموت".
قلت (القائل هو الأمير أرسـلان): "ليتأمل القـارئ أن هـذا الـذي يقول هذا القول هو قسـيس يـزعم أنه ممثل المسـيح على الأرض، وأنه من رجال الصليب الأحمـر، أي الجمعية الـتي تـزعم أنها تخـدم الإنسـانية بلا اسـتثناء" ثم قـال هـذا المراسل النمسـاوي: "ورأيت على مسافة قريبة جنديا إيطاليا يرفس جثة عـربي برجلـه، وصـباح اليوم التالي وجدت الجـرحى والمرضى الـذين رجـوت الـراهب من أجلهم قد مـــاتوا..." ثم قـــال: "رأينا طائفة من الجنـــود تطـــوف الشوارع مفرغة رصاص مسدسـاتها في قلب كل عـربي تجـده في طريقها، قد نزع أكثرهم معاطفهم، ورفعوا أكمـام قمصـانهم كـأنهم جزارون......".
وقال مراسل التـايمز يومئـذٍ قلت [القائل هو شـكيب أرسـلان]: ولا يجوز أن ننسى أن غارة إيطاليا على طرابلس كانت بالاتفاق مع

فرنسا وإنجلترا، استرضـاء لإيطاليا على إثر تقاسم إنكلـترا وفرنسا مصر والمغرب-: "إن قسـوة الانتقـام الـتي اسـتعملها الطليـان في وقعة يـوم الاثـنين يليق أن يقـال عنها إنها أعمـال قتل عـام، فقد فتكوا بكثير من الأبرياء، وستبقى ذكرى هذا الانتقام زمنا طويلا".

وقال المسي كسيرا مراسل جريدة " إكسليسيور" الباريسـية:" لا يخطر ببـال أحد ما رأينـاه بأعيننا من مشـاهد القتل العـام ومن أكوام جثث الشيوخ والنساء والأطفـال، يتصـاعد منها الـدخان تحت ملابسـهم الصـوفية كـالبخور يحـرق أمـام مـذبح من مـذابح النصر البـاهر، ومـررت بمائة جثة بجـانب حائط قضي عليهم بأشـكال مختلفة.

وما فررت من هذا المنظر حتى تمثلت أمـام عيـني عائلة عربية قتلت عن آخرها، وهي تستعد للطعام، ورأيت طفلة صـغيرة أدخلت رأسها في صندوق حـتى لا تـرى ما يحل بها وبأهلهـا. إن الإيطـاليين فقـدوا عقـولهم وإنسـانيتهم من كل وجـه"....)[حاضر العـالم الإسلامي (264-128) ذكر فيها الأمير شكيب أرسلان من الفظـائع الوحشية التي قام بها النصارى الإيطاليون ما لا يكاد يصـدقه العقل فراجع ذلك إن شئت والتاريخ الإسلامي (14/24).].

هذه نصـوص مختزلة لبعض المراسـلين الأوروبـيين عن وحشـية النصـارى وقسـاوة قلـوبهم وخلوها من الرحمـة، في بلد واحد وهو ليبيا ومن جيش بلد أوروبي نصـراني واحـد، هو الجيش الإيطـالي برضا الـدول النصـرانية الأخـرى في أوروبـا، وهو مثـال ينطبق على كل البلدان التي اغتصبها النصارى في إفريقيا-وغيرها-.

والعـالم كله يعـرف غلظة النصـارى الفرنسـيين وقسـوتهم ووحشيتهم الـتي عـاملوا بها الشـعب الجزائـري الـذي قـدم مليـون شهيد، في سبيل إزاحة نير أولئك القساة من على كاهلـه، مع إهانة مقدسـاته والاعتـداء على مسـاجده، الـتي حولوها إلى كنـائس ودنسوها بالشرك بـدلا من التوحيد الـذي كـان يعمرها[راجع كتـاب: الاسـتعمار أحقـاد وأطمـاع للأسـتاذ محمد الغـزالي ص37. وراجع كذلك التاريخ الإسلامي 14/229 وما بعدها لمحمود شاكر.].

وحدث عن قسـوة النصـارى واليهـود مجتمعين على المسـلمين اجتماعا مباشرا، كما حصل من بريطانيا وفرنسا ودولة اليهـود على مصر المسلمة، ولا حرج.

واقرأ السطور القليلة الآتية التي سطرها الشيخ محمد الغـزالي (رحمه الله) عن العدوان الثلاثي على مصر سنة:

قال: "وإني ساعة كتابة هـذه السـطور أسـتمع إلى رواية شـاهد

عيان يصف غزو الحلفاء الثلاثة: إنجلترا وفرنسا وإسرائيل لمدينة ,, بور سعيد،، قال: بذل الأهلون قصارا هم في رد الجنود الهابطين بالمظلات، واستطاعوا مغالبة الأفواج الأولى منهم، بيد أنهم بوغتوا بمئات الطائرات ترجم المدينة بقذائفها الحارقة، وكان الأفق مليئا بهذه الأسراب المغيرة، تغدو وتروح، وهي تفرغ الهلاك في كل مكان!

خمسمائة غارة في هذا اليوم الأغبر-كما نطقت بذلك بلاغات العدو-وانضمت سفن الأسطول إلى هذا الهجوم، فأخذت تطلق مدافعها على المدينة اللاغبة، فرئيت القصور والنار تخرج من نوافذها، ثم ما هي إلا لحظات حتى تندك فوق رؤوس ساكنيها.

وسرى الرعب إلى الحيوانات التي تقطن المدينة، فانسابت تجري في شو راعها على غير هدى، غير أن الرصاص المنهمر لا يدعها تصل إلى مهرب، فأين المهرب للإنسان والحيوان في هذا البلاء المحيط؟ ولذلك تجاورت في الميادين والأزقة جثة كلب شارد وإنسان بائس... وكانت الجثث المتناثرة كأوراق الشجر الساقطة في فصل الخريف، تكسو الأرض المخضبة في منظر يثير اللوعة وأحيانا تجد كوما من الموتى وقع بعضهم على بعض فتتساءل: أركِموا هكذا بفعل فاعل؟... لله كم هي رخيصة دماء أولئك المسلمين؟!؟[الاستعمار أحقاد وأطماع ص 130، 131.]

أما ما فعله الاستعمار الفرنسي ثم الاستعمار الإنجليزي في مصر فله شأن آخر وكذلك في السودان.[راجع شيئا من فظائع الفرنسيين في مصر في نفس الكتاب ص 152، 169.]

في شرق إفريقيا:

ولا يختلف ظلم النصارى الأحباش، وبخاصة في عهد الطاغية هيلاسلاسي، عن ظلم النصارى الأوروبيين للمسلمين وقسوتهم، إلا في أن ظلم نصارى الحبشة وقهرهم للمسلمين مستمر طويل لأنه صادر من قساة قلوب حاكمين من أهل البلاد أنفسهم، أما الأوروبيون فاغتصابهم للبلاد طارئ، ومقاومة الطارئ مهما عتي وتجبر أخف من مقاومة طاغ أصيل في البلاد، يمكنه أن ينال عون الظالم الأجنبي الطارئ، كما حصل لوحش الحبشة الذي أيدته جميع الدول النصرانية في الغرب، لإنزال الضربات القاسية على المسلمين قتلا وتشريدا وإذلالا واعتداء على كل ضرورات الحياة، هذا مع أن نسبة المسلمين في البلاد تفوق نسبة غيرهم، ولكن عدوهم ينكر ذلك ويدعي العكس، وتعدت قسوتهم حدود الحبشة إلى الأوغادين الصومالية.

فكم قتلوا من النفوس وكم هـدموا من القـرى وكم شـردوا من البشر [اقرأ في ذلك المرجع السابق من ص71، 106.]

أما "إريتريـــا" المســـلمة فقد دمروها وأحرقوها حرقا وأبـــادوا شعبها إبادة جماعية، برغم مقاومته الباسلة.

يقول هارون آدم علي: " تمكنت حركة الكفاح المسـلح للشـعب الإريـتري في الفـترة من 1381هــ-1386هـــ من تصـعيد عملياتها الجهادية بأسـلوب حـرب العصـابات، حـتى اسـتطاعت اسـتقطاب الجماهير في الريف الإريـتري، وأصـبحت عملياتها العسـكرية تقض مضـــاجع الاســـتعمار الأثيـــوبي... (و) جن جنـــون الإمـــبراطور هيلاسلاسي، فأمر قواته بالزحف على الريف الإريتري معقل الثـوار بـرا وجـوا للقضـاء على اليـابس والأخضـر، دون تميـيز بين الثـوار والشـعب الأعـزل من النسـاء والأطفـال، بل أمر جنـوده بإبـادة ما يصادفونه من المواطنين بالرصاص وإضرام النار في المنازل، حيث عمت البلاد في عـام 1387هـــ سلسـلة من المجـازر البشـرية ما تفوق في قسوتها مجـازر دير ياسـين بفلسـطين وشـارب بفيل في جنـوب إفريقيـا، إذ سـقط خلال عـدة شـهور من القصف الجـوي الأثيـوبي أكـثر من 60 ألف مـواطن، جلهم من النسـاء والأطفـال والكهول، ودمرت أكـثر من 1500 قريـة، وقتل ما يقـارب المليـون رأس من الـثروة الحيوانيـة، بالإضـافة لانتهـاك الحرمـات وعمليـات النهب والسلب والتدمير التي مارستها قـوات الاحتلال الأثيـوبي ضد الشـعب الإريـتري..."[واقــرأ كــذلك: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ص 178، 184.]

ولا زال المســـلمون في إريتريا يعـــانون عنتا من النصـــارى، وبخاصة بعد اســتيلاء الحــزب النصــراني على البلاد الآن، بقيــادة أسياسي أفورقي الذي ارتمى في أحضـان اليهـود وأنـزل من الأذى والتشريد بالمسلمين ما يندى له الجبين.

ولعل هذه النماذج لقسوة النصارى في شـمال إفريقيا وشـرقها كافية لليقين بـأن هـؤلاء الأجلاف العتـاة الـذين يزعمـون التمـدن وحماية حقوق الإنسـان و إعمـار الأرض وتحضـير النـاس والارتقـاء بهم، قد نزعت الرحمة من قلوبهم.

ولا داعي لزيــادة ذكر نمــاذج في بقية بلــدان إفريقيا في غربها ووسـطها وجنوبهـا، فالنمـاذج متقاربـة، ولكن يضـاف إلى أعمـال الغاصـبين الأوروبـيين في غــرب إفريقيا ووســطها، أنهم اتخــذوا الجنس البشري بضاعة مزجاة، إذ كانوا يصطادون أهل البلاد رجــالا ونساء وصغارا وكبارا بأعداد هائلة ويملئـون بهم السـفن الـتي تبحر

بهم إلى بلدان أوروبا وأمريكا، ليبيعوهم عبيدا بأبخس الإثمان، حيث يستعبدهم الجنس الأبيض ويرهقهم بالأعمال الشاقة، ليجود عليهم بلقمة العيش التي يبقون بها أحياء يكدون ويكدحون في المزارع والمصانع، ويعاملونهم معاملة أدنى من معاملة الحيوان، فلا يساكنونهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم، ولا يسمحون لهم أن يلبسوا مثل لباسهم، ولا يركبوا مركوبا تهم، ولا يأذنون لهم بتلقي التعليم مثلهم، وعندما انفرج الأمر قليلا أذن لهم بالتعليم في مدارس خاصة بهم لا يختلطون بالبيض في مدارسهم.

وكان كثيرا من هؤلاء الأفارقة مسلمين.

ولم تلغ التفرقة العنصرية البغيضة قانونا إلا بعد كفاح مرير ومعاناة شديدة مروا بها.

ولا زال الاحتقار عمليا موجودا ضد الأفارقة في أمريكا، وكان أول حصن يحتمون به من تلك التفرقة العنصرية ويكافحون الجنس الأبيض انطلاقا منه، هو الإسلام الذي اعتنقه أليجا محمد من أجل تحرير قومه من ذلك الظلم الغاشم، وكان فهمه للإسلام فهما منحرفا، وبعد وفاته خلفه ابنه وارث الدين الذي بدأ يتفهم الإسلام شيئا فشيئا، بسبب زياراته للحرمين ولقائه العلماء في الحجاز واتصاله بالمسلمين العرب وغيرهم به في أمريكا حتى تخلص من مفاهيم والده الخطيرة للإسلام.

وأصبح هو وقومه الآن أقرب إلى فهم الإسلام، وبذلك أصبحت عندهم عزة وبدأ الأمريكيون يحترمونهم.

قسوة النصارى في آسيا:

قسوة الإنجليز على أهل فلسطين قبل أن تسلم أرضهم لليهود.

وقد ذكر نبذة مختصرة من ذلك الشيخ الغزالي، فقال:

(تفننت السلطة البريطانية في أساليب التعذيب ووسائله، واستخدمت العلم وأدواته لإنزال أشد ما يمكن من الألم بأهالي فلسطين، والتعذيب عندهم على نوعين: تعذيب فردي لإكراه الفرد على الاعتراف. وهو ما يجري عادة في سراديب تحت الأرض[وهو أسلوب متبع لدى كل من انتزعت الرحمة من قلبه حتى من المنتسبين إلى الإسلام، كما سيأتي.] وتعذيب عام يرتكب في الجماعات لإرهاب الأهلين وإرهاقهم، وهو ما يجري على ملأ من الناس في البيوت والطرق وساحات القرى في الليل والنهار.

التعذيب الفردي

[وهو أيضا أسـلوب متبع يمارسه الآن اليهـود في فلسـطين والعلمانيون في بلاد المسلمين.]

1-الزنزانـة: وهي سـجن ضـيق لا يكـاد يسع الإنسـان، وطعـام السجين كسرة صغيرة من الخبز الرديء مع قليل من الماء.

2-الضرب، وهم يضربون الشـخص بالسـياط والأيـدي والأرجـل، حتى يغمى عليـه، وتتـورم الـرجلان من كـثرة الضـرب، ثم يضـعونه تحت صنابير الماء البارد زيادة في إيلامه.

3-التهديد بالقتل، يخرجون المسدسـات، ويصـوبونها إلى وجهـه، ويهددونه بإطلاقها عليه.

4-الزجـاج والمسـامير، يكرهونه على السـير فـوق قطع من الزجاج والمسامير، ويكرهونه على القفز فوقها، فإذا توقف ضربوه بالسياط، فلا يزال يقوم ويقع والدم يـنزف من رجليه ويديه وسـائر جسـمه، حـتى يـرتمي آخر الأمر منهوكا أو مغمى عليـه، ويـنزعون ثيابه، ويضربونه بألواح من خشب فيها مسامير فيسيل دمه.

5-أو يجلسونه على خشبة خازوق ويربطون في رجليه أثقالا من أكياس الرمل، حتى يغمى عليه.

6-أو يربطون إبهامي رجليه بسلك من الحديد، ثم يشدونه حـتى تكاد إبهامه تنقطع.

7-أو يربطـون أعضـاءه التناسـلية بربـاط متصل بِبَكْـرة من السقف، ثم يجذبون الحبل شيئا فشيئا حتى يغمى عليـه، وكثـيرا ما قطعوا عضوه التناسلي.

8-تقطيع الأظافر والشعر بكلاليب خاصـة، ويشـدونه من شـاربه ولحيته وينتفون شعره.

9-صب الماء في الجوف، ويصبون المـاء في فمه بواسـطة قمع خاص، حتى يملئوا جوفه، وينتفخ كالقربة ويتألم أشد الألم.

10-الكي بالنار، ويحمون أسياخ الحديد حـتى تلتهب كـالجمر، ثم ينخسونه بأطرافها، ويـأتون بالمسـامير المحمـاة بالنـار ويغرسـونها تحت أظافره.

11-التعـذيب بالكهربـاء: يضـعون في يديه جهـازا كهربائيا ويسـلطون عليه تيـارا كهربائيا أقل قـوة مما يكفي للمـوت فيرتعد ويضطرب ويختلج، ولا يستطيع أن يلقى الجهاز من يديه.

12-الفعل الشنيع!.

13-سـلخ قـدمي المعـذب، وصب الـزيت المغلي عليهـا، ونسف الرجال بالديناميت، كما حدث في قرية الزيت.

14-ينقلونه إلى المستشــفى، حــتى إذا شــفي أرجعــوه إلى التعذيب ثانية.

15-يخفــون الشــخص الــذي يظهر عليه أثر التعــذيب، وأحيانا يقتلونه، ليخفوا أثر الجريمة.

16-التعــذيب بــالإغراق، يلقونه في البحر حــتى يشــرف على الغرق، لإكراهه على الاعتراف.

17-المسكرات والمخـدرات، يجرعونها للقـرويين كرها يصـبونها بحلوقهم، ويحقنونهم بالمورفين، ويسممونهم بالكوكايين والهروين، كما جرى مع رفاق الشهيد المرحوم الشيخ فرحان السعدي.

18-يعدون سراديب خاصة للتعذيب في دائرة المبــاحث الجنائية بالقدس وغيرها، فلما يجيء دور الرجل المراد تعذيبـه، يأخذونه إلى أقبية التعذيب، وهو معصوب العينين بعد منتصف الليل، وبعد إغمائه من الألم ينقلونه إلى مخفر البـوليس، ثم إذا أفـاق يعـودون به إلى أقبية التعذيب.

19-يخفـون المعـذبين عن أهلهم وسـائر النـاس، لكي لا يمكنـوا أحدا من زيارتهم أو معرفة مكانهم.

فإذا فرغـوا من تعـذيبهم وزال أثر التعـذيب، نقلـوهم إلى سـجن القدس أو عكا أو معتقل الزرعة.

التعذيب العام.

عنــدما يعجز الجيش عن أن ينــال من المجاهــدين، ينقلب إلى الفلاحين المساكين الآمنين في بيوتهم ينتقم منهم، ويشـفي صـدره بتعذيبهم بالضـرب الشـديد بأعقـاب البنـادق والهـراوات الغليظة بلا شــفقة ولا رحمــة، وبــدون تفريق بين الصــغار والكبــار والرجــال والنسـاء، يسـمون هـذا العمل عملية تفتيشـية، ويـرتكب خلالها من الفظائع أشكالا وألوانا، وكل القرى ذاقت فظاعة التفـتيش، ويتخلله تخريب البيوت ونسفها بالـديناميت، وإتلاف أمتعة الفلاحين ومـؤنهم ونهب الحلي والأموال، وترويع النساء والأطفال، وقتل الآمنين على قارعة الطريق من رجال ونساء وأطفال [الاستعمار أحقاد وأطمـاع 280، 288.

وقد كانت هذه الأساليب من الإنجلـيز نـواة لأسـاليب اليهـود في فلسطين الآن، وهـاهم اليـوم قد نفـوا أكـثر من أربعمائة من خـيرة المســلمين في فلســطين إلى جبل في مــرج الزهــور في فصل الشتاء القارص بدون طعام ولا شراب ولا دواء ومر عليهم في هـذا التعذيب الجماعي أكثر من شهر. راجع ما مضى في هذه القصة.]

قسوة الإنجليز على المسلمين في الهند.

عندما استولى الإنجليز على الهند وجهوا حقدهم على المسلمين إلى محاربتهم، و تحريض الهندوس والسيخ على الفتك بهم، بعد أن فتكـوا هم بمن اسـتطاعوا الفتك به منهم، والاسـتيلاء على أملاكهم وأراضيهم، وبعد ان أعلن الحاكم البريطاني: "أن العنصر الإسـلامي في الهند هو عدو بريطانيا اللدود، وأن السياسة البريطانية يجب أن تهـدف إلى تقـريب العناصر الهندوكية لتسـاعدهم في القضـاء على الخطر الذي يتهدد بريطانيا في هذه البلاد...."

" فاشتد الإنجليز في هجمتهم على المسـلمين بعد إنهـاء الثـورة واسـتولوا على أراضـيهم، ففقد المسـلمون أملاكهم الواسـعة ولم يبق لهم سـوى 5% من أراضـيهم الـتي كـانوا يملكونها من قبل وسدت في وجوههم أبواب الرزق في الدواوين، وصودرت أملاكهم، وأخذ الإنجلـيز جـانب الهنـدوس والسـيخ وأطلقـوهم يهـزءون بالمسلمين وبدينهم، ويسومونهم سوء العذاب فكانت المذابح الـتي راح ضـحيتها الآلاف من المسـلمين..." ل[حاضر العـالم الإسـلامي وقضـاياه ة للـدكتور جميل عبد الله المصـري ص 397. دربت بريطانيا الهنـدوس على ارتكـاب المـذابح للمسـلمين في الهند كما دربت اليهـود-وهم في الأصل مُـدَرِّبون-على ذلك بالنسـبة للفلسطينيين.]

لقد اغتصب النصارى الأوروبيون عامة البلدان الآسـيوية، وعـاثوا فيها فسادا وقتلوا وشردوا ودمروا وأذلوا أهلها، وعاملوا المسـلمين بالذات معاملات وحشية قاسية دلت على نـزع الرحمة من قلـوبهم من غرب آسـيا إلى شـرقها وجنـوب شـرقها، لا فـرق بين إنجلـيزي وفرنسي وأسباني وبرتغالي وهولندي، وختموا أعمالهم في البلـدان الإسلامية بإيجاد أحزاب متنـاحرة ودول متحاربة يكيد بعضـها لبعض، وهم الآن يورون زنـاد المعـارك بين الشـعوب الإسـلامية ويصـنعون لهم السـلاح الـذي يقتل به بعضـهم بعضـا، ولكنهم يحجـرون على الحكومات القائمة في الشعوب الإسلامية أن تقتني سلاحا متطـورا يكون شبه هجومي، ويأذنون بذلك لأعداء المسلمين من اليهـود في فلسـطين والهند في جنـوب القـارة الهندية ليمكنـوا الـدولتين من السيطرة على الشعوب الإسلامية وضربها بشدة وبـدون رحمة عند اللزوم.

قسوة نصارى الفلبين وغلظتهم على المسلمين.

تعرض المسلمون في الفلبين لحملة إبادة من نصارى أوروبا، ومن أمريكا-مؤخرا-ولا نحتاج للحديث عن ذلك، فقد عرفنا كيف نزعت الرحمة من قلوبهم في معاملتهم المسلمين في الأندلس، وفي الحروب الصليبية، وفي زمن اغتصابهم بلدان المسلمين في الشمال الإفريقي وشرقه، والقارة الإفريقية بصفة عامة والآن في البوسنة والهرسك.

والذي نريد الإشارة إليه هو ما قام به نصارى الفلبين أنفسهم، في العصر الحاضر ضد المسلمين.

فقد تآمر ماركوس والرهبان والقسس في الفلبين-بإمداد من اليهود في فلسطين، ومن النصارى في الدول الغربية-على المسلمين وقرروا إبادتهم وأنشئت منظمة نصرانية إرهابية أطلق عليها: (إيلاجا) أي جماعة الفئران-على اعتبار أنها منظمة شعبية، والواقع أن ماركوس هو الذي أمدها وأيدها بكل الوسائل، بل يقال: إنه هو الذي أنشأها، وقد ارتكبت هذه المنظمة من الفظائع ما يترفع عنه وحوش الغاب، فطردت المسلمين من ديارهم وأرضهم، وأحرقت بيوتهم ومساجدهم ومزارعهم ومصاحفهم، وقتلوا علماءهم وأئمتهم، وهتكوا أعراض نسائهم ومثلوا بشهدائهم، حيث يقطعون رؤوس الأطفال وآذان الرجال وأثداء النساء، وينالون جوائز على هذا التمثيل من المنظمات السرية مقابل كل أذن أو رأس أو ثدي يحضرونه[راجع مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد الثالث من السنة الخامسة محرم سنة 1393ه-فبراير 1973م ص 105 وما بعدها.].

وعلم العالم كله بالمذابح والاعتداءات على المسلمين العُزْل، ولا زالت الاعتداء ت مستمرة من قبل حكام الفلبين على المسلمين حتى كتابة هذه السطور [1422هـ ــ2001م] ، وأمامي رسائل من لجنة الإعلام التابعة "لجبهة تحرير مورو الإسلامية" تبين الحملات التي يقوم بها الجيش الفلبيني بين حين وأخر على المسلمين، وحشد قواته في جنوب الفلبين، ومحاصرة معسكر أبي بكر الصديق الذي يحتمي فيه الشيخ سلامت هاشم قائد الجبهة.

والمسلمون يستنجدون في هذه الرسائل، يطلبون أن يمدوا بالمؤن الغذائية والملابس والأغطية والأموال التي يؤمنون بها لأنفسهم سلاحا، يدافعون به عن أنفسهم وأعراضهم[التقيت الشيخ سلامت هاشم في مقر قيادته وسجلت بعض المعلومات-كتابة-عن تاريخ جهادهم، كان ذلك في 2 صفر سنة 1410هـ.]

هـؤلاء هم أهل الكتـاب من اليهـود والنصـارى، وهـذه نتف قليلة جدا من حـوادث قسـوتهم، تكفي وحـدها للدلالة على غلظ قلـوبهم وخلوها من الرحمة وبخاصة على المسلمين.

وإذا كانوا بهذه الصفة وهم يسابقون بمبادئهم وأفكارهم الباطلة إلى العقـول، فهل يـرجى منهم بكـثرة أتبـاعهم واسـتيلائهم على العالم، إلا القسوة والغلظة والوحشية التي دمروا ولا زالوا يدمرون بها العالم.!

قسوة النصارى في أوروبا[المتحضرة!]

وفي قسـوة النصـارى الصـرب على المسـلمين في البوسـنة والهرسـك، ما يكفي دلالة على وحشـية النصـارى وقسـوتهم ونـزع الرحمة من قلـوبهم، وقد أنـزل الصـربيون-فيما كـان يسـمى بيوغوسـلافيا-بالمسـلمين في البوسـنة والهرسك ما تتـنزه عنه الحيوانات المتوحشة، من قتل ما يزيد على مائة وخمسـين ألفا من الرجـال والنسـاء والشـيوخ والأطفـال، وذلك في أقل من سـنة، وشردوا أكثر من مليونين من المسلمين، كثير منهم أطفـال ونسـاء وشـيوخ، يتلقف الأطفـال منهم المؤسسـات التنصـيرية في أوروبـا، لتحويلهم من الفطرة الإسلامية، إلى الشـرك النصـراني وينـتزعون من قلوبهم أغلى ما وهبه الله للمسلم وهو إيمانه.

واشـتدت القسـوة على هـؤلاء اللاجـئين أكـثر بتفريق الأسر المسـلمة في دولة أوروبية واحـدة أو عـدة دول: الأب في مكـان، وأبناؤه في مكان آخر، والـزوج في مكـان، وزوجه في مكـان آخـر، وهكـذا الإخـوان والأخـوات.. يضـاف إلى ذلك معسـكرات الاعتقـال والتعذيب التي فاقت في الاعتداء على حقوق الإنسان المعسكرات النازية الـتي ينـدد بها الغـرب ويبـدي ويعيد في التنديد بهـا. يعـذب القريب فيها أمام قريبه، ويقتل الأب أمام الابن والزوج.

وأشد من ذلك وأنكى اغتصـاب الوحـوش المتمـدنين في قـارة حقوق الإنسان، أكثر من خمسين ألف امـرأة وفتـاة مسـلمة، بعض تلك الاغتصابات تقع أمام أعين أسرة الفتاة المغتصبة.

وهذا غير الحصار المستمر الذي يفرضه النصارى منذ ما يقـارب العـام على مـدن المسـلمين، وقـراهم وقصف مـرافقهم وهـدم منـازلهم عليهم، والحـول بينهم وبين الإمـداد والإغاثة بلقمة العيش والـدواء والملبس والغطـاء، في أشد أوقـات الـبرد القاسي الـذي قطعت على المسلمين فيه الكهرباء وكل وسائل التدفئة، حتى أنك ترى العجـائز والصـبيان يحـاولون التمـاس الأخشـاب في الشـوارع

وحملها إلى منـازلهم من أجل الطبخ عليها والتدفئـة، فيطلق عليهم النصارى قساة القلوب الرصـاص ويُـرْدُونهم قتلى أو جـرحى تـنزف منهم الدماء وتسيل، حتى يموتوا في الشوارع دون إسعاف.

وقد كشف حدث البوسنة غلظة وقسوة جميع الـدول النصـرانية الغربية الــتي تــزعم أنها حامية حقــوق الإنســان، وأنها تقف ضد التطرف والتشدد والإرهاب والتطهير العرقي، واعتداء الدول القوية على الدول الضعيفة، فقد اعـترفت الـدول النصـرانية الغربية بدولة البوسـنة والهرسك وأصـبحت عضـوا في هيئة الأمم المتحـدة، وبعد هذا الاعـتراف اعتـدى الصـرب على المسـلمين بعـون من حكومة صربيا والجبل الأسود، يشمل الأسلحة الثقيلة والطـائرات الحربيـة، وبمســـــاعدات وتأييد من دولة روســـــيا، وأصـــــدر مجلس الأمن (المزعوم) قرارا بحظر الأسلحة ووصولها إلى البوسـنة والهرسـك، فطبق الحظر على المســلمين وبقي الصــرب يتلقــون العــون من إخوانهم النصارى بالسلاح وغيره.

وأصـدر مجلس الأمن (المزعـوم) قـرارا بحظر التحليق الجـوي على البوســنة والهرســك، ولكن الصـــرب تحـــدوا ذلك ولا زالت الطـــائرات تقصف المســلمين، ولم يحـــرك مجلس الأمن ســاكنا وكذلك المجلس الأوروبي وحلف الناتو.

ولكن الـدول الغربية إذا تحـرك صـاروخ في العـراق أو طـائرة عراقية قريبة من منطقة الحظر الجوي الـذي فرضـته أمريكا باسم هيئة الأمم المتحدة، يرسـلون أسـرابا من الطـائرات الغربية لتصب نيرانها على الهدف وما جاوره ويطلقون مئات الصواريخ من الخليج للقضـاء على أي حركـة، زعما منهم أنهم ينفـذون قـرارات مجلس الأمن، وهكذا يعامل النصارى قساة القلـوب المسـلمين ويصـدرون القـرارات الـتي ظاهرها في مصـلحة المسـلمين وينفـذون عكس ذلـك، ولكنهم ينفـذون قـراراتهم فقط عنـدما تكـون في مصـلحة النصارى أنفسهم.

إنها وحشية دعاة حقوق الإنسان وقسوة دعاة الحرية والتمــدن: نصارى الغرب كله.

وقد وجدت الدول النصرانية الغربية بغيتها في الأمين العام لهيئة الأمم المتحـدة النصـراني "بطـرس غـالي" العـربي الـذي يعطيها المسوغ تلو المسوغ لعدم تدخلها في إنقاذ المسلمين في البوسـنة والهرسك، ولذلك تصدر هي الاستنكار لأفعال الصـرب وتصـرح بأنها تريد التـدخل لمنع الصـرب من العـدوان، ولكن النصـراني العـربي يحذرها من مغبة التدخل العسكري، فتظهر للعالم وللمسـلمين أنها

إنما تـأخرت عن هـذا التـدخل بسـبب عـدم الإذن به من قبل هيئة الأمم المتحـدة!ـ[اقـرأ عن تنفيذ هـذا النصـراني العـربي لمخطط التجمعات الكنسية جريدة الشرق الأوسط ص 23 بعنـوان:بطـرس غــالي بطل البوســنة. عـــدد (5167)ـــ 27رجب 1413هــــ ـــــ 20/1/1993م. وقد سماه الكـاتب: بـالجلاد، وأنا أسـميه بما سـماه الله: النصراني.]

والسبب الحقيقي هو أن المظلومين مسلمون، ولو كـانوا يهـودا أو نصارى أو وثنيين، بل لو كان المعتدى عليهم قرودا أو كلابا، لهبوا لنجدتهم.

وقد صرح زعيم المعتـدين النصـارى الصـرب بـأن الاعتـداء على المسلمين سيسـتمر ما دامـوا مسـلمين: " فقائد القـوات الصـربية في البوســنة والهرسك أكد في تصــريح نشــرته مــؤخرا مجلــة: "شبيجل" الألمانية، قال فيه: إن هدفنا هو القضـاء على المسـلمين في أوروبـا، يجب أن يختفـوا كأمـة، وعلى المسـلمين في البوسـنة إعلان تحـولهم عن الإسـلام وأن يصـبحوا صـربيين أو كـروات، أما الخيار الثالث لهم فلن يكون إلا الموت..." [مجلة المجتمع الكويتية: العـدد (1027) الثلاثـاء جمـادى الآخـرة سـنة 1413ه-أول ديسـمبر 1992 م.]

وصدق الله القائل: {ولن ترضى عنك اليهـود ولا النصـارى حـتى تتبع ملتهم..} [؟؟][1].

ولا نحتــاج إلى ذكر مراجع لهــذه لحــوادث في هــذه القســوة النصـرانية، فالتلفـاز يعـرض قسـوة النصـارى على المسـلمين فيها مرات كل يوم، والصحف العالمية تنشر أخبارها المأساوية كل يوم، والإذاعات في العـالم كله تـذيع فظائعها كل سـاعة: أخبـار وتقـارير وتعليقات ومقابلات...

[ومع ذلك أحيل القــارئ الى بعض الجرائد والمجلات منهــا: جريــــدة الشــرق الأوسط عــدد 5158ص 19بعنــوان: مفكــرة العــار في البوســنة 18/7/1413هـ-. ومجلة المجتمع الأعداد: 966، 17شوال 1412هـ-ص22، العدد:999 في 21/1/1414هـ-ص 28، العدد:1005 في 29/12/1412هـ-ص 30، العـــدد: 1027 في 7/6/1413هــــ-ص28، العـــدد: 1026 في 30/5/1413هـ-ص26 العدد: 1008 في 20/1/1413هـ-ص30 العـدد:989 في 13/8/1412هـــ-ص16. وجريـدة المسـلمون، كل أعـداد عـام 1412-1413هـ-وكذا العالم الإسلامي ومجلة الإصلاح وغيرها...]

1

النموذج الثالث: قساة الشيوعيين (الملحدين)

الشيوعيون الروس.

ولننتقل الآن إلى غـير أهل الكتـاب من أهل الباطـل، لنأخذ نتفا أخـرى من سـلوكهم الـدال على القسـوة والغلظة وعـدم الرحمـة، لتكتمل الصـورة، ويعلم القـارئ أن أهل الحق هم الرحمـاء، وأن الرحمة هي من الأخلاق الـتي يريـدون غرسـها في نفـوس النـاس، وأن غـرس الأخلاق الحميـدة هو إحـدى غايـاتهم في السـباق إلى العقول.

الحديث عن قسوة الشيوعيين وغلظتهم لا يـأتي للنـاس بجديـد، فقد عـرف العـالم كله في خلال ما يزيد عن سـبعين سـنة أن الشيوعيين أقسى النـاس قلوبا وأغلظ أفئـدة وأبعد عن الرحمة في كل مكان حلوا فيه.

وعـداؤهم للإسـلام أشد من عـدائهم لجميع الأديـان، ومعـاملتهم للمسـلمين، لصـرفهم بـالقوة عن دينهم بقضـائهم على علمـائهم وهـدمهم مسـاجدهم ومدارسـهم، وتحويل ما بقي من المسـاجد والمـدارس إلى مسـارح وحظـائر ومخـازن ودور للسـينما، أمر معروف مشهور.

ويكفي أن نذكر لبالغ قسـوتهم ما رواه أحد النـاجين من المـوت من تعـذيبهم، وهو الأسـتاذ "عيسى يوسف آلب تكين"الـذي فر من إدارتهم الجهنمية وكتب كتابه الذي فضـحهم فيه وهـو: (المسـلمون وراء السـتار الحديـدي). فقد نقل عنه سـيد قطب رحمه الله في كتابه دراسات إسلامية ما يلي من صور التعذيب الوحشي فقـال: " فلندع كاتبا أخذ يحدثنا عن وسائل التعـذيب الجهنمية الـتي سـلطت على العنصر الإسـلامي في التركسـتان الغربية الخاضـعة لروسـيا، والتركسـتان الشـرقية التابعة للصـين الشـيوعية اسـما، ولروسـيا الشـيوعية فعلا " إلى أن قـال: سـيد: "وسنضـطر أن نغفل ذكر بعضها-أي صور التعذيب-هنا، لأنها من القـذارة بحيث يخـدش ذكرها كل أدب إنسـاني، مكتفين بما تطيق الآداب الإنسـانية أن نـذكره للناس... وهذه هي:

1-دق مسامير طويلة في الرأس حتى تصل إلى المخ.

2-إحراق المسجون بعد صب البترول عليه وإشعال النار فيه.

3-جعل المسجون هدفا لرصاص الجنود يتمرنون عليه.

4-حبس المسـجونين في سـجون لا ينفذ إليها هـواء ولا نـور، وتجويعهم إلى أن يموتوا.

5-وضع خـوذات معدنية على الـرأس وإمـرار التيـار الكهربـائي فيها.
6-ربط الـــرأس في طـــرف آلة ميكانيكية وبـــاقي الجسم في ماكينة أخـرى، ثم تـدار كل من المـاكينتين في اتجاهـات متضـادة، فتعمل كل وحدة مقتربة من أختها حينا ومبتعـدة آخـر، حـتى يتمـدد الجسم الذي بين الآلتين، فإما أن يقر المعذب وإما أن يموت.
7-كي كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مســـــخنة إلى درجة الاحمرار.
8-صب زيت مغلي على جسم المعذب.
9-دق مسمار حديدي أو إبر الجراموفون في الجسم.
10-تسـمير الأظـافر بمسـمار حديـدي حـتى يخـرج من الجـانب الآخر.
11-ربط المســـجون على ســـرير ربطا محكما ثم تركه لأيـــام عديدة.
12-إجبـار المسـجون على أن ينـام عاريا فـوق قطعة من الثلج أيام الشتاء.
13-نتف كتل من شعر الرأس بعنف، مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس.
14-تمشيط جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة.
15-صب المـواد الحارقة والكاوية في فم المسـجونين وأنـوفهم وعيونهم، بعد ربطهم ربطا محكما.
16-وضع صـخرة على ظهر المسـجون، بعد أن توثق يـداه إلى ظهره.
17-ربط يـدي المسـجون وتعليقه بهما إلى السـقف، وتركه ليلة كاملة أو أكثر.
18-ضرب أجزاء الجسم بعصا فيها مسامير حادة.
19-ضـرب الجسم بالكربـاج حـتى يدميـه، ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسيف أو بالسكين.
20-إحـداث ثقب في الجسم وإدخـال حبل ذي عقد واسـتعماله بعد يومين كمنشار، لتقطيع قطع من أطراف الجرح المتآكل.
21-ولكي يضمنوا أن يظل المسـجون واقفا على قدميه طـويلا، يلجئون إلى تسمير أذنيه في الجدار.
22-وضع المسجون في برميل مملوء بالماء في فصل الشتاء.
23-خياطة أصابع الرجلين واليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض.

24-والنساء حظهن مثل هذا العذاب، أنهن يعرين ويضربن ضربا مبرحا على ثديهن وصدورهن.

أما بقية تعــذيب النســاء فإننا نمسك عنــه، لأن المواقع الــتي اختاروها من أجســامهن والطــرق الدنيئة الــتي اســتعملوها تجعلنا نســتحي من ذكرها وكتابتها[دراســات إســلامية الطبعة الرابعة ص 200، 206.

وعنــدما كتب ســيد هــذه الصــور لم تكن قد طبقت عليه هو في مصر ولكنه رحمه الله قد ذاق في زنزانــات المجــرمين هو وإخوانه وأخواته شيئا منها قبل أن يشنقه أعداء الإسلام.].

يكفي هـــذا النمـــوذج لمعرفة ما إذا كـــانت توجد في قلـــوب الشيوعيين الروس رحمة!!!.

تدمير شعب أفغانستان.

ولكن مثالا آخر ظهر أكــثر وضــوحا في الدلالة على خلو قلــوبهم من الرحمــة، وهو أنهم غــزوا أفغانســتان بجيــوش جــرارة وأســلحة فتاكــة، بــرا وجــوا، وقتلــوا من الشــعب الأفغــاني مليونا ونصف المليون، وطردوا ما يقارب ســتة ملايين، وعــاثوا في الأرض فســادا يندر أن يوجد له مثيل، ومكثوا يزاولون أعمــالهم الوحشــية في هــذا الشــعب أكــثر من ســبع ســنوات، هــدموا فيها المســاجد وأهــانوا المصــاحف واغتصــبوا النســاء، وفرقــوا كلمة المســلمين وجعلــوا بعضهم يقتل بعضا، ولازال الأفغان يعانون الأمرين من آثار غزوهم.

ولكن الله تعالى نصر الفئة المؤمنة التي تصدت لهؤلاء القســاة، ومع الصبر والمصابرة نصر الله المجاهــدين-على قلة عُــدَدِهِم-على أعظم قوة عسكرية ضاربة، فهزم الجيش الروسي الشيوعي وعــاد إلى بلاده يجر أذيــال الهزيمــة، وكــان الجهــاد الأفغــاني من أعظم الأسباب التي هيأها الله لانهيار الاتحاد السوفيتي الظالم.

ولعل المسلمين يقطفون آثار هذا الجهاد في تطبيق الإسلام في أفغانســتان وفي الشــعوب الإســلامية المجــاورة الــتي كــانت تابعة للاتحــاد الســوفيتي المنهــار.[لقد خيب المجاهــدون الأفغــان آمــال المســلمين الــذين أعــانوهم بالمــال والرجــال والعتــاد، لرفع راية الإســلام في بلادهم، حيث أخــذوا يقتتلــون فيما بينهم بعد انســحاب العدو الشيوعي من بلادهم، ومــازالت دمــاء المــدنيين العــزل تــراق بأسلحة إخوانهم ممن كانوا قادة للجهاد، إلى يومنا هــذا (كتبت هــذا التعليق في 22/5/1418هـ).]

الشيوعيون في الصين.

ولا تقل قسوة الشيوعيين في الصين وغلظتهم على المسلمين-وعلى كل من يخالفهم-عن قسوة الشيوعيين في الاتحاد السوفيتي السابق، وبخاصة في إقليم "تركستان الشرقية" الذي غيروا اسـمه إلى "سانكيانج" وبالغوا في الاعتـداء على أهلـه، فقتلـوا علمـاءهم، وأتلفـوا مصـاحفهم وكتبهم الدينيـة، ومنعـوهم من أداء شـعائرهم الدينية، وأغرقوهم بالمهجرين الشيوعيين من مناطق أخرى، لتصبح نسبة المسلمين في هذا البلد المسلم 10% بعد أن كـانت نسـبتهم من قبل أكثر من 90%.

وقد ذكر أن المسـلمين الـذين تم قتلهم من سـنة 1950م إلى سـنة 1972م بلغ 360 ألفـا، وأن الـذين سـيقوا إلى المعسـكرات التعذيبية والأشـغال الشـاقة بلغ عـددهم (500) ألـف، وأن الـذين هربوا من ديارهم بسبب ذلك العـدوان بلغ (100) ألف[-راجع محلة الإصـلاح عـدد 219 ص35 ومجلة المجتمع الكويتية عـدد 967 ص 28.]

هـذه الفظـائع ذكـرت في بلد واحد من بلـدان الصـين وهو تركستان الشرقية.

أما على مسـتوى الصـين فـالأمر أعظم من ذلـك، وقد ذكر لي الشـيخ عبد الـرحمن بن إسـحاق الصـيني الـذي زرته في مدرسة التقـوى في مدينة تشـانجماي في شـمال تايلاند في 24/11/1409هـ. أن الشـيوعيين في الصـين قتلـوا خلال ست عشرة سنة من سنة 1950م إلى 1976م عشرة ملايين (ولا بد أن يكون للمسلمين حظهم الوافر من هذا القتل) ومات بسبب الجـوع سبعة ملايين.

أما المسـلمون فقد كـانت مسـاجدهم في الصـين (45) ألف مسجد، فصـادرها الشـيوعيون وحولوها إلى مصـانع ومسـارح ودور سـينما، وبنـوا في محاريبها الطـاهرة الـتي كـان الأئمة يتلـون فيها كتاب الله ويسجدون فيها لربهم، المراحيض إهانة لها وللمسـلمين، وقتلـوا كثـيرا من الأئمة والعلمـاء، وقتلـوا من المسـلمين ما لا يقل عن مليون شخص.

وكـانوا يـأمرون العـالم المسـلم بحمل القـاذورات ليسـمد بها الأرض الزراعيـة، ويعلقـون في عنقه الكومة من تلك القـاذورات، ويقولـون له من بـاب التهكم والإذلال والسـخرية بربه وبدينـه: إذا كنت تعبد الله فادعه ليسـاعدك...[المجلد الخـاص بتايلانـد من سلسلة (في المشارق والمغارب) مخطوط في مكتبة المؤلف.]

وهذه الفظائع هي التي علمت، وما لم يعلم أكثر من ذلك بكثير، وبخاصة إذا علمنا أن الشيوعيين يحيطون بلدانهم وتصرفاتهم بما يسترها من الكتمان والحجر الإعلامي، وعدم الإذن بتسرب تلك التصرفات، ولكن ذلك يكفي لمعرفة أن الرحمة قد نزعت من قلوبهم.

[راجع على سبيل المثال ما نشر على أحد مواقع الإنترنت على الوصلة الآتية: http://www.islam-online.net/Arabic/news/2001-06/17/Article36.shtml]

وفي هذه الأيام يعيث الشيوعيون ذوو الأسماء الإسلامية في طاجكستان فسادا في هذا البلد المسلم، فقد قتلوا الآلاف من المسلمين الذين يطالبون بالتمتع بالإسلام، وشردوا مئات الآلاف، وأخافوا الآمنين من أبناء البلد متعاونين مع الشيوعيين من ذوي الأسماء الإسلامية في بلدان أخرى ومع الروس بمساعدات من الغرب وبخاصة أمريكا، والكفر ملة واحدة [راجع مجلة المجتمع عدد 1038-25شعبان 1413هـ-ص22.].

بل لقد غزت روسيا الجمهورية الشيشانية في 9/7/1415هـ-الموافق 11/12/1994م-ودمرت عاصمتها جر وزني تدميرا كاملا، وقتلت المسلمين المدنيين، ولا زالت تواصل القتل والتدمير على مرأى ومسمع من دول الصليب التي تدعي أنها ترعى حقوق الإنسان، بل على مرأى ومسمع من حكام الشعوب الإسلامية الذين ماتت الحمية في نفوسه على حفظ ضروراتهم التي لا حياة لهم بدونها.

وقد تكبد الروس خسائر فادحة في جمهورية الشيشان الإسلامية، وخرجوا منها يجرون أذيال الهزيمة، كما خرجوا من أفغانستان، وذلك بفضل الله ثم بفضل قوة إيمان أهلها... ثم غزت روسيا الشيشان مرة أخرى في سنة 1420هـ ـ1999م ودمرت البلد مرة أخرى وعاثت فيه فسادا، ولا زالت القوات الروسية تحتل هذا البلد المسلم، وتقتل أهله وتشردهم وتعتقلهم، وموقف دعاة حقوق الإنسان الغربيين هو موقفهم المعروف، عندما يكون الإنسان مسلما لا يحركون ساكنا، اللهم إلا إظهار شيء من الاستنكار البارد، ليقال عنهم: إنهم أنكروا! وليقارن المسلم موقف الغرب من الشيشان، وموقفهم من تيمور الشرقية التي أجبروا إندونيسيا على التخلي عنها خلال فترة وجيزة!

النموذج الرابع: قساة الوثنيين.

قسوة الوثنيين الهنود.

والوثنيون-ومنهم الهندوس والبوذيون وغـيرهم-لا تقل وحشـيتهم وغلظتهم عن اليهود والنصارى والشيوعيين.

فالهنـــدوس في الهند بتواطؤ مع النصـــارى الإنجلـــيز، أذاقـــوا المسلمين من العذاب والتشريد والقتل وسـوء المعاملة ما يصـعب وصفه، واعتدوا على أموالهم ومنـازلهم ومسـاجدهم، ولا يخلو عـام من الأعـوام من الاعتـداء عليهم، حـتى اضـْطَرُّوا المسـلمين على الانقسـام: قسم منهم سـئم العيش تحت الـذل والقهر الهندوسـي، فقرروا الهجرة إلى ما سمي في حينه بباكستان الشرقية وباكستان الغربية، حيث تفصل بينهما مسـاحات شاسـعة من الهند ثم تـدخلت الهند وحليفتها روسـيا (الاتحـاد السـوفيتي سـابقا) للتحـريش بين الباكستانيين فحصل الانشقاق والقتال الذي راح ضـحيته الآلاف من المسلمين، وعلى أثره انفصـلت باكسـتان الشـرقية وسـميت باسم قومي انفصالي: "بنغلادش" فضعف بذلك المسلمون في الجناحين، وضعف المسلمون كذلك في الهند الذين يبلغ عددهم الآن أكـثر من 150 مليونا في كل أنحـــاء الهند، وهم اليـــوم يواجهـــون حربا وثنية شرسـة، حيث نظمت جمعيـات هندوسـية لمحـاربتهم تحت سـمع وبصر الحكومة الهندية الـتي تـزعم أنها دولة ديمقراطية علمانيــة، وتشير الإحصـاء ت إلى أن الاعتـداء الهندوسي على المسـلمين بلغ حـدا خطـرا لا يطـاق، يتعـاون عليهم في ذلك الاعتـداء المنظمـات المذكورة وقوات الشرطة، بل والجيش أحيانا.

وعلى سـبيل المثـال فـإن الهنـدوس قتلـوا خمسة عشـرة ألف مسـلم في مجـزرة "أحمد أبـاد" بـاعتراف رئيسة الـوزراء أنـديرا غانـدي سـنة 1970م وأحرقـوا ثلاثمائة امـرأة مسـلمة بالنـار وهن أحياء، وفي مذبحة آسام قتل الهندوس 50 ألف مسلم[راجع حاضر العالم الإسلامي لجميل المصري ص420.]

وفي هـــذه الأيـــام تجمع جمـــاهير الهنـــدوس وهـــدموا مســـجد "البابري" وقتلوا الآلاف من المسلمين، في أنحـاء متفرقة من الهند وأحرقوا ممتلكـاتهم وهـدموا منـازلهم وطـردوهم من ديـارهم[راجع على سبيل المثال مجلة المجتمع عدد1029 20جمادى الآخرة سنة 1413هـ-ص20.] واستولوا على كثـير من مسـاجدهم وحولوها إلى معابد وثنية.

وكل الفظائع التي يرتكبها الهنـدوس في حق المسـلمين لا يوجد

أي مسوغ لها، فالمسلمون مسالمون، لا يريدون إلا العيش بطمأنينة في ديارهم، يقيمون شعائر دينهم ويعلمون أبناءهم دين الإسلام دون أن يحركوا ساكنا ضد الهندوس ابتداء، وإنما يضطرون أن يدافعوا عن أنفسهم عندما يعتدي عليهم هؤلاء، مع قلتهم وفقدهم آلة الدفاع على عكس الوثنيين الهندوس، والمتتبع لوحشية هؤلاء الهندوس وقسوتهم ضد المسلمين، يتضح له أنهم قوم قد نزعت الرحمة من قلوبهم وحلت محلها الغلظة والشراسة والوحشية.

قسوة الوثنيين في سيريلانكا.

وهكذا يلاقي المسلمون في سيريلانكا قسوة بالغة من الهندوس والسنهال والشيوعيين، ومن الحكومة البوذية من اغتيالات ومذابح جماعية ونهب أموال ومتاجر وإحراق منازل وأسواق[راجع مجلة المجتمع الكويتية. عدد 957 في 9شعبان 1410هـ ص40 ومجلة رابطة العالم الإسلامي عدد 319ص7.]

وفي " بورما" لا تنقطع مذابح المسلمين وتشريدهم ونهب أملاكهم والاعتداء على أعراضهم، يقوم بذلك الوثنيون البوذيون فقد قتلوا منهم عشرات الآلاف، وشردوا ملايين، وهدموا المساجد، وأغلقوا المدارس، واغتصبوا المسلمات وأجهضوا الحوامل منهن، وفي يوم عيد من أعياد الفطر قتلوا مائتي مسلم، وكثير من المسلمين يموتون جوعا في مخيمات الموت في "بنغلادش" أو في الطريق بين حدود بورما وبنغلادش وهم فارون بأنفسهم من القتل الجماعي[راجع: العالم الإسلامي (جريدة تصدرها رابطة العالم الإسلامي) 24ربيع الأول-1ربيع الثاني 1413ه- ص4، و6 محرم 1412ه-ومجلة المجتمع عدد 993 ص 10 وعدد 989ص16.].

قسوة الوثنيين في تايلاند.

وفي تايلاند أذاقت الحكومة الوثنية البوذية المسلمين، أهوالا من العذاب والقتل والتدمير والاغتيال والتشريد، وأذلت المسلمين في جنوب البلاد، وأصبحت فطاني المسلمة تحت سيطرة الجيش ووزارة الداخلية، وقد قسمتها تقسيمات إدارية جديدة، حيث أصبحت محافظات صغيرة، وحشدت أعدادا كبيرة من البوذيين من شمال تايلاند ووسطها للهجرة إلى بلاد المسلمين، وملكتهم أراضيهم ويسرت لهم إقامة الشركات والمشاريع المتنوعة، ليستولوا على البلاد المسلمة، ويكونوا أكثرية ينشرون الفساد

الخلقي والاجتمــاعي، من أجل إذابة المســلمين وتحــاول الحكومة تغيير منـاهج المـدارس الإسـلامية وكتبها وحـروف لغتها [وقد فصل المؤلف شـيئا من ذلك في المجلد الخـاص بتايلاند من سلسـلة في المشارق، وهو مخطوط في مكتبته]

وقد خف التضييق على المسـلمين نسـبيا، وتمكن علمـاؤهم من إقامة مؤسسات تعليمية ودعوية، كان لها أثر جيد في تعليم أبنـائهم وتفقيههم، وعلى رأس هــؤلاء العلمــاء الــدكتور إســماعيل لطفي المتخـــرج من الجامعة الإســـلامية في المدينة المنـــورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

قساة أهل الباطل من المنتسبين الإسلام!

مـرت فـترة على المسـلمين ضـعفت فيه دولتهم، بل اضـمحلت وهوت، فتأخروا في كل شؤون الحياة الدينية والاقتصادية والعلمية-علم الشــرع وعلم المــادة-والسياســية والعســكرية والاجتماعيــة، وتقدم غـير المسـلمين في الحضـارة الماديـة، فأصـيب المسـلمون بالهوان وكبر في صدورهم تقدم غيرهم، وانقسموا قسمين:

القسم الأول: رأى أن تقــدم البلــدان الإســلامية مرهــون باتبــاع خطوات الغرب حذو القذة بالقذة، وذلك بتنحية الدين الإسلامي عن أن يكون منهج حيـاة للشـعوب الإسـلامية، والفصل التـام بينه وبين تدبير شؤونها، بحيث يكـون الـدين أمـرا يتعلق بـالأفراد بأشخاصـهم فيما بينهم وبين ربهم، يصلون ويصومون ويحجون ويقرؤون القرآن، دون أن يتـــدخل الإســـلام في الشـــؤون السياســـية والاجتماعية والاقتصــادية والعســكرية وغيرها من منــاهج الإعلام والتعليم وهلم جــرا...-ولا يســتثنون من ذلك إلا بعض الأحــوال الشخصــية-وذلك على غـرار ما فعله أهل الغـرب بالـدين النصـراني المحـرف، حيث نحــوه عن شــؤون الحيــاة الــتي وضــعت لها الدســاتير والقــوانين البشرية، اتقـاء التصـرفات الكنسـية ورجالها الـذين كـانوا يزاولـون تدبير شؤون الشعوب تـدبيرا ظالمـا، وينسـبون تصـرفاتهم تلك إلى الله، ويتلخص ذلك كله فيما يقال له: "العلمانيـة" الـتي تعـني فصل الدين عن الدولة.

وقد أوهم أهل الغرب هذا القسم من أبناء المسلمين، أن الـدين هو سبب التأخر عنـدما يتـدخل في حيـاة البشـر، بـدليل أن الغـرب عندما فصل الدين عن الدولة تقدم حضاريا وأصبح يقود العالم،وأنه لا يمكن للمســلمين أن يتقــدموا إلا إذا فعلــوا كما فعل الغــرب، ففصلوا الدين الإسلامي عن الدولة.

وتتلمذ أبنـاء المسـلمين هـؤلاء على أسـاتذة الغـرب في العلـوم المتنوعة: الإنسانية والتطبيقية واقتنعوا بتلك الفكرة، بسـبب جهلهم بالإسلام الذي جعلهم يساوون بينه وبين الـدين النصـراني، ويقفـون من دينهم كما وقف أهل الغــرب من الــدين النصــراني، وبســبب فقــدهم العلمــاء الـذين يجمعـون بين فقه النصـوص الـواردة في القـرآن والسـنة الصـحيحة والمقاصد الشـرعية من جهة وبين فقه العصر والواقع من جهة أخــرى، فــانطلق هــذا القسم من أبنــاء المسلمين، وقد أحرز شيئا من الثقافة التي تؤهله لقيـادة الشـعوب الإسلامية وإدارتها مغرورا بنفسه وبثقافته، متجـاهلا أولئك العلمـاء، بل مـذلا لهم ضـاربا بـآرائهم وراء الحائط، وسـبب هـذا سـبق غـير المسلمين الى عقول أبناء المسلمين وكسبهم في صفهم.

والقسم الثــاني: رأى في حضــارة الغــرب المادية وما رافقها أفكـارا فاسـدة وأخلاقا سـيئة وعقائد ملحـدة وهجوما على الإسـلام وأهله، فانزوى عن علوم الغرب كلها، ودعا الشـعوب إلى مقاطعتها والبعد عنها والاكتفـاء بما تجـود به كتـاتيب المعلمين الـذين يلقنـون التلاميذ تلاوة القــرآن الكــريم، ويعلمــونهم بعض مبــادئ الفقه والتوحيد والكتابة وشـيئا من الحسـاب، فكـان نصـيب هـذا القسم البعد عن ممارسة إدارة شــؤون الأمة والمشــاركة فيهــا، فاســتبد القسم الأول بالحكم والإدارة وغيرها، وأخذ يكبت كل صوت يخالف منهجه ومسيرته، يسنده في ذلك ما تحت يـده من إمكانـات الدولة في الداخل ومؤازرة الدول والمؤسسات الغربية في الخارج.

وبعد أن مضت فترة ليست بالقصيرة على هذه الحالة المزريـة، هيأ الله للمسلمين من صحا منهم من نومه، وتنبه من غفلته، فرأى بنــور من الله وبصــيرة تلك الهاوية الــتي تــردى فيها المســلمون والأســباب الــتي أدت إلى ذلك الــتردي، والــواجب الــذي لا بد من القيـام به لانتشـال الأمة الإسـلامية من وهـدتها، إلى قمة مجـدها وعزهـا، فظهـرت دعـوات المفكـرين الإسـلاميين بصـفة فردية هنا وهنــاك، ولم يمض وقت غــير طويل نســبيا حــتى أثمــرت تلك الـدعوات، ونتج عنها قيـام حركـات إسـلامية تعتمد التعليم والتربية وبيان شمول الإسلام، وأنه منهج لحياة البشر يجب أن يعــود ليحكم حيـاتهم، فـأزعج ذلك تلاميذ الغـرب الـذين كـان الجو قد خلا لهم، فـتربعوا على كراسي الحكم وأمـروا ونهـوا دون منـازع لهم إلا من أمثالهم، كما أزعج ذلك الغرب الذي طن أن الإسلام قد مات وقـبر، فـاتفق السـيد في الغـرب والعبد في الشـرق، على القضـاء على الإسلام دون هـوادة ولا رحمـة، فكـان أن حصل من أعـداء الإسـلام

المنتســـبين إليه مثل ما حصل من أعـــداء الإســـلام من اليهـــود والنصارى والملحدين والوثنيين، من الهجوم على الإسلام وتشويهه، ومحاولة القضـــاء على دعاته بالســـجون والمعتقلات والتعـــذيب الوحشي والتشريد، وانتهاك الأعراض ومصادرة الأمـوال والتضـييق عليهم في لقمة العيش وإيـذاء أسـرهم وأقربـائهم وأصـدقائهم، وبالقتل والاغتيالات، حصل ذلك في أغلب بلدان الإسلام في شـمال إفريقيـا، وفي الصـومال، واليمن، والعـراق، وسـوريا، وباكسـتان، وأفغانستان، وإندونيسيا، وتركيا، وبنغلادش، وألبانيا وغيرها.

قسوة أعداء الإسـلام من المنتسـبين إليه أشد من قسوة غيرهم !

ولعل قســوة أعــداء الإســلام من المنتســبين إليه من أبنــاء المسلمين، أشد من قسـوة غـير المسـلمين على المسـلمين وذلك لأمور ثلاثة:

الأمر الأول: أن عــدو الإســلام المنتسب إلى الإســلام، يعد من أبنـاء البلد وليس أجنبيا عنـه، وتصـرفاته الظالمة لا ينظر إليها عامة الناس-وبخاصة الجهلة-نظرتهم إلى تصرفات العدو الأجنبي الظالم، ولذلك تجد العدو الأجنبي غـير المسـلم يخفف من طغيانه وظلمـه، إذا لم يتعـرض العلمـاء والـدعاة لمصـالحه تعرضا مباشـرا، بخلاف الطاغية من أبناء البلـد، فإنه يوسع دائـرة ظلمه وقسـوته، لتشـمل المعارض الصريح والساكت الذي لم يظهر تأييده لظلمه وقسوته.

الأمر الثاني: أن عدو الإسلام المنتسب إليه من أبناء المسلمين، يجد المؤيـــدين له ولظلمه وقســـوته، من أبنـــاء البلد من أقربائه وقبيلته والمنتفعين بحكمـه، ما لا يجـده غـير المسـلم الظـالم، لأن تأييد غـــير المســـلم يعد منقصة يعـــير بها المؤيـــد، بخلاف من يؤيد الظـالم من أبنـاء البلـد، وبخاصة عنـدما يـدعي الوطنية والقومية والتقدمية والثورية-مع ادعائه الإسلام!-.

الأمر الثالث: أن عدو الإسـلام المنتسب إليـه، يسـتغل إمكانـات البلد البشرية والمادية والإعلامية والتعليمية والاقتصادية والسياسية والعسـكرية، في ضـرب الإسـلام والمسـلمين، وهو ينعت بـالوطني القومي والثـوري والـراعي والحـامي، وليس بالمسـتعمر المغتصب والعدو والمحتل.

لذلك تجد قسوة هـذا العـدو على دعـاة الإسـلام من أبنـاء بلـده تفوق قسوة اليهود والنصارى والملحدين والوثنيين أحيانا.

ولو أردنا أن نذكر نماذج لقسـوة أعـداء الإسـلام من المنتسـبين إليه على دعاة الإسـلام وعلمائه في كل بلد ومن كل طاغية لاحتـاج ذلك إلى كتاب مستقل.

نموذجـــان لقســـوة أعـــداء الإســـلام من المنتسبين إليه.

ولنكتف بالإشارة العاجلة إلى نموذجين نوضح بهما شـدة قسـوة من حارب الإسلام من المنتسبين إليه:

الأول:الأنموذج الثوري الناصري!.

وهو القدوة الحسنة الأولى للثوريين والقوميين العرب على تنوع مسـمياتهم، وهو ما فعله عبد الناصر في مصر بالمسـلمين الـذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله وإقامة حكمه في الأرض، ويكفي أن أنقل بعض النصـوص للـذين ذاقـوا وبـال تعذيبه للدلالة على قسـوة الطاغية وأعوانه وخلو قلـوبهم من الرحمــة، قــال أحد المعــذبين: (الأمكنة الــتي وضــعنا فيها لا يمكن أن تكــون إلا مقــابر، إن كلمة زنــازين الــتي تســتعمل في الســجون، لا يمكن أن تعطيك فكــرة صــحيحة عن الأمكنة الـــتي رأيتها في ذلك الليمـــان [وهو ســـجن جهنمي يعد أحد الإنجـــازات الثورية الناصـــرية.] عنـــدما دفع بي العسكري في العنبر لم أجد مكانا أضع فيه قدمي، لقد كان المكان مليئا بالأجسـاد البشـرية المتكدسـة، بحيث لا يجد المـرء فيه مكانا للجلوس أو الوقوف.. فما بالك بالنوم؟!.

إن مساحة العنبر-كما تبين لي بعد قياسه بواسـطة بلاط الأرض-خمسة وأربعون مترا.. كان به عنـدما دخلته ثمانية وثمـانون معتقلا، أي كل مخلـوق بشـري له نصف مـتر فقط لجلوسه ونومه وطعامه وشـرابه وملابسه وحذائه وكل شـؤونه) [هـذا وصف لبعض أمـاكن السجن، وهناك أماكن وصـفها آخـرون أسـوأ من ذلـك. نافـذة على الجحيم ص56]

وتحت عنوان: الرياضة الجهنمية قال المعذب:

(ينـادي جـاويش السـجن: كل النـاس بـره [أي اخرجـوا جميعـا] الزنازين. وهذا النـداء يسـتعمل دائما إذا أرادوا أن يلقـوا أمـرا عاما على الجميع ويقول الجاويش: إحنا-نحن-حننزل-سـننزل-دي الـوأت-ذا الـوقت-علشـان-من أجـل-تشـموا هـواء يا أولاد الكلب! ويقـول: انـزل بسـرعة يا بن الكلب، وما هي إلا لحظـات فتتـدفق الجمـوع الغفـيرة سـريعا.. وبها ما بها من الآلام.. وهم مع ذلك صـفوة أبنـاء

الشــعب ومن أنبل أبنائــه، فيهم الــوزير ووكيل الــوزارة، والطــبيب والمهنــدس، والمحــامي، والتــاجر والصــانع، والمــزارع، والطــالب، والمدرس، والقاضي، والفـراش، والضـابط، ثم ينتظم الجميع عـدة طوابير في مكان واسع كبير، ويبـدأ سـير الطـابور سـريعا.. ويسـير الطـابور في شـبه دائـرة أو مسـتطيل.. والطـابور يتكـون من عـدة صفوف ويقف على جانبي كل صف رجال الجيش[الــذي الأصل فيه أن يعد للجهـــاد في ســـبيل الله وطـــرد العـــدو اليهـــودي من بلاد المسلمين في أرض الإسراء والمعـراج!] وهم ممسـكون بالسـياط والكــرابيج والمــدافع الخفيفة في أكتــافهم، ويســير الطــابور تحت الضـــرب، فكل شـــرطي يكلف أن يضـــرب من يمر عليه بصـــفة مستمرة، وبمرور الوقت تهوي الضحايا على الجانبين، لطول الزمن الـــذي قد يمتد إلى ثلاث ســـاعات متواصـــلة من الجـــري الشـــديد المصـحوب بالضـرب العـنيف، وكلما ازدادت سـرعة الطـابور تزايد عدد الضحايا، بين فاقد الـوعي ومقعد تماما لا يقـوى على الحركـة، والشـــيء الملفت للنظر أن من يقع على الأرض، يتجمع الشـــرطة حوله وينهالون عليه ضربا بالكرابيج، فإما أن يقوم إذا اسـتطاع وإما أن يمــزق جســمه فــوق ما به من تمزيــق، وفي مــوكب الطــابور تتساقط العروق مصحوبة بالـدماء من أجسـاد البشـر) [نافـذة على الجحيم ص80.]

ولعل بعض المقاطع من قصيدة أحد المعذبين، وهو من العلمــاء الأفـذاذ في هـذا العصر تظهر بعض صـور القسـوة لـزعيم الثـورة العربية والقومية العربية وأعوانه:

قال في مطلع قصيدته:

ثار القريض بخاطري فدعوني
""""""""أفضي لكم بفجائعي وشجوني
فالشعر دمعي حين يعصرني الأسى
"""""""""والشعر عودي يوم عزف لحوني
ألهمتها عصماء تنبع من دمي
"""""""""""""""""ويمدها قلبي وماء عيوني
نونية والنون تحلو في فمي
"""""""""""""أبدا فكدت يقال لي ذو النون
في ليلة ليلاء من نوفمبر
""""""""""""""""""فزِّعت من نومي لصوت رنين
فإذا كلاب الصيد تهجم بغتة
"""""""""""""""""""""وتحوطني من شمأل ويمين

فتخطفوني من ذويّ وأقبلوا
""""""""""""""""فرحا بصيد للطغاة سمين
وعزلت عن بصر الحياة وسمعها
"""""""""وقذفت في قفص العذاب الهون
أسمعت بالإنسان ينفخ بطنه
""""""""""""""""حتى يرى في هيئة البالون
أسمعت بالإنسان يضغط رأسه
"""""""""""""""بالطوق حتى ينتهي لجنون
أسمعت بالإنسان يشعل جسمه
"""""""""""""""""""نارا وقد صبغوه بالفازلين
أسمعت ما يلقى البريء ويصطلي
""""""""""""""""حتى يقول أنا المسيء خذوني
أسمعت بالآهات تخترق الدجى
""""""""""""""""""""""""رباه عدلك إنهم قتلوني
إن كنت لم تسمع فسل عما جرى
""""""""""""""""""""مثلي ولا ينبيك مثل سجين
وسل السياط السود كم شربت دما
""""""""""""""""""""حتى غدت حمرا بلا تلوين
وسل العروسة قبحت من عاهر
"""""""""""""""""كم من جريح عندها وطعين
كم فتيـة زفوا إليها عنوة
"""""""""""""""سقطوا من التعذيب والتوهين

[من القصيدة أو الملحمة التي أنشأها الدكتور يوسف القرضاوي في السجن وكادت تضيع لولا أن هيأ الله لها من حفظها من إخوانه في السجن، نافذة على الجحيم ص 135.

أما العروسة فهي خشــبة تعــذيب يصــلب عليها المســجونون شــرحها أحد الســجناء كما في نافــذة على الجحيم ص100 وراجع كتاب: أيام من حياتي لزينب الغزالي لـترى أنـواع التعـذيب الـتي لا تخطر على البال لها ولإخوانها في السجن، ولماذا أعدم سيد قطب وإخوانــه، ودفــاع لم يســمع وغيرها من الكتب الـتي كتبت في هــذا الموضوع]

الثاني:الأنموذج الشيوعي الصومال!

في الصــومال عنــدما أظهر حــاكم الصــومال الانضــمام إلى المعسكر الشيوعي، وأراد إثبات ولائه للشيوعيين الـروس، فحـارب

الإسلام، وأنكر ما هو معلوم من الدين بالضـرورة، وادعى في بعض خطبه أن نصف القرآن منسوخ، ومنع العلماء والخطبـاء من القيـام بالدعوة في المساجد، وعنـدما أنكر عليه بعضـهم زج بـالكثير منهم في السـجون، وقتل عشــرة من خيــارهم حرقا بالنــار وعــاث في الأرض فســادا، ولا زالت بلاد الصــومال وشـعبها يتجرعــون غصص تصرفاته إلى اليوم [راجع مجلة المجتمع الكويتية: عدد 240 بتـاريخ 28صفر سنة 1395هـ-ص17 وعدد 239 بتاريخ 21صـفر من نفس السنة ص20. المجلد العاشر.]

هذه القسوة والوحشية التي انتهت إلى حرق علمـاء المسـلمين والـدعاة إلى الله تعـالى بالنـار في شـعب مسـلم، بسـبب دفـاعهم بالكلمة فقط عن كتاب الله وشريعة الإسلام، تدل دلالة واضـحة أن كل من وقف ضد الإسلام وشريعته، سواء كـان من المنتسـبين إليه اسما دون مسمى، أو من أعـداء الله الكـافرين من يهـود ونصـارى وملحدين ووثنيين، قد نزعت الرحمة من قلوبهم.

والـذي تـنزع الرحمة من قلبه من أعـداء الإسـلام، لا ينتظر منه في سـباقه إلى العقـول بباطلـه، إلا إعنـات النـاس وإنـزال الحـرج والضــيق بهم وجلب التعاسة والشــقاء لهم، تحقيقا لغاياته الباطلة وأهدافه الخبيثة.

وبعد فقد أطلت كثــيرا بــذكر الأمثلة الدالة على قســوة غــير المسلمين ووحشيتهم وفقدهم الرحمة من قلوبهم، سواء أكانوا من أهل الكتاب: اليهود والنصارى، أو الملحدين-الشـيوعيين-أو الوثنـيين من هندوس وبوذيين وغيرهم، أو من المنتسبين إلى الإسلام-بعد أن بينت اتصاف المسلمين بالرحمة حتى بأعـدائهم، ليتـبين للقـارئ أن سـباق المسـلمين إلى العقــول هو سـباق رحمة ورحمــاء، مع أن الغايـات الـتي يريـدون تحقيقها بسـباقهم إلى العقـول كلها غايـات تسـعد البشـرية كلهـا، وأن سـباق غـير المسـلمين إلى العقـول هو سباق قسوة وشدة وغلظة-وإن حـاولوا أن يظهـروا بعض أعمـالهم بما قد يبـدو فيه رحمة- مع أن الغايـات الـتي يحـاولون السـباق من أجلها إلى العقول هي غايات فاسـدة تشـقى بتحقيقها البشـرية في الأرض كما هو حاصل الآن.

وبهذا يتضح أن من أهم أهداف أهل الحق وغايـاتهم في السـباق إلى العقـول: غـرس الأخلاق الفاضـلة في نفـوس النـاس، وأن من أهم أهـداف أهل الباطل في سـباقهم إلى العقـول محاربة الأخلاق الفاضلة وتمكين الأخلاق الفاسدة، وأن أهل الحق قـدوة حسـنة في تطـبيق الأخلاق الفاضـلة، وأن أهل الباطل قـدوة سـيئة في تطـبيق

الأخلاق الفاسدة.

وأكتفي بما ذكرت من الأخلاق الفاضـلة الـتي يسـعى أهل الحق إلى غرسها في نفوس الناس من باب التمثيل لا الحصـر، ولو أُرِيـدَ التوسع في ذكر كل خلق من الأخلاق الفاضـلة وما يضـادها،لاقتضى ذلك تأليف كتاب مستقل، وليس هـذا هـدفنا من هـذا الكتـاب وإنما الهـدف بيـان أن من غايـات سـباق أهل الحق إلى العقـول غـرس الأخلاق الفاضلة في نفوس البشر.

تاسعا: من غايات أهل الحق: طلب العـزة من الله تعالى وحده.

لقد سـمى الله تعـالى نفسه العزيز في آيـات كثـيرة من كتابه الكريم، ومعناه القوي الغالب الذي يَغلِب ولا يُغلب، ويَقهَر ولا يُقهر.

كما قال تعالى:((رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْـذِرِينَ لِئَلَّا يَكُـونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(165)))

وقـال تعـالى:((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَـالُوا خَيْـرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)) [الأحزاب: 25]

وقال تعـالى:((وَلِلَّهِ جُنُـودُ السـماوات وَالْأَرْضِ وَكَـانَ اللَّهُ عَزِيـزًا حَكِيمًا)) [الفتح: 7]

وقال تعالى:((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِـزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْـهِ يَصْـعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُـهُ وَالَّذِينَ يَمْكُـرُونَ السَّـيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ))[فاطر: 10]

وقال تعالى:((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)) [النساء: 139]

وقال تعالى:((ولا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ)) [يس:65]

وقال تعالى:((يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُـونَ)) [المنافقون: 8]

وقال تعالى:((سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِـزَّةِ عَمَّا يَصِـفُون))[الصـافات: 180]

وفي حديث الْحَسَـنُ بن عَلِيٍّ رَضِـيَ اللَّه عَنْهمـا: عَلَّمَنِي رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْـوِتْرِ: (اللَّهُمَّ اهْـدِنِي فِيمَنْ هَـدَيْتَ وَعَـافِنِي فِيمَنْ عَـافَيْتَ وَتَـوَلَّنِي فِيمَنْ تَـوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِـي وَلَا يُقْضَـى

عَلَيْــكَ وَإِنَّهُ لا يَــذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ولا يَعِــزُّ مَنْ عَــادَيْتَ تَبَــارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ) [سنن أبي داود، رقم: 1214]

فهو سبحانه العزيز ولا عزيز سواه، وله العـزة وحـده ولا يملكها غيره، ومن أراد العـزة فليعبد رب العـزة وليطلبها منه وحـده، ومن عبـده حق عبادته وطلب منه العـزة أعـزه، ومن أطـاع غـيره في معصيته تعالى طالبا العزة من ذلك الغير أذله الله.

لهذا كان من غايات سباق أهل الحق إلى العقول أن يطلب عباد الله العزة من الله، لا من سواه.

وإن هذه الغاية التي يسابق بها أهلُ الحق إلى العقول، لتـبين لنا سبب الذلة التي أنزلها الله بالمسلمين في هذا العصر، حيث طلبوا العزة من أعـداء الله ورسـوله من اليهـود والنصـارى والمشـركين، ونسوا رب العزة العزيز الحكيم، فنسيهم العزيز الحكيم!

عاشــــــرا إقامة الخلافة في الأرض على أساس هدى الله.

لقد استخلف الله بني آدم في الأرض ابتلاء لهم، ليجزي من قام بحق هـذا الاسـتخلاف ما يسـتحقه من الجـزاء الحسن في الـدنيا والآخـرة، ويـنزل بمن عـاد على هـذا الاسـتخلاف بـالنقض عقابه الشـديد، كما قـال تعـالى:((وَهُـوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَـعَ بَعْضَـكُمْ فَـوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـاتٍ لِيَبْلُـوَكُمْ فِي مَا آتَـاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَـرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)) [الأنعام: 165]

والمراد بالخلافة هنا: استغلال خـيرات السـماوات والأرض الـتي سـخرها الله تعـالى لخلقـه، في جلب المصـالح لكل مخلـوق من إنسـان وغـيره، ودفع المفاسد كـذلك عن كل مخلـوق من إنسـان وغيره، وعمـارة الأرض ماديا بما أودع الله فيها من النعم العظيمـة، ومعنويا باتباع منهجه وهـداه الـذي أنزله على رسـله لـدعوة النـاس إلى صراطه المستقيم.

فمن اسـتغل تلك الخـيرات وذلك التسـخير وعمر بهما الأرض، وقام بطاعة واتبع هـداه، فقد حقق هـذه الغاية وقـام بالخلافة على هـدى من اللـه، وعـاش في دنيـاه عيشة رضا وسـعادة واطمئنـان، ونال في آخرته ثـواب ربه الجزيل في جنـات عـدن الـتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قـال تعـالى:((وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْقُـرَى ءَامَنُـوا وَاتَّقَـوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) [الأعراف: 96]

وقـال تعـالى:((قَـالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُـكُمْ لِبَعْضٍ عَـدُوٌّ فَإِمَّا

يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى))[طه: 123]

وقـال تعـالى: ((قُلْنَا اهْبِطُـوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَـأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُـدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [البقرة: 38]

وبين تعـالى أن من أهم واجبـات اسـتخلافه للإنسـان في الأرض إقامة من مكنه الله فيها دينه تعالى في الأرض، وهو شـامل للقيـام بحق الله وحق عباده، فقـال تعـالى: ((الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَءَاتَـوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَـرُوا بِـالْمَعْرُوفِ وَنَهَـوْا عَنِ الْمُنْكَـرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ)) [الحج: 41]

ومن واجبات الخلافة في الأرض: عدل الحكام بين الناس، بأن يحكموا بينهم بـالحق، ولا يتبعـوا أهـواءهم الـتي تضـلهم عن سـبيل الله.

كما قال تعـالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُـوا بِالْعَـدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِـهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) [النساء: 58]

و قال تعالى:((يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَـةً فِي الْأَرْضِ فَـاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِـالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِـعِ الْهَـوَى فَيُضِـلَّكَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَـدِيدٌ بِمَا نَسُـوا يَـوْمَ الْحِسَـاب)) [ص: 26]

وقال تعالى:((إِنَّ اللَّهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تُـؤَدُّوا الْأَمَانَـاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُـوا بِالْعَـدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِـهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا))[النساء: 58]

ومن اســتغل تلك الخــيرات معرضا عن هــدى الله خارجا عن طاعته، نـال من دنيـاه ما كتب الله لـه، وعـاش في الأرض عيشة ضنك ونكد، ونال في الآخرة عقابه في نار جهنم على ما قدم جـزاء وفاقا.

قال تعالى:((هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْـهِ كُفْـرُهُ وَلاَ يَزِيـدُ الْكَـافِرِينَ كُفْـرُهُمْ عِنْـدَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلاَ يَزِيـدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا)) [فاطر: 39]

و قال تعـالى:((وَمَنْ أَعْـرَضَ عَنْ ذِكْـرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيشَـةً ضَـنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(124)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَـدْ كُنْتُ بَصِـيرًا(125)قَـالَ كَـذَلِكَ أَتَتْـكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِـيتَهَا وَكَـذَلِكَ الْيَـوْمَ تُنْسَى(126)وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَـذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)) [طه: 127]

وقـال تعـالى:((أَلَمْ يَـرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَـرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَـلْنَا السَّـمَاءَ عَلَيْهِمْ مِـدْرَارًا وَجَعَلْنَا

الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْـدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ)) [الأنعام: 6]

فمن أحق بالسباق إلى العقـول-إذًا-أهل الحق أم أهل الباطل؟

تلك هي غايات أهل الحق من سباقهم إلى العقول:

1-تبليغ رسالات الله إلى الناس.
2-إقامة الحجة على الخلق.
3-إخراج الناس من الظلمات إلى النور.
4-تحقيق توحيد الله في الأرض.
5-غرس الإيمان بالغيب في النفوس.
6-تحكيم شرع الله في حياة الناس.
7-تثبيت الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الكافرين.
8-غرس الأخلاق الفاضلة ومطاردة الأخلاق الفاسدة.
9-الاعتزاز بالله واتخاذ وسائل العزة.
10-إقامة الخلافة في الأرض على أساس هدى الله.

وبتحقيق هـــذه الغايـــات يتحقق المقصد العـــام من التشـــريع الإسـلامي كلـه، وهو "حفظ نظـام الأمة واسـتدامة صـلاحه بصـلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان ويشمل صلاحه صلاح عقله وصـلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجـودات العـالم الـذي يعيش فيـه" [انظر كتاب: مقاصد الشريعة لفضيلة العلامة الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور ص 63]

هـذا في الـدنيا، وأما في الآخـرة فيتحقق لمن اسـتجاب للحق واتبع هدى الله الذي تتحقق به هذه الغايات، رضا الله تعـالى وثوابه الجزيـل: الجنة الـتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سـمعت ولا خطر على قلب بشر.

وسائل أهل الحق في السباق إلى العقول .

تمهيد:

إن كل غاية يــراد الوصــول إلى تحقيقهــا، لا بد لها من وســائل يُتَوصَّل بها إلى ذلك التحقيـق، وهـذه الوسـائل منها ما هو سـلمي، ومنها ما هو عسكري حربي، وأقصد بالوسائل السـلمية هنـا، كل ما يمكن إبلاغ الحق به إلى العقـول مما هو مشـروع بـدون قتـال، من بيان الحق بالدعوة والتزكية والتعليم، ويشمل ذلك وسائل نــذكر ما تيسر منها إجمالا، ثم نشرع في تفصيلها:

الوسيلة الأولى: التربية الأسرية
الوسيلة الثانية: تلاوة كتاب الله على الخلق
الوسيلة الثالثة: الموعظة الحسنة
الوسيلة الرابعة: الجدال بالتي هي أحسن
الوسيلة الخامسة: التعليم
الوسيلة السادسة: العناية باللغة العربية
الوسيلة السابعة: القدوة الحسنة
الوسيلة الثامنة: الفطرة
الوسيلة التاسعة: المساجد
الوسيلة العاشرة: الإعلام
الوسيلة الحادية عشرة: المؤتمرات والندوات
الوسيلة الثانية عشرة: النوادي
الوسيلة الثالثة عشرة: الرحلات والمخيمات
الوسيلة الربعة عشرة: العلاقات الدبلوماسية
الوسيلة الخامسة عشرة: المال
الوسيلة السادسة عشرة: المواقع
الوسيلة السابعة عشرة. الجهاد العسكري.

الوسيلة الأولى: التربية الأسرية:

إن أولى وسـائل السـباق إلى العقـول بـالحق أو بالباطـل، هي الأسرة: الأبوان والأقارب الـذين يحيطـون بالأطفـال ويـتربى هـؤلاء الأطفال في وسطهم، من إخـوة لهم كبـار، أو أعمـام أو عمـات، أو أخوال أو خالات، أو أجداد أو جدات...

وإن الأم لهي المفتـاح الأول لهـذا السـباق، إذ هي الـتي تلازم الطفل في جميع أطوار حياتـه، منذ خروجه من رحمها صـارخا، إلى أن يبلغ رشده متواضعا أو متكبرا شامخا. تلازمه ليلا ونهارا، صحيحا ذا فرح أو سقيما ذا ترح، ضاحكا ساعيا، أو مقعدا باكيا.

يفتح عينيه على حركاتها وسـكناتها، وهي هادئة وقـورة، أو طائشة مسعورة، ويصـغي بأذنيه لصـوتها، ناطقة بـالقول النـافع، أو صارخة بالسب اللاذع.

وطفلها يراقبهـا-كما يـراقب غيرهـا-منذ الصـغر، خازنا في جعبته كل ما تـأتي وتـذر، ينبت لحمه من حليب ذرعهـا، وتنبت أخلاقه من حميد أو ذميم خلقها.

فإن تحلت بالصدق نشأ صريحا صادقا، وإن أكـثرت من الكـذب، أصبح كاذبا منافقا.

ولهذا شرع الله للرجل الصـالح الحـرص على المـرأة الصـالحة، فقـال رسـوله الكـريم صـلى الله عليه وسـلم: كما في حـديث أبي هريرة رضي الله عنه: (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسـبها ولجمالها ولـدينها فـاظفر بـذات الـدين تـربت يـداك.) [الحـديث في الصحيحين؟؟]

الوسيلة الثانية. تلاوة كتاب الحق على الخلق.

من أهم الوسائل التي يجب على أهل الحق أن يسـابقوا بها إلى العقول، تلاوة كتاب الحق على الخلق، وبيان معانيه لهم، حتى يفهم مراد الله تعالى منهم في أمره ونهيه، وبهذه الوسـيلة يتحقق إدراك مراد الله من عباده وتقوم حجته عليهم.

وقد دعا إبـراهيم عليه السـلام ربه أن يبعث في هـذه الأمة هـذا الرسـول الكـريم ليتلو عليهم آيـات كتابه العظيم، كما قـال تعـالى: ((ربنا وابعث فيهم رسـولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتـاب والحكمة)) [البقرة: 129].

وقد استجاب الله تعالى دعوة إبراهيم، فحقق بعثه هذا الرسـول في هـذه الأمة يتلو عليهم آيـات اللـه، كما قـال تعـالى: ((هو الـذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته)) [الجمعة: 2].

وأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بتلاوة كتابه-وأمره له أمر لعلمـاء أمته بعـده-فقـال تعـالى: ((اتل ما أوحي إليك من الكتـاب؟؟)) وقـال تعـالى: ((واتل ما أوحي إليك من كتـاب ربـك)) [العنكبوت: 45].

وبين تعالى أن الأمم التي تكفر بالرسل في الـدنيا، تعـترف يـوم القيامة بأن أولئك الرسل الـذين بعثهم الله إليهم، قد أقـاموا عليهم الحجة وبلغـوهم رسـالات الله بتلاوتهم آيـات الله عليهم، كما قـال تعالى: ((وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقـال لهم خزنتها ألم يـأتكم رسل منكم يتلـون عليكم آيـات ربكم وينـذرونكم لقـاء يـومكم هـذا قـالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين))[الزمر: 71].

وليس المقصود من التلاوة مجرد قراءة القرآن على الناس دون أن يفهموا معانيه، فالتلاوة وحـدها تكـون كافية إذا كـان المتلو عليه يفقه معاني المتلو، أما إذا كان لا يفهم ذلك، كـأن يكـون جـاهلا من العـرب، أو أعجميا لا يفهم اللغة العربيـة، فلا بد مع تلاوة القـرآن عليه من بيان معنى ما يتلى عليه، كل بما يناسـبه من اللغة العربية أو بالترجمة إلى لغتـه، وبـدون ذلك لا تقـوم الحجـة، لأن التكليف مناطه العقول التي وصل إليها ما عقلته، وذلك لا يكـون إلا بالبيـان، كما قـال تعـالى: ((وأنزلنا إليك الـذكر لتـبين للنـاس ما نـزل إليهم ولعلهم يتفكرون))[النحل: 44].

ويجب أن يشمل بيان العلماء للناس كل المصـالح المعتـبرة في شرع الله، وكل المفاسد التي اعتبرها الشرع مفاسد، بلا فـرق بين ما تعلق منها بالجـانب الإيمـاني أو الجـانب العبـادي أو الجـانب الفكـري، أو الجـانب التشـريعي، أو الجـانب السياسـي، أو الجـانب الاقتصادي والمالي، أو الجانب الاجتمـاعي، أو الجـانب التعليمي، أو الجانب الإعلامي، أو غير ذلك مما يمس حياتهم، لأن الإسلام شامل لكل ذلك، فلا بد أن يكون البيان شاملا لما يشـمله الإسـلام[سـيأتي مزيد بيان لهذا في موضعه إن شاء الله.]

الوسيلة الثالثة. الموعظة.

وهي أمر زائد على التلاوة-وإن كـان القـرآن يشـتمل عليهـا- والبيان، لأن كثيرا من الناس يعلم الحق ولا يتبعه، أو يعلمه ويتهاون به أو ببعضـه، فيحتـاج إلى تـذكيره بالموعظة الـتي تلفت نظـره وترقق قلبه، وتهز عقله للتفكير في مصلحته العاجلة والآجلة، وفيما يلحقه من ضـرر عـاجلا أو آجلا، إن هو لم يعمل بما علم، كما قـال

تعالى: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) [النحـل: 125]

والموعظة تشـــمل الـــترغيب فيما عند الله من ســـعادة ونعيم وراحة قلب ورغد عيش في الدنيا، والترهيب مما عنـده من عقـاب ونكال وشقاء وقلق وتعاسة في الدنيا كذلك، كما تشمل بيان رضاه عن أهل طاعته وإثابتهم في جناته في اليوم الآخـر، وبيـان سـخطه على أهل معصيته وجزائه لهم في نار جهنم في اليوم الآخر كـذلك، والتذكير بالموت وبالقبر وما فيه من نعيم أو عذاب.

ولا بد أن تكـون الموعظة ذات عاطفة قوية جياشـة، وأن تكـون بليغة تجعل من يراد إبلاغ الحق إلى عقله يتفاعل معها ويفكر بعقله في الحق الذي كانت وسـيلة لـه، أما إذا كـانت الموعظة باهتة غـير محركة للعاطفة، أو كان الأسلوب الذي تؤدى به ركيكا غـير بليغ ولا مؤثر، فإنها قد تحدث عكس المقصود منها، وقد تـؤثر في قليل من النـاس ولا تـؤثر في كثـير منهم، ولهـذا أمر الله رسـوله صـلى الله عليه وسلم أن يعظ المنافقين وعظا مؤثرا يبلغ مداه في نفوسـهم، لأن الموعظة البليغة إذا لم تـــؤثر في المخـــاطب تـــأثير اســـتجابة وقبول، تؤثر فيه تأثير خوف وانهزام نفسي، يجعله جبانا أمام الحق الــذي طــرقت الموعظة البليغة به ســمعه وعقلــه، قــال تعــالى: ((أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فـأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا)) [النساء: 63]

الوسيلة الرابعة. الجدال بالتي هي أحسن.

وهو منــاظرة أهل الحق أهــلِ الباطــلَ، ومخاصــمتهم بــالحجج والــبراهين الــتي تقيم عليهم الحجة وتظهر الحق وتزيل الشـــبهة، وتجعل عقـــول أهل الباطل مضـــطرة للتســـليم أو الانقطـــاع عن الجدال، لنصرة باطلهم الذي دحضه برهان الحق فجعله زاهقا.

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجـادل أهل الكتـاب بالحسـنى، فقـال تعـالى: ((وجـادلهم بـالتي هي أحسـن)) [النحل: 125]

وكان الجدال الذي تقام به الحجة على النـاس لإخضـاع عقـولهم للحق، من وسائل الأنبياء وأساليبهم في دعـوتهم قـومهم إلى الحق الذي بعثهم الله تعالى به إليهم.

وكان نـبي الله نـوح عليه السـلام وهو أول رسـول بعثه الله إلى أهل الأرض كلهم في زمانـه، كثـيرَ المحاجة والمجادلة لقومه طـول مدة رسالته التي اسـتغرقت ألف سـنة إلا خمسـين عامـا، حـتى إن

قومه الذين أصـروا على التمسك بالباطل ونبذ الحق الـذي جـاءهم بــه، برمــوا من جداله وحججــه، وطلبــوا منه أن يــأتيهم بما كــان يتوعدهم به من عذاب الله، بـدلا من الجـدال والمحاجة بـالبراهين، كما قال تعالى عنهم: ((قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جــدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين)) [هود: 32].

فلو كان قوم نوح عندهم مقدرة على الاستمرار في جداله عليه الســلام بما يمكن أن يســمى حجة أو برهانـــا، لما اضــطروا إلى مواجهته بهذا الأسلوب الـدال على أن صـدورهم قد ضـاقت بجداله ومحاجته.

أنموذجان لجدال إبراهيم قومَه:

وكذلك جـاء أبو الأنبيـاء الثـاني إبـراهيم عليه السـلام ودعا قومه إلى الحق، وكانت وسيلة الجدال والمناظرة بالحجج والـبراهين، من أهم الوسائل التي اتخـذها لإبلاغ الحق إلى عقـول قومـه، فجـادلهم حـتى أفحمهم، واضـطرهم إلى الاستسـلام لبراهينه الـتي لم تقـدر عقولهم على إنكارها، فلجئوا إلى القوة والتهديد بها، كما هي عــادة الطغاة الذين لا سلاح لهم غير القوة أمام دوامغ الحق العظيمة.

ولا بأسس أن نذكر نموذجين من جدال إبراهيم لقومــه، لما لهما من الدلالة الواضحة في هذا الأمر.

الأنموذج الأول : يتعلق بمعبودات قومه السماوية.

من الشـمس والقمر والكـواكب والنجـوم، فقد جـادلهم مجادلة أقـام بها الحجة عليهم، وبين لهم بالبرهـان أنها لا تسـتحق العبـادة، وأن الذي يستحق العبادة وحده هو خالقها.

وقد أثــنى الله تعــالى على إبــراهيم في تلك المنــاظرة، وامتن عليه بأنه هو الذي وفقه لها حتى غلب الحقُّ الـذي جـاء به الباطـلَ الذي عند قومه.

قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ نُـرِي إِبْـرَاهِيمَ مَلَكُـوتَ السـماوات وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(75)فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَبًا قَـالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَـلَ قَـالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ(76)فَلَمَّا رَأى الْقَمَـرَ بَازِغًا قَـالَ هَــذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَــلَ قَــالَ لَئِنْ لَمْ يَهْــدِنِي رَبِّي لأَكُــونَنَّ مِنَ الْقَــوْمِ الضَّالِّينَ(77)فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَـرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يا قـوم إِنِّي بَـرِيءٌ مِمَّا تُشْـرِكُونَ(78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَــرَ الســـماوات وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْــرِكِينَ(79)وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَـالَ أَتُحَـاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَـدْ هَـدَانِ وَلا أَخَـافُ مَا

تُشْرِكُونَ بِهِ إلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفلا تَتَذَكَّرُونَ(80)وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ولا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82)وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)) [الأنعام: 83 والصواب أن إبراهيم عليه السلام اتخذ هذا الأسلوب لإقامة الحجة على قومه، وليس كما يرى بعضهم أنه كان يبحث عن الحق قبل رسالته والآيات كلها تدل على هذا المعنى الذي هو الصواب، ففي أولها قوله تعالى: ((وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض)) وفي وسطها: ((وحاجه قومه..)) وفي آخرها: ((وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم..))].

الأنموذج الثاني. يتعلق بمعبود اتهم الأرضية.

وهي الأصنام التي كانوا يصنعونها بأيديهم ويعبدونها من دون الله، وقد كانت حججه قولية وفعلية، وهي واضحة في سياق الآيات الآتية:((وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ(51)إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ(52)قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ(53)قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ(54)قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ(55)قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السماوات وَالأرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ(56)وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ(57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ(58)قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ(59)قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ(60)قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ(61)قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يا إبراهيم(62)قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ(63)فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ(64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ(65)قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ(66)أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفلا تَعْقِلُونَ(67)قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ(68)قُلْنَا يا نار كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ(69)وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأخْسَرِينَ)) [الأنبياء: 51-70]

فعلى أهل الحق الذين يسابقون بحقهم إلى عقول الناس أن يستعدوا لجدال أهل الباطل المعاندين بالحجج والبراهين، ليحققوا

بــذلك الهــدف من الجــدال، وهو الســيطرة البرهانية على عقــول الناس حتى يقبلوا الحق أو يهزموا أمـام الحجة والبرهـان، فتضـطر عقــولهم إلى الخضــوع والاستســلام، وإن كـابروا وعانــدوا، وبــذلك يظهر لأتبــــاع أهل الباطل بطلان ما هم عليه كما يظهر لهم الحق ببراهينه فتقوم بذلك الحجة وتتضح المحجة.

الوسيلة الخامسة. التعليم.

وهــذه الوســيلة هي أكــثر الوســائل تــأثيرا وثباتا ورســوخا في الســباق إلى العقــول، لأنها تقــوم على أسس مدروسة ومنـــاهج هادفة، ومـواد مختـارة، وكتب معـدة، ومعلمين مـدربين، ولأن وقت التعليم طويل يبدأ في سن مبكـرة ويسـتمر إلى الممـات عند كثـير من المتعلمين، والسبق بأي مبدأ إلى عقول الناشئين يملك عقولهم و يأسرها أسرا، ولهذا قال الرسول صـلى الله عليه وسـلم-كما في حـديث أبي هريـرة-: (مَا مِنْ مَوْلُـودٍ إلا يُولَـدُ عَلَى الْفِطْـرَةِ فَـأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَـةً جَمْعَـاءَ هَـلْ تُحِسُّــونَ فِيهَا مِنْ جَــدْعَاءَ؟ ثُمَّ يَقُــولُ أَبُو هُرَيْــرَةَ رَضِــي اللَّهم عَنْه ((فِطْـرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَـرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) الآيَـةَ.[الحـديث في صـحيح البخـــاري بـــرقم: 1270] وذلك إنما يكـــون بـــالتعليم الدراسي والأســري. فــإذا راعى أهل الحق أسس التعليم وأحكموهــا، كــان التعليم من أنجح وسائل السباق إلى العقول بـالحق وتثبيته في تلك العقول: عقول الأفراد والأسر والحكام والمربين في كل الأجيال.

أسس التعليم الناجحة في السباق إلى العقول.

الأساس الأول: وضوح الغايات.

أي غايات أهل الحق في سباقهم إلى العقول، وهي:

1-تبليغ رسالات الله إلى الناس.

2-إقامة الحجة على الخلق.

3-إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

4-تحقيق توحيد الله في الأرض.

5-غرس الإيمان بالغيب في النفوس.

6-تحكيم شرع الله في حياة الناس.

7-غرس الأخلاق الفاضلة ومطاردة الأخلاق الفاسدة.

8-إقامة الخلافة في الأرض على أساس هدى الله.

9-الاعتزاز بالله واتخاذ وسائل العزة.

وقد سبق الكلام عنها، وهي-وإن كـانت مطلوبة التحقيق من كل

الوسـائل-تتحقق بوسـيلة التعليم وتثبت وترسخ أكـثر من غيرها من الوسائل الأخرى.

الأساس الثاني: وضع مناهج للتعليم تتحقق بها تلك الغايات.

بحيث تشـمل المنـاهج كل ما تحتـاج إليه الأمة في حياتهـا، على أساس دينها الذي تضمنه كتاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسلم، مما يحقق لها السيادة التي ترضي ربها في الأرض.

ما تجب مراعاته في وضع المناهج.

ويجب أن يراعى في وضع المناهج الأمور الآتية:

الأمر الأول: السـبر الشـامل لكل ما تحتـاج إليه الأمة من العلوم.

وهي كل العلوم التي تمكنها من النهـوض والتقـدم واعتلاء مقعد القيادة الربانية للبشرية، وهو ما عبر عنه القرآن الكـريم بالخليفـة: ((إني جاعل في الأرض خليفة)) سواء كانت تلك العلوم من فروض العين، وهي التي تتعلق بجميع المكلفين ولا يكفي أن يقـوم بها أحد عن آخر، كأركان الإسـلام وأركـان الإيمـان، أو فـروض الكفاية وهي التي تسقط عن بقية الأمة، إذا قـامت بها طائفة كافية عـددا وسـدًّ حاجـة، كـالعلوم السياسـية، والقضـائية، والاقتصـادية، والهندسـية والطبية، والصناعية، والحِرفية، والفلكية، والعسكرية، وغيرها.

ثم يوضع لكل علم منهجه الخـاص به من قبل ذوي الكفـاءة فيه والاختصاص، ويخصص له من الزمن ما يكفيه.

الأمر الثـاني: أن يـراعى في وضع المنـاهج ما يتناسب مع العصر.

ويشمل ذلك جميع المواد والمفردات المطلوب دراسـتها، بحيث يكون الدارس على وعي وخبرة بما يتعلق بـالعلم الـذي يدرسه في واقع الحياة، مع المقارنة والموازنة والـترجيح بالحجة والبرهـان، ولا تكون دراسته دراسة نظرية تلقينية تقليدية جامـدة، تجعله إذا خالط الناس واصطدم بما عندهم من أفكار ونظريات ومبادئ، كأنه بدوي دعي لحضور مـؤتمر تتصـارع فيه نظريـات الفلاسـفة والسياسـيين والاقتصاديين، مع أن بعض تلك النظريات تتعلق بتخصصه.

وسأضرب بعض الأمثلة لتوضيح هذا المعنى:

المثال الأول: وجد في هذا العصر إلحادٌ مـادي قـوي ينكر وجـود الخالق-فضلا عن استحقاقه العبـادة واتبـاع رسـله وتحكيم شـرعه- قامت على أساس هذا الإلحـاد دول ووضـعت له فلسـفات ومنـاهج تعليم وإعلام، واتخـذت لنشـره والـدعوة إليه وسـائل تبـدأ بـالإعلام وتنتهي بالسلاح، وخدعت به عقول واستجابت له حكومات.

والجديد في هـذا الإلحـاد هو انتشـاره وقيـام دول على أساسـه، وقد كـان في الأزمـان الماضـية مغمـورا لا يوجد إلا لـدى أفـراد أو جماعات قليلة، لا وزن لها بين الناس.

وكان إقرار الأمم بالخالق دليلَ الرسل على قومهم المقرين به، بأن الخالق الذي أقرت به تلك الأمم هو وحـده الإله المعبـود الـذي يستحق العبادة.

ولهذا لم تكن الرسل في حاجة إلى أن يَنْصَبُوا في دعـوة أممهم إلى الإقرار بوجود خـالق لهـذا الكـون، لأن ذلك من تحصـيل حاصل ومن تبديد الجهد في غير مكانه.

كما قـال تعـالى: ((قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمـون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السماوات السـبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله قل أفلا تتقون، قل من بيده ملكـوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل فأنى تسحرون)) [المؤمنون: 84-89].

والله الخـالق العليم عـالم الغيب والشـهادة، قد أودع في كتابه من الحجج والبراهين الدالة على وجوده وأنه رب كل شئ ومالكـه، ما لا يـــدع لمنكـــره منفـــذا يفر من براهينه وحججـــه، ســـواء قل المنكـــــرون أو كـــــثروا، وحججه وبراهينه منتزعة من آياته الكونية ومخلوقاته، فالكتاب المقروء يَنْصِب للجاحدين الكتابَ المفتوح وهو الكـون كلـه، كما قـال تعـالى: ((أم خُلقـوا من غـير شئ أم هم الخالقون، أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون))[الطور: 35-36]

وقـال تعـالى: ((أ مَّن خلق السـماوات والأرض وأنـزل لكم من السـماء مـاء فأنبتنا به حـدائق ذات بهجة ما كـان لكم أن تنبتـوا شـجرها أإله مع الله بل هم قـوم يعـدلون، أمن جعل الأرض قـرارا وجعل خلالها أنهـارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحـرين حـاجزا أإله مع الله بل أكـثرهم لا يعلمـون، أمن يجيب المضـطر إذا دعـاه ويكشف السـوء ويجعلكم خلفـاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون، أمن يهـديكم في ظلمـات الـبر والبحر ومن يرسل الريـاح

بشــرا بين يــدي رحمته أإله مع الله تعـالى الله عما يشــركون، أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يــرزقكم من السـماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين))[النمل: 60-64].

ومع هذا كله-أي مع كون وجود الخالق الذي كانت الأمم تعــترف به، وكانت الرسل تستدل بهذا الاعتراف على وجـوب عبادته وحـده وعدم الإشراك به، ومع وجـود كـثرة الحجج والـبراهين في الكتـاب المقروء والكتاب المفتوح، على وجوده وأنه خالق هذا الكــون، ومع بسط علمــاء المســلمين في القــديم والحــديث الكلام عن هــذا المعنى، ومع وجـود دول إلحادية في هـذا العصر قـامت على إنكـار هذا الأصل الذي كان بالأمس مُقَرًّا به لدى عامة أمم الكفر، وأصبح الآن محل إنكار-مع هذا كله وجد من ينتسب إلى العلم ويزعم أنه لا داعي لإدخــال هــذا الأصل الــذي ســماه علمــاء الإســلام "توحيد الربوبية" في مباحث العقيدة لإبرازه والدعوة إليــه، لأنه هو الـدليل على توحيد الألوهية فهو بد هي، والرسل لم تكن تـــــــــدعو أممها إليه!!!

أيعقل هذا الكلام؟! إذا أنكر مراض القلوب وضعاف النفــوس ما كـان في الأصل دليلا، أفلا نـدعوهم إلى الإقـرار بهـذا الـدليل الـذي أقرت به الأمم وتظاهرت عليه آيات الكــون ومخلوقاته كلهــا؟! وإذا أصــبح الــدليل مُنكــرًا ولم نقم الحجج على منكريه ونجعل عقــولهم تقربه، فهل هذه مزية لنا؟ وهل نعد متبعين حقا للرسل الذين كانوا يستدلون بهذا الأصل على وحدانية الله وعبادته بلا شريك معه؟!

ألم يكن نبي الله موسى عليه السلام يعلم أن فرعـون كـان-في الواقع-مستيقنا بـأن الله هو خـالق السـماوات والأرض، وأن الآيـات الــتي جـاء بها موسى كـانت حقـا، وأن إنكـاره وجحـده ما كـان إلا مكابرة منه؟! كما قال تعالى: ((فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سـحر مـبين، وجحـدوا بها واسـتيقنتها أنفسـهم ظلما وعلـوا فـانظر كيف كان عاقبة المفسدين)) [النمل: 13-14].

ومع ذلك فــإن موسى عليه الســلام أقــام الحجة على فرعــون عنـدما ادعى الربوبية وسـخر من دعـوة موسى إلى الإيمـان بربـه، فقال كما ذكر الله تعالى عنـه: ((قـال فرعـون وما رب العـالمين)) فأجابه موسى بقوله. ((رب السـماوات والأرض إن كنتم موقـنين)) [الشعراء: 23-24].

لقد خلت مناهج بعض المعاهد والجامعات والمدارس الإسـلامية، في هذا العصر الـذي ظهر فيه هـذا الإلحـاد، واسـتفحل وانتشر عن طريق التعليم والإعلام والسياسة والاقتصاد وعلـوم النفس وعلــوم

الاجتماع، وعن طريق الغزو المسلح والإكراه على إنكار وجود الله، خلت تلك المناهج من بحوث يتسلح بها الطلاب ودعاة الإسلام، في إقامة الحجج والــبراهين، على تفاهة هــذا الإلحــاد وإزالة ما علق بعقول عدد كبير من الناس، ومنهم بعض ذرا ري المسلمين، ووقف كثير ممن تخرجوا في تلك المؤسسـات الإسـلامية عـاجزين عن رد شـبهات إلحادية كثـيرة بثها الملحـدون في منـاهج التعليم وكتبه في بعض البلدان الإسلامية، إلا من اجتهد من أولئك المتخرجين اجتهـادا ذاتيا فـدرس بعض المؤلفـات وقـرأ بعض البحـوث الـتي ألفها بعض الغيـورين من دعـاة الإسـلام، أو لازم بعض هـؤلاء الـدعاة واسـتفاد منهم، فإنهم انطلقوا بحجج وبـراهين مثل الصـواريخ تـدمر كل شئ أتت عليه من مبادئ وأفكار وشبهات أولئك الملاحدة.

ومع ذلك فقد اجتهد بعض دعــاة الإســلام، فوضــعوا في منــاهج بعض المدارس بحوثا وكتبا مزودة بأدلة علمية وحجج وبراهين قوية في هذا المعنى، استأصلوا بها شجرة الإلحاد من بلادهم وقد كــادت تمد جذورها فيهـا، وكـان ذلك تحصـينا لطلابها وسـلاحا يهـاجمون به أســاطين الإلحــاد في عقر دارهم [كــان ذلك في اليمن، حيث ألف الشيخ عبد المجيد الزنـداني كتب التوحيد السـتة الـتي قـررت على طلاب المتوسط والثــانوي فقضى الله بها على الإلحـــاد في اليمن وأصــبح الطلاب اليمــنيون الــذين ابتعثــوا إلى البلــدان الشــيوعية يوجهـون أسـئلة إلى المشـرفين عليهم من الملحـدين تفحمهم كما ذكر ذلك الزنداني في بعض كتبه.].

المثال الثاني: أن أعداء الإسلام قد بلغـوا شـأوا عظيما في هـذا العصر من القوة المادية والصناعية، وأصـبح عنـدهم من السـلاح ما أخافهم هم أنفسهم من أن يتفجر بينهم في صـراعاتهم على زعامة العالم، وما يُطِيش عقولهم في أن يتقاتلوا بذلك السلاح ويدمروا به أنفسهم وبلـدانهم وما بنـوه من حضـارة مادية في مـدة طويلة من الزمن.

وهم متفقون جميعا على أن عدوهم الحقيقي هو الإسـلام الـذي يخشـــــــون أن يولد من أبنائه من يُعلِي الله به رايتَه في الأرض، فينطلق الإسلام انطلاقة لا قبل لهم بإعاقته، ولا قدرة لكل السـدود التي وضعوها ولا زالوا يضـعونها في طريقـه، على صـده ومنعه عن الانسـياب في الأرض، سـابقا بعقيدته وأخلاقه ومعاملاته الشـاملة، إلى عقول الناس التي لو وصل إليها صحيحا غير مشـوه، لأسـرعت إلى قبوله ورفضت كل العقائد والمبـــادئ والأنظمة الـــتي تخالفه والتي شـقيت البشـرية بها في الأرض، وبخاصة أنه مهيأ ليحل محل

تلك المبادئ والأنظمة التي جربت كلها ففشلت، والعالم يـترقب ما ينقذه مما حل به من دمار.

وأعداء الإسلام يعلمون أن هذا الدين دين عقيدة صحيحة وأخلاق فاضـلة وأنظمة سـامية، يـدعو إلى العلم الشـامل علم الـدنيا وعلم الآخرة، وأنه دين المساواة والعدل والحرية والصدق، ويعلمون بـأن حضـــارتهم المادية مبنية على عقائد فاســـدة، وتحلل اجتمـــاعي، وأنظمة اقتصـــادية مـــدمرة، وأنظمة سياســـية لا قـــدرة لها على الوقوف طويلا أمام سياسة الإسلام، إذا طبقت في الأرض، ديـدنهم العــدوان على الضــعيف وظلمه وهم يزعمــون أنهم دعــاة ســلام وعــدل، فــإذا طبق الإســلام في الأرض ظهــرت عيــوب مــدنيتهم وانكشف زيف ما يلصقونه بالإسلام من مثالب زورا وبهتانا، ولــذلك فهم يخافون من الإسلام خوفا شديدا، ويحيكون للأمة الإسلامية كل المؤامرات، ويعدون العدة لاختلاق الذرائع لشن غاراتهم العســكرية المباشــرة على أي دولة إســلامية يخشــون من تطبيقها الشــريعة الإســلامية تطبيقا صــادقا، وليس مجــرد دعــوى، أو يخشــون من امتلاكها قوة عسكرية واقتصادية-وإن كانت علمانيــة-خشـية من أن ترث تلك القوة قيادة مسلمة تعلي بها كلمة الله!.

ولهذا دمر اليهـود المفاعل النـووي في العـراق، وأغْـرَتْ الـدول الغربية وعلى رأسها أمريكا نظام البعث العراقي بغزو الكويت، من أجل القضـاء على ما يملك من قـوة، وقد فعلـوا ولا زالـوا يفعلـون، ويهـددون جمهورية باكســتان الإســلامية ويحيكــون لها المــؤامرات لتدمير ما تملك من قوة نووية، ولا يعترضون على قوة الهند الوثنية النوويــة، ويواصــلون دعمهم لليهــود ولامتلاكهم مزيــدا من القــوة النوويـة، ولا يطيقـون أن تملك أي دولة من الـدول الإسـلامية قـوة متميزة ولو كانت غير نووية، كل ذلك من أجل أن يضـمنوا تفـوقهم العسكري في كل لحظة، على جميع الدول في البلـدان الإسـلامية، ويريدون لجميع الدول في الشرق الإسـلامي أن تكـون ضـعيفة في سـلاحها وجيشـها واقتصـادها، ما عـدا الدولة اليهودية الـتي احتلت أرض المسلمين في فلسطين، فإنهم يدعمونها بكل وسائل القــوة، ليســـطروا على بلاد المســـلمين واقتصـــادهم ســـيطرة كاملـــة، وليضـــطروهم إلى عـــدم التفكـــير في إقامة دين الله في الأرض بتطبيق شريعته.

ومع وضـوح هـذا العـداء السـافر ضد الإسـلام والمسـلمين، من الدول النصرانية والدولة اليهودية وغيرهم من أعـداء الإسـلام، فـإن مناهج المدارس والمعاهد والجامعات في أغلب البلـدان الإسـلامية،

قد أهملت فقه الجهــاد في ســبيل الله الــذي يــوجب على الأمة الإسلامية أن تعد العدة اللازمة لإرهاب أعـداء اللـه، حـتى لا يعتـدوا على هذه الأمة، وحتى تحطم الأمة الإسلامية كل الطـواغيت الـذين يصدون الناس عن الدخول في دين الله.

وكذلك أغفلت تلك المناهج في أغلب البلـدان الإسـلامية قاعـدة الولاء والبراء التي أبدى فيها القرآن الكـريم وأعـاد، موضـحا أعـداء الأمة الإسلامية من اليهـود والنصـارى والوثـنيين ومكايـدهم الـتي لا يكفــون عنها إلى يــوم القيامــة، بل إن بعض الحكومـات في بعض البلــدان الإســلامية أمــرت بحــذف ما كتب من آيــات في بعض المقــررات الدراســية مما يتعلق بــاليهود والنصــارى حــتى لا يتنبه التلاميذ لهـذه القاعــدة من فهمهم لتلك الآيـات، وقد نبه على ذلك بعض كتاب المسـلمين في بعض الصـحف العلمانية، بعنـوان. [فتنة في الأرض وفســـاد كبـــير. الأهـــرام، القاهرية14/10/1413هـ- 6/4/1993م ص9، راجع الملف الصحفي الذي تصدره تهامة عـدد 362 ص 39 بتاريخ 1/11/1413هـ.]

المثال الثـالث. إذا تأمل المتـابع لحركة التـدبير العـالمي وجـدها تعتمد على ثلاثة أسس جوهريـة، وهي: السياسة والاقتصـاد والقـوة العسكرية بكل فروعها.

وقد أنشــــئت لكل واحد من هـــــذه الأسس معاهد وكليــــات ومؤسسـات ومراكز بحث ومراكز تـدريب، وخصصت لها ميزانيـات هائلة في بلدان العـالم الغـربي بالـذات، وكـذلك في بلـدان العـالم الثالث-كما يطلق عليه هـذه التسـمية الغربيـون احتقـارا له وتثبيطا من التفكـير في النهـوض-ومنه دول العـالم الإسـلامي، وكلها تعتمد على المنهج العلماني إلا ما ندر في بعض البلدان الإسـلامية، ولهـذا سـيطرت النظريـات السياسـية والاقتصـادية العلمانية على العـالم بدعم من القوة العسكرية، وتـرى المثقفين ورجـال الإدارة والحكم في العالم الإسلامي قد فتنوا بتلك النظريات ورأوا فيها مثالا يحتذى وقـدوة تتبـع-سـواء طبقـوا ما فتنـوا به أو خـالفوه بحسب أهـوائهم ومصــــالحهم، ولم يلتفتــــوا إلى ما في مصــــادر دينهم من قواعد السياسة والاقتصاد، بل وقر في أذهانهم أن الدين الإسلامي كغـيره من الأديــان المحرفة صــلة بين العبد وربــه، ولا دخل له في حيــاة البشر الإدارية والسياســية والاقتصــادية والعســكرية وغيرهــا، ولم يخرج عن هذه القاعـدة الـتي سـار عليها المثقفـون من أبنـاء الأمة الإسـلامية إلا من هيأ الله له السـبيل، فـتربى تربية إسـلامية على أيــدي علمــاء الــدعوة الإســلامية، ودرس كتبهم ورجع إلى مصــادر

العلوم الإسلامية فتفقه في دين الله وتيقن أن الإسـلام منهج كامل لحياة البشر.

ومع ذلك لا تجد في العالم الإسـلامي كله كلية واحـدة للاقتصـاد الإسلامي، ولا كلية واحدة للسياسة الشرعية، بل لا تجد في كليـات الاقتصاد والعلوم السياسـية والإداريـة، مقارنة جـادة بين النظريـات الاقتصـادية والنظريـات السياسـية، وبين السياسة الشـرعية والاقتصـاد الإسـلامي، بل مما يؤسف له أن المعاهد والجامعـات الإسـلامية لم تعط هـذين العلمين المهمين في الإسـلام-السياسة والاقتصـاد-ما يسـتحقانه من العناية والاهتمـام، وإن كـانت بعض الجامعـات قد أنشـأت ما يسـمى بقسم السياسة الشـرعية، فـإن الدراسة فيها دراسة جامدة تعتمد على مـذكرات ونصـوص جزئية لا تمت إلى حياة البشرية المعاصرة بصلة قوية.

وكـان الأجـدى بالجامعـات الإسـلامية أن تنشئ كليـات للسياسة الشرعية والاقتصاد الإسلامي، وأن توجد أسـاتذة مـؤهلين يجمعـون بين الفقه الإسـلامي من مصـادره في هـذين المجـالين، وبين النظريات السياسية والاقتصادية المشـهورة في العـالم اليـوم، وأن تـدرس موادها بتوسع ليتخـرج فيها ذوو كفـاءات مؤهلـون لإدارة البلـدان الإسـلامية سياسـيا واقتصـاديا، وليظهر للعـالم ما في هـذا الدين من مزايا يُحَل بها كثير من المشـكلات العويصـة، ويقضى بها على أزمـات مستعصـية، وأن وسـطية هـذا الـدين في السياسة والاقتصاد جديرة بالدراسة والمقارنة والتطبيق الـذي سيقضي على مفاسد الديمقراطية مع اشـتماله على ما قد يكـون فيها من محاسن، كما سيقضي على الدكتاتورية والاستبداد مع اشتماله على ما قد يكون فيهما من ضبط وعـدم تسـيب، وسيقضي على مفاسد الرأسـمالية الربوية مع اشـتماله على ما قد يكـون فيها من حرية فردية محكومـة، وعلى مفاسد الاشـتراكية مع اشـتماله على ما قد يكون فيها من حفظ حق الجماعة بدون اعتداء على حقوق الأفراد.

فهل ننتظر من الجامعات الإسلامية اهتماما ما بذلك؟!

سبب التخصيص.

إن تخصيص الجامعـات الإسـلامية في هـذا السـياق، إنما هو من باب مسايرة الواقع الذي فُرِض على الأمة الإسلامية فرضا، بسـبب العلمنة التي سيطرت على الحكومات في الشعوب الإسـلامية، بعد الجهل الذي خيم على المسـلمين والاسـتعمار الـذي كـرس جهـوده في زيادة جهلهم بدينهم، وبعد التمزق الذي أصـاب الأمة الإسـلامية

في أعقـــاب ســـقوط ما كـــان يـــربطهم، وهو آخر رمز للخلافة الإسلامية-في دولة بني عثمان-حيث تم الفصل بين الدين والدولــة، وتم بنـــاء على ذلك الفصل بين ما ســـمي بالجامعـــات المدنية والجامعات الدينية. وأصبح طلاب الجامعـات المدنية الـتي خلت في الغـالب من الدارسـات الإسـلامية هم قـادة الشـعوب الإسـلامية [1] والمـدبرين لشـؤونها السياسـية والإدارية والاقتصـادية وغيرهـا، لأن مناهج جامعاتهم أعدت لتؤهلهم لذلك.

أما طلاب الجامعات الدينيـة، فقد وضـعت لهم منـاهج قصد منها حصر نشاطهم في المساجد-أئمة وخطباء ومؤذنين-مقيدا بما يــأذن لهم من تربع على كراسي الحكم من طلاب الجامعـــات المدنيـــة، وفي تــدريس المــواد الدينية حسب المنهج الــذي تضــعه الزمــرة الحاكمة، ولا زال هذا الفصل مستمرا إلى الآن.

وكان الجفاء والنفرة على أشدهما بين أساتذة الجامعات المدنية وطلابها، وبين أساتذة الجامعات الإسلامية وطلابهـا، حـتى أصـبحوا-وهم إخوة في بلد إسلامي واحد-كأن بعضهم أجنبي عن الآخر.

ولكن بحمد الله وتوفيقه ثم بفضل جهود دعاة الإسـلام في نشر المعاني الإسلامية والدعوة إلى الرجوع إلى هذا الــدين والتفقه فيه وحمله، أن أقبل طلاب الجامعات المدنية إلى هذا الــدين وتمســكوا به حــتى فــاق كثــير منهم في الالــتزام به بعضَ طلاب الجامعــات الإســلامية، حــتى ضــاقت بــذلك صــدور العلمــانيين في البلــدان الإســلامية، وأســاتذتهم في بلــدان الغــرب ذرعا بهــذه الظــاهرة، وأصـبحوا يحـاربون هـذا الصـنف من الملـتزمين أكـثر من حـربهم للملتزمين بالإسـلام من طلاب الجامعـات الإسـلامية، حـتى الطلاب الذين درسوا في الجامعات الغربية معقل العلمانية، رجع كثير منهم وهم يحملون الدعوة إلى الإسلام مع تخصصاتهم المســماة بالمدنية والعســكرية، فكــان فيهم شــبه بتربية موسى في قصر فرعــون، وعلى أهلها تدور الدوائر!

هـذا هو سـبب تخصـيص الجامعـات الإسـلامية، وإلا فالأصل أن تكون الجامعات في البلدان الإسلامية كلها جامعات إسلامية، بــدون حاجة أن توصف بأنها إسلامية، على أن تضم الجامعة الواحدة جميع الكليـات والأقسـام التخصصـية، فتكـون في الجامعة كليـات الطب والهندسة والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والشريعة واللغة وغيرها، وتكــون الدارســات الإســلامية مقــررة في كل الكليــات بالقــدر المناسب، مع ما فيها من تخصصات، حـتى يكـون المتخرجـون منها

[1]-بل تجاوز الأمر المدنيين إلى أن تولى أزمّة الأمور في كثير من بلدان المسلمين العسكر.

كلهم ذوي كفاءات ومـؤهلات متخصصـة، مع معرفة القـدر الكـافي من العلوم الإسلامية، وبذلك يقضى على الازدواجية الموجـودة الآن في البلدان الإسلامية.

أقسام العلم في الشريعة الإسلامية.

إن العلم في الشريعة الإسلامية ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما هو فرض عين على كل مسلم.

وهو ما لا يسع أحـدا من المسـلمين جهلُـه، لتعلقه بعينه وعـدم سقوطه عنه-ما دام قادرا عليه-بفعل غيره، وذلك مثل العلم بالقدر الضـروري من أصـول الإيمـان، والعلم الضـروري بأصـول الإسـلام، وكل ما هو فـرض على الأعيـان، فـإن الـواجب على كل مسـلم أن يعلم ما وجب عليه عينا بحسب ما هو مطلوب منه شرعا.

القسم الثـــاني. ما هو فـــرض كفاية من علـــوم الشريعة.

وهو ما لا يجب على أحد بعينه من المســلمين، وإنما يجب على الأمة أن يوجد فيها من يقوم به قياما كافيا، فـإذا قـام به واحد منها وكان كافيا للأمة سقط عن بـاقي الأمـة، وإن لم يكف الواحد وجب أن يوجد العـدد الكـافي للأمة بحسب حاجتهـا، وذلك مثل الفتـوى والقضاء والسياسة الشـرعية والمـواريث والمعـاملات، والعقوبـات-الحدود والقصاص والتعزير-وغير ذلك من علوم الشريعة الإسلامية، فيجب أن يوجد القضاة الذين تحتاج إليهم الأمة مهما كـان عـددهم، وهكذا المُفْتُون، وفقهاء السياسة الشرعية وخبراء الجهاد والاقتصاد الإسلامي وغيرهم.

هذان القسمان-كما هو واضح-من علوم الشـريعة الـتي تسـتفاد من القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن الـوحي الـذي جاء به، من عند الله يشملهما، ويدخل في ذلك ما أخذ منهما بطرق الاســتنباط والاســتدلال المعروفة عند العلمـــاء، وما دلا عليه من مقاصد الشريعة الإسلامية.

القسم الثالث: ما يتعلق بمصالح الدنيا.[1]

مما يرشد إليه الوحي أو العقل أو التجربة أو اللغة، وهي العلوم التي يحتاج إليها المسلمون وغـيرهم، وإذا خلا منها بلد تعـرض أهله للهلاك أو الانحطاط والتأخر والضعف.

مثل علم الطب والرياضـيات والهندسة بأنواعهـا، وكـذلك المهن الأخـرى كالصـناعة والزراعة والخياطة والحياكة والخبـازة وغيرهـا، فهذه العلوم والمهن من فروض الكفاية.

وفرض الكفاية بقسميه. الشرعي والعادي تأثم الأمة كلها إذا لم يوجد من يقوم به قياما كافيا.

وكلاهمـا-فـرض العين وفـرض الكفاية بقسـميه-يثـاب فاعلـه-إذا قصد به وجه اللـه-ويعـاقب تاركه القـادر عليـه. وكلها تـدخل تحت الأحكـام التكليفية الخمســة، وهي: الــواجب والمنــدوب والمبــاح والمحرم والمكروه.

وبهـذا يعلم أن المسـلم مكلف شـرعا بجميع العلـوم: الشـرعي منها والعادي، إلا أن منها ما يكون فرض عين ومنها ما يكون فـرض كفاية [2].

وهذا يدل على ارتباط شؤون الدنيا بشـؤون الـدين، وأن الفصل بينهما فصلا يعـــــزل الـــــدين عن توجيه الأمة في حياتها الدينية والدنيوية، منكر في الإسـلام لا يجـوز إقـراره، وهو الـذي دمر حيـاة المسلمين في هذا العصر، حيث صـار لشـؤون الـدنيا سـلطة زمنية مستقلة، ولشؤون الدين زعامـات تقيـدها سـلطة الشـؤون المدنية بما تهـوى، ولو ألغي بـذلك تطـبيق الإسـلام، اتباعا لما سـار عليه العلمانيون في الغرب من إقصاء الدين النصراني الكنسي المحرف عن التدخل في الشؤون الدنيوية، مع أن الفـرق الكبـير بين الـدين الكنسي الذي تَحَكَّم في حياة الناس باسم الله، فأحل ما حـرم الله وحرم ما أحل الله بدون إذن من الله، وليس فيه منهج صالح لحيـاة البشر الشاملة، بخلاف الإسلام الذي لم يـدع شـاردة ولا واردة في حيـاة البشر إلا شـرع لها فيه ما يحقق لهم مصـالحهم ويـدفع عنهم

---

[1]-الأصل في التقسيم أن العلم قسمان: فـرض عين، وهـو مـا تعلـق بـذات كـل فـرد من أفـراد المسلمين، بحيث لا يغني عنه غيره في القيام به... وفرض كفاية، وهـو مـا لم يتعلـق بـذات الأفـراد، وإنما يتعلق بوجود الفرض نفسه، بحيث يغني في القيام به عن الأمة من يقوم بـه عنهـا قيامـا كافيـا، وهذا الفرض قسمان: قسم يتعلق بالمصالح الدينية تعلقا مباشرا، كالجهـاد في سـبيل اللـه، والقضـاء والفتوى... وقسم يتعلق بمصالح الدنيا، كالصناعة والتجارة... وقد فضـلت إفـراد هـذا القسـم وجعلـه ثالثا، لأنه-مع إثم المسلمين بتركه كالقسم الذي قبله-من الأمور التي يشترك المسلمون وغيرهم في ضرورة القيام بها لأن حياتهم لا تقوم بدونها. ولا مشاحة في الاصطلاحات.

[2]-راجع إحياء علوم الدين (1/16) للغزالي. ومجموع الفتاوى لابن تيمية (28/79-80).

المفاسـد، إما بالنصـوص الصـريحة والظـاهرة، وإما بالاسـتنباط والقياس، وإما بما وضـعه من مقاصد ينـدرج تحتها ما لا يحصى من المسائل.

فالأصـل-إذا-أن يكـون التعليم ومناهجه ومدارسه وجامعاته على أسـاس الإسـلام، وأن يكـون العلمـاء الـذين يتخرجـون من تلك المـدارس والجامعـات كلهم متعـاونين-مع تنـوع تخصصـاتهم-على إقامة دين الله في الأرض، يحكمهم جميعا شـرع الله ويسـيرون جميعا على نهج الإسلام.

ويظهر من ذلك أن الأوضـاع الموجـودة الآن في مؤسسـات التعليم ومناهجه ونتائجـه، الـتي أوجـدت فئة علمـاء دين هم المسؤولون عن الشؤون الدينية في حدود ما يـأذن لهم به الحكـام، وفئة يدعون بـالمثقفين الـذين مكنتهم تخصصـاتهم من قيـادة الأمة غير متقيدين بشرع الله-إن هذه الأوضاع تعتبر شـاذة يجب السـعي لإزالتها وإعادة الأمور إلى أصلها كما هو واضح فيما ذكرنا.

ولست بهذا أرى منع جامعـات أو كليـات أو معاهد متخصصة في بعض العلوم قائمة بنفسها مستقلة عن غيرهـا، ولا أوجب أن تكـون كل الكليات الشـرعية وما تسـمى بالمدنية في جامعة واحـدة، وإن كنت أحبذ ذلك للقضاء على الوضع الراهن الشـاذ، وإنما أردت بهـذا أن لا توجد جامعات يقال لها مدنية، وأخرى يقال لها دينيـة، وتكـون تلك غـير مقيد طلابها بالإسـلام في وظـائفهم، وهـذه غـير مـأذون لطلابها بالاشتراك في قيادة الأمة وإدارة شؤونها على أساس منهج اللـه، بل يجب أن يكـون الجميع سـائرين على هـذا النهج الـواجب شرعا، بل إن العلماء الذين تخصصـوا في علم الشـريعة هم الـذين يحكمـون على التصـرفات والنظم، ما هو مشـروع وما هو غـير مشروع على ضوء فقههم في الدين وتصورهم لما يحكمون عليه.

وقد نص على ذلك العلمـاء، حـتى قـال الـرازي رحمه اللـه: [والعلمـاء في الحقيقة هم أمـراء الأمـراء، فكـان حمل لفظ أولي الأمر عليهم أولى][1].

وقال ابن العربي رحمه الله: (والصـحيح عنـدي أنهم-يعـني أولي الأمـر-الأمـراء والعلمـاء جميعـا، أما الأمـراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم، وأما العلماء فلأن سـؤالهم واجب متعين على الخلق وجوابهم لازم وامتثـال فتـواهم واجب...) إلى أن قـال. (والأمر كله يرجع إلى العلمـاء لأن الأمر قد أفضى إلى الجهـال وتعين عليهم

---

[1]-التفسير الكبير (10/144-146).

سؤال العلماء..) [1].

وقال ابن القيم رحمه الله: (والتحقيق أن الأمراء يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء...) [2].

ولو أن التعليم في البلدان الإسلامية سار على هذا النهج، لما سبق أهل الباطل بباطلهم إلى عقول أبناء المسلمين، ولكان السبق لعلماء المسلمين بالحق إلى عقول هؤلاء الأبناء.

الأمر الثالث: ما يناسب الدارسين في المراحل الدراسية المبكرة.

ويشمل ذلك طلاب الروضة وطلاب المرحلة الابتدائية والمرحلة المتوسطة-من الجوانب الإيمانية والعبادية والأخلاقية والآداب والحقوق الأسرية والأخوة الإيمانية وحقوق الجيران، والسيرة النبوية التي تغرس في نفوس الطلاب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ووجوب اتباعه، وتعظيم شأن القرآن الكريم وتحبيب الطلاب في حفظه وقراءته، والتمسك به وحب السنة النبوية، وتوقير العلماء واحترامهم ومحبة المسلمين عموما، ومختصرات عن التاريخ الإسلامي وجغرافية البلدان الإسلامية، ونبذة مختصرة عن مقارنة الأديان، يبين فيها الأديان السماوية السابقة على الإسلام وما طرأ عليها من تحريف، والديانات الوثنية ليخلص من ذلك إلى أنه لم يبق دين حق في الأرض محفوظ وسيظل محفوظا إلى يوم القيامة، إلا الإسلام الذي جاء ليكون منهاجا لحياة الناس كلهم، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء.

مع دراسة بعض أبواب الفقه، وقواعد اللغة العربية من نحو وصرف، وشئ من المفردات اللغوية، وحفظ بعض النصوص المفيدة من الشعر والنثر، واختيارات من كلام الصحابة رضوان الله عليهم.

كما يهتم بتعليم الكتابة وقواعد الخط ومبادئ الحساب والهندسة ونحوها، وكل مرحلة من المراحل الثلاث، يوضع لها ما يناسبها مراعاة لسن الطالب مع الاهتمام بوسائل الإيضاح وجعل الدارس-مع حفظ ما لا بد من حفظه-يفكر ويشغل عقله في فهم

1-أحكام القرآن (2/210-211).

2-أعلام الموقعين عن رب العالمين (1/10).

ما يمكنه فهمه ولا يعتمد على التلقي فحسب.

إن هـــذه المراحـــل-من الروضة إلى المتوســـطة-هي مراحل تأسيس لصياغة المسـلم الـذي يـؤمن بدينه إيمانا صـادقا مبنيا على حجة وبرهان، وليس على مجرد تقليد، والذي يفقه دينه فقها يصحح به تقربه إلى الله بالعبـادة، ويجعل علاقته بالنـاس علاقة شـرعية، تجعله يـــؤدي إليهم حقـــوقهم دون نقص، ويأخذ منهم حقوقه دون إجحاف، و يكـون لبنة صـالحة في الأمة يبـني معها الحيـاة ويتعـاون معها على البر والتقوى ولا يكون عالة عليها.

لذلك يجب مراعاة هذه المعاني في هـذه المرحلة المبكـرة من عمر الإنسان في مناهج التعليم، لما في ذلك من الإعداد والتحصين لعقول ذرا رينا حتى لا يسبقنا إليها أهل الباطل بباطلهم.

فإذا تجاوزوا هـذه المرحلة إلى المرحلة الثانويـة، أمكن بعد ذلك التوسع في العلوم الأخرى لإعـداد الطـالب للتخصصـات الـتي يميل إليها في المرحلة الجامعية، وما فوقها.

الأمر الرابع: مراعاة الفوارق بين الذكور والإناث.

بعد مراعاة فروض العين وفروض الكفاية، والإعـداد لما قد يتهيأ له المسلم من تخصصات.

فالمرأة يجب أن تهيأ في الأصل لشؤون المنزل وتدبيره، وتربية الأولاد الأســـرية، الـــتي هي أســـاس لتربية المدرسة والمجتمـــع، والمجـالات الـتي تنتظر قيـام المـرأة بالواجبـات المناسـبة لهـا، لا تحصى كـثرة، وهي لو صـرفت كل أوقاتها فيها لكـانت جـديرة بهـا، كتهيئة المنزل وترتيبه وإعداد الغذاء، والتنظيف، وإرضـاع الأطفـال، والعناية بتغـذيتهم ونظـافتهم وتـوجيههم التوجيه الإسـلامي المبكر المناسب لأعمـــارهم، والعناية بـــالمريض وإســـعافاته الأولية الـــتي تقتضي تدربها على وسائل التمريض والإسعاف، والعناية بالمسـنين من أقربائها كـالأب والأم والجـدة ونحـوهم، وتعليم بناتها ما يحتجن إلى تعلمه من شؤون المنزل وتربية الأولاد وغيرها مما ذكر.

إن المـــرأة المســـلمة هي المحضن الأول لتربية الطفل تربية إسلامية، وهي أول السباقين بالحق إلى عقل أبنائها وبناتهـا، ولو أن النساء المسلمات كلهن عنين بتربية أبنائهن وبنـاتهن تربية إسـلامية سليمة في كل منزل، لكان جيل الأمة الإسلامية في كل عصر على هـدى من ربـه، فقد يكـون في المـنزل الواحد عشـرون ابنا وبنتا أو أكثر أو أقل، فإذا تـربى الولد الأكـبر تربية سـليمة، كـان قـدوة لمن بعده وخف العبء وأصبحت الأسرة كلها مسلمة بإذن الله.

وإن ما يعانيه المســلمون اليــوم من تفلت كثــير من الشــباب وبعدهم عن التمسك بالإسلام، من أهم أسـبابه عـدم قيـام الأسـرة في المـنزل وبخاصة الأم بهـذا الـواجب العظيم، إما جهلا بـه، وإما تكاسلا، وإما اشتغالا بغيره مما ليس بأولى منه، ولـذلك يسـبق إلى عقل الطفل بالتدريج الباطـلُ، إما عن طريق أهله بالقـدوة السـيئة والتربية الفاســدة، وإما عن طريق الخادمـــات الأجنبيـــات غـــير المسلمات، أو المسلمات الجاهلات اللاتي هن في حاجة إلى التربة الإسلامية والتوجيه.

هذا هو الأصل الذي ينبغي أن تعد له المرأة.

وهــذه المعــاني، مع منهــاج الحيــاة الزوجية وحقــوق كل من الزوجين وواجباته، وحقوق الأولاد والآباء والأقارب والجــيران، وفقه أحكـام النسـاء هي الـتي ينبغي العناية بها في تعليم الفتـاة ومنهـاج دراستها.

ثم ينظر بعد ذلك في العلــوم الــتي تحتــاج الأمة إليها للنســاء خاصة، بحيث تنشأ لهن مدارس ومعاهد وكليـات، وتوضع لها منـاهج تشـتمل على مـواد تلك العلـوم الـتي تتخصص فيها النسـاء للقيـام بتدريسـها لبنـات جنسـها، أو بالوظـائف الـتي يحتـاج إلى أن تقـوم المرأة بها، ولا مانع من مشـاركتها في العمل في خـارج منزلها في تعليم وخدمة نسـاء الأمــة، إذا اسـتغني عنها بيتها بغيرها من نســاء أهل المنزل، كأن تكون غـير متزوجة أو لا أولاد لهـا، والحاجة تـدعو إلى مشــاركتها في خــارج المــنزل، في تــدريس الفتيــات وإدارة مدرسـتهن، من روضة أطفـال إلى الكليـات، أو طبيبة في أمـراض النساء في عيادة خاصة بهن أو مستشفى خاص بالنسـاء، ولا يدخله الرجال أطباء أو عـاملين إلا عند الضـرورة في حـدودها، وما أحـوج المسلمين إلى أمثال هـذا المستشـفى في كل مدينة وبلد ليسـتقل النسـاء فيه عن مخالطة الرجـال! ولاسـيما المخالطة مع الخلـوة، ويمكن أن تتـولى المـرأة إدارته وجميع أعمالـه، كما هو الحـال في مدارس البنات وكلياتهن في المملكة العربية السـعودية، بل كما هو الحال في مستشفى....

وهكذا العمل في خدمات اجتماعية أخرى خاصة بالنساء وأعمال مالية خاصة بهن، كالمصـارف الـتي يحتـاج إليها النسـاء المسـلمات في كثــير من الأحيــان، بســبب عــدم وجــود أوليــاء أمــور لهن، فيضــطررن إلى الــذهاب إلى البنــوك والانتظــار هنــاك ومخالطة الرجال.

إنه لا يوجد مــانع شـرعي من خـروج المـرأة من منزلها للحاجة

الخاصة بها أو حاجة المجتمع إليهـــا، ولكن ينبغي الأخذ بالأســـباب المانعة من الفتنة ما دامت ممكنـــة، أما عند الضـــرورة أو الحاجة القريبة منها، فإن المرأة تقوم بالأعمال لمساعدة الرجـال كمـداواة جرحاهم أو نقل موتاهم في وقت الحروب، وكذلك تختلط بالرجــال في العبـــادات الـــتي لا يمكنها الاســـتقلال فيها عنهم، كـــالطواف والسعي وغيرهما من أعمال الحج، إلا أنه يجب والحالة هذه الإكثـار من تقوى الله ومراقبته-وإن كـان ذلك مطلوبا في كل الأوقـات-من الرجال والنسـاء معـا، اتقـاء لما قد يحصل من فتنة المخالطـة، كل هذه المعاني ينبغي مراعاتها في مناهج التعليم.

وليس من الحكمة جعل المنهج للرجال والنساء سواء، مع وجود الفوارق بينهم في مجالات العمل، وفي قوة التحمل وضـعفه، وفي الخروج من المنزل وعدمه أو قلته، وفي المشي في مناكب الأرض والأسفار وغيرها.

ويجب التنبيه هنا إلى ما يحصل من بعض الغيـــــــورين من منع النساء من حضور المساجد لسـماع الخطب والمواعظ والاسـتفادة من العلمـاء في أمـور دينهن، هو تشـدد في غـيره محلـه. وقد كـان النسـاء يحضـرن صـلوات الجماعة في مسـجد الرسـول صـلى الله عليه وسـلم في أوقـات معينة يعظهن فيها ويعلمهن، وغاية ما نصح به الرسول صلى الله عليه وسلم الرجال والنسـاء هو الـورع والبعد عن الفتنة فقـال-كما روى عنه أبو هريـرة-: [خَيْـرُ صُـفُوفِ الرِّجَـالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا.] [1]

ولا زال النســاء يحضــرن المســاجد ويســمعن المواعظ في كل المساجد الكبيرة كالمسجد الحرام والمسجد النبوي وغيرهمــا، وإذا احتاجت المرأة إلى السؤال عن أمر من أمــور دينها فلها أن تســأل العالم، بل إذا احتاج الرجل أن يسأل المرأة التي عندها علم يحتــاج إليه فله أن يسألها، كل ذلك في حـدود الحاجة والأدب الإسـلامي لا مانع منه، فلا تفريط ولا إفراط.

الأســاس الثــالث. وضع الكتب المناســبة للمراحل الدراسية.

ويجب أن يتحقق بتلك الكتب أهداف التعليم المذكورة آنفا، بــدء بالكتب المعـدة للأطفـال، وانتهـاء بالمراحل الجامعيـة-الكليـات وما فوقها-وتشمل كل العلوم والتخصصات.

---

[1]-مسلم: 664

ويراعى في إعداد هذه الكتب الأمور الآتية.
الأمر الأول: أن يختار لتأليفها متخصصون في كل علم مؤهلون لذلك قادرون على صياغتها، بأساليب تناسب العصر.
وينبغي تجنب العبارات المعقدة والمصطلحات الصعبة، وبخاصة في المراحل الأولى، مع التقيد باللغة العربية الفصحى، وأن يكون المؤلفون من الصالحين الملتزمين بالإسلام قولا وعملا، ليجتمع في المادة التي يتولون الكتابة فيها العلم الموثق والعاطفة الإيمانية الجياشة المؤثرة.
الأمر الثاني: أن يجمع في المادة المكتوبة بين القواعد والنصوص التي يجب حفظها وفهمها بالشرح والإيضاح، وبين الحوار والأسئلة التي تدرب الطالب على التفكير والاستنباط والاستنتاج والتطبيق.
ولا ينبغي أن يكون الطالب نسخة مكررة للكتاب الذي يحفظه، وهذا الأسلوب يمكن اتباعه في كل المراحل مع مراعاة السن، فالمقصود من التعليم إيجاد عقول تفكر وتبدع وليس مجرد ببغاوات تتلقى وتقلد.
الأمر الثالث: استعمال وسائل الإيضاح المعاصرة التي تمكن الطالب في جميع المراحل-وبخاصة المراحل المبكرة-من فهم المواد الدراسية، لا فرق بين الدينية منها وغير الدينية.
ومن أمثلة وسائل الإيضاح في المواد الدينية ما يأتي:
المثال الأول: توضيح معنى توحيد الربوبية للطفل في المرحلة الابتدائية:
ينبغي أن يكون في الفصل الدراسي شريط(فيديو) يشتمل على صور للكواكب من شمس وقمر ونجوم، وللأرض من جبال وغابات وأنهار وبحار وسحب ورمال... تعرض كلها عندما يقال للطفل: والدليل على توحيد الربوبية: خلق السماوات والأرض والشمس والقمر... ليتصور الطفل هذه الأدلة تصورا واضحا، فإنه لا يتصور ذلك بمجرد الحفظ والتلقين كما هو معروف.
المثال الثاني: توضيح معنى صفة الوضوء، وصفة الصلاة.
ينبغي كذلك أن يوجد شريط(فيديو) في الفصل الدراسي مشتمل على تينك الصفتين، بحيث يتصور الطفل صفة الوضوء وصفة الصلاة تصورا واضحا، ويطلب من بعض الأطفال تطبيق ذلك عمليا أمام زملائهم. وهكذا بقية العلوم.
كما ينبغي أن تكون طريقة المدرس في الشرح والإيضاح طريقة الحوار والسؤال والجواب، وليست طريقة الإلقاء والإملاء

باستمرار، لما في الطريقة الأولى من إشراك الطــالب وتفاعله مع المـــدرس والمـــادة والكتـــاب، وما في الطريقة الثانية من غفلته وشروده وعدم استيعابه وتصوره للمعاني التي لا يدرك غالبها.

وهكــذا ينبغي أن يــراعى في تــأليف الكتب وإخراجهــا، ليقضى بذلك على الشكوى المتكررة من عــدم فهم الطلاب، بل من الملل الــذي يصـيبهم في أوقـات التـدريس، ومن الرغبة في الخـروج من المدارس...

الأمر الرابع: أن تكون الصبغة الإسلامية شاملة للكتب الدراسـية كلها.

يســتوي في ذلك ما يتعلق بالعبـــادة أو بغيرهـــا، كالمعـــاملات والحدود والقصاص، وما يتعلق بعلوم الإنسان الأخرى، كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السياسة وعلم الاقتصاد.

ولا يجوز أن تكون –العلوم الإنسانية-نقلا محضا لأفكـار الغربـيين ونظريــاتهم، وهــذا لا يمنع من المقارنة وإيضــاح ما بها من أخطــاء وإبراز تفوق الإسلام عليها، فـإن الكتـاب والسـنة إنما جـاءا لإصـلاح النفس البشــرية والجماعــات والأسر والأفــراد والــدول، فلا بد أن يكون الكتاب والسـنة وما اسـتنبطه منهما علمـاء الإسـلام ومقاصد الشريعة الإسلامية، هي مصدر هذه العلوم ومرجعها، ولا يوجد بــاب من الأبواب التي يحتاج إليها الإنسان لإصـلاح نفسه وعمـارة الأرض والقيام بالخلافة فيها، إلا وقد اشتمل عليه الكتـاب والسـنة وفصـله علماء المسلمين قديما وحديثا، في كتب التفسير، وشروح الحديث، وكتب الإيمـان "العقائـد" والأخلاق، وأصـول العلـوم، مثـل. أصـول التفســير وأصــول الحــديث وأصــول الفقــه، و الفقــه، وغيرها من العلوم... [1].

ولا يمنع ذلك اطلاع علماء المسلمين على الأفكار والنظريــات ة في تلك العلــوم، ووزنها بمــيزان الإســلام، وبيــان ما فيها من زيف للطلاب، حتى لا تغزو عقولهم وهي خالية غير محصنة فتتمكن منها، لتقديمها في أساليب مزخرفة.

ولا يقتصر هذا الأمر-وهو صـبغة الكتب بالصـبغة الإسـلامية-على ما يســمى بـــالعلوم الإنســانية فحســب، بل إن العلـــوم الكونية كالجغرافيا والجيولوجيا وعلم الفلك وعلم الطب ونحوهــا، ينبغي أن تربط بالإسلام من حيث إن الله تعـالى هو خـالق هـذا الكـون وهـذا الإنســان، وهو الــذي ســخر للإنســان ما في الســماوات والأرض، ومنحه العقل الذي يتفكر ويتدبر ويسـتنتج ويـزن ويقـارن، والأدوات

---

[1]-راجع على سبيل المثال: أعلام الموقعين عن رب العالمين. (4/372، 377).

التي بها يستغل خيرات الأرض وبركات السماء، وكلما زاد الإنسان علما بما في الكون زاد إيمانه بالله خالق الكون وشكره له، وكثر تواضعه وأدبه مع ربه وقدره حق قدره، ولا يكون كمن صال وجال في استغلال هذا الكون وما فيه من طاقات ناسيا ربه بل مغرورا بنفسه مدعيا أنه قهر الطبيعة قائلا: {إنما أوتيته على علم عندي}.

وكذلك يجب أن تتضمن الكتب الدراسية توجيه الأجيال إلى السبيل المشروع في استغلال ثمرات العلوم المدروسة، بأن تستعمل في إسعاد البشر وأمنهم واستقرارهم، وليس في ظلمهم وتخويفهم واغتصاب حقوقهم، كما يفعل أعداء الإسلام اليوم، فالمسلم قائد عادل رحيم كريم حازم، لا يستغل ثمرات العلوم إلا فيما هو طاعة لله وإحسان إلى خلقه، وإذا ما قاوم الطغاة الجبابرة وجا هدهم وطاردهم في الأرض، فإنما يفعل ذلك رحمة بالأمم التي يظلمها هؤلاء الطغاة، ويحولون بينها وبين التمتع بالسعادة التي منّ الله بها عليهم، من حفظ الضرورات التي لا حياة لهم بدونها وحفظ مكملاتها.

الأمر الرابع: أن يجتهد مؤلفو الكتب الدراسية في معرفة قواعد العلوم وأسرارها.

وأعني بذلك العلوم الكونية كالرياضيات ونحوها، ويجب أن يجتهدوا كذلك في إيصال تلك القواعد والأسرار إلى عقول الطلاب، حتى لا تكون حكرا على غير المسلمين من أهل الغرب، هم يصنعون ونحن الذين نستهلك فقط، فإن ذلك يجعل الأمة الإسلامية خاضعة لغيرها مستعبدة مقلدة غير مبدعة، كما هو الحال الآن، إذ يأخذ أعداؤهم خيراتهم من أنواع المعادن والمواد الخام بأرخص الإثمان ويصنعونها، ثم يبيعون الرديء من مصنوعاتها لهم بأعلى الأسعار، وبخاصة السلاح الذي تتعطل حركة أي شعب مسلم في وقت شدة الحاجة إليه في أوقات الأزمات العسكرية إذا منعت عنها الدول الغربية قطع الغيار.

الأمر الخامس: أن يهتم العلماء المسلمون بترجمة الكتب العلمية المفيدة التي يكتبها الغربيون في العلوم الكونية أو الإدارية.

إن الواجب على المسلمين أن يستفيدوا من التجارب البشرية التي يحتاجون إليها، ما دامت لا تخالف شيئا من دين الله.

والتجارب البشرية ليست ملكا لأحد، فما من جيل يَخلُف إلا بنى نشاطه على تجارب أجيال تُخلَف. وقد اجتهد سلفنا في ترجمة كثير من الكتب العلمية التي ألفها اليونانيون وغيرهم واستفادوا منها وزادوا عليها وطبقوا نظرياتها في تجارب واقعة، وهي التي كانت

مصدرا لحضارة الغرب الحالية باعترافهم، فلم لا نقتدي بسلفنا-فيما نحن في حاجة إليه ولا يخالف ديننا-ونسترد بضاعتنا؟!

الأساس الرابع. إعداد المدرسين والأساتذة المتخصصين.

ويجب إعداد المدرسين والأساتذة المتخصصين وتدريبهم، تدريبا يجعلهم قادرين على القيام بوظائفهم، قياما يخرج أجيالا ذات كفاءات عالية في كل علم من العلوم التي تحتاج إليها الأمة الإسلامية، وإذا أمكن القيام بهذا التدريب في بلدانهم فبها، وإلا اختير منهم المتفوقون دينا وخلقا وعلما ورغبة وقدرة على الاستيعاب، لما يتدربون عليه ثم إفادة أوطانهم إذا رجعوا إليها، فيندبون إلى البلدان التي يتوافر فيها التدريب المطلوب.

ويدخل في هذا إعداد أجهزة إدارية وإشرافية قادرة على إدارة المؤسسات التعليمية، تعين المدرسين والطلاب بتوفير كل ما يحتاجون إليه في أعمال التعليم، ليتفرغ المدرس والطالب لوظيفة التعليم والتعلم، حتى تؤتي هذه الوظيفة ثمارها.

الأساس الخامس. ربط التعليم بالتربية الإسلامية.

يجب تزكية الدارسين بالإيمان والتقوى والعمل الصالح الذي يرضي الله، وغرس الأخلاق الفاضلة في نفوسهم وجعلهم يحققون معنى الاستخلاف الشرعي في الأرض.

وبهذين الركنين-التعليم والتزكية-جاء القرآن الكريم، كما قال تعالى: {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين} [1].

فالمقصود من العلم: التربية والتزكية والحكمة، وليس العلم للعلم فقط كما يقال!

الوسيلة السادسة: العناية باللغة العربية ونشرها.

اللغة العربية هي لغة القرآن والسنة-أي لغة الإسلام، فالقرآن نزل بهذه اللغة، والسنة وردت بهذه اللغة، والآثار المفسرة للقرآن والسنة، ومصادر الفقه الإسلامي، وتاريخ الإسلام، وكتب الآلة من نحو وصرف وبلاغة ومصطلح وعلم تفسير وغيرها، أساسها اللغة

[1]-الجمعة: 2.

العربية، فلا غـرو أن تكـون اللغة العربية هي مفتـاح علـوم الإسـلام كلهـا، فلا يفقه هـذا الـدين حق الفقـه، ولا يعلم مقاصـده وأسـراره وحكمه وعلله حق العلم، إلا من فقه هذه اللغة.

ولهذا كثر وصف كتاب الله-القرآن الكريم-بكونه عربيا، كما قـال تعالى: {كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون} [1].

وقال تعالى: {إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون} [2].

وقال تعالى: {إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون} [3].

وقـال تعـالى: {لسـان الـذي يلحـدون إليه أعجمي وهـذا لسـان عربي مبين} [4].

وقـال تعـالى: {وإنه لتنزيل رب العـالمين نـزل به الـروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين} [5].

وقال تعالى: {وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا} [6].

وقال تعالى: {وكذلك أنزلناه حكما عربيا} [7].

وقال تعالى: {ولقد ضـربنا للنـاس في هـذا القـرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون} [8].

وقال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا} [9].

وقال تعالى: {وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا} [10].

حكمة وصف القرآن بأنه عربي.

إن هـذا التنويه بكـون القـرآن عربيـا، لجـدير بالتأمل والنظر ولو وصف الله القـرآن الكـريم بأنه عـربي مـرة واحـدة فقط لاسـتحق التأمل والنظـر، فكيف وقد كـرر تعـالى وصـفه بـذلك في أسـاليب متعددة؟!.

ولو أن مخلوقا عاقلا وصف شـيئا ما بوصف مـرة واحـدة، لكـان

---

[1] -فصلت: 3.

[2] -الزخرف: 3.

[3] -يوسف: 2.

[4] -النحل: 103.

[5] -الشعراء: 192، 195.

[6] -طه: 113.

[7] -الرعد: 37.

[8] -الزمر: 27، 28.

[9] -الشورى: 7.

[10] -الأحقاف: 12.

لوصفه بـذلك اعتبـار عند القـارئ والسـامع فكيف إذا وصـفه بـذلك مرات؟!

وكيف إذا كان هذا الوصف صادرا عن الله في كتابــه، فما حكمة وصف القرآن الكريم بأنه عربي؟

هل المقصود من ذلك بيان إعجاز القرآن الذي نزل بلغة العرب، وقد تحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا؟

نعم إن ذلك لمقصــود، ولكن هــذا التحــدي يكــون أكمل عنــدما يتعلم غير العربي اللغة العربية ويصـبح لسـانه عربيـا، يفهم القـرآن الكـريم بلغته الـتي نـزل بها ويتـذوق أسـاليبها وبلاغتها ويتعمق في فهم معانيها، ويطلع على أسرار القرآن وحكمه بها، فيتبين له معنى كون هذا القرآن معجزا حقا.

وهل المقصــود بــذلك نفى أن يكــون الرســول صــلى الله عليه وسلم تعلم هـذا القـرآن من بعض من كـان عنـدهم علم من الكتب السماوية السابقة، كما زعم ذلك بعض أعداء الإسلام؟

نعم، إن ذلك لمقصـود وقد صـرح الله بـذلك في قولـه. {لسـان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عـربي مـبين} [1]. ولكن هـذا المعنى المقصود جزء مما يحمله هذا الوصف وليس كل معناه.

وهل المقصود أن هذا القـرآن الـذي نـزل باللغة العربيـة، مع أنه نزل لهداية جميع البشـر، شـرف لك أيها الرسـول ولقومك العـرب وبخاصة قريشا؟!

نعم إن ذلك أيضا لمقصــود، كما قــال تعــالى: {وإنه لــذكر لك ولقومك وسوف تسألون} [2].

ولكنه ليس ذلك كل المقصود.

بل هناك مقاصد أخرى من أهمها ما يأتي.

المقصد الأول: أن الدين الإسلامي إنما جــاء باللغة العربية.

لقد جاء هـذا الـدين-أي دين الإسـلام-عن طريق القـرآن الكـريم والســــنة النبويــــة، وكلاهما باللغة العربية ويتوقف فهمه الســــليم الكامل على فهم اللغة التي حملته إلى الناس، وهي اللغة العربيــة، ولا يمكن أن يَنقُل للنـاس معـاني دين الإسـلام نقلا صـحيحا ويبينها بيانا شـافيا، إلا مَن كـان عنـده دراية تامة باللغة العربيـة، بقواعـدها وبلاغتها واشــــتقاقها وغريبها وحقيقتها ومجا زها وأســــاليبها، لأنها

---

[1] -النحل. 103.

[2] -الزخرف: 44.

لسان هذا الدين ولسان كتابه ولسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولسان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. {وهذا لسان عربيٌ مبين}. وقد كلف الله رسوله صلى الله عليه وسلم بيانَ هذا الدين للناس، وقد فعل ذلك، وبيانه كان بلغته التي نزل بها القرآن قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} [1].

وقال تعالى: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} [2].

وقد كلف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي آمنت به واتبعته، تبليغَ هذا الدين، وفي طليعة أمته أصحابه الكرام رضي الله عنهم، كما قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} [3].

وقد قاموا بنشر هذا الدين وبيانه للناس بلسان عربي مبين.

وترجمة معاني القرآن الكريم لمن لا يفهم اللغة العربية، لا سبيل إليها إلا لمن يجيد اللغة العربية واللغة المترجم إليها، فاللغة العربية هي أساس البيان لهذا الدين الذي نزل بها.

المقصد الثاني: أن من أهم وسائل نشر الإسلام اللغة العربية.

إن علماء الإسلام مأمورون باتخاذ كل وسيلة مشروعة لنشر هذا الدين وإبلاغ معانيه إلى الناس، ومن أهم وسائل نشره تعليم الناس اللغة العربية التي يتمكن مَنْ تعلمها من فهم هذا الدين فهما صحيحا سريعا.

المقصد الثالث: أن كثيرا من العبادات يجب أداؤها باللغة العربية.

مثل قراءة الفاتحة في الصلاة، وأذكار الصلاة كتكبيرة الإحرام وأذكار الركوع والسجود والتشهد، ونحوها من فروض العين التي يجب على المسلم أداؤها باللغة العربية ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ليتقرب بها إلى الله تعالى.

---

[1] -النحل: 44.

[2] -النحل: 64.

[3] -يوسف: 108.

المقصد الرابــع: لا بد من وجــود علمــاء يفقهــون الإسلام باللغة الغربية.

إنه لا بد من وجود علمـاء يجيـدون اللغة العربيـة، إجـادة تجعلهم قادرين على فهم معـاني القـرآن والسـنة وكتب العلم الـتي يحتـاج إليها المسلمون، ليكونوا مرجعا لأهل كل بلد يعلمون الناس معــاني القرآن الكـريم والسـيرة النبوية وغيرهـا، فـإن وجـود علمـاء باللغة العربية تحصل بهم الكفاية في ذلك وغيره، هو فرض كفاية يأثم كل قادر من الأمة على عدم إيجادهم، ويـأثم القـادرون على تعلم اللغة العربية للقيام بهذا الفرض إذا لم يتعلموها.

المقصد الخــامس لا بد من وجــود قــادرين على ترجمة معاني الإسلام.

وهـذا المقصد لا يحصل إلا بوجـود علمـاء يجيـدون اللغة العربية ويجيدون لغة البلد الذي يريدون دعوة أهله إلى الإسـلام، ليـترجموا لأهله معـاني القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة، وما يجب إبلاغه إلى الناس من أحكام هذا الـدين، لأن علمـاء الإسـلام مـأمورون بـالبلاغ المبين الـذي أصـبح من واجبهم بعد وفـاة الرسـول صـلى الله عليه وســلم، وليس من الســهولة بمكــان أن يتعلم كل النــاس اللغة العربية.

ترجمة معاني الإسلام إلى اللغات الأخرى.

هذا وليعلم أن تبليغ الناس معاني الإسلام وأحكامه بالترجمة إلى لغات أخرى غـير اللغة العربيـة، أمر تقتضـيه الضـرورة، إذ أنه مهما أوتي المترجم من إتقان للغة العربية واللغات الأخـرى الـتي يـترجم بها معاني الإسلام، لا يمكنه أن يستوعب ما تحويه اللغة العربية من معان إلى اللغات الأخرى، ولـذلك يجب على المسـلمين أن يهتمـوا بتعليم اللغة العربية ونشـرها بكافة الوسـائل المتاحـة، كالمـدارس والمعاهد والجامعــات والكتب وإعــداد المعلمين وتــدريبهم، والمنح الدراسية في البلدان العربية لغير العرب، وكـذلك اسـتغلال أجهـزة الإعلام كالمذياع والتلفاز والفيديو والكاسيت وغيرها، لتعليم الناس-وبخاصة المسـلمين-لغة القـرآن ليصـلوا إلى فهم هـذا الـدين فهما مباشرا بلغته التي جاء بها.

وإني أشبه من يجيد اللغة العربية ويفهم دينه من القرآن والسنة وكتب العلم بها مباشرة، برجل اشـتد عطشه فـرأى عينا جارية تنبع

من صخرة في قمة جبل وهو في أسفله، فشمر صاعدا حتى وصل إلى نبع الماء واستقى منه عذبا زلالا صافيا.

وأشبه من وصلت إليه معاني الإسلام بالترجمة، برجل آخر اشتد عطشه، وهو مصاب بالكسل، وقف في أسفل الجبل ينتظر وصـول المـاء إليه ليشـرب منه وهو في مكانـه، فوصل إليه المـاء وقد مر بالتراب والقاذورات التي كدرته فأخذ يشرب منه وهو بتلك الحالة.

وإن الأمة الإسلامية لجديرة بالاهتمـام بلغتها ونشـرها بالوسـائل المتاحة، لتصل إلى الناس في هذا الكـوكب الأرضـي، فهي لغة دين لم يعد في الأرض دين حق سـواه، وهو الـذي حفظ لها هـذه اللغة من الضياع، لحفظ الله تعالى هـذا الـدين بحفظ كتابه الـذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه. {إنا نحن نزلنا الـــذكر وإنا له لحافظون} [1].

انتشار لغة الأمة من علامات قوتها.

وإن انتشــــار لغة أي أمة لهو دليل عظمتها وتفوقهـــــا، وبلغتها تسـتطيع أن تسـبق بـدينها وفكرها وسياسـتها واقتصـادها وسـائر علومها، غيرَها من الأمم إلى عقول الناس.

وهذا ما تحقق للأمة الإسـلامية أيـام مجـدها، حيث انتشـرت لغة دينها انتشـار مسـاجدها ومعاهـدها ودعاتهـا، ونبغ في اللغة العربية أئمة من غير العرب فملئوا بعلمهم الآفاق من حـدود الصـين شـرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

وكـانت الأمم تتسـابق إلى علـوم المسـلمين في كل مجـال من مجالات الحياة، كما نقل المسلمون علوم الأمم الأخرى إلى لغتهم، واســتفادوا منها وطبقوها عمليا وزادوا عليهــا، وعلى أيــديهم تعلم الأوربيون أسس حضارتهم التي يفخرون بها اليوم.

وإن مما يؤسف له أن تنحدر الأمة الإسلامية انحدارا مروعا، في دينها وخلقها وسياســـــتها واقتصـــــادها وأمنها ووحـــــدتها وقوتها العســكرية، مما كــان له أثــره البــالغ على لغتها الــتي لم تعد لها مكانتها في العالم، بل أصبحت في مؤخرة اللغات، وأصبحت لغـات الأجانب من النصارى وغيرهم هي لغـات العلم والثقافة والفكر في العـالم وأصـبح المسـلمون-والعـرب منهم بصـفة خاصـة-يفتخـرون باللغات الأجنبية ويتكالبون على أفكـار أهلها وآدابهم ويتـأثرون بهم، فأصبح السـبق للأجـانب ولغـاتهم وأفكـارهم إلى عقـول أبنـاء الأمة

---

[1] -الحجر: 9

الإسـلامية بـدلا من أن تسـبق الأمة الإسـلامية بلغتها ودينها وفكرها إلى عقول أبناء الأمم الأخرى [1].

وها هي أمم الغرب تنشر لغتها في كل مكان، عن طريق مناهج التعليم والإعلام والبحث العلمي والأدوات المتنوعة والمواصـــــلات والاتصالات، حتى ليكاد المسلم العربي يكـون غريبا بلغته في بلاده، يقتـني الجهـاز الـذي يحتـاج إليه فلا يسـتطيع اسـتخدامه لأن الكتب الإرشادية المتعلقة باستخدامه قد أعـدت باللغـات الأجنبيـة. وهكـذا الدواء والغذاء وغيرها، وهكذا الفنـادق والشـركات والمستشـفيات، بل إن بعض البلـــدان العربية ما زالت معاملاتها الرســـمية باللغة الأجنبية!

وإنما هانت اللغة العربية عند أهلهـا، لهـوان الـدين في نفوسـهم وضـعف فقههم لـه، ولو كـان الـدين قويا في نفوسـهم مطبقا في حياتهم، لعرفـوا للغته حقها وقـدروها حق قـدرها، وسـابقوا غـيرهم بدينهم الحق بلغته إلى عقول الناس في الأرض كلها.

إن ترجمة معاني الإسـلام من اللغة العربية إلى اللغـات الأخـرى لإبلاغ أهل تلك اللغـات هـذا الـدين، هي فريضة كفائيـة، ولكن أنى لأهل تلك اللغـات أن يفهمـوا حقـائق هـذا الـدين كاملة عن طريق ترجمته وليس عن طريق اللغة العربية مباشرة؟!

ولقد بذل علماء الإسلام من سلفنا الصالح، جهـودا مضـنية لإبلاغ حقـائق الإسـلام إلى عقـول النـاس عربا وعجمـا، بما وضـعوه من قواعد اللغة العربية من نحو وصرف واشتقاق وغيرها، وبما وضعوه من قواعد شرعية تضبط بها مقاصد الشريعة وأحكامها، من أصـول الفقه وقواعـده، فـبينوا النص والظـاهر والمجمل والمـبين والمقيد والمطلق والخاص والعـام، وما وضـعوه من مصـطلحات في علـوم الحديث وعلـوم التفسـير، فكـانوا بـذلك أعظم أمة اتخـذت وسـائل لغوية وشرعية لتسـبق بـالحق الـذي آتاها الله باطـلَ الأمم الأخـرى إلى عقـول النـاس.هـذا بالإضـافة إلى بـذل جهـودهم في مجـالات التعليم والدعوة والجهاد في سبيل الله.

الوسيلة السابعة: القدوة الحسنة.

إن من أهم وسائل السـباق إلى العقـول، القـدوة الحسـنة الـتي يراها النـاس ويلمسـونها في صـاحب الحـق، بحيث يـرون صـاحب

[1] -ليس المراد هنا التنفير من تعلم اللغات الأجنبية للاستفادة منها في العلوم المحتاج إليهـا وفي دعوة أهل تلك اللغات بها إلى الإسلام فهذا من فروض الكفاية في الإسلام، وإنما المراد المبالغة في تقديس تلك اللغات ونسيان اللغة العربية لغة الإسلام.

المبــدأ يطبق مبــدأه في واقع حياته وتصــرفاته، فـإذا كـان المقـام يحتاج منه إلى الكـرم أقـدم إلى البـذل والعطـاء، وإذا كـان المقـام يحتاج منه إلى خلق الشـجاعة رآه النـاس مقـداما غـير هيـاب، وإن اختبروه في صفة الصدق لم يجربوا عليه كذبا، وإن التمسوا عدالته لم يجدوا منه ظلما، وإن أرادوا معرفة تقواه ألفَـوه يـدع ما لا بـأس به خشية من الوقـوع فيما به بـأس، لشـدة تحرجه من الوقـوع في المأثم، فضلا عن إتيانه الأوامر الواجبة وتركه المحرمات.

والخلاصة أنه يتحرك في نشاطه كله بالقرآن والسنة، فـإذا رآه النـاس مـداوما على ذلك مـالوا إلى الاقتـداء به ولو لم يتكلم، لأن الحق بذاته يدعو النـاس إلى ذاتـه، فكيف إذا رأوه مطبقا في حيـاة أهله ورأوا ثمـار تطبيقه في الحيـاة؟ ويبـدأ المعاند المنـاوئ للحق يفكر في سيرة صاحب الحق ويتـدبر ويقـارن بين الحق الـذي يـراه مطبقا في حياة صاحبه، وبين الباطل الذي يزاوله هو، ويترتب على ذلك أحد أمرين.

الأمر الأول: اتباع الحق والعمل به، ونبذ الباطل.

الأمر الثـاني: الإصـرار على الباطـل، مع تيقنه أنه باطـل، وتـرك الحق مع تيقنه أنه حق، وفائـدة ذلك انكسـار نفس صـاحب الباطل أمام صولة الحق، وإقامة الحجة العملية عليه.

أما إذا كان الـداعي إلى الحق لم يلـتزم هو نفسه به ولم يطبقه في حياته، فإن الناس ينصرفون عنه ولا يشغلون عقـولهم بـالتفكير فيما يدعو إليه، لمعرفة كونه حقا فيُتَّبَع أو باطلا فيُجتَنَب.

وهذه هي القدوة السيئة التي تُنَفِّر من المبدأ وإن كان حقـا، كما هي عادة غالب الناس، وقد يوجد من يفكر في المبدأ الذي لا يكون الداعي إليه قدوة حسـنة في تطبيقـه، فيعلم أنه حق ويتبعـه، ولكن ذلك ليس من وسائل السباق الناجعة إلى العقول.

لهذا كان للقدوة الحسـنة منزلتها في الإسـلام. وكـان رسل الله وأنبيـاؤه والـداعون إلى هــداه، كلهم قــدوة حســنة، وقد أمر الله رســوله صــلى الله عليه وســلم أن يقتــدي بمن ســبقه من إخوانه المرسلين، فقال تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} [1].

وأرشد أمة محمد صـــلى الله عليه وســـلم، إلى الاقتـــداء بنبيه إبراهيم عليه السلام ومن معه، فقال تعالى: {قد كانت لكم حســنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله} [2].

---

[1]-الأنعام: 90.

[2]-الممتحنة: 4.

وقال تعـالى: {لقد لكم فيهم أسـوة حسـنة لمن كـان يرجو الله واليوم الآخر} [1].

وحث تعالى هذه الأمة حثا مؤكـدا على الاقتـداء برسـوله صـلى الله عليه وسلم الذي جمع كل قدوة حسنة سبقه الأنبياء وزاده الله من فضله، فقال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} [2].

ولقد كانت الأمة الإسلامية في ماضي عهـدها، قـدوة حسـنة في إيمانها وفي عبادتها ومعاملاتها وسـلوكها، وفي عهودها ومواثيقها وفي الأخذ بأسـباب القـوة والعـزة، فكـان ذلك سـببا في سـرعة وصـول الحق الـذي يحملونه إلى عقـول الأمم في مشـارق الأرض ومغاربها، فسارع الناس إلى الاقتـداء بهم واتبـاع دينهم، حـتى تـرك أهل الـديانات الأخـرى ديانـاتهم، ووقف رعايا الطغـاة ضد طغـاتهم إيثـارا للحق على الباطـل، ونصـرةً لأهل الحق على أهل الباطـل، فوصل الإسـلام إلى لشـبونة وفينا وبلغـراد وموسـكو وبلاد الصـين والفلبين وإندونيسيا وإفريقيـا، بـدون قتـال في غـالب تلك البلـدان، لأن القدوة الحسنة تجعل اتباع الحق سهلا ميسرا لرؤيته مطبقا في واقع الحياة، يطبقه البشر.

وذلك على عكس ما عليه الأمة الإسـلامية اليـوم، حيث يغلب عليها القدوة السيئة التي جعلت الأمم تنفر منها ومن دينها، وجعلت أعـداء الإسـلام يسـتغلون تلك القـدوة السـيئة، فيبرزونها في مـؤتمراتهم ونـدواتهم ومنـاهج تعليمهم وإعلامهم وفي كل مناسـبة تسنح لهم.

يسمع النـاس أن الإسـلام يـدعو إلى الصـدق، ولكنهم يـرون في كثير من المسلمين الكذب.

ويسـمعون أن الإسـلام دين القـوة والعـزة، ولكنهم لا يـرون في المسلمين الا الضعف والذلة.

ويسمعون أن الدين الإسلامي يـدعو إلى الجماعة والوحـدة وأن الأمة الإسـلامية أمة واحـدة، ولكنهم يـرون المسـلمين متفـرقين مختلفين، يسب بعضـهم بعضـا، ويعتـدي بعضـهم على بعض، ويقتل بعضـهم بعضـا. ويسـمعون أن الإسـلام دين الرحمة وأن المسـلمين رحمـاء فيما بينهم، ولكنهم لا يجـدون في كثـير من المسـلمين إلا القسوة والعنف يأكل القوي منهم الضعيف. ويسـمعون أن الإسـلام دين العدل، ولكنهم يرون الظلم بين المسلمين هو السائد.

---

[1]-الممتحنة: 6.

[2]-الأحزاب: 21.

ويسـمعون أن الإسـلام يـدعو إلى الشـجاعة، ولكنهم يـرون المسلمين جبنـاء تضـيع حقـوقهم وتغتصب بلادهم من قبل عـدوهم القليل فيستسلمون له ويخضعون وهم كثر.

فكان ذلك سببا في نفور الناس عن هذا الـدين الـذي صـار أهله قدوة سيئة فيه.

وأقـول-إنصـافا للحـق-: إنه يوجد في المسـلمين من هو قـدوة حسنة ولكن ليس على مستوى الأمة.

والقدوة الحسنة عندما تكـون على مسـتوى الأمـة، تـبرز معـاني الإسـلام في السياسة والحكم والاقتصـاد والسـلوك والنـواحي الاجتماعية والعسكرية والقوة الصناعية وغيرها.

أما ما يكـون على مسـتوى الأفـراد والأسر وبعض الجماعـات الصغيرة، فإنه قدوة حسنة، ولكنه محدودة غير بارز للعالم الـذي لا يطلع إلا على ما تبرزه وسائل الإعلام وإمكانات الدول.

والـذي يـراه النـاس الآن في المسـلمين هو الإسـراف في المحرمات ومحاربة أغلب حكوماتهم للإسلام والدعاة إليه، والتـأخر في الشـؤون الإدارية والاقتصـادية، مع كـثرة الخـيرات في بلـدانهم وسـعة أراضـيهم، كما يـرون تقتيل أعـدائهم لهم وإخـراجهم من ديـارهم، وهـدم مسـاجدهم وانتهـاك أعراضـهم، وهم سـادرون في غيهم يرقصـون ويغنـون ويمثلـون ويتعـرون، يقضي في أمـورهم غيْرُهم، وكأنهم غير موجودين على ظهر الأرض:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم   ولا يستأذنون وهم شهود

فأين هي القدوة الحسنة فيهم، حتى يكونوا من السباقين بالحق إلى العقول، وعقولهم مأوى للباطل؟!

الوسيلة الثامنة. الفطرة.

والمراد بالفطرة ما أودعه الله تعالى في الكون علويه وسـفليه، وفي الإنسـان من الآيـات العظيمة الـتي تنـادي العقل نـداء برهانيا مستمرا إلى الحق الذي خلق الله به السماوات والأرض وما بينهما، وتدل دلالة واضـحة أن ما جـاءت به الرسل ونـزلت به الكتب حـق، كما أن الكـون كله حـق. فالـذي يعـترف بوجـود المخلوقـات وما اشتملت عليه من دقة وتناسق ونواميس، وما سـخره الله للإنسـان في هذا الكون من رزق، وما منحه الله لهذا الإنسان من عقل يفكر ويدبر ويوازن ويقيس ويغوص في أسرار هذا الكون، وما وهبه لهـذا الإنسان من آلات وقدرات على استغلال ما في الكـون من خـيرات وطاقات واستمتاع بها، إن الذي يعترف بهذا كله-وهو من الفطرة-لا

بد أن يعترف أن منهج الله الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، هو حق مثل ما أن ما في الكون حق، وكلاهما من الفطرة.

فوسيلة الفطرة من أعظم الوسـائل الـتي تعين أهل الحق على السباق إلى عقول النـاس بـالحق، وليس لأهل الباطل وسـيلة تقف أمـام هـذه الوسـيلة، بل إن الفطـرة صـخرة صـماء تتحطم عليها وسائل الباطل كلها.

ولهذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام يتخذون وسيلة الفطرة سـلما إلى عقـول النـاس بـالحق، فينبهـون العقـول بآيـات الله في الكـون والإنسـان، كما يتضح ذلك من قصص الأنبيـاء عليهم السـلام مع أقوامهم، كما مضى في محاجة إبراهيم لقومه، واستدلاله بتغيير المخلوقات على أنها لا تصلح أن تكون آلهة، بل إنها مخلوقة عابـدة للخالق المعبود.

ولنقرأ هذه الآيات التي تجـول بـالعقول في ملكـوت السـماوات والأرض، وفي الإنســان، وفي الحيــوان، وفي المــاء، وفي الشــجر والزرع، وفي الليل والنهار، وفي الجبال والبحار والأنهار....

فقد نزه الله تعـالى نفسه عن الشـرك الـذي أصر عليه أعـداؤه وأعداء رسله، وهو يخالف الفطـرة، ثم أتبع ذلك بـذكر وحيه الـذي أنزله للـدعوة إلى توحيـده، وهو عين الفطــرة، ثم أورد شـــواهد الفطـرة وحقائقها الدالة على حقيقة التوحيد ونفي الشـرك، وكـأن القارئ أو السامع يرى الكون كله، في مظاهرة حاشدة، كلها يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسـول اللـه، وأن الـوحي حق وأن كل ما يخالف ذلك باطل.

قال تعـالى: {أَتَى أَمْـرُ اللَّهِ فَلَا تَسْـتَعْجِلُوهُ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْـرِكُونَ(1)يُنَـزِّلُ الْمَلَائِكَـةَ بِـالرُّوحِ مِنْ أَمْـرِهِ عَلَى مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ(2)خَلَقَ السـماوات وَالْأَرْضَ بِـالْحَقِّ تَعَـالَى عَمَّا يُشْـرِكُونَ(3)خَلَـقَ الْإِنْسَـانَ مِنْ نُطْفَـةٍ فَـإِذَا هُـوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(4)وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَـأْكُلُونَ(5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَــالٌ حِينَ تُرِيحُــونَ وَحِينَ تَسْــرَحُونَ(6)وَتَحْمِــلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِـقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَـرَءُوفٌ رَحِيمٌ(7)وَالْخَيْـلَ وَالْبِغَــالَ وَالْحَمِــيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَــةً وَيَخْلُــقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(8)وَعَلَى اللَّهِ قَصْـدُ السَّـبِيلِ وَمِنْهَا جَـائِرٌ وَلَـوْ شَـاءَ لَهَـدَاكُمْ أَجْمَعِينَ(9)هُوَ الَّذِي أَنْـزَلَ مِنَ السَّـمَاءِ مَـاءً لَكُمْ مِنْـهُ شَـرَابٌ وَمِنْـهُ شَـجَرٌ فِيـهِ تُسِـيمُونَ(10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِـهِ الـزَّرْعَ وَالزَّيْتُـونَ وَالنَّخِيـلَ وَالْأَعْنَـابَ وَمِنْ كُـلِّ الثَّمَـرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـةً لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(11)وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُـومُ مُسَـخَّرَاتٌ

بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(12)وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ(13)وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(14)وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(15)وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ(16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ(17)وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(18)} [1].

والآيات في هذا المعنى في هذه السورة وفي غيرها كثير.

وميزة هذه الوسيلة-وسيلة الفطرة-وضوحها لكل الناس بفئاتهم المتنوعة: العالم والجاهل، والقارئ والأمي، كل منهم يشعر بهذه الفطرة بحسب موقعه ووعيه وثقافته، وهي تكاد تكون قاهرة للعقول على التسليم للحق، وبخاصة الإيمان بالخالق وإن كابر بعض المكابرين في ذلك.

وتأمل التعقيبات التي تختتم بها الآيات. {لقوم يتفكرون}، {لقوم يعقلون}، {لقوم يذكرون}، {ولعلكم تشكرون}، {لعلكم تهتدون}، {لعلكم تذكرون}.

إنها تحرك العقول وتوقظ الفطر بذاتها وقوله تعالى. {أفمن يخلق كمن لا يخلق} واضح الدلالة على أن وسيلة الفطرة من أعظم الوسائل الدالة على الحق فهي بدهية، فكما أن الخالق حق وتدل كل مخلوقاته عليه، فإن هداه الذي أنزله على رسله حق كذلك .

الوسيلة التاسعة: المساجد.

المساجد بأئمتها وخطبائها منطلقات للسبق بالحق إلى العقول.

إن المساجد من أعظم المنطلقات للسباق إلى العقول، وهي من أقوى الوسائل وأشملها في ذلك، إذا استغلت استغلالا شاملا في كل البلدان الإسلامية، فهي من حيث البناء توجد في كل مدينة وفي كل قرية، بل في كل حي، يتسابق صالحو المسلمين إلى بنائها وتشييدها، وللمساجد حرمتها في نفوس المسلمين، يلتقون فيها لأداء الصلوات الخمس في جماعة، ويصلي بعضهم فيها بعض النوافل كما يصلون فيها التراويح جماعة، وكذلك صلاة العيدين

[1] -الآيات من سورة النحل.

وصـلاة الكسـوف، وقد يصـلون فيها صـلاة الاستسـقاء، فهي في الأصل محل لأداء العبادات الجماعية، فإذا وجد في كل مسجد إمام كفؤ، يحفظ القرآن الكريم أو كثيرا منه، عنـده مقـدرة على التـأثير في النـــاس بـــالخطب والمواعـــظ، وعنـــده علم يفيد المتعلم والمسـتفتي، وعنـده اطلاع على قضـايا النـاس الدينية والاجتماعية والاقتصـادية والسياسـية، أي إنه فقيه بقضـايا العصر ومشـكلاته، مخلص لله في عملـه، محب لقضـاء حاجـات النـاس متـودد إليهم مخالط لهم، ساع في جمع كلمتهم وحل مشكلاتهم، فإن هذا الإمام سيكون قطب جماعة المسجد ومحور كافة شؤونهم، يلتفون حوله، ويتعلمـــون العلم على يديـــه، ويســـارعون إلى ســـماع خطبه ومحاضـراته، ويسـألونه عما أشـكل عليهم، ويسـتفتونه في الحلال والحـرام، ويلجأ ون إليه للصـلح بين المتخاصـمين منهم، فهو لهم بمنزلة الأب للأبناء والراعي للرعية.

يقيم لهم حلقات العلم بحسب فئاتهم وحاجاتهم، يعلمهم فروض العين وفـروض الكفايـة، ويغـرس في نفوسـهم الإيمـان والأخلاق الفاضلة، ويحبب إليهم العمل الصالح، ويتخرج على يديه طلبة العلم الذين يصبحون مثله ينشرون العلم والخير، يكون المسـجد به وبهم وبجماعته مثل خلية النحل في تعلم وتعليم، وعبادة وذكـر، وسـماع أمر بمعروف ونهي عن منكر، وتفسير قـرآن وشـرح حـديث، وفقه أحكام، ورد شبهات، وبالجملة بيان كل ما فيه مصلحة للأمة ودعـوة إليه، وتوضيح كل ما فيه ضرر عليها وتنفير منه.

وهنا يكون السبق الحقيقي للحق إلى العقـول، والحماية لها من الباطل والطـــرد له من أن يصل إلى عقـــول جماعة المســـجد وأسرهم التي ستتأثر بعلمهم وسلوكهم.

ولا يلزم أن تكـون هـذه النشـاطات كلها صـادرة من إمـام واحد وخطيب واحد ومعلم واحد، بل يمكن أن يختار للمسجد الواحد عدد من العلماء والخطباء والأئمة، ليتعاونوا على القيام بهـذه المهمـات، وقد يكون لكل نشـاط واحـدٌ أو أكـثرُ، كالخطابة والتعليم والإمامـة، بحسب كـبر المسـجد وصـغره وكـثرة جماعته وقلتهم وكـثرة طلبه العلم فيه وقلتهم كذلك.

خطب الجمعة ودورها في السبق إلى العقول.

ومن أهم وظائف أئمة المسـاجد وخطبائهـا، خطبة الجمعة الـتي يحضرها المسلمون كلهم-في الغالب-المكلف منهم بالحضـور، وهم الكبـار، وغـير المكلف وهم الصـغار والنسـاء، والحـاكم والمحكـوم

والخـــادم والمخـــدوم، وكلهم ينصت لخطبة الجمعة على ســـبيل العبادة، دون كلام ولا لغط ولا لهو في كل بلدان المسلمين في يوم واحــد، ولا توجد خطبة يجب حضــورها عينا على جميع المكلفين-إلا من عذر-غير خطبة الجمعة، ومع حضورها يجب الإنصات لها وعــدم التشاغل عنها.

وبهــذا تعتــبر خطب الجمعة فرصة يجب أن يغتنمها الخطبــاء، فيقـدموا للنـاس فيها ما يفيـدهم في دنيـاهم وأخـراهم، وينبغي أن يهتم الخطباء بما يكون الناس في حاجة إلى بيانه في هذه الخطبة، مما يمس حيـاتهم الحاضـرة، سـواء تعلق بـأمور الإيمـان-أصـوله وفروعـــه-أو بـــالأخلاق-بـــأي جزئية منهـــا-أو بالشـــؤون الأســـرية والاجتماعية، أو السياسية أو العسكرية أو الإعلامية.

وهــذا يقتضي أن يفتش الخطيب عن الأحــداث الــتي تــدور في الأسبوع في الحي، أو في القرية، أو في المدينة، أو في القطر، أو في أي بلد من بلدان المسلمين، أو في العالم الرحب الذي يشـمل المسـلمين وغـيرهم، ثم يختـار الموضـوع الـذي يـراه أولى وأكـثر التصاقا بحياة الناس، ويعد خطبة الجمعة فيه إعـدادا يجعلها مفيـدة للمسلمين في مسجده أو في خارجه-إذا أذيعت في المـذياع أو في التلفاز أو سجلت في شريط ووزعت.

وبهذا يستطيع خطباء المساجد أن يكونوا أكثر سـبقا بـالحق إلى عقول الناس-وبخاصة المسلمين-.

وينبغي أن يتم تنسيق بين أئمة مساجد الأحياء والمدن والقــرى، في أخذ كل واحد منهم أو طائفة موضوعا من الموضوعات، وإعداد الخطبة أو الخطب فيه، وهكذا حـتى تطـرق في اليـوم الواحد وفي المدينة الواحدة وفي القطر الواحد الموضوعات التي تـدعو الحاجة إلى طرقها.

وإذا اقتضى الأمر أن يخصص خطبـــــاء المدينة كلهم أو القطر الواحد كله موضـــوعا واحـــدا لخطبهم في يـــوم واحـــد، لكونه أهم أحـداث السـاعة فعلـوا كـذلك، بل لو اقتضى الأمر أن يتفق خطبـاء المساجد الكبرى في العـالم الإسـلامي كلـه، على أن تكـون خطب الجمعة كلها في يـوم واحد في موضـوع واحـد، فعلـوا ذلك لكـون الموضوع يتعلق بقضية عامة يحتاج لبيانها جميع المسلمين.

وقد أصـبح هـذا الأمر اليـوم ممكنا عن طريق وسـائل الاتصـال السريعة، وبخاصة الهاتف والفاكس، والإنترنت...

ومما يحقق هــذا التنســيق تكــوين رابطة لأئمة المســاجد في المدن والقرى في القطر الواحـد، ثم في أقطـار المسـلمين كلهـا،

بحيث يتم عن طريق هـذه الرابطة تـدارس أحـوال المسـلمين وحاجاتهم وما ينبغي اتخاذه في كل شأن من شؤونهم.

إن أئمة المساجد لو فعلـوا ذلك كـان لهم دور كبـير في سـبقهم بالحق إلى العقـول محليا وعالميـا، وكـان للمسـاجد دور عظيم في هذا الشأن.

وهذا كان شـأن المسـاجد وأئمتها وخطبائها في عصـور الإسـلام المفضـلة، ويجب على المسـلمين أن يسـعوا الإعـادة ذلك الشـأن لمساجدهم.

تفاوت المساجد وأثره في السبق إلى العقول.

وكلما كان المسجد أكثر فضلا واحتراما في نفـوس النـاس،كـان أجدر بأئمة وخطباء وعلماء أكثر كفاءة وقدرة على القيـام بـواجبهم على مستوى ذلك المسجد، فلا يستوي بيت الله الحرام وغـيره من المساجد، ولا المسجد النبـوي وغـيره من المسـاجد الأخـرى، وهلم جرا... كبيت المقدس ثم الجـامع الأزهـر، والجـامع الأمـوي، وجـامع الزيتونة وجامع القيروان... كما لا تستوي مسـاجد الأحيـاء الصـغيرة والجامع الكبير في أي مدينة من المدن. ولا يسـتوي مسـجد غـالب جماعته مثقفون، وآخر غـالب جماعته أميـون أو غـير مثقفين، فكل مسجد ينبغي أن يوضع فيه الإمام والخطيب والعالم المناسب له.

إن الإمام الكفء قادر على أن يسبق إلى العقـول بـالحق سـبقا يعجز أهل الباطل عن أن يسـبقوا ببـاطلهم إلى عقـول جماعة مسجده، مع تفوق وسائلهم وإمكاناتهم التي غالبا ما تكون إمكانات دولة بأكملها، كما هو حال الدول العلمانية.

ذلك أن الإمـام الكفء تتفتح لصـوته الآذان عبـادةً، كما تتـدبر ما يقـرؤه أو يتكلم به العقـول كـذلك تعبـدا، وتلين لمواعظه وزواجـره القلـوبُ الـتي يسـرع أهلها إلى طاعة الله رغبـا، ويـنزجرون عن عصـيان أوامـره وتـرك نواهيه رهبـا، وبخاصة أن الإمـام يتلو عليهم آيات القرآن في الصلاة الجهرية، فيختار في قراءته من الآيـات ما يناسب القضايا النازلة التي تعرض للمسلمين في مـدنهم وأحيـائهم وبلدانهم، فإذا كان المقام مقام اعتـداء من أعـداء المسـلمين على أحد أقطارهم، أكثر من آيات الجهاد والتعـاون والتنا صـر، وإن كـان المقام مقـام ظلم وقهر على شـعب من الشـعوب الإسـلامية أكـثر من قــراءة آيــات العــدل والأمر بــه، والآيــات الناهية عن الظلم والعدوان، والمبينة لمصـائر الطغـاة، كفرعـون وهامـان وجنودهمـا، وإذا كان الوقت وقت تفسخ وتحلل أخلاقي أكـثر من قـراءة الآيـات

التي تدعو إلى الأخلاق الحسنة وتنهي عن الأخلاق السيئة، وإذا كان المقـام مقـام محاربة لتحكيم الشـريعة الإسـلامية أكـثر من قـراءة الآيات الإيمانية والآيات الآمرة بتحكيم شرع الله والناهية عن تحكيم الطـواغيت، وإذا كـان المقـام مقـام خلاف وشـقاق بين المسـلمين اختار قراءة الآيات الداعية إلى الوحدة الناهية عن التفرق والتنازع، وإذا كان المقام مقام ضعف الولاء لله ولرسوله وللمؤمـنين والميل إلى موالاة أعداء الله من أهل الكتاب أو المشركين أكثر من قراءة آيـات الـولاء والـبراء، وإذا كـان المقـام مقـام تفشي المنكـرات والسكوت عنها أكـثر من قـراءة الآيـات الآمـرة بـالمعروف والناهية عن المنكــر، وإذا كــان المقــام مقــام كــوارث وزلازل وحــروب ومجاعات يحتـاج المصـابون بها إلى مد يد العـون بالمـال والطعـام والكساء والإيواء أكثر من قـراءة آيـات التعـاون والإنفـاق والصـدقة والزكاة، وهكذا لا يكـاد يوجد بـاب من أبـواب الخـير إلا وجد الإمـام الكفء من آي القرآن ما يذكر به الناس في صلاتهم للمسارعة إلى عمل الخير في ذلك الباب، ولا باب من أبـواب الشر إلا وجد الإمـام الكفء في آي القــرآن ما يــذكر النــاس ويحضــهم على مقاومتــه، ويحذرهم من الوقوع فيه.

والمسلمون في أمس الحاجة إلى من يربط أحوالهم وقضـاياهم بالقرآن، وبخاصة في أوقـات الصـلاة الـتي يصـغون فيها إلى كتـاب الله وهو يتلى عليهم في بيوت الله.

هذا كله يحصل من مجرد قراءة القرآن في الصلاة.

فإذا ما قـام الإمـام بعد انتهـاء الصـلاة، فتلا آية أو آيـات مناسـبة للمقام، وفسـرها تفسـيرا مـوجزا، وبين مقصـدها، وحـرك مشـاعر المصلين بموضوعها، وأيقظ عقولهم إلى تـدبرها، فقد زادهم بـذلك نورا على نور.

وإذا حصل هذا في أغلب مساجد المسلمين، فإنه سيحدث أثــره الطيب في جماعة المسـجد وأسـرهم وجـيرانهم ومشـار كيهم في أعمالهم الوظيفية وغيرهـا، وستصـبح المسـاجد مصـادر قـوة وفقه ووحدة وتعـاون وطاعــة، وستستعصي عقـول الأمة الإسـلامية على محاولات أهل الباطل السبق إليها بباطلهم، بل سيصبح المســلمون هم السباقين إلى عقـول النـاس بحقهم، وستقضي حركة المسـجد على كثير من المشكلات التي يشكو منها المسلمون اليـوم شـعوبا وحكومــات، كتعــاطي المســكرات والمخــدرات، والاعتــداء على النفوس والأموال والأعراض وغيرها، وستقطع الطريق على أجهـزة الإعلام الموجهة عن طريق الأقمــار الصــناعية لإفســاد عقــول

المسلمين وقلوبهم، لأن التربية الناشئة من المسجد ستكون سدا منيعا في وجه كل فساد.

تدريب حفظة القرآن على السبق بالحق إلى العقول.

إن هذه المعاني يجب أن يُفَقَّهَ بها الناشئون من حفظة كتاب الله وهم كثيرون في العالم الإسلامي، لأن كثيرا منهم يصبحون أئمة وخطباء في مساجد المسلمين الكبيرة والصغير.

ويجب أن يوضع لهم منهج متدرج يفسر لهم فيه القرآن الكريم تفسيرا موضوعيا مرتبطا بواقع المسلمين وحاجاتهم وقضاياهم، حتى يكونوا قراء يقتدون بابن عباس، وبالشبيبة الذين كان عمر بن الخطاب يجعلهم في مجلس شوراه تكريما لهم واستفادة من علمهم.

ولا ينبغي أن يقتصر حفظة القرآن الكريم على حفظ ألفاظه وتجويدها-وإن كان ذلك عبادة في ذاته-بدون فهم لمعانيه ومقاصده التي لا بد من توعية الناس بها.

وعلى القائمين على مدارس تحفيظ القرآن الكريم أن يولوا هذا الأمر عنايتهم، ليكون طلابهم أهل القرآن حقا كما كان السلف الصالح، وليسوا كما عليه كثير من القراء اليوم الذين يقرؤون القرآن من أجل أخذ أجر عليه في المآتم وأجهزة الإعلام...

الوسيلة العاشرة: الإعلام.

وهذه الوسيلة هي من أسرع الوسائل وصولا إلى عقول الناس بالحق أو بالباطل، وأكثر انتشارا، وأشمل تلقيا، وبخاصة في هذا العصر الذي توافرت فيه من وسائل الإعلام ما لم يتوافر في أي عصر من العصور الغابرة، لأن الإعلام يستوعب الأفراد والأسر والأقطار ويصل إلى العالم والجاهل والمتعلم والأمي، في الحضر وفي البادية، وفي البر والبحر والجو، وعلى قمم الجبال وفي أغوار الشعاب والوديان، عن طريق القراءة والسماع والمشاهدة.

ولوسائل الإعلام من الإمكانات ما يجعلها تشمل كل موضوع يخطر بالبال. عقديا أو اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا أو عسكريا، كما أنه يُسَخَّرْ لها كل الإمكانات والطاقات: البشرية في كل مجال من مجالاتها وتخصصاتها، والمالية، والآلات والأدوات.

وإن الإمكانات التي هيأها الله في هذا العصر في مجال الإعلام

لم يســبق لها مثيل في تــاريخ البشــرية، فما كــانت المعلومــات والرســائل تصل من بلد إلى بلد مجــاور إلا بعد حين، وبعد تحمل أسـفار ومشـاق سـيرا على الأقـدام أو ركوبا على الحيوانـات الـتي عرف من أسرعها الخيـل، كما حـاول الإنسـان ابتكـار ما هو أسـرع من ذلك، وهو تعليم بعض الطيور كالحمام الذي كان ينقل الرسـائل من بلد إلى آخر، وهو مع سـرعته النسـبية معـرض لعـدم الوصـول إلى غايته، بسبب المخاطر التي قد تواجهه في طريقه.

وقد مكن الله تعالى لنبيه سـليمان عليه السـلام اسـتغلال بعض مخلوقاته، كـالطير والجن لإبلاغ رسـائله وإخبـاره بـالرد عليهـا، كما حصل له ذلك في قصة ملكة سبأ وقومهـا، ولكن ذلك كـان معجـزة خاصة منحه الله تعالى إياها لا طاقة له ولا لغيره في إيجادها.

أما العصر الحاضر الــذي امتــدت إليه دعــوة الرســول العامة الشـاملة للبشر جميعا وللأمكنة والأزمنـة، وسـتمتد كـذلك إلى يـوم القيامـة، فقد سـخّرَ الله تعـالى فيه من الإمكانـات ما يناسب هـذه الدعوة الخاتمة العالمية فاخترعت العقول-عقول المسـلمين وغـير المســلمين-ما يدهشــها ويحيرها من الوســائل الــتي يمكن للأمة الإســلامية أن تتخــذها لإبلاغ الحق الإلهي-الــذي كلفها الله قبوله وحمله والدعوة إليه-إلى عقـول المسـلمين وغـيرهم في كل صـقع من أصــــقاع الأرض، كما هيأ لها من الإمكانــــات المادية ما يجعلها قادرة على استغلال وسـيلة الإعلام في سـباقها بـالحق إلى عقـول الناس، فأراضيها الشاسعة الغنية بكل خيرات الـدنيا من نواكشـوط إلى جاكرتا، ومن عدن إلى بلدان المسلمين الـتي اسـتقلت حـديثا-عن الاحتلال الشيوعي-والتي تشتمل على كل عناصر القوة والغنى من المحاصيل الزراعية والمعـادن، وأعـدادها البشـرية الهائلة الـتي جاوزت المليار، وتوجد فيهم كفـاءات في كل علم من علـوم الـدنيا والآخـرة، وكـذلك الميـاه الوفـيرة من الأنهـار والميـاه الجوفيـة، والممرات المائية والـثروات البحريـة، والغابـات وأنـواع الطاقة من البترول ومصادر الكهرباء وغيرها.

إن هذه الإمكانات التي سـخرها الله لهـذه الأمـة، لو وجـدت من يقوم عليها ويحفظها ويدبر بها شـؤونها ومصـالحها، ومن ذلك اتخـاذ وسيلة الإعلام لنقل الحق الذي جاء به دينها إلى العالم كله، لأمكنها اسـتقطاب كثـير من البشر وقيـادتهم إلى الـدخول في هـذا الـدين، ومناصرته لسبق أهل الحق بحقهم إلى عقول أولئك البشر.

تأمل أولا في سـعة أراضي المسـلمين وافـترض أن كل بلد من بلدانهم استغل وسائل الإعلام في السباق بالحق إلى عقول الناس:

المـذياع، والتلفـاز، والصـحف والمجلات، والنشـرات والإعلانـات، والكتب والمسجلات، والملصقات...

كم بلـدا إسـلاميا في إفريقيـا، وكم بلـدا إسـلاميا في آسـيا؟ إن بلدان المسـلمين قـادرة بسـبب سـعة مسـاحتها أن تغطي بـأجهزة إعلامها غالب الكوكب الأرضي، وبغالب لغات العالم ولهجاته.

أما إذا تعاونت حكومات الشعوب الإسـلامية على إيجـاد وسـائل إعلام مركزية قوية عن طريق الأقمـار الصـناعية، فـإن الحق الـذي تحمله تلك الوسـائل سيصل إلى كل شـبر في الأرض وبكل لغـات العالم.

ولو تعــاونت حكومــات الشــعوب الإســلامية مع المســلمين المقيمين في البلــدان غــير الإسـلامية، كأمريكا الشـمالية وأمريكا الجنوبية، وأوروبا الغربية والشرقية، وروسيا، والصين، وبعض بلدان شرق آسيا الأخرى، كاليابان وكوريا، وتايوان، والفلـبين، وكـذا قـارة اســتراليا، ونيوزلنــدا، والهنــد، وســيريلانكا ودول الهند الصــينية، لاسـتغلال ما أمكن من وسـائل الإعلام في كل بلد لإبلاغ الحق إلى عقـول الجاليـات الإسـلامية وغيرهـا، لكـان الإسـلام قد تمكن من الوصول إلى تلك العقول واضحا وضوح الشـمس في رابعة النهـار، ولقضى ذلك على التشـويه-عمـدا أو جهلا-لهـذا الـدين في نفـوس الناس.

إن بعض البلــدان الغربية بها من الأنظمة والقــوانين ما يــتيح الفرصة للمســلمين أن يســتغلوا وســائل الإعلام، لنشر دينهم إذا أحسنوا اقتناص تلك الفرصة بحكمة وروية وعدم إثارة.

إن أفـرادا من المسـلمين يمكنهم أن يملكـوا إذاعـات يبثـون بها مواد إسلامية بطرق نظامية على مستوى المدن-كمحطات (F M) وعلى مستوى أكثر من ذلك.

كما أن الأغنيــاء من المســلمين يقــدرون على اســتئجار إذاعة عالمية لعدة ساعات [1]، وكـذلك التلفـاز في المـدن بالاشـتراك عن طريق الكيبل، وإقامة مراكز تلفازية على مستوى العالم، وقد تبــدأ الدول الغربية في حـرب تلك الوسـائل إذا رأت في مناهجها خطـرا على الباطل الــذي تحملــه، ولكن المســلمين إذا وضــعوا خططا مرحلية غــير مثــيرة من أول الأمر ولم يضــيقوا ما وسع الله من المباحات في مناهج تلك المراكز، وتركوا التشدد في منع ما لم يرد الشـرع بتحريمـه، ولو كـان مكروها في سـبيل إبلاغ الحق الـواجب إلى عقول الناس، فـإن تلك المراكز سـتجد المجـال مفتوحا أمامها

---

[1] -بل يستطيعون شراء عدة إذاعات لتبث على مدى الليل والنهار.

للسباق إلى تلك العقول.
أما الصحف والمجلات، وأشرطة الفيديو والكاسيت، والنشرات، والإعلانات، وخطابات صناديق البريد، والفـاكس والهـاتف، وأجهـزة اللاسلكي-في كثير من تلك البلدان-والمسارح والسـينما، والنـوادي الثقافية والنوادي الرياضـية، والنـدوات والمـؤتمرات، فـإن المجـال لاستغلالها في إبلاغ الحق إلى عقول الناس مفتوح والفرصة سانحة في أغلب البلدان الغربية.

رضا الله وتمكينه أو مقته واستبداله.

لقد ابتلى الله هـــذه الأمة الـــتي لم توجد أمة غيرها في الأرض تملك الحق الذي تملكه، وهو دين الإسلام الـذي لاحق سـواه اليـوم من جميع الأديان، ابتلاها الله تعالى في هذا العصر بهـذه الإمكانـات الهائلة من وسـائل الإعلام الـتي لم توجد لأي أمة من أمم الأنبيـاء السـابقين عنـدما كـانت تملك الحق الإلهي، كما ابتلى هـذه الأمة بجعل دينها دينا عالميا يجب إبلاغه إلى جميع البشـــــر، ويجب على كل من بلغه هـذا الـدين أن يـؤمن بـه، ومن لم يـؤمن به بعد بلوغه فهو من أهل النار.
فـإذا لم تسـتغل هـذه الأمة هـذه الإمكانـات الـتي ابتلاها الله بها لتسابق بالحق الإلهي الباطـلَ الشـيطاني إلى عقـول النـاس، فإنها تستحق مقت الله تعالى وغضبه واستبداله بها غيرهـا، لعـدم قيامها بوظيفتها التي هيأ الله لها أسـباب قيامها بهـا: {يا أيها الرسـول بلغ ما أنـــزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رســالته} [1]. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} [2].
وبدهي أن المسؤولية الأولى في اتخاذ هذه الوسيلة سُلَّما للحق إلى عقول الناس، تقع على من تولوا أمور المسـلمين من الملـوك والرؤساء وأعوانهم، لأن إمكانات الشـعوب الإسـلامية كلها بأيـديهم وتحت تصـــرفهم، فالوســـائل المادية من إذاعة وتلفـــاز وصـــحف ومجلات، كلها تحت سيطرتهم، لا يذاع شئ ولا يعـرض ولا يكتب إلا ما أقروه وأذنوا به.
وتهيئة الكفـاءات البشـرية بتأهيلها وتـدريبها وتوظيفهـا، كلها لا توجد على الوجه المطلـوب، إلا إذا قـاموا هم بـدعمها، وإذا وجـدت فلا يختـارون منها إلا من هم عنه راضـون، لعلمهم أنه لا يخـرج عن

[1]-المائدة: 67.
[2]-يوسف: 108.

دائرة ما يرسمون له.
والمناهج الإعلامية والمواد التي تذاع وتعـرض وتنشر وتطبع كلها مرهونة بموافقة رقبائهم عليها.
وإذا كانت بعض البلدان الإسـلامية تعطي مسـاحة جيـدة للمـواد الإسلامية-مع مواد أخرى لا تنسجم معهـا-فـإن أغلب أجهـزة الإعلام في أغلب البلدان الإسلامية الأخرى، تقـدم بها مـواد قليلة جـدا عن الإسلام، لا تخلو من تشويه ظاهر أو خفي، وما يعلق منه من الخـير في أذهـان النـاس تمحـوه المـواد الأخـرى المضـادة للإسـلام، في الجـوانب الإيمانية والأخلاقية والأحكـام المتعلقة بـالحلال والحـرام، حيث إن هـذه المـواد تنـال من الـدعم والتمكين، ما لا يتـاح لجـزء قليل جدا من الإسلام.
ومما يزيد الطين بلة أن أجهـزة الإعلام محتكـرة بيد الحكومـات في كل الشـعوب الإسـلامية، وإن وجـدت في بعضـها مؤسسـات صـورية، فإنها في الواقع فـروع لأجهـزة الإعلام الحكوميـة، وهـذا بخلاف كثير من البلـدان الغربية الـتي يجد فيها الإعلام من الحريـة، ما يجعله يسقط زعماء وحكومات وأحزابا.
لهــذا كــانت المســؤولية في الشــعوب الإســلامية تقع على حكوماتها، لاستغلال وسائل الإعلام واتخاذها سُلَّما للحق، ليصل إلى عقول الناس في العالم الإسلامي وغيره.
وهـذا لا يعفي العلمـاء وأهل الـرأي، من القيـام بـواجب النصح للحكـام ومطـالبتهم بوضع منـاهج ذات أهـداف ووسـائل لأجهـزة الإعلام، يتحقق بهــا-مع تطبيقها فعلا-سـبقُ الحق الــذي تضــمنه الإسـلام إلى عقـول المسـلمين وغـير المسـلمين، ولا يكفي وضع أنظمة ولـوائح لأجهـزة الإعلام يُنَص فيها على مـواد دينية لا يتحقق بها ذلك السـبق، أو تكـون أنظمتها نظرية دون تطـبيق في واقع الأمر.

الأســاليب الإعلامية المطلوبة لســبق الحق إلى العقول.

ولا يشــترط في نقل الحق بــأجهزة الإعلام أن يكــون دائما بالأسلوب المباشر، كالمحاضرات والمواعظ وسـرد آيـات قرآنية أو أحـاديث نبويـة، أو أحكـام فقهية وما شـابه ذلـك، بل يكـون بـذلك وبغيره من الأساليب المستحدثة المؤثرة، كأفلام الكرتون للأطفال، والقصص والتمثيليات والمسلسلات والمسـرح، والأناشـيد وغيرهـا، فإن أثر هذه الأساليب في عقول النـاس صـغارا وكبـارا مما يسـمع

ويشاهد ويقرأ ويرسم، أثرٌ فعال مشاهد استغله أعـداء الإسـلام في سـبقهم بباطلهم إلى عقـول النـاس وأصـبح ذريعة في بلـدان المسلمين أنفسهم لذلك الباطل.

وإذا كـان علمـاء المسـلمين يخـافون-ولهم الحق أن يخـافوا-من اختلاط المشـروع بغـير المشـروع في بعض هـذه الأسـاليب، فـإن عليهم أن يدرسـوا كل أسـلوب وما يمكن أن يشـتمل عليـه، من مخالفـات شـرعية واضـحة، ويقـرروا ما هو مشـروع وما هو غـير مشـروع من المـواد المعروضـة، على أن لا يـراعى في الإذن والـترخيص المبالغة والتشـدد في منع ما لا نص في منعه من الشارع، وينبغي مراعاة باب المصـالح والمفاسد ومقاصد الشـريعة الإسلامية في ذلك.

وبهذا يتمكن المسلمون من منافسة أعـداء الإسـلام في وسـيلة هي من أهم الوسائل للسباق إلى العقول.

ومما يجب التنبيه عليـه، أن المـواد الـتي تتخذ وسـيلة الإعلام لنقلها وإبلاغها إلى العقـول، ليست قاصـرة على موضـوعات دينية معينـة، كما قد يتبـادر إلى الأذهـان عند عامة النـاس، ومنهم العلمانيون الـذين يظنـون أن هـذه الأجهـزة إذا سـيطر عليها دعـاة الإسـلام وأتبـاعهم سـيكون مجالها ضـيقا، لا يخـرج عن الوعظ والإرشاد والدعوة إلى بعض شعائر الإسلام، وتفسير آي من القرآن الكريم أو أحـاديث من السـنة الشـريفة ونحو ذلـك، بحسب فهمهم الضيق للدين الإسلامي، وكذلك ظن بعض المتـدينين الـذين ضـاقت آفـاقهم عن الفقه الشـامل للإسـلام ومقاصـده وعن المسـاحة الواسعة للمباحات الـتي تـرك الإسـلام للنـاس أن يرتعـوا فيها دون حرج ولا إثم، فلا ينبغي أن يضيقوا دائـرة ما أباحه الله ويبـالغوا في منعه، لأن تحريم المباح منهي عنه شرعا كتحليل الحرام...

إن هذا التبادر الحاصل من الطـرفين غـير صـحيح، وإن الإسـلام أشـمل مما يظنـون، كما أن الأصل في الأشـياء الإباحـة، إلا ما ورد به نص من الكتـاب والسـنة، أو ما يصـادم مقصـدا من مقاصد الشـريعة الإسلامية.

وإن بعض النصوص قابلة للاجتهاد الصادر من أهله، فالفتوى كما هو معروف تقدر زمانا ومكانا وشخصا...

لذلك فإن مواد أجهـزة الإعلام، سـتكون شـاملة للكـون والحيـاة والإنسان، وسيجد فئات الناس صغارا وكبارا ورجالا ونسـاء، وأدبـاء وفقهـاء ومفسـرين ومحـدثين وقصاصا وكتابـا، وأطبـاء ومهندسـين

ورجـال فضـاء، وعلمـاء طبقـات الأرض، وسياسـيين واقتصـاديين، واجتماعيين وعلماء نفس، وعسكريين، مجالا رحبا في هذه الوسيلة وسيكون ذلك كله سلالم وجسورا لسبق الحـقِّ الباطـلَ إلى عقـول الناس.

قلة القيود الإعلامية في الإسلام وثمـرات الالـتزام بها.

ولا تقييد على نشاط هـؤلاء كلهم وغـيرهم في اسـتغلال وسـيلة الإعلام إلا بالأمور الآتية:

الأمر الأول: التزام الصدق وتجنب الكذب والتضليل.

الأمر الثاني: التزام العدل واجتناب الظلم للصديق والعدو.

الأمر الثـالث: حفظ مقاصد الشـريعة الإسـلامية وعـدم التفريط في شئ منها.

وهي مقاصد تنشـدها البشـرية كلهـا، وتتلخص في الضـروريات: حفظ الـدين، وحفظ النسـل، وحفظ النفس، وحفظ العقـل، وحفظ المال. وما يكمل تلك الضروريات من الحاجيات والتكميليات.

الأمر الرابع: عدم مخالفة النصوص الصحيحة الصريحة.

وهي قيـود –كما تـرى-قليلة جـدا، وثمراتها النافعة عائـدة على الناس كلهم. وإنه لأجدر بالمسلمين أن يكونوا سباقين إلى استغلال وسـائل الإعلام المتنوعـة، لإبلاغ حقهم إلى عقـول العـالم، قبل أن يُسـبَقوا من قِبَل أهل الباطل بـإبلاغ بـاطلهم إلى أبنـائهم، ولكن الواقع المشـاهد هو عكس هـذا، فقد اسـتغل أهل الباطل هـذه الوسائل استغلالا لا نظير له، ولذلك عم الباطل وانزوى الحق.

لقد أسمعت لو ناديت حيا!

وهـؤلاء مفكـرو المسـلمين ودعاته يتنـادون اليـوم، منبهين المسلمين على الخطر القادم من البث المباشر الذي لم يبق جـزء من الأرض خـال منه عن طريق أدوات اسـتقبال أطلق عليها في البلدان العربية "الدش" ويخطط أهل الباطل لصـنع أجهـزة تلفازية لا تحتاج إلى "الدش" وإنما هي مزودة بآلات اسـتقبال ذاتية فتكـون مثل التلفاز العادي لجميع الناس-وإن غلا ثمنها قليلا في أول الأمر.

ومما يؤسف له أن المسلمين-الغيـورين منهم-لا يفكـرون إلا في كيفية اتقـاء خطر هـذا البث، وكل فئة تفكر في الخطر من زاوية مصلحة خاصة بها-وقد لاتكون مصلحة على الحقيقة-والفئة القـادرة

على حشد الطاقات لدرء الخطر عن الأمة كلهــا، وهي فئة الأنظمة الحاكمة في البلدان الإسلامية لا تفكـر-غالبـا-إلا في درء الخطر عن سلطتها التي قد تزعزعها برامج ومواد البث المباشــر، بما تتضــمنه من هجـوم على أسـاليب الحكم الاسـتبدادي وما تنتهكه من حقـوق الإنسان في بلدانها، ومع ذلك فإن تفكيرها في الدفاع عن مصالحها السياســية غــير جــاد، لأن غاية ما يمكن أن تعــده في برامجها هو الإكثار من مواد المدح والثنـاء على أنظمتهـا، والـردود الوقتية على ما يرشـــــقها به البث المباشر من انتقـــادات، وقد تعد المزيد من المــواد التافهة الــتي تظن أنها ســتلهي بها الشــعوب عن التــأثر بـالهجوم المـرتقب عليهـا، مثل المسلسـلات الغرامية والتمثيليـات والأغــاني والــرقص، والإكثــار من اللعب الرياضي ونحوهــا، وهــذه الثلاثة العناصر كلهـا-المـدح المبـالغ فيـه، والـردود الوقتية البـاردة، ومواد الإلهاء المزعومة-سـوف لا تغـني عنهم فـتيلا، لأن مـواد البث المباشر ســيوجد فيها من المــواد الجــادة الموثقــة، والمضــللة ما يقضي على العنصر الأول والثـاني، كما سـيوجد فيها مـواد الإغـراء والإلهاء ما يشد المشاهد إليها، ويجعل الناس يهملـون البث المحلي والقطري، وستكون لها نتائج خطيرة على الحكومات والشعوب في البلدان الإسلامية.

وكان الأولى والأجدر بالمسلمين: مفكـريهم وعلمـائهم ودعـاتهم وقــادة السياسة فيهم، أن يفكـروا بجد في اسـتغلال البث المباشر بصــورة هجومية وليست دفاعيــة: هجــوم على عقائد فاســدة في الغـرب، وهجـوم على أخلاق سـيئة، وهجـوم على اقتصـاد مـدمر، وهجوم على كبرياء وعنصـرية تخـالف دعـوة حقـوق الإنسـان الـتي يزعم الغرب رعايتها والدعوة إليهـا، وهجـوم على معـاملات أسـرية واجتماعية مفككة.

وهجـوم بما هو أهم وأوجب، وهو إبلاغ معـاني الإسـلام السـامية إلى عقــول أهل أوروبا وأمريكا وغيرهمــا، من إيمــان قــائم على الحجة والبرهان، ومن عبودية لله تتحقق بها الحرية الصحيحة الــتي يزعم الغرب العناية بها والـدعوة إليهـا، وهو في الحقيقة إنما يـدعو إلى جعل الإنسـان عبـدا ذليلا لشـهواته وملذاتـه، من جـاه ومـال ومنصب وامـرأة وخمر ومخـدر وغيرهـا، منطلقا في تصـرفاته كلها من أثرته وجشعه.

إن هجـــوم البث المباشر من قبلنا بمبـــادئ الإســـلام الإيمانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأمنية وغيرها، سيغير الصورة السيئة المشوهة عن الإسلام في عقول الشعوب الغربية، وسيكون

الإسلام مع مبادئ الكفر مثل عصى موسى مع حبال وعصي سحرة فرعون:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

ولا أقصد بالهجوم الكلام الغليظ العنيف ضد مبادئ الغرب، وإنما أقصد أن تكـــون هممنا أعلى وأســـمى من أن نقعد مفكـــرين في الدفاع عن أنفسنا ضد هجـوم عـدونا، بما لا يجـدي شـيئا أمـام ذلك الهجـــوم المـــاكر القـــوي المنظم، بل نبـــدأ نحن بـــإبلاغ حقنا إلى عقولهم، بدلا من أن يبد أوهم بإبلاغ باطلهم إلى عقولنا.

وإذا كان وضعنا الحالي لا يمكننا من البـدء بهـذا الهجـوم، فليكن دفاعنا إيجابيا غـير مهـزوم، مع بـدئنا بالتخطيط للهجـوم، بـدلا من الاستمرار في الدفاع.

وقبل الهجوم والدفاع لا بد من تحصـين المسـلمين في بلـدانهم بالتربية الإسلامية الصـحيحة، حـتى يكونـوا قـادرين ذاتيا على تجنب أخطـار البث المباشر وغـيره، وبـدون ذلك لا أمل في تـوقي خطر داخلي أو خارجي.

اسـتغلال إمكانـات المسـلمين في تحقيق رغبـات أعدائهم.

ومما يؤسف المـــؤمنَ ويحزنه أن يـــرى بعض أغنيـــاء الأمة الإسـلامية، يؤسسـون قنـوات فضـائية متخصصة تسـتغرق أزمانا طويلة من البث المباشر وغير المباشر، في جوانب معينة من اللهو العـابث واللعب التافـه، يشـغلون بها أوقـات الشـعوب الإسـلامية ويفسـدون بها أخلاقهم، مع علمهم بجهل أغلب تلك الشـعوب بحقيقة دينها، وبعد كثير منهم عن تطبيق هذا الدين.

وكان الأجـدر بهم أن ينافسـوا بتلك القنـوات غيرها من القنـوات الـتي أعـدت إعـدادا محكما ووجهت توجيها مقصـودا للسـباق إلى عقـول المسـلمين، لزعزعة الإيمـان في قلـوبهم وتشـكيكهم في ثوابتـه، وإفسـاد أخلاقهم وبث الفرقة والعـداوة بينهم، كـان الأجـدر بهم أن ينافسوا تلك القنوات بتقوية إيمانهم بالحجج والبراهين التي تثبته في نفوسهم، وبغرس الأخلاق الإسـلامية في نفوسـهم، وبنشر العلم الشـامل والثقافة المفيـدة اللـذين يقضـيان على الأمية المنتشرة بين المسلمين أو يخففان منهـا، سـواء كـانت الأمية أمية القـراءة والكتابـة، أو أمية الفقه في الـدين، أو أمية الانـزواء عن عناصر المعرفة: سياسية أو اقتصـادية أو إدارية أو طبيـة... وباتخـاذ

الوسـائل والأسـاليب الـتي تجمع كلمتهم على الحق وتحقق بينهم الأخوة الإيمانية التي تنشأ عنها المحبة والتعاون على البر والتقـوى، كل ذلك يمكن أن يحصل بأسـاليب وطـرق متعـددة كما مضـى، وليست عن طريق الوعظ والتعليم المباشرين فقط، وإن كـان لابد منهما.

وكـان بإمكـانهم أن يسـتقطبوا الكفـاءات الإسـلامية في جميع التخصصات الإعلاميـة، ويـدربوا شـبابا مسـلما على بعض الوسـائل والتخصصات التي تدعو الحاجة إليها.

كـان الأجـدر بهم أن يسـخروا قنـواتهم لمصـلحة الإسـلام والمسـلمين، بـدلا من تسـخيرها فيما سـخر له كثـير من القنـوات الرسمية في الشعوب الإسلامية والدول الأجنبية، مما يحقق رغبات أعـداء الإسـلام في إيصـال الباطل والسـبق به إلى عقـول أبنـاء المسلمين!

فهل من آذان تصغي، ونداء يُسمع، وعقول تفكر، وحق يُدعَم!.

مشروع مقارنات إعلامية ميدانية!

إن الذي يتتبع وسائل الإعلام التي تسـيطر عليها الحكومـات في غالب الشعوب الإسلامية، ليجد غالب موادها (برامجهـا) تقـود الأمة الإسـلامية إلى المزيد من الانحطـاط والتـأخر والبعد عن عزتها وكرامتهـا، وإلى إلهائها عن أسـمى الغايـات ومعـالي الأمـور الـتي حققها لها أسـلافها الأماجـد، والـتي يجب عليها أن تسـعى إلى تحقيقها واستعادتها.

تناقضات مدمرة يجب أن تدركها الأمة!

ولبيان هـذا المشـروع أضـرب بعض الأمثـال، وفي الأمثـال عـبر لأولي الألباب:

المثـال الأول: إلهـاء الشـعوب عن الإعـداد للجهـاد في سبيل الله.

وهو من فـروض العين الواجبة على جميع المسـلمين في كل أقطارهم في هذا العصر، الذي احتل فيه أعداؤهم ديارهم، وانتهكوا أعراضـهم، ودنسـوا مقدسـاتهم، واعتـدوا على حقـوقهم، وأصـبحوا قـادة لهم، يـأمرونهم وينهـونهم، فيسـمعون لهم ويطيعـون، وحـالوا بينهم وبين إعداد القوة الرادعة التي يدفعون به العـدوان عن دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم...

فترى العـدو اليهـودي وغـيره-كالصـرب في البوسـنة وكوسـوفا-

يحشد جيشه ويعد عدته، ويدرب شعبه، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، على حمل السـلاح بكل أنواعـه، لإرهـاب المسـلمين وإخضـاعهم للسيطرة عليهم.

ويـرى المـرء كيف يعامل اليهـود نسـاء المسـلمين ضـربا وركلا وسحبا، واعتقالا وسـجنا، كما يـرى كيف يكسر اليهـود أيـدي وأرجل الأطفال، وكيف يصوبون رصاصـهم إلى صـدورهم فـيردونهم قتلى، وكيف يطلقون صواريخهم على بيوتهم فيدمرونها على رءوسهم...!

ويرى في مقابل ذلك قادة الشعوب الإسـلامية يشـيدون ملاعب الرياضـة، ويزينـون لشـبابهم تضـييع غـالب أوقـاتهم في مزاولتها وتشجيعها، ويجعلونها غاية حياتهم!

تـراهم يفرحـون ويحتفلـون برفسة كـرة داخل شـبك الأهـداف، حتى يظن من يرى فرحهم واحتفالهم أنهم قد فتحـوا بكلمة التوحيد بلدا إثر بلد، وحـرروا القـدس وأديس أبابا ومـانلا وموسـكو، رافعين راية الإسلام، مقتدين بعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد، ومحمد بن القاسم وصلاح الدين...!

وتراهم يبكون ويحزنون إذا هزموا في معركة الكرة، حـتى يظن من رأى حـزنهم أنهم هزمـوا في معركة جهاديـة، أو طـردوا من "قصر الحمراء" آخر معقل للمسلمين في الأندلس، وأنهم سيعدون العدة للانقضاض على عدوهم مرة أخرى، حتى لا تتكرر المأساة...!

المثـال الثـاني: اليهـود والسـلاح النـووي والمسلمون وآلات الطرب!

المسـلمون كلهم يعلمـون أن اليهـود قد صـنعوا من السـلاح الهجومي مالا طاقة لهم به في وضعهم المأسـاوي الحـالي، إضـافة إلى ما يمنحه أنصار اليهود لليهود من أسـلحة هجومية فتاكة مجانـا، مع التدريب العالي لجند العـدو على كل تلك الأسـلحة، وأن أسـلحة المسلمين الدفاعية المستوردة التي يجـود عليهم بها أنصـار اليهـود بأغلى الأثمـان، وبشـروط تفـرض سـيطرتهم على اسـتعمالها، غـير مجدية في الدفاع عن بلدانهم ورعاياهم وقت الحاجة.

والأشد من ذلك أن العـدو اليهـودي قد ملأ ترسـانته بالسـلاح النـووي الـذي صـنعه بنفسـه، وأعانه على صـنعه أنصـاره في الغرب...!

ومع هـذا إذا نظـرت إلى قنـوات التلفـاز في بلـدان المسـلمين، المحلية منها والفضائية، ترى جيوشا من الشـعوب الإسـلامية-نسـاء ورجـالا، شـبابا وكهـولا، يحيـون ليـاليهم-بل قـل: يميتونهـا-بـالرقص

الفـاجر، والغنـاء المـاجن، واتخـاذ كل وسـيلة من وسـائل الفحش والمنكـر، وتـرى عامة الأسر والأفـراد في الشـعوب الإسـلامية، قد اتجهوا إلى شاشـات التلفـاز واتخـذوه قبلة لهم، يحطمـون بمناهجه أخلاقهم، ويغفلـون عن مصـالحهم المهـدرة، والمفاسد النازلة بهم المدمرة لحياتهم، بدلا من اتجاههم إلى القبلة ليقتدوا بمن {تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا...}[1]

تخـال بيـوتهم في الليل أسـواقا، وفي النهـار قبـورا، العـدو يعد العدة لإهانتهم صباحا ومسـاء! يصـنع السـلاح النـووي، وقـادتهم هم يشجعونهم على الطرب بآلاته وميوعته!

المثال الثالث: الإسهام في إضعاف القريب وتقوية البعيد!

المتأمل في أحوال المسلمين اليوم يرثي لهـا، حيث يـرى كثـيرا منهم يقطعون إخوانهم المسلمين، ويصلون غير المسلمين!

يتعاونون تعاونا قويا، مباشـرا وغـير مباشـر، مع غـير المسـلمين سياسيا، واقتصاديا، وتجاريا، وثقافيا، وإعلاميا، وعسكريا، ورياضيا.

وفي غالب تعاونهم هذا خسارتهم وربح عدوهم.

وكثيرا ما يكون تعاون المسـلمين مع غـيرهم ضد بعض إخـوانهم المسلمين، والأمثلة على ذلك لا تحصى.

ويقاطع بعضهم بعضا مقاطعة كاملـة، أو شـبيهة بهـا، وإذا حصل بينهم شيء من التعاون الذي يضطرون إليه اضطرارا، فهو بالنسبة إلى تعـاونهم مع غـير المسـلمين كقطـرة مـاء عـذب سـقطت في محيط مالح!

لهذا تجد كثيرا من المسـلمين يسـهمون بتلك المواقف الشـاذة، في تقوية البعيد، وإضعاف القريب!

المثال الرابع: هذا يموت من التخمة، وذلك يمـوت من الجوع!

لقد أحضـــرت القنـــوات الفضـــائية للنـــاظر والســـامع من المتناقضات، ما يقتضي العجب.

ومن ذلك ما يشاهده العالم كله من الإسراف والبذخ في حفلات الأفراح والمناسبات والنوادي والقصور.

إنك لو أحصـيت أثمـان ملابس الأفـراح، وأثمـان أدوات الزينـة، والمبـالغ الـتي تنفق لإحضـار الأطعمة الـتي يـرمى كثـير منها في

---

[1] -السجدة: 16.

المناسبات، وغير ذلك مما قد ينفق في المحرمات، لا في المباحات والمكروهــات، لو أحصــيت ذلك في مدينة واحــدة من المــدن الإسـلامية الـتي من الله على بعض أهلها بالمـال والغـنى، ثم جلت في تلك المدينة نفسها لتتعـرف على الفقـراء والمحتـاجين، لـرأيت هنالك التخمة والـــترف والإســـراف، ورأيت هنا الفقر والعـــوز والحرمان والموت...!

فكيف لو قارنت بين بلد غني وآخر فقير؟!

كيف لو رأيت الأبدان السـمينة الـتي لا يسـتطيع أهلها السـير إلا على وسائل المواصلات، ولا يعيشـون إلا بالأدوية والعقـاقير، ورأيت الأطفـال والنسـاء والشـيوخ في ذلك البلد أو في بلد آخر قد يبست جلـودهم على عظـامهم، وأنهكتهم الأمـراض لقلة الغـذاء والـدواء، وامتلأت الغبراء بجثثهم بسبب الجوع والعطش...!!

المشروع الإعلامي الميداني؟

إن الأمثلة على المتناقضــات الــتي يعيشــها العــالم اليــوم، والمسـلمون جـزء من هـذا العـالم –وهم المقصـود ون هنـا-الأمثلة كثيرة جدا...

والمشروع الإعلامي الميداني الـذي أقصـده هنـا: أن توجد قنـاة فضائية أو أكثر، تقوم بتوعية المسلمين بهذه الأعمال المتناقضة مع مصالحهم، لعلهم يتنبهـون للمصـير الخاسر الـذي ينتظـرهم، إن هم استمروا على هذا الوضع المتردي...!

وعلى سبيل المثال: تعرض نمـاذج لما سـبق: الشـباب الرياضي في ملاعبه وأفراحه بالانتصــارات الرياضــية وأحزانه بهزائمهــا، وما يلقـاه من دعم وتشـجيع على كل المسـتويات، وأطفـال الحجـارة الــواقفين بصــمود أمــام العــدو اليهــودي الــذي يتفنن في قتلهم وتعــذيبهم، والمســلمين الــذين يــدمر الصــرب بيــوتهم وقــراهم، ويشـردهم من ديـارهم، وينتهك أعراضـهم، ويهـدم مسـاجدهم، في كوسوفا، ليقارن شـباب الرياضة بين أهدافه ونشـاطه وبين أهـداف أطفـال الحجـارة والمسـلمين في كوسـوفا، لعله يخجل ويسـتحي ويعرف الأهداف العليا للمسلم، والأولويات الـتي يجب أن يبلي فيها شبابه الذي سيسأله الله عنه.

وتعـرض كـذلك: الفتيـات اليهوديـات، وهن يقـدن الـدبابات، في أرض المعركة أمام ضـباط المسـلمين-كما في سـيناء-وبعض صـور أطفـال اليهـود الصـغار الـذين يـدربهم آبـاؤهم على حمل السـلاح والـرمي، وفي مقابل ذلك تعـرض بنـات المسـلمين في القنـوات

الفضــائية، وهن يغــنين ويرقصن مع الفتيــان عاريــات، وأطفــال المسلمين الذين يدربون على آلات الموسيقى والطرب، أو يقضون أوقــاتهم-في أيــام دراســتهم-في الملاعب الرياضــية في الحــارات، وتكون نتيجة هـذه التربية السـيئة السـقوط في مسـتنقعات الشـر، ومنه تعاطي المخـدرات والخمـور الـتي تعـود على ضـرورات الأمة بالنقض.

لعل في عرض هذه المتناقضات ما يدعو الأسر الإسلامية، وأبناء المسلمين وفتياتهم إلى تأمل وضعهم المزري الـذي يعيشـون فيـه، فيســتيقظوا من ســباتهم، بل من نــومهم العميــق، بل من مــوتهم الطويــل، فيلومــوا أنفســهم على ما فوتــوه من أوقــات في الباطل الذي يعـود عليهم وعلى أمتهم بالخسـران، وعلى عـدوهم بالفائـدة والقوة والنصر، وهكذا...!

الوسيلة الحادية: المؤتمرات والندوات.

إن المــؤتمرات والنــدوات من أهم الوســائل الــتي يمكن اتخاذها للسباق إلى العقول بالحق الإلهي.

جوانب يبرز فيها خطر المؤتمرات والندوات.

ويبرز خطر المؤتمرات والندوات في الجوانب الآتية:

الجانب الأول:

أن المؤتمرات والندوات تعقد-غالبا-في أوقات تشتد الحاجة إلى عقـدها لتحقيق أهـداف ومصـالح عامة تعـود على الأمة بـالخير، إما لجلب مصالح وإما لدفع مفاسد واقعة أو متوقعة، فهي-في الأصـل-وسـيلة بحث ودراسة لخطـوات التعـاون على الـبر والتقـوى، تعاونا مبنيا على تخطيط ومشــــاورة، وليست مجـــــرد مواعظ وخطب حماســـية، وإن كـــانت الخطب والمواعظ من وســـائل حفز همم المؤتمرين ودفعها إلى الجد والعمل، للوصول إلى النتـائج المرجـوة من اجتماعهم.

الجانب الثاني:

أن المشـاركين في المـؤتمرات والنـدوات، يكونـون في الغـالب من وجــوه الأمة وأعيانها وخبرائها ومثقفيهــا، وذوي التــأثير فيهــا، بحسب الهــدف الــذي عقد له المــؤتمر أو النــدوة، ومن ذوي الاختصاص في مجالات المؤتمر وموضوعاته.

الجانب الثالث:

أن المــؤتمرات والنـدوات، يعد لعقـدها إعـدادا مبكـرا توضح به

الأهــداف والموضــوعات، ويختــار لها المشــاركون، ويســتكتب المتخصصـون، وتُكَـوَّن لـذلك الإعـداد اللجـان الْمُنَظِّمَة والْمُمَوِّلـة، والمشرفة، واللجان العلمية المتخصصة، وتختار لها عناوين البحوث التي تكتب وتقرأ وتمحص من قبل لجان تحكيم متخصصة.

الجانب الرابع:

أن المــؤتمرين يعطــون الــوقت الكــافي، لطــرح أفكــارهم وتوصـياتهم ومناقشـتها مناقشـات مستفيضـة، تـدون وتسـجل ثم تلخص، فتكـون منها خلاصة لقـرائح عقـول صـفوة المتخصصـين والمهتمين، في موضوع المؤتمر أو الندوة.

الجانب الخامس:

أنه يختــار في النهاية لجنة من ذوي التخصصــات المتنوعــة، للاطلاع على ما دار في المـؤتمر من أفكـار وتوصـيات واقتراحـات من أفـراد ولجـان فرعية لتصـوغ التوصيات صـياغة رصـينة شـاملة قابلة-في الأصل-للتنفيذ.

ولهذه الجوانب كلها أثرها الفعال في نجاح المؤتمرات والندوات من الناحية النظرية، وكذلك من الناحية الإعلامية.

الجانب السادس:

أن المــؤتمرين يكلفــون-غالبــا-لجنة لمتابعة قــرارات المــؤتمر وتوصياته حتى تؤتي ثمارها.

ومن هنا تظهر أهمية المــؤتمرات والنــدوات، في التــأثير على العقول وسبق الحق إليها.

سنة متبعة.

وعقد المؤتمرات للتشاور وإبداء الآراء ومناقشتها، للوصـول إلى نتيجة ترضي الله تعالى سنة متبعة.

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه ويجمعهم، ليستشيرهم ويعرف رأيهم ويحاورهم بصفته ولي أمرهم، ثم يمضي ما اتفق عليه معهم، أو ما أراه الله أنه خــــير، كما حصل ذلك في غزوة بدر،[1] وغزوة أحد[2]، وغزوة حنين، في شأن غنائم أهل الطائف وسبيهم [3].

وقد عقد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم أول مـؤتمر

---

[1]-مسلم (3/1403) والسيرة النبوية (1/214) لابن هشام.

[2]-السيرة النبوية (2/63). البداية والنهاية (4/12-13). وزاد المعاد (3/193).

[3]-البخاري (5/99-100).

لهم بعد وفاته وقبل دفنه، في شأن اختيار خليفة له في سقيفة بني ساعدة، وأتبعوا ذلك بمؤتمر أعم في المسجد النبوي في اليوم الثاني، تمت في كليهما البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه [1].

ولما مرض أبو بكر رضي الله عنه، شاور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في استخلاف عمر، وكتب كتابا بذلك وقرئ على الناس في المسجد، وأشرف على الناس وقال: (أترضون بمن استخلفت عليكم...) [2].

ولما طعن عمر رضي الله عنه، كلف ستة نفر بأن يشاوروا الناس في اختيار خليفة له.. انتدبوا منهم عبد الرحمن بن عوف يشاور الناس ويشاورونه حتى تمت بيعة عثمان رضي الله عنه[3].

وعقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مؤتمرا، في شأن الوباء الذي انتشر في الشام، توافد عليه في هذا المؤتمر كبار الصحابة وشاورهم في القدوم بمن معه إلى الشام وعرض كل فريق رأيه، ثم أخذ عمر بما اتضح له صوابه الذي أيده-بعد ذلك-حديث رواه عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم [4].

وكذلك جمع أصحابه رضي الله عنه في شأن أرض العراق التي رأى عدم قسمتها في الغانمين للمصلحة العامة، وخالفه بعضهم، فأخذ يستشير ويسمع الآراء ويدلي بحججه، حتى انتهى إلى ما رآه أولا، مع شدة الخلاف في ذلك [5].

وكل تلك المؤتمرات كان الهدف منها إيصال الحق إلى العقول وإقناعها به بالحجة والبرهان.

---

[1] -البخاري (8/25-28).

[2] -الكامل في التاريخ (2/425).

[3] -البخاري (4/204)، (8/198).

[4] -البخاري (7/21) ومسلم (4/1740).

[5] -كتاب الخراج (24،27).

المؤتمرات الإسلامية في هذا العصر.

وقد كثرت المؤتمرات الإسلامية (المنسوبة إلى الإسلام) في هذا العصر، وهي-على الإجمال-قسمان:

القسم الأول: مؤتمرات رسمية.

وهي ما تدعو إليها حكومة واحدة أو عدة حكومات، للبحث في موضوع معين يهم تلك الحكومة أو الحكومات، تحتاج فيه إلى دعم إسلامي في موقفها نحوه، سواء كان هذا الدعم المطلوب من بعض الحكومات لبعض، أو من علماء المسلمين ودعاتهم، لتظهر أنها على حق في موقفها من ذلك الموضوع.

وهذه المؤتمرات تحشد لها الطاقات المالية والبشرية والوسائل الإعلامية والاتصالات والمواصلات، وكل ما تحتاج إليه لنجاحها، وتحاول الجهة الداعية إلى المؤتمر أن توجه نشاطه وبحوثه ونقاشه وقراراته وتوصياته، لخدمة الغرض الذي دعت المؤتمرين من أجله، وهذا التوجيه قد يكون مباشرا أحيانا وقد يكون غير مباشر، والغالب أن قرارات المؤتمر ونتائجه تكون في مصلحة الجهة الداعية إليه، لعوامل كثيرة معروفة، وإن كان قد يحصل فيه ما لا يعلن من الاتجاهات المضادة لبعض الأعضاء الحاضرين.

ومن المؤتمرات الحكومية البارزة الاجتماعات التي تعقدها منظمة المؤتمر الإسلامي الذي تنضوي تحته حكومات الشعوب الإسلامية، وإن كان بعضها قد علق عضويته في هذه المنظمة.

وهذا المؤتمر يضم الدول التي تصرح في دساتيرها بأنها علمانية وهي أغلب دول المنظمة، ويضم بعض الدول القليلة التي تعلن أنها تحكم بالإسلام، ولذلك تتحكم في قرارات هذا المؤتمر ونتائجه الاتجاهات المتباينة لدى تلك الدول-وقد تتحقق فيه بعض المصالح، وإن كانت ضعيفة في مقابل ما يلاقيه المسلمون من مشكلات.

وقد تدخل في ذلك المؤتمرات المتخصصة التي تدعو إليها الجامعات ومراكز البحوث العلمية الحكومية، كالمؤتمرات الطبية، والفلكية، والجغرافية، والهندسية، والصناعية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والبيئية وغيرها.

وينبغي أن يغتنم الملتزمون بالإسلام والدعاة إليه من ذوي الاختصاص الذين يُدعَون لحضور هذه المؤتمرات، الفرص المتاحة لهم فيها لطرح ما أمكنهم طرحه، من الموضوعات الإسلامية المناسبة لموضوعات المؤتمرات ولتخصصاتهم، كالكلام عن أضرار

الخمر والمسكرات والمخدرات، وأضرار الفواحش كالزنا واللــواط، والنظافة الحسية والمعنوية في المؤتمرات الطبية، والحلــول الــتي جــاء بها الإســلام للوقاية من هــذه الأضــرار وعلاجهــا. وكــذا إبــراز الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

وفي المــؤتمرات الاقتصــادية يــبين المتخصصــون الإســلاميون الجوانب الاقتصادية في الإسلام، وما فيها من حلول للمشكلات في الاقتصاد الرأسمالي الربوي أو الاقتصاد الاشتراكي.

وفي المؤتمرات السياسية يبين المتخصصــون أسس السياسة الإسلامية ومزاياها، وكيف طبقت في الماضي وآتت ثمارها، وحاجة الناس إليها اليوم.

وفي المؤتمرات القانونية يــبين المتخصصــون الإســلاميون مزايا الفقه الإسلامي وشموله وثباته وسموه، وما فيه من ثروة يمكن أن تسعد بها البشرية لو طبقت.

وفي المــؤتمرات الأمنية يــبين المتخصصــون أسس الأمن في الإسلام: المعنوية منها والمادية وهكذا... في جميع المؤتمرات التي تعقد في أي موضوع من الموضوعات يجب أن يشارك فيها العلماء والمفكــرون والمتخصصــون الملــتزمون بالإســلام، لإظهــار محاسن الإســلام ومزايــاه في كل مجــال لتنبيه العقــول المشــاركة إلى تلك المحاسن والمزايا.

القسم الثاني: مؤتمرات شعبية.

وهي المؤتمرات الــتي تقــوم بها جماعــات إســلامية منظمــة-في الجملة-أو جمعيات خيريــة، أو فئة معينة تجمعها رابطة خاصــة، مثل فئة علماء الشريعة الإسلامية المتنوعة، كالفقهاء والمحــدثين، ومثل علماء التاريخ الإسلامي، أو علمــاء الاجتمــاع الإســلاميين أو الأطبــاء الإســلاميين، أو النقابــات المتلــزم أعضــاؤها بالإســلام، كالمحــامين والصحفيين والمهندسين، والإعلاميين، وغيرهم كالطلاب.

وقد تكون المؤتمرات المنعقدة على مســتوى مدينة أو محافظة أو قطر، أو على مستوى إقليمي يجمع عدة أقطــار متقاربة جغرافيا أو متشابهة نظاما، أو على مستوى قومي محدد كالدول العربية، أو على مستوى قارة كآسيا وإفريقيا.. أو على مستوى عالمي.

وقد يكون المؤتمر المعقود محدد الوقت والهدف، كالــدعوة إلى عقده مرة واحدة لمناسبة خاصة، وقد يراد له الاســتمرار بــأن يعقد دوريا: في كل عام أو خمسة أعوام أو أكثر أو أقل.

والفرص المتاحة للمؤتمرات الإسلامية الشعبية تختلف من قطر

إلى آخـر، ففي بعض الأقطـار تحظر حكوماتها التجمعـات الصـغيرة فضلا عن الكبـيرة بـإذن وبـدون إذن، وفي بعض الأقطـار قد تـأذن دولها بعقد بعض المؤتمرات بقيود تجعل ثمارها محدودة جدا-أعـني بذلك دول الأقطار الإسلامية-ومن النادر أن توجد دولة في الأقطـار الإسلامية تتيح فرصة للمؤتمرات الشعبية تكون لها حرية كاملة.

ولكن الفـرص قد تتـاح في بعض البلـدان غـير الإسـلامية في الغرب وتتوافر فيها الحرية أكثر من الأقطار الإسلامية.

والـواجب أن يغتنم الإسـلاميون الفـرص المتاحة لهم في كل مكان، قلت أو كثرت.

غايات المؤتمرات الإسلامية.

والغايـات العامة للمـؤتمرات الإسـلامية، يجب أن تكـون غايـات أهل الحق في سباقهم إلى العقول، وقد سبق الحديث عنها.

ويضـاف إلى تلك الغايـات غايـات أخـرى عامة وخاصـة، وغالبها يدخل ضمنا في الغايات المذكورة سابقا.

غايات للمؤتمرات العامة.

هنـاك غايـات عامة ينبغي أن يجعلها المشـاركون في أي مـؤتمر نصب أعينهم، مهما تنوعت موضوعات تلك المـؤتمرات، ومن أهمها ما يأتي:

أولا: السعي الجـاد في جمع كلمة الأمة الإسـلامية على الحق.

ويبـدأ ذلك بمحاولة تخفيف حـدة الصـراع والخلاف الشـديدين المسـتمر ين بين المسـلمين، على المسـتويين: الرسـمي، وهو الخلاف بين الـدول الحاكمة في الأقطـار الإسـلامية، على أسس الإصلاح الإسلامية الـتي أمر بها الله تعـالى رسـوله صـلى الله عليه وسلم.

وتتلخص هذه الأسس في ركنين أساسين:

الركن الأول: أن يكون الإصلاح بالعدل.

ولا يجوز أن يتعمد القائمون بالصلح الوقوف بجانب القـوي، ضد الضعيف المظلوم، كما جرت عادة كثير من الناس.

الركن الثاني: مناصـرة المظلـوم المعتـدى عليه على ظالمه إذا لم يقلع عن ظلمه له.

وقد جمعت هذين الركنين آية الحجرات، كما قـال تعـالى: {وإن

طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصـلحوا بينهمـا، فـإن بغت إحـداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حـتى تفئ إلى أمر الله فـإن فـاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين} [1].

وكذلك الاختلاف الحاصل على المستوى الشعبي، كالاختلاف بين الجماعـات والأحـزاب الإسـلامية أو القبائـل، يجب أن يكـون من أهداف المؤتمرين العناية بالصلح بين هذه الفئات-وإن كان المؤتمر في الأصل عقد لغـرض آخـر، فـإن التمـزق الـذي أصـاب الأمة الإسلامية في هذا العصر سبب لها كوارث وأضعف كيانهـا، ولم يبق شـعب أو دولة أو دول متجـاورة أو متباعـدة، إلا أصـابها هـذا الـداء العضال، ولهذا كان جديرا بالعناية والاهتمام.

وهـــذه الغاية تحتـــاج-مع طرقها في كل المـــؤتمرات-إلى عقد مـؤتمرات خاصة بهـا، لوضع مشـروع كامل وعمل متواصل ولجـان متنوعة من رجـال أكفـاء يكونـون محل ثقة يسـعون لجمع كلمة المسلمين بحكمة وتجرد وصبر، لوجود عقبات كـأداء في طـريقهم، منها الذاتي الداخلي ومنها الخارجي.

ثانيـــا: التـــذكير المســـتمر بتحقيق الإخـــوة بين المسلمين.

بحيث يحب بعضهم بعضـا، ويحب بعضـهم لبعض ما يحب لنفسه من الخـــير، وذلك يقتضي التعـــاون فيما بينهم والتنا صر والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثا: التنبيه على الأخطار التي تحيط بالمسلمين.

ويجب إقنـاع المسـلمين بوجـوب الوقاية من تلك الأخطـار، أو دفعها بالوسائل الممكنة التي يجب أن تتخذ لها.

رابعـــا: الـــدعوة إلى تطـــبيق الإســـلام في حيـــاة المسلمين.

الأفراد منهم والأسر والشعوب والـدول وعـدم التفريط في شئ منه.

وتكـرار العناية بهـذه الغايـات، ينبه الحاضـرين وغـيرهم ممن تبلغهم مناقشات المؤتمر وبحوثه وتوصـياته وقراراته على أهميتهـا، وعلى أن الـواجب عليهم جعلها من الأوليـات الـتي يجب البـدء بهـا، فيكـون في ذلك وسـيلة من وسـائل السـبق بـالحق إلى العقـول، وسـوف لا يعـدم المـؤتمرون مناسـبات في مـؤتمراتهم تسـوغ لهم

[1]-الحجرات:9.

طرق هذه الغايات ولو إجمالا.

غايات المؤتمرات الخاصة.

أما غايات المؤتمرات الخاصة، فإنها تتحدد بطبيعة كل مؤتمر على حدة.

فقد يكون المؤتمر دعويا، وقد يكون تعليميا تربويا، وقد يكون اقتصاديا، وقد يكون سياسيا، وقد يكون اجتماعيا، وقد يكون صناعيا، وقد يكون إصلاحيا،-يعني للإصلاح بين الناس-وقد يكون علميا شرعيا-يجتهد فيه علماء الشريعة في بعض القضايا الطارئة التي تحتاج إلى معرفة الحكم الشرعي فيها... وهكذا...

فطبيعة كل مؤتمر تحدد غايته التي عقد من أجلها، وموضوعاته التي تكتب فيها البحوث ويناقشها المؤتمرون، والأشخاص الذين يدعون لحضوره أصلا أو تبعا، وينبغي أن يكون لعلماء الإسلام وجود في كل المؤتمرات، حتى ولو كانت متخصصة كالمؤتمرات الطبية والهندسية، فالغالب أن تشتمل موضوعات المؤتمرات على ما قد يحتاج إلى فتوى فيه وبيان موقف الإسلام منه، وحضور العلماء الشرعيين يحقق غرضين:

الغرض الأول: صحة تصورهم وإدراكهم للقضايا التي يبحث فيها المتخصصون، وصحة الإدراك والتصور أساس في الحكم الشرعي على المدركات والمتصورات.

الغرض الثاني: بيانهم للحكم الشرعي في القضية المطروحة، ليستفيد منهم المتخصصون الذين لا يدرون الحكم الشرعي في القضية.

ثم إن وجود علماء الإسلام الشرعيين مع المتخصصين في العلوم الأخرى، يتيح لهؤلاء الاستفادة من أولئك في مجالات متنوعة من الموضوعات الإسلامية، يسألونهم عما يشكل عليهم في الحلال والحرام، وفي قضايا معاصرة سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، وفي اجتماعهم بهم في المؤتمرات فرصة قد لا يجدونها في غيرها لكثرة أشغالهم وتفرقهم.

وينبغي في المؤتمرات الخاصة إبراز ما يتصل بها من الموضوعات الإسلامية، في إعداد بحوث يتعاون على إعدادها ذوو الاختصاص في العلوم الكونية والطبية وعلماء الشريعة الإسلامية، ويبرز ذوو الاختصاص الحقائق العلمية، ويشرح علماء الشريعة الإسلامية ما وردت به النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة، ويبينون مدى موافقة الحقائق العلمية لما تضمنته النصوص، ليظهر

بذلك معنى الإعجاز العلمي في القرآن والسـنة، كما هو الحـال في علم الأجنة وأطوار الجنين في القرآن الكريم.

وعندما يكون المـؤتمر يتعلق بـالقوانين والأحكـام تـبين الأحكـام الشـرعية، ومـدى صـلاحيتها في الماضي والحاضر والمسـتقبل، مع سموها وشمولها والنتائج التي تتحقق بتطبيقها.

وعندما يتعلق المؤتمر بحقوق الإنسـان تـبرز الحقـوق الإنسـانية في الإسـلام، المنصـوص عليها في الكتـاب والسـنة والمراجع الإسـلامية، وكونها قد طبقت في واقع الحيـاة، ونـالت البشـرية من تطبيقها السـعادة والرخـاء، وحاجة البشـرية اليـوم إليهـا، مع التنبيه على أنها قد جربت كل النظم والمبادئ البشرية فلم تنل من غالبها إلا الشقاء تلو الشقاء.

وعنـدما يتعلق المـؤتمر بالمحافظة على البيئة تـبرز النصـوص الواردة في عمارة الأرض واستغلال خيراتها، وغـرس الأشـجار فيها والمحافظة على نظافة الظلال بل طهارتها وعدم تنجيسها، وكـذلك الطرق والشـوارع وأجر من أزال الأذى عن الطريـق، وأن ذلك من شعب الإيمـان، وكـون الإسـلام أمر بالاقتصـاد في الأكل والشـرب، ونهى عن الإسراف والتبذير، حـتى إنه أمر بمتابعة ما في الإنـاء من الطعام وأكله، حتى لا يبقى فيه شيء، ونهى عن البول في الميـاه. ونهى عن تعاطي كل ضار بالإنسان وتنـاول كل خـبيث، ويـدخل في ذلك شـرب الـدخان ونحـوه، مما يلـوث بـاطن الإنسـان وظـاهره، ويلوث الأجـواء المحيطة بـه، وأمر بنظافة الجسم والثـوب والأرض وطهارتها، حتى إن الصلاة لا تصح مع ملامسة نجاسة في ذلك كله.

وهكـذا لا يوجد موضـوع من الموضـوعات الـتي تعقد لها المـؤتمرات، إلا وللإسـلام فيه قـول، من ذلك الصـناعات بأنواعهـا، فالسـهم الواحد يـؤجر عليه صـانعه والـرامي به ومنبلـه، والرفق بالحيوان الذي يغفر الله بسببه لساقي الكلب العطشان ذنوبه.

وهكـذا الشـؤون الاجتماعية كالعناية بالأسـرة والحيـاة الزوجية والأولاد والآبـاء، والجـيران، وصـغار السن وكبـار السن والمعـوقين والفقراء واللاجئين...

وكذلك قضايا الأمن بمعناه العام الواسع الـذي يشـمل الأمة في كل شـؤونها، كما أشـار إلى ذلك سـيد قطب رحمه الله في كتابـه: السلام العالمي والإسلام [1].

فيجب أن ينبه على أن المحافظة على البيئة المعنويـة، وهي الحرص على الطاعـات والبعد عن الفـواحش والمنكـرات، من أهم

---

[1] -وللمؤلف كتاب في هذا المعنى بعنوان: أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي.

ما جاءت به الشريعة...
وهو يتلخص في قوة الإيمـان والعبـادة والعمل الصـالح، والتربية الإسـلامية السـليمة، والعمل بالأحكـام الشـرعية، وغـرس الأخلاق الإسـلامية، ثم تطـبيق العقوبـات الشـرعية على من لم تُجـدِ فيه التربية الإيمانية والعبادية والأخلاقية...
نخلص من هـذا كله إلى أنه لا ينبغي أن نفـوت أي فرصة تسـنح في أي مؤتمر، دون أن تكون الدعوة إلى الإسـلام متسـللة فيه إلى عقول النـاس في فقـرات موضـوعاته وبحوثـه، ولكن ليس بمجـرد الوعظ والحماس وإنما بالأساليب العلمية المناسبة للمـؤتمر، حـتى تكون المؤتمرات من وسائل السبق إلى العقول بالحق.

مؤتمرات لها لأولوية.

ومن أهم المؤتمرات التي يجب الاهتمام بها في هـذا العصـر: ما تعلق منها بالدعوة والتعليم والتربية.
وهذه الأبواب الثلاثة مترابطة، ويجب أن تكون هي محور نشـاط الجماعات الإسلامية التي نصـبت نفسـها لحمل عبء هداية النـاس وجمع كلمتهم على الحق ضد الباطل.
فالـــدعوة إلى اللــه، الأصل فيها أن تكـــون علنية يقصد بها كل الناس، كما أن الأصل فيها أن تكون شاملة في موضوعاتها فتشمل الجـانب الإيمـاني، والجـانب العبـادي، والجـانب الأخلاقي، والجـانب التشـريعي، والجـانب الاقتصـادي، والجـانب الاجتمـاعي، والجـانب الجهادي، والجانب السياسي، والجانب الإعلامي، غيرها.
والغـــرض أن دعـــاة الإســـلام يجب أن يـــبينوا للأمة كل ما هو مطلوب منها، من الإيمان والعلم والعمل الصالح الذي يرضي ربهـا، ويمكنها في الأرض لنصر دينه وهداية خلقه، ويدعونها-مع البيان-إلى التطبيق.
وإذا كـانت الفرصة متاحة للـدعوة علنا لإبلاغها إلى كل النـاس، بهـذا الشـمول في الموضـوعات، فـإن واجب الـدعاة إلى الله أن يجتهدوا في إبلاغ الناس كافة بكل الموضوعات الإسلامية، ولا يجوز لهم أن يقصروا في شئ من ذلك ما داموا قادرين عليه.
ويـــدخل في ذلك المـــؤتمرات، فكل ما رأوا الحاجة داعية إلى العناية بموضـوع من الموضـوعات الإسـلامية وحاجته إلى الدراسة والبحث والمشاورة، أعـدوا له مـؤتمرا يحيط بجوانبـه، واختـاروا له الأعضاء المناسبين في الاختصاصات وفي الدعم، وهيئوا له المكـان والزمان المناسبين، وحشـدوا له وسـائل الإعلام لإبلاغ رسـالته إلى

الناس.

ولا يقيد الدعاة إلى الله في موضوعات المؤتمرات، إلا تقديم الأولى منها على غير الأولى.

ولكن هذين الأصلين-العلنية والشمول-غير متاحين الآن على إطلاقهما، فكثير من الدول الحاكمة للشعوب الإسلامية-وبخاصة العلمانية منها-لا تتاح فيها الفرص للدعاة الصادقين المؤثرين أن ينشروا دعوتهم ويبلغوها إلى كل الناس، وإذا أتيحت لهم فرص التبليغ لكل الناس بالوسائل الممكنة، لم تتح لهم فرص بيان كل الموضوعات الإسلامية، وإنما يؤذن لهم ببيان بعض الجوانب الإيمانية والعبادية، التي لا يصل أثرها إلى تحريك عقول الأمة، لتعي ما يجب عليها من طاعة الله وطاعة رسوله طاعة شاملة لكل حياتها على نهج كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحكيم شرع الله ورفض حكم الطاغوت الذي يحكمها.

وفي هذه الحالة يجب على علماء الدعوة ومؤسساتها، أن يضعوا لنشاطهم الدعوي-في الدول التي تحارب الدعوة الإسلامية الشاملة-بوسيلة المؤتمرات منهجين:

المنهج الأول: مؤتمرات مصغرة.

وتكون على مستوى المدن، وعلى مستوى المناطق، وعلى مستوى القطر، وعلى المستوى الإقليمي-عدد من الدول المتناسبة-وعلى المستوى الدولي.

فعلى مستوى المدينة يحضر المؤتمرَ مندوبون عن أحيائها، لتدارس سير الدعوة فيها، وملاءمة المنهج الذي تسير عليه الدعوة، ومدى تأثير الدعوة في الناس في كل حي، وما يعترض الدعوة من معوقات، وما تحتاج إليه الدعوة من الدعم بالمال والرجال، وتقديم اقتراحات لتطوير أساليب الدعوة ووسائلها، ولحل المشكلات التي تواجهها، وإزالة المعوقات أو تخفيفها، ومناقشة كل ما يمكن عمله من أجل انتشار الدعوة وحمايتها، ثم الانتهاء إلى وضع خطط مستقبلية وأهداف ووسائل لتحقيق تلك الأهداف، والتزام الجميع بذلك.

وكذلك يكون مؤتمر المنطقة، ثم مؤتمر القطر، على أن تكون تلك المؤتمرات كلها محكومة بقواعد شاملة تنسقها وتنظمها، بحيث لا يحصل بينها تداخل أو تضارب.

وعلى المستوى الإقليمي يحضر المؤتمرَ مندوبون عن الأقطار لتدارس شؤون الدعوة في كل قطر على حدة، ثم تدارس شؤونها على المستوى الإقليمي، بحيث تقدم تقارير مفصلة على

المستويين، وتوضع خطط وأهداف ووسائل على المستويين-أي على كل مستوى وحده-مفصلة، متفقه وموصلة إلى أهداف وخطط ووسائل الدعوة العامة في الإقليم كله.

وهكذا تكون المستويات الإقليمية مع المستوى الدولي-مثل مستوى الأقطار مع المستوى الإقليمي-.

وتكون أولوية المستوى الدولي في المؤتمرات للموضوعات المناسبة لهذا المستوى، بحيث تكون له الصدارة في الأقاليم والأقطار، كما تكون الأولية على مستوى الإقليم للموضوع الأهم على مستواه، وهكذا الأقطار، ثم المناطق ثم المدن، وقد يكون موضوع قطر واحد ذا مستوى دولي.

وبالمثال يتضح المقصود.

قضية فلسطين-أرض القدس الشريف-هي قضية المسلمين جميعا، وموضوعاتها تهم المسلمين جميعا، وذلك لعدة أسباب:

السبب الأول: أنها جزء من بلاد الإسلام، بل من أهم أراضي المسلمين المقدسة، وأي جزء من بلاد الإسلام يجب على المسلمين كلهم حمايته والدفاع عنه، إلا إذا استطاع أهله أو البلدان المجاورة له حمايته حماية كافية، سقط بهم الواجب عن بقية المسلمين، وهذه الحماية لم تحصل، فبقي الوجوب على الجميع، وكل السلمين اليوم آثمون إن لم يجتهدوا في طرد الدولة اليهودية من أرض فلسطين دامت مغتصبة.

السبب الثاني: أن هذا الجزء المقدس تواطأت-تواطؤا مباشرا أو غير مباشر-على اغتصابه وغزوه وتقتيل أهله وتشريدهم وتهد يم منازلهم، الدولُ الغربية كلها سياسيا واقتصاديا وإعلاميا وعسكريا ودينيا.

يضاف إلى ذلك أن الدولة اليهودية، حشدت لتأييدها كثيرا من دول العالم، حتى بعض حكومات الشعوب الإسلامية، التي عقدت معها علاقات دبلوماسية واقتصادية، وأمنية، ومنها بعض الدول العربية، كمصر والأردن، بل عقدت مع بعض حكام الشعوب الإسلامية تحالفات عسكرية، كما هو الحال مع الحكومة التركية العلمانية.

ولا تزال الدولة اليهودية تحشد في صفها الدول المؤيدة لها في الأمريكتين وفي أوروبا الغربية والشرقية، وفي إفريقيا، وفي آسيا، وهذه الدول تحيط بالشعوب الإسلامية.[1]

---

[1]-وفي هذا الشهر-شهر صفر من عام: 1419هـ كادت الدولة اليهودية تهاجم المفاعل النووي الباكستاني من أرض إسلامية، وهي كشمير التي لا زالت الهند تغتصبها.

هـذا مع تمـزق الـدول العربية وتنازعها وفشـلها، وتفريطها في حشد شقيقاتها في الشعوب الإسلامية...!

وكلما عظمت القـوة المعتدية عظمت المسـؤولية على الأمـة، وأهل فلسـطين غـير قـادرين على الـدفاع عن أنفسـهم وأمـوالهم وأعراضهم و مقدسا تهم، فكـان الـواجب على جميع المسـلمين أن يقفوا بجـانبهم بالمـال والرجـال والاقتصـاد والسياسة والجهـاد بكل أنواعه.

السـبب الثـالث: أن أجهـزة الإعلام العربيـة-متواطئة مع أجهـزة الإعلام الغربية-وتدور في فلكها القيادات الفلسطينية العلمانيـة، قد رسـخت في عقـول عامة المسـلمين، ومنهم كثـير من الشـعوب العربية، أن قضـية فلسـطين قضـية عربيـة، فكـان في ذلك تضـليل لعامة المسـلمين الـذين يجب أن يعلمـوا بـأن قضـية فلسـطين هي قضـية المسـلمين جميعـا، ويجب عليهم السـعي بقـدر الطاقة في تحريرها من اليهود.

هذه الأسباب وغيرها تجعل من قضية قطر واحد، وهو فلسـطين ذات مسـتوى إسـلامي دولي، وليست قضـية على مسـتوى قطر واحد، ولها الأولوية-في الجملة-على ما سواها حتى تتجه الأمة بقدر كاف من طاقتها لدعم هذه القضـية، ليقـوى التـأثير على حكومـات الشعوب الإسلامية، حتى لا تعترف بالدولة اليهودية المغتصـبة الـتي تدعمها الدول النصـرانية، وحـتى تقـاطع تلك الـدول الدولة اليهودية اقتصاديا وسياسيا ومواصـلات واتصـالات، وتقـاطع كل المؤسسـات التي تتعامل معها.

إن هـذا المعـنى يجب أن يعيه المسـلمون في كل العـالم حـتى تبقى الروح الجهادية ومعنى الولاء والبراء حية في نفوسهم.

ولهذا فإن من أهم الأولويات في المـؤتمرات العالميـة، قضـية فلسطين وتحريرها من أيدي اليهود.

ومثل قضـية فلسـطين في هـذه الفـترة قضـية المسـلمين في البوسنة والهرسك الـتي تعـاونت دول الغـرب كلها على المسـلمين فيهـا، وكـادت تكـون الأنـدلس الثانيـة، ولها الآن[1] أكـثر من سـنة، والمـؤتمرات الرسـمية [2] تعقد وتنفض بعد مناقشـات وتصـريحات وقـرارات، يظن سـامعها أن علم الجهـاد سـيرتفع ضد أعـداء الله المعتدين، ثم يكون الأمر كما في المثل العـربي: أسـمع جعجعة ولا أرى طحينا.

---

[1]-كانت كتابة هذه السطور في 7/11/1413هـ-.

[2]-التي تعقدها حكومات الشعوب الإسلامية.

والمـؤتمرات الشـعبية لا تسـتطيع في هـذه الظـروف أن تحـرر فلســطين، ولا تســتطيع أن تعمل عملا ســريعا لــردع الصــرب والكــروات عن المســلمين[1]، ولكنها تســتطيع أن تنبه الشــعوب الإســلامية على الخطر الــذي يهــددها كلها إذا هي بقيت غافلة مستكينة يتربص بها أعداؤها شعبا شعبا، وتضللها أجهزة الإعلام في دولها، وفي هـذا التنبيه والتوعية تهيئة وإعـداد للشـعوب قد يؤتيـان ثمارهما في مستقبل قـريب أو بعيـد. أما إذا بقيت في غفلة فإنه لا يرجى منها أن تفكر في مصيرها المحتوم.[2]

وقد تعمدت أن أضرب هذين المثالين-وهما جهاديـان سياسـيان- في سياق الدعوة إلى الله والسـباق إلى العقـول بـالحق، لبيـان أن الدعوة إلى الله شاملة لكل ما يحقق للمسـلمين مصـالحهم ويـدفع عنها المفاســد، وليست مقصــورة على دعــوتهم إلى الجــوانب الإيمانية والعبادية فقــط، كما يفهم ذلك من قصر علمهم بالكتــاب والسنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ونهج علمـاء الـدعوة الذين فقهوا الكتاب والسنة والسيرة النبوية.

المنهج الثاني: مؤتمرات عامة.

يـدعى لها القـادرون على حضـورها من عامة النـاس، ولا تقتصر على منـدوبين من صـفوة العلمـاء والمفكـرين والمتخصصـين-وإن كـانوا هم المسـئولين عن دراسة أهـدافها ووسـائل العمل من أجل تحقيقها والإعداد السابق للدعوة إليها-سواء كـانت تلك المـؤتمرات على مسـتوى المـدن، أو على مسـتوى المنـاطق، أو على مسـتوى الأقطار، أو على مستوى الأقاليم، أو على المستوى الدولي.

ويكـون الهـدف من هـذه المـؤتمرات العامـة، توعية الأمة كلها بموضوعات يـرى علمـاء المسـلمين وقـادتهم أن الحاجة تـدعو إلى تعريف المسلمين بها وحثهم على الاهتمـام بهـا، وإقنـاعهم بوجـوب بالمصــالح المترتبة على العمل من أجلهــا، والأضــرار الناتجة عن التقصير في شأنها والتهاون في أمرها، ووجوب السعي الكامل في اتخاذ الأسباب المتاحة المحققة لأهـدافها، وإصـدار القـرارات الـتي

---

[1]-لأنها ليست مطلقة الحرية في عقـد المـؤتمرات وقراراتهـا ومتابعـة تلـك القـرارات في جمـع التبرعات وإيصالها إلى المجاهدين في فلسـطين والبوسـنة وغيرهمـا إلا بطـرق خفيـة عن حكوماتهـا وبخاصة العلمانية التي يسرها ضرب المجاهدين ولو كان المعتدون يهود أو نصارى أو شيوعيين.

[2]-وقد حصل في هذه الأيام-أكتب هـذه السـطور في الأسـبوع الأول من شـهر جمـادى الآخـرة- للمسلمين في كوسوفا ما حصـل للمسـلمين في البوسـنة والهرسـك، وموقـف المسـلمين من هـذه الكارثة هو موقفهم من كارثة المسلمين في البوسنة والهرسـك: شـعب يبـاد، واحتجاجـات وإنـذارات كاذبــة من دول الغــرب ومن مجلس الأمن ضــد الصــرب المعتــدين، وحــرب من دول الغــرب ومن حكومـات الشـعوب الإسـلامية ضـد من يريـد مناصـرة المسـلمين في كوسـوفا من المجاهـدين المسلمين...!

يمكن للمؤتمرين تنفيذ مضمونها، والتوصيات التي ينبغي تبليغها إلى غــيرهم من القــادرين القيــام بمحتوياتهــا، وتكــوين اللجــان اللازمة لمتابعة تلك القرارات والتوصيات معا...

مؤتمرات تعليمية.

ومن أمثلة المــــؤتمرات العالمية الـــــتي يحتــــاج إلى عقــــدها المسلمون في كل العالم-الشعوب الإسلامية و الأقليات الإسـلامية- مــؤتمرات التعليم في المــدارس والمعاهد والجامعــات الإســلامية الأهليـــة، لرفع مســـتوى التعليم فيها بمراجعة المنـــاهج والخطط والكتب ووسائل التدريس والإيضاح وكفاءة المدرسـين بهـا، لتكـون كلها صـالحة لتخـريج طلاب أكفـاء قـادرين على اسـتيعاب العلـوم الإســـلامية المتنوعــــة، وعلى أخذ حظ وافر من العلـــوم الكونية وغيرها، كما مضى في فقرة: وسيلة التعليم.

إن الذين يتولون شؤون التعليم الخاص في الشعوب الإسـلامية، توجد بينهم فــروق كبــيرة جــدا في منــاهج التعليم الــتي وضــعوها وخططه وكتبه ووســـائله، فتجد بعض المــــدارس تهتم بـــالعلوم الرياضـــية والطبية والمهنية وغيرها من علـــوم الحيـــاة، ولا تهتم بالعلوم الإسلامية، بحيث تجد طلابها لا يفقهون فــروض العين الــتي لا يسع المســـلم جهلهـــا، وتجد في الجـــانب الآخر مـــدارس تهتم بتـــدريس بعض العلـــوم الإســـلامية، بمنـــاهج قديمة وكتب معينة وبوسائل تدريس عقيمة، وترى مدرسـيها لا يـدري كثـير منهم شـيئا يذكر عن الثقافـات المعاصـرة، فيتخـرج من هـذه المـدارس طلاب يحفظون بعض المتون وبعض الأحكام لا يفقهون معناها حق الفقــه، أما ما يتعلق بثقافة العصر ومشكلات المسـلمين وما يجب أن يتخذ لها من حلـــول، فـــإن عقـــول كثـــير منهم قد حجـــزت عن معرفتها والتفكـــير فيهـــا، على عكس الصـــنف الأول الـــذين عنـــدهم ثقافة معاصـرة وعلـوم من الحيـاة الدنيويـة، ولكن كثـيرا من المشـكلات الــتي يتعــرض لها الإســلام تكمن فيهم، إذ الأفكــار الــتي زرعت في عقولهم أفكار علمانية أو غير سليمة عن الإسلام.

ومن النـــادر أن تجد مـــدارس جمعت بين الحســـنيين: حســـنى الدراســات الإســلامية الشــاملة الــتي يتمكن طلابها من التفقه في الــدين، تفقها يعتقــدون به أن الإســلام منهج شــامل لحيــاة الإنســان كلها ويطبقونه في حيــاتهم على هــذا الأســاس، وحســنى معرفة ما ينفع المسلمين في حياتهم الدنيا من العلوم والثقافة لاتخاذه وسيلة لقـــوتهم وتقـــدمهم، ومعرفة ما يضـــرهم فيجتنبونه ويتخـــذون من الوسائل ما يقيهم شره.

لهذا تظهر الحاجة إلى عقد مؤتمرات تعليمية، يجتمع فيها علماء مسلمون من ذوي التخصصـات المتنوعة وخـبراء تعليم إسـلاميون، مع زعمـاء المؤسسـات التعليمية الإسـلامية في العـالم الإسـلامي، لتـــدارس شـــؤون التعليم ومحاولة توحيد المنـــاهج-ولو في إطارها العـــام في أول الأمـــر-ووضع المـــواد اللازمة في العلـــوم الدينية والعلوم الكونية الأخرى.

ولا بد أن يسبق المؤتمرات العامة مؤتمرات قطريـة-أي مـؤتمر أو أكثر لكل قطر إسلامي-ومؤتمرات إقليمية-لعدة أقطار متجـاورة أو متشابهة-يشـترك فيهـا-المـؤتمرات القطرية أو الإقليميـة-زعمـاء المؤسسـات التعليمية في الأقطـار أو الأقـاليم، وعلمـاء مسـلمون وخـبراء تعليم، يستعرضـون المنـاهج والكتب والأسـاليب التعليمية الموجـــودة، ويضـــيفون ما يـــرون إضـــافته من المـــواد الأخـــرى، ويقـترحون ما يـرون من تعـديل بزيـادة أو نقص، وما يناسب من وسـائل التعليم وأسـاليبه، ويحصـرون التخصصـات الـتي ينبغي أن تتوافر في المدرسين على ضوء منهج جديد مقترح ووسـائل تحقيق تلك التخصصات، ثم تجمع تلك الدراسات في تقـارير وتعـرض على العلماء والخبراء الذين سيحضـرون المـؤتمرات العالميـة، وتعد لهم عناوين الموضوعات المناسبة ليكتبوا فيها بحوثا وملخصات لعرضـها في المؤتمرات.

فإذا نوقشت التقارير والبحوث واتفق على قرارات أو توصـيات، كـــونت لها لجـــان متابعة قطرية تقودها لجنة عالمية لمحاولة تنفيذ تلك القرارات والتوصيات.

وقد يكـون تنفيـذها في كل الأقطـار صـعبا، لأسـباب مختلفـة، ويمكن أن يجتهد في تنفيـــذها في بعض الأقطـــار، لتكـــون نموذجا ومثـالا يحتـذى في بقية الأقطـار حسب الإمكـان، ويحسن أن تنفذ نمـاذج منها في جهـات مختلفـة، فيكـون أحد النمـاذج في شـرق إفريقيا، وآخر في غربها، وآخر في جنوبهـا، وهكـذا ينفذ نمـوذج في شرق آسيا وآخر في جنـوب شـرق آسـيا، وينفذ آخر في بعض دول المسلمين التي استقلت عن الاتحـاد السـوفيتي السـابق، وآخر في شرق أوربا، وآخر في غربها، وآخر في أمريكا الشمالية ونموذج في أمريكا الجنوبية، ليظهر أثر كل نموذج في الـدول المجـاورة، فتتـأثر به المؤسسات التعليمية فيها، لأن الناس يتأثرون بـالواقع المشـاهد أكثر من المقترح النظري.

مؤتمرات دعوية.

ومن الأمثلة للمـؤتمرات العالمية الـتي يحتـاج إليها المسـلمون مـؤتمرات الـدعوة، وهي حاجة عامة شـاملة للمسـلمين وغـير المسلمين في كل أنحاء العالم، وفي كل الأوقات.

ومؤتمرات الدعوة العالمية تحتـاج قبل عقـدها إلى دراسة جـادة وعميقـة، من قبل مختصـين يحـددون أهـدافها القريبة والبعيـدة، ومناهجها وأساليبها ووسائلها، ويكتبون في ذلك بحوثا محددة، وهذه الدراسة وحدها تحتاج إلى مـؤتمر عـالمي مصـغر يجتمع فيه أفـذاذ العلماء والدعاة وزعمـاء الجماعـات الإسـلامية، وعلى ضـوئه يحـدد المكان والزمان ويحضر الأشخاص الذين ينبغي أن يُـدْعَوا لحضـوره وتمويله والموضـوعات الـتي تـوزع على القـادرين للكتابة فيهـا، واللجـان الإدارية والتنظيمية والإعلامية وغيرهـا، حـتى إذا ما اجتمع المؤتمرون وجدوا أمامهم موضـوعات عملية محـددة، تـدرس لتنفذ قرارتها وتوصياتها، لا لتحفظ في ملفات يأكل عليها الـدهر ويشـرب كما هو واقع كثير من المؤتمرات التي تعقد الآن.

ويجـدر بـالمؤتمرين أن يبـدؤوا في مـؤتمراتهم بالأوليـات من الموضـوعات الـتي يـترتب عليها تقـدم الـدعوة وانتشـارها وكفـاءة الدعاة، ودعوة الناس إلى ما يجهلونه من الإيمان والعبـادات العينية والمعـاملات اليوميـة، مثل فقه الأسـرة وبعض أحكـام الحلال والحرام.

وكـذلك تحـذيرهم مما يحيط بهم من المخـاطر الحاضـرة من أعدائهم ووجوب اجتماعهم على الحق والتعاون على البر والتقوى.

ويتلخص ذلك في الأمور الآتية:

الأمر الأول: إعداد برامج لتـدريب قـادة الـدعاة تـؤهلهم لتخـريج دعاة أكفاء.

وهذه البرامج تشمل التفقه في العلوم الإسلامية المتنوعـة، من مصـادرها وفي طليعتها الكتـاب والسـنة والسـيرة، وكتب العقيـدة السـلفية السـليمة من التعقيـدات الكلامية والفلسـفية، وعلـوم التفسـير وكتبه وعلـوم الحـديث وكتبـه، وأصـول الفقه وكتبه وكتب الأخلاق، والثقافـة، ومعرفة شـبهات الأعـداء كالمستشـرقين والمنصـرين وغـيرهم والـرد عليها بالبرهـان والحجـة، وإجـادة بعض اللغـات العالمية أو بعض اللغـات المحلية حسب الحاجـة، ومعرفة البيئات والعـادات للبلـدان الـتي تسـند إليهم شـؤون الـدعوة فيهـا، وكـذلك معرفة أديـان أهلها مع مقارنتها والاسـتعداد لكشف معايبها وإظهار محاسن الإسـلام، وكونه هو الـدين الحق الـذي لا يوجد دين

حق سواه.
هذا التدريب يكـون-في الأصـل-لـذوي المـؤهلات في الدراسـات الإسـلامية، ولكن ينبغي أن يختـار عـدد من ذوي المـؤهلات الأخـرى كالمهندسين والأطبـاء والكهربـائيين والـبيطريين وغـيرهم، من ذوي المهن ممن عندهم ثقافة إسلامية محدودة وثقافة معاصــرة، وتعقد لهم دورات تدريبية في العلــوم الإســلامية الســابقة، ليأخــذوا حظا كافيا منها، ليؤهلهم لتعليم الناس فـروض العين وتـوعيتهم بما يجب أن يعلمــوه في حيــاتهم، ويســاعدوا المحتــاجين إلى علــومهم من فقراء المسلمين وغيرهم بالدواء والتعمير والزراعة وتربية الدواجن والماشية وبعض المهن العملية، كالنجارة والخياطة ونحوهــا، ليجمع الــدعاة إلى الإســلام بين بيــان الإســلام والــدعوة إليه وبين ترقية الناس المعاشية، ولا يتركوا هذه الأخيرة لغيرهم من المنصرين.
وهـؤلاء الـدعاة بنـوعيهم يُـدَرِّبون-مع دعـوتهم عامة النـاس-من يرونهم ذوي قدرة على الاستيعاب في كل بلد من بلدان المسلمين أو غيرهم، لمناهج الدعوة ونقلها إلى بني قـومهم بلسـانهم، لما في ذلك من الانتشار السريع للدعوة بكثرة القائمين بها.
ومن الوسائل التي تسهل تدريب الدعاة على تنـوع مسـتوياتهم، إنشاء معاهد عليا لذوي المـؤهلات في الدراسـات الإسـلامية-خاصة بمنـاهج الـدعوة وأسـاليبها ووسـائلها، لا تزيد مـدتها عن سـنتين ولا تنقص عن سنة، يستقدم لها علماء كبار متخصصون وذوو خبرة في هذا المجال، بحيث تكون الدراسة قوية والمواد مختارة مناســبة-مع التدريب العملي الميداني على ما يدرسون، وتقوى عندهم الجوانب العبادية ليكونوا قدوة لغيرهم فيما يدعونهم إليه.
وكذلك تنشأ معاهد متوسطة لذوي الثقافة الإسـلامية المحـدودة من ذوي الاختصاصـات الأخـرى، يأخـذون فيها ما يـؤهلهم لمهمتهم الدعوية كما مضى، وتحدد لهم المواد التي يحتـاجون إليها والمراجع والمدة المناسبة مع تدريبهم العملي.
الأمر الثاني: أن يبدأ الـدعاة في كل بلد بالموضـوعات الأهم في ذلك البلــد، فــإذا كــان أهل البلد يجهلــون فــروض العين، كأصــول الإيمــان وقواعد الإســلام الــتي تضــمنها حــديث جبريل المشــهور، والأحكـام المتعلقة بها كصـفة الصـلاة وأركانها وشـروطها، وأمـوال الزكــاة ومقاديرها ومصــارفها، وصــيام رمضــان وما يتعلق به من واجبات ومفطرات، ومناسك الحج، فإن على الدعاة أن يبدءوا بهذه الفروض بالترتيب الذي لقنه الرسول صلى الله عليه وسـلم لداعية اليمن معــاذ بن جبل رضي الله عنــه: [فليكن أول ما تــدعوهم إليه

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول اللـه، فـإن هم أطـاعوك لذلك فأخبرهم أن عليهم خمس صـلوات، فـإن هم أطـاعوك لـذلك فـــأخبرهم أن عليهم صـــدقة تؤخذ من أغنيـــاءهم فـــترد على فقرائهم...]

فــإن وجــدهم على علم بــذلك ويجهلــون غــيره، فليعلمهم ما يجهلون الأهم فالأهم. مع مراعاة نفور النفوس عما تـألف والتـدرج مع أهلها في ذلـك، كما هي سـنة الرسـول صـلى الله عليه وسـلم، وبخاصة مع غير المسلمين أو المسلمين بالاسم الذين يجهلــون كل شئ في الإسلام، فـإن مطـالبتهم دفعة واحـدة بـأداء كل الفـرائض واجتنـاب كل النـواهي بـدون تـدرج حكيم، قد ينفـرهم من الإسـلام كله.

الأمر الثالث: أن يتدارس المؤتمرون الموضـوعات المهمة الـتي يحتاج إليها المسلمون لتوعيتهم بها في أمور دينهم ودنياهم وتحصر عناوينهـا، ويحصر العلمـاء القـادرون على التـأليف والكتابة فيها أو إلقـاء محاضـرات تسـجل في أشـرطة كاسـيت أو فيـديو، أو تعقد ندوات وتسجل كذلك ويستنسخ منها أعـداد كافية لنشـرها وتوزيعها على العـــالم الإســـلامي، عن طريق إدارة خاصة بنشر الـــدعوة، وكـذلك تطبع في رسـائل وكتيبـات صـغيرة بكميـات كثـيرة بلغـات عالمية ومحلية وتوزع على المسلمين.

وليس من الصـــعب أن تكتب أو تقـــرأ تلك الموضـــوعات في الأشرطة بلغات المسلمين المتنوعة، فالبلدان الإسلامية ممتدة في القــارتين: الآســيوية والإفريقية من مشــارق الأرض إلى مغاربهــا، وقلما يوجد بلد لا يوجد فيه طلبة علم قـــــــادرون على الترجمة أو التأليف أو القراءة، كما أن المسلمين منتشرون في القـارات الأربع الأخــرى: أوربا وأمريكا الشــمالية وأمريكا الجنوبية وأســتراليا، بل وفي أطراف العالم كله.

إن أي موضوع من الموضـوعات الـتي تهم المسـلمين يمكن أن يصل إلى المسلمين كلهم في العالم خلال فـترة قصـيرة جـدا بتلك الوسـائل، لسـرعة المواصـلات الجوية والبحرية والبريـة، ولوجـود الاتصالات الـتي تحطم حـواجز الرقابة والمنـع، كـالقنوات الفضـائية والفاكسات والإنترنت، وغيرها...

وما أحـوج المسـلمين اليـوم إلى اتخـاذ هـذه الوسـائل، لإبلاغ ما يهمهم إلى كل مسـلم في العــالم ســواء كــان متعلقا بالشــعائر التعبدية أو الاجتماعية أو السياســية أو الاقتصــادية أو العســكرية، حتى ينتشر الوعي ويشـعروا كلهم أنهم معـنيون بتلك الموضـوعات

والتعاون على البر والتقوى فيها.

مؤتمرات عملية.

وينبغي أن يكـون الهـدف من عقد مـؤتمرات العمل الإسـلامي المقـدور عليـه، تنفيذ قـرارات المـؤتمر المعقـود وتوصـياته، وليس مجـرد الاجتماعـات وإلقـاء البحـوث والمحاضـرات والمناقشـات الكثيرة الـتي تتمخض عن قـرارات وتوصـيات كثـيرة، قد تكـرر في مؤتمرات أخرى بدون تنفيذ ومتابعة، والأولى أن تنفق الأموال الـتي ترصد لأمثال هذه المـؤتمرات الـتي لا تنفذ قراراتهـا، في نشـاطات إسلامية عملية تحتاج إلى تلك الأمـوال، كقوافل الـدعوة، ومـدارس المســلمين القائمة المحتاجة إلى المســاعدة، وإنشــاء مــدارس جديدة، وإنشـاء مسـاجد في أمـاكن يحتـاج إليها المسـلمون، وطبع كتيبـات ورسـائل ومنشـورات تصل إلى النـاس لتعـرفهم بالإسـلام وفرائضه، بدلا من إنفـاق تلك الأمـوال الطائلة على مـؤتمرات غـير مجدية وإن كـــان الهـــدف منها صـــحيحا عند من يـــدعو إليها من المخلصين.

ولو نفـذت قراراتها وتوصـياتها لكـان في ذلك نفع عظيم، ولكن تنفيذها يتوقف غالبا على دعم الحكومـات في الشـعوب الإسـلامية، وأكـــثر حكومـــاتهم تقف ضد تحكيم شـــرع الله وضد الـــدعوة إلى تطبيقـه، ولا تـأذن بتطـبيق جـوهر الإسـلام وحقائقه الـتي تنظم بها حيــاة المســلمين، بل تحاربها وتحل محلها قــوانين تخالفها مخالفة صــريحة، فكيف يــرجى من أمثــال تلك الحكومــات دعم قــرارات المؤتمرات الإسلامية وتوصياتها وذلك هو شأنها؟!

ولو أراد باحث أن يحصي المؤتمرات الإسلامية التي عقــدت في أواخر القــرن الرابع عشر الهجــري، وأول القــرن الخــامس عشر الهجري، وبحوثها وتوصـياتها وقراراتها ويجمع ذلك كلـه، لكـون منها مكتبة كبيرة.

ولو أحصى الأمــوال الــتي أنفقت على تلك المــؤتمرات، لألفاها كافية لإنشـاء مؤسسـات دعوية وتعليمية وخيريـة، المسـلمون في أمس الحاجة إليها، ولو قوّم نتائجها وثمراتها الإيجابية لوجدها هزيلة بجانب ما بذل فيها من جهد ووقت ومال.

لذلك يجب على قادة العمل الإسلامي والمؤسسـات الإسـلامية، أن لا يضـيعوا جهـودهم وأمـوال المسـلمين، إلا في مـؤتمرات لها غايات عملية يمكن تحقيقها أو تحقيق غالبها، وأن تكون موضوعاتها ذات أولوية، وأن يسبق عقدها تخطيط وتنظيم يجعلها ذات جدوى.

وإن اجتماعات مصغرة لقـادة العمل الإسـلامي وعلمائـه، لبحث موضـوعات الـدعوة الإسـلامية والعمل الإسـلامي، ودراسة ما يجب

اتخاذه من خطوات في ذلك دراسة هادئة متأنية يـترتب عليها عمل مفيد-ولو قل-خير من كثير من المؤتمرات الجماهيرية غير المجدية عمليا.

وإذا كان المقصود من تلك المؤتمرات الكثيرة، هو الوصـول إلى معرفة سبل العمل للإسلام، في مجـال الـدعوة والتعليم والتشـريع والأخلاق ومكافحة الدعوات المضللة والشبهات التي يتخـذها أعـداء الإسـلام للطعن فيـه، كالمستشـرقين والمنصـرين وغـيرهم، فـإن عشرات المؤتمرات قد عقدت في أغلب بلدان المسـلمين من بلاد المغرب إلى إندونيسيا في موضوعات إسلامية شتى، وحضرها كبار العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي، وأدلي كل منهم بدلوه بحثا ونقاشا ونصحا وسجلت كلها في مجلدات وملفات وأشـرطة فيـديو وكاسيت، ويمكن الرجوع إليها وأخذ ما يراد العمل به منها.

وقد اعتدنا من بعض حكومـات الشـعوب الإسـلامية الصـبر على المؤتمرات الجماهيرية وبحوثها ومؤتمراتها وتوصـياتها، ولو كـانت لا ترضى عنها تلك الحكومات، لأنها تعلم أن حماس المؤتمر المعقـود ينتهي بقراءة قراراته وتوصياته الـتي لا تـرى أثرها في الواقع إلا ما ندر.

فليتجه العــاملون للإســلام إلى الاجتماعــات والمــؤتمرات المصغرة، العملية التي يمكنهم متابعة تنفيذ نتائجها، وليدلوا بدلوهم في بقية المـؤتمرات من بـاب النصح وتبليغ الحق دون أن تسـتنفد أوقاتهم وأموالهم فيها.

وإذا ما أحسن دعاة الإسلام وقادة العمل الإسلامي والمنظمات الإسلامية استغلال المؤتمرات بموضوعاتها المتنوعة استغلالا عمليا، فإنها ستكون من أهم وسائلهم إلى السباق إلى العقول بالحق.

أما ما تسـير عليه المـؤتمرات الآن-مع فائـدتها المحـدودة في الـدعوة-من إنفـاق هائل للأمـوال على عقـدها، ومن أوقـات طويلة تبذل لها من المضيفين والمضافين، ثم تنتهي بتوصيات وقرارات، لا تخرج من ملفاتها بعد صياغتها وتلاوتها إلى عالم الواقـع، فينبغي أن يفكر المسـؤولون عنها والـدعاة إليها وبـاذلو المـال لعقـدها، في أسلوب آخر للعمل الإسلامي من تعليم ودعوة وغيرها، فإن الأموال التي تصرف في تلك المؤتمرات الـتي تتضـمن قراراتها وتوصـياتها، الحث على إنشــاء المــدارس والمعاهد والمســاجد وطبع الكتب وتوزيعها وإيجاد منح دراسية لأبناء المسلمين وإعداد دعـاة وضـمان نفقــاتهم، إن تلك الأمــوال الــتي تصــرف في تلك المــؤتمرات لو جمعت لكفت أو قاربت الكفاية لإبراز ما تضمنته قراراتها وتوصياتها

في عالم الواقع.

ولهذا تجد كثيرا من المفكرين يتساءلون عن الإصــرار على عقد تلك
المـؤتمرات، دون تنفيذ غـالب قراراتها وتوصـياتها: هل أهـداف تلك المـــؤتمرات المعلنة هي الأهـــداف الحقيقية وراء عقـــدها، أو لها أهداف أخرى؟! والجواب: أهل مكة أدرى بشعابها!.

الوسيلة الثانية عشرة: النوادي.

إن النــوادي بأقسـامها المتنوعــة، من أهم الوسـائل الـتي يمكن لأهل الحق أن يسبقوا بحقهم أهلَ الباطـل، إلى عقـول النـاس فيها سـواء أكـانت تلك النـوادي ثقافية أو اجتماعية أو رياضـية أو أدبيـة، رسمية-كانت-أو شـعبية، ولـذلك ينبغي أن يسـعى أهل الـدعوة إلى الله إلى اغتنـــام أي فرصة تتـــاح لهم، للـــدخول في تلك النـــوادي والاختلاط بأعضائها عن طريق الوظائف أو الاشتراك العضـوي، من أجل إبلاغ الحق إلى عقول أهل تلك النوادي بالأسـاليب المشـروعة المناسبة، ولا يجوز لأهل الحق ترك تلك النوادي لأهل الباطل الذين يجعلونها بؤرة لباطلهم.

خطوات استفادة أهل الحق من النوادي:

والخطـوات الـتي يجب اتخاذها لمحاولة اسـتفادة أهل الحق من تلك النوادي كثيرة، ومنها ما يأتي:

الخطـــوة الأولى: توجيه بعض الشـــباب المســـلم المثقف ثقافة إسـلامية جيـدة والمـربّى تربية إسـلامية عاليـة، إلى الدراسة الـتي تـؤهلهم لقيـادة نشـاطات تلك النـوادي الرياضـية والثقافية والأدبية والاجتماعية، حتى يكون تأثيرهم في أعضاء النـوادي تـأثيرا إيجابيـا، لكونهم في مراكز توجيه فيها.

الخطوة الثانية: السـعي لتوظيف أولئك الشـباب المتخصص في النـوادي المناسـبة لتخصصـاتهم، حـتى يكـون نشـاطهم مشـروعا بمقتضى نظمها، وتكون غايتهم غرس الإيمان بهذا الدين في نفوس أعضـاء النـوادي، وتثقيفهم ثقافة إسـلامية تجعلهم واعين بما يحيط بهم، وبكيفية التعامل مع الواقع تعـاملا هادئا مـؤثرا بـدون ضـجيج، وبـــتربيتهم تربية إســـلامية تحقق فيهم معـــنى العبودية لله تعـــالى والتحلي بالأخلاق الإسـلامية العاليـة، وتحبب إليهم التطـبيق العملي للإسلام في أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم.

الخطـــوة الثالثـــة: ينبغي أن يفـــرز عـــدد مناسب من الشـــباب

الإسلامي المـتربي على الإسـلام، ليكونـوا أعضـاء في تلك النـوادي من أجل التأثير في أعضائها بمعاني الإسلام.

الخطـــوة الرابعـــة: ينبغي أن يخطط أهل الحق لإبلاغ الحق إلى أعضـاء النـوادي، بكل الطـرق والوسـائل المشـروعة المتاحـة، من كتيبـات ونشـرات وصـحف ومجلات إسـلامية، وشُـرُطْ كاسـيت أو فيديو لتحقيق أهداف الدعوة الإسلامية في الأعضاء.

الخطوة الخامسـة: يجب أن يعد أعضـاء النـوادي لحمل الـدعوة الإسـلامية إلى زملائهم في النـوادي الأخـرى، سـواء كـان في نفس بلدانهم أو في البلدان الأخـرى إسـلامية كـانت تلك البلـدان أو غـير إسلامية.

وقد أصـبحت الفـرق الرياضـية وغيرها في هـذا العصر تجـوب العالم كله للاشـتراك في المسـابقات الدوليـة، ولو أن هـذه الفـرق الـتي تنفق على تـدريبها الأمـوال الكثـيرة اعتـني بها في الثقافة الإســلامية والتربية الإســلامية الشــاملة، وحببت إليها الــدعوة الإسلامية، والتزمت بالإسلام فكانت قدوة حسـنة لغيرهـا، لكـان لها أثر عظيم في نشر الإســلام وإظهــار محاســنه، ولكــانت من أهم وسـائل إبلاغ الحق والسـبق به إلى عقـول النـاس، وهكـذا الفـرق الثقافية والاجتماعية وغيرها.

الخطـــوة السادســة: ينبغي أن تهتم الجماعــات أو الجمعيــات الإسلامية بإنشـاء نـواد شـعبية متنوعـة، كتلك النـوادي الرسـمية أو شـبه الرسـمية، وتضع لها الأهـداف والخطط والوسـائل الممكنـة، لتــؤدي الــدور المطلــوب الــذي قد يصــعب تحقيقه في النــوادي الرسمية، وإذا تعذّر إنشاء مثل هذه النوادي الشعبية في مَقَـارَّ-جمع مقر-معينة لأسـباب مادية وعسر في النفقـات أو أمنيـة، كعـدم إذن الجهات الرسمية-المحاربة للدعوة الإسـلامية-بـذلك، فينبغي إنشـاء نواد مفتوحة متنقلة في الحـدائق العامة أو الملاعب الشـعبية، وهي الساحات الـتي توجد في الحـارات أو في أطـراف القـرى والمـدن تقــام عليها المســابقات الرياضــية المتنوعة بما أمكن من الأدوات والتخطيط.

وكثــير من الشــباب يفعلــون ذلك بأنفســهم، ويمكن للشــباب الإسلامي أن يختلط بهم ويشاركهم في نشـاطهم، ويتخذ الأسـاليب والوسائل المناسبة لهدايتهم وتربيتهم وحفظهم من الضياع، بترتيب أوقـاتهم في هـذه النشـاطات، وفي المحافظة على الصـلوات في أوقاتهــا، وفي اســتذكار دروســهم وتحســين العلاقــات معهم حــتى تحصل الثقة بهم وقبول التوجيه منهم.

فالشباب المشتركون في هذه النشاطات يؤثر بعضهم في بعض أشد من تأثير غيرهم ممن لا يشاركهم في النشــاطات، وبخاصة إذا أُحْسِنَتْ مداخل خطابهم في كل نشاط بما يناسبه من الموضوعات الإسلامية، كالفروسية وارتباطها في الإسلام بأهدافها العليا، كإعداد القوة للجهاد في سبيل الله ورفع راية الإسلام...

الخطــوة الســابعة: ينبغي أن يبتعد من يريد هداية الشــباب في تلك النوادي، عن الدعوة إلى الحزبيـات الضـيقة الـتي تصـدع صف المسلمين وتحدث التنازع بينهم، وأن يغرسـوا في نفوسـهم-فقـط- الـولاء لله ولرسـوله وللمؤمـنين، حرصا على جمع كلمة المسـلمين تحت راية [لا إله إلا الله محمد رسول الله] وعملا بقول الله تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلـوبكم فأصـبحتم بنعمته إخوانـا...}. [1] وقوله تعالى: {ولا تنازعوا فتفشـلوا وتـذهب ريحكم}. [2] وفي تطـبيق هـذا الأمر فائدتان

الفائدة الأولى: ما سبق من اجتماع الكلمة واتقاء التنازع.

الفائــدة الثانيــة: سد البــاب على دعــاوى من يضـيقون ذرعــا، بالتمسك بالإسلام، حيث يحاربون من يتمسك به، بحجة الدعوة إلى الحزبية.

الوسيلة الثالثة عشرة: الرحلات والمخيمات.

أولا: الرحلات.

كثير من النـاس يرغبـون في تـرك منـازلهم أو بلـدانهم والرحيل عنها لأهداف متنوعة، منها تغيير نمط حياتهم الذي ألفوه في غــالب أوقاتهم وحصل لهم منه ملل وسـآمة، فيحبـون أن يمتعـوا أنفسـهم بالانطلاق من ذلك النمط، كالتدريس والدراسة للمدرس والدارس، والأعمال الإدارية للموظفين في مكاتبهم على تنوعها واختصاصاتها، والأعمــال الهندســية كــذلك، كالمهنــدس المعمــاري والمهنــدس الــزراعي، والمهنــدس الكهربــائي، وغيرها من الأعمــال الكبــيرة والصغيرة.

وهذه الرحلات قد تكون قصيرة كالإجازة الأسـبوعية، وقد تكـون متوسطة كإجازة نصف السنة، وقد تكون طويلة كالإجازة الصـيفية، وقد لا يكون بعض الناس مقيـدا بعمل معين في مكــان معين ولكنه يحب أن يضرب في أرض الله الواسعة...

---

[1] آل عمران: 103.

[2] -آل عمران: 46.

وأكثر الناس لا هدف لهم إلا التمتع العادي والاستجمام.

ومنها-أي أهداف الرحيل-الاطلاع على بعض المناطق أو البلــدان والتعـــرف عليها جغرافيـــا، أو اجتماعيا ومعرفة عـــادات أهلهـــا، وســـلوكهم وحضـــارتهم، ونظمهم الإداريـــة، وحـــالتهم الاقتصـــادية وسلعهم المتـوافرة، وغـير ذلك من المعـارف المتعلقة بأهل البلـد، والناس يختلفون في الاهتمام بشيء مما ذكر أو أشياء.

ومنها التجارة ومعاملاتها، بيعا أو شراء أو ما يتعلق بهما.

ومنها طلب العلم-أي علم كـان مما يـرغب فيه الـدارس-ومنها أداء وظيفة كُلِّفَها من قبل دولته، كالوظائف الدبلوماسية وما يتعلق بها، أو التدرب على أعمال خاصة في دورات محددة.

ومنها قضـاء أوطـار هابطة ومزاولة أعمـال فاسـدة، لا يسـتطيع المـرء الحصـول عليها بحرية كاملة في بلاده، كتنـاول المسـكرات والمخدرات والولوغ في مستنقع الشـهوات والفـواحش، وغـير ذلك من الأهداف المباحة أو المحرمة.

ولكن هنـاك أهـدافا أخـرى عليا يحـرص عليها المـؤمن التقي وبخاصة الراغب في هداية الناس بمنهج الله، ومن تلك الأهداف:

1-تقوية المسافر إيمانه بسياحته في الأرض ونظـره في الكـون وتأمله فيه وأخذ العـبرة منـه، سـواء مشى على قدميه أم اسـتقل دابة، أم صعد إلى السماء في طائرة، أم ركب سيارة أو قطـارا، أم مخر عباب البحر في سفينة.

فهو عندما يسيح في الأرض يرى كل شئ في الكون كأنه جديد: البحار والأنهار، والغابات، والحيوانات، والسـحاب والمطر والجبـال، والكواكب، والبشر الـذين تختلف ألـوانهم ولغـاتهم وعـاداتهم وغـير ذلك، كما أن في الاطلاع على آثـار الماضـين-صـالحين أو طـالحين-عـبرة لمن اعتـبر، فـيزداد المعتـبر باعتبـاره صـلاحا، ويهـرب من الاتصاف بفساد الفاسدين، قال تعالى: {أو لم ينظـروا في ملكـوت السماوات والأرض وما خلق الله من شئ..}.[1]

وقال تعالى: {قل انظروا ماذا في السماوات والأرض..}.[2]

وقال تعـالى: {فـانظر إلى آثـار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شئ قدير...}.[3]

وقـال تعـالى: {إن في خلق السـماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع النـاس وما أنـزل الله

---

[1]-الأعراف: 185.

[2]-يونس: 101.

[3]-الروم: 50.

من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون..}. [1]

وقال تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}. [2]

وقال تعالى: {قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين}. [3]

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذه المعاني.

2-ومن الأهداف العليا للراحل والمسافر، الدعوة إلى الله وبيان الحق للناس والحث على قبوله، وبيان الباطل والحض على تركه والبعد عنه، فقد سن الله تعالى لملائكته الانتقال من مواطنهم في السماء، والهبوط منها إلى الأرض لتبليغ وحيه إلى رسله، وكذلك شرع لرسله عليهم السلام أن يرحلوا من أجل إبلاغ الحق إلى الناس في بلدان نائية وتوطين الحق وأهله فيها، كما سافر إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر إلى مكان البيت الحرام، وتركها هنالك وولدت ابنه إسماعيل عليه، ثم بني بعد ذلك معه البيت، فكان ذلك نواة لانبثاق الرسالة الخاتمة بعد ذلك التي انطلقت من هناك، وهكذا كان للرسول صلى الله عليه وسلم نصيب وافر في ذلك، حيث كان يؤم أسواق الناس ومخيماتهم بل وقراهم، مبلغا دعوة الله كما حصل له ذلك مع أهل الطائف، وهكذا هاجر هو وأصحابه إلى المدينة، حيث قامت دولة الإسلام، وقبل ذلك هاجر أصحابه إلى الحبشة، فرارا بدينهم ودعوة إليه، وقد بذروا الإسلام في الحبشة التي استوطنها قبل غيرها من مدن الجزيرة العربية بما فيها المدينة المنورة، ولا زال راسخا فيها إلى اليوم برغم كيد أعدائه له ولأهله، وهكذا انطلق الصحابة والتابعون فيما بعد بالحق إلى كل أنحاء الأرض المعروفة آنذاك، فارتفعت راية الإسلام ودولته في مشارق الأرض ومغاربها.

3-ومن الأهداف العليا للراحل: رفع راية الجهاد في سبيل الله، لتحطيم الحواجز التي توضع للصد عن سبيل الله والدعوة إليه، ولدفع عدوان أعداء الإسلام وتحصين الثغور منهم.

وقد بسطت القول في هذا في مجلدين كبيرين بعنوان: الجهاد

---

[1]-البقرة: 164.

[2]-الحج: 46.

[3]-آل عمران: 137.

في سبيل الله، حقيقته وغايته، وسيأتي توضيح كون الجهـاد وسـيلة من وسائل السباق إلى العقول، ليس لإكـراه النـاس على الـدخول في الإسلام وإنما لفتح المجال لإبلاغ الحق وسماعه.

4-ومن الأهداف العليا للراحـل، تفقد أحـوال المسـلمين، ومد يد العون لهم من ذوي اليسـار والغـنى، بإنشـاء المسـاجد والمـدارس والمراكز الإسلامية وغير ذلك مما المسلمون في أمس الحاجة إليه في كل مكان، ولا سيما الأقليات منهم في البلدان غير الإسلامية.

5-ومن أهم الرحلات المـؤثرة في السـباق إلى العقـول بـالحق، الـرحلات العباديـة، كـرحلات الحج والعمـرة من بلـدان المسـلمين القريبة والبعيدة، فـإن أجـواء هـذه الـرحلات مهيـأة للأخذ والعطـاء، صـــاحب الحق القـــادر على إبلاغه يعطي، ومرافقه المحتـــاج إلى سماع ذلك الحق يسمع ويأخذ.

6-هذا عدا الـرحلات الـتي ينبغي أن ينظمها أهل الحق للشـباب، لتحقيق إبلاغ الحق إلى عقـولهم وإقنـاعهم به بـالطرق والأسـاليب الممكنة المناسبة، سواء كانت رحلات اسـتجمام أو رحلات صـيد أو رحلات رياضية، أو غيرها.

إن هذه الأهداف وغيرها من الأهداف الحميدة النافعة، ينبغي أن تبين للمسلمين وأن يضعوها نصب أعينهم وهم يرحلون من بلادهم، وإذا تمكن القـادرون على السـباق بـالحق إلى العقـول من مرافقة الـراحلين من إخـوانهم وأبنـائهم في أسـفارهم، فعليهم أن يغتنمـوا الفرصة بتطبيق هذه الأهداف فيهم عملا.

ولما كان الراحل معرضا للمغريات والشهوات والتعامل مع غـير أهل بلده ممن لا يعرفونه، و قد يدفعه ذلك إلى عـدم الاحـتراز عن مقارفة بعض الخلال السيئة في غربته، بخلاف بلده الذي يعرفه فيه أهله وجيرانه ومجتمعه، ولهم أخلاق وعـادات يلـتزمون بها ويعـدون الخروج عنها شاذا عن ضوابط حيـاتهم، ولما كـان الشـارع يريد منه الالـتزام بضـوابط الشـريعة في سـفره كحضـره، ويزيد على ذلك الإكثار من فعل الخـير بما في ذلك الـدعوة إلى الله وهداية الضـال بـإبلاغ الحق إلى العقـول، فقد شـرع الله له دعـاء يلجأ به إليه عند سـفره، ليحقق له به كل تلك الأهـداف وغيرها من أعمـال الخـير، وهو يبـدأ بهـذه العبـارة العظيمة الـتي تعتـبر-مع كونها دعـاء-توجيها للمسافر ليبـني تصـرفاته عليهـا: [اللهم إنا نسـألك في سـفرنا هـذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى...] وتأتي في أثنائه هذه العبـارة الدالة على حـرص المسـافر على حفظ الله إيـاه حفظا يجعله هو وأهله ممن يلازمـون الـبر والتقـوى والعمل بما يرضي اللـه: [اللهم

أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل...]

ثانيا: المخيمات.

والمخيمــات من الوســائل المهمة للســباق إلى العقــول، من الناحتين النظرية والعملية.

لذلك ينبغي العناية بها وإقامتها في الأوقات والأماكن المناســبة، في المصــيفات والصــحارى والشــواطئ، والإعــداد لها وتنظيمها تنظيما يحقق الهــدف من إقامتهــا، ويُكَلَّف الإعـــدادَ لها وتنظيمها والإشراف عليها ووضع برامجها، ذوو الكفاءة والخبرة فيهـا، ويُختـار لها ذوو اختصاصات متنوعة من الاجتماعيين والثقافيين والرياضــيين والعلماء الشرعيين، وتملأ أوقاتها كلها بالمواد المنظمة المفيدة غير المملة، بحيث تكون متنوعة ومشـوقة، من مسـابقات ثقافية وأدبية ورياضـية، وتمثيليـات، وأناشـيد، ودروس علمية خفيفة ومحاضـرات وحــوارات، ونكـات ذات مغـزى وهـدف، وفروسـية، وتـدريب على أعمـال المخيمـات، كنصب الخيـام وتنظيفها وحراسـتها وفرشــها، ونشاط الجوالة، وطبخ الطعام وإعداد السُّفر، وشراء ما يحتاج إليه المخيم من البلد المجاور وغير ذلك، مع الحرص على إقامة حلقات قرآنية يتحلق فيها أعضاء المخيم، لقـراءة القـرآن مجـودا، وإشـارة من عنـــــــده علم في الحلقة إلى بعض الفوائد والآداب القرآنية باختصار، وكذلك مدارسة شئ من السـيرة النبوية وسـيرة الخلفـاء الراشدين، وإبراز بعض المعاني التي تدعم هدف المخيم المقام.

ويتوقف الإيجـاز والإسـهاب في هـذه المـواد على ضـيق الـوقت وسعته، فقد يقـام المخيم لمـدة شـهر أو شـهرين، وقد يقـام لمـدة أسبوع أو أسبوعين أو يوم أو يومين، ولكل زمان ما يناسبه.

ثم إنه يختلف نشـاط المخيم بـاختلاف الهـدف منـه، وبـاختلاف الأعضـاء المشـاركين فيـه، فقد يكـون الهـدف منه مدارسة حـدث معين من أحداث المسلمين الكثيرة والخطيرة، كقضـية فلسـطين، أو قضية البوسنة والهرسـك، أو الصـومال، أو إريتريـا، أو بعض دول آســيا الوســطى، أو قضــية أفغانســتان، أو الفلــبين أو غيرها من القضـايا النازلة بالبلـدان الإسـلامية أو بلد واحد منهـا، يـراد دراسة القضية من حيث الأهـداف-أهـداف المسـلمين أو أهـداف أعـدائهم- والأسباب التي نشأت عنها القضية والمؤامرات التي تحاك لها، وما يجب على المسلمين فعله، وموقف المنظمات الإسلامية الرســمية والهيئات الشـعبية، والشـبهات الـتي قد تـرد على بعض المسـلمين فيها ومحاولة دحضها وإزالتها على ضوء موقف الشـريعة الإسـلامية

منها.
وقد يكـون الهـدف من المخيم تربية أعضـائه أو بعضـهم على معـاني إسـلامية معينـة، كقيـام الليـل، والمحافظة على الأذكـار المطلقة والمقيدة، والصبر والإيثار، والأخـوة الإسـلامية، وقد يكـون الهدف منه التدريب على الـدعوة وأسـاليبها وكيفية مخاطبة النـاس بالخطبة أو المحاضرة.
وقد يكون الهـدف تـدريب بعض الأعضـاء على إجـادة العمل في بعض الوسـائل الإعلاميـة، كالصـحافة والتصـوير الفوتـوغرافي والتلفزيـوني، وصـحافة الحائط والملصـقات ونحو ذلـك، من فنـون الإعلام ومـواده، كالتمثيلية والمسـرحية وإدارة نـدوة أو حـوار أو مقابلة.
وقد يكون الهدف منه التـدريب على الأعمـال الإغاثيـة، من جمع الأموال والمواد المحتـاج إليها للإغاثـة، كالأدوية والملابس والأغطية وغيرهـا، ثم التخطيط لإبلاغها إلى مسـتحقيها بـالطرق الظـاهرة والخفيـة، وكـذلك التـدرب على الإسـعافات الأولية الـتي تمكن من يشـترك في أعمـال الإغاثة من مسـاعدة المرضى والعجـزة والمصابين.
وقد يكـون الهـدف التـدريب على أسـاليب مكافحة نشـاطات التنصير في العالم الإسلامي، بالتعرف على المؤسسـات النصـرانية النشطة، ومصادر دعمها، والبلدان المسـتهدفة للتنصـير، والوسـائل المتخذة في ذلك، وما يجب على المسلمين القيـام بـه، وكيف يُقْنَع القادرون على مكافحة التنصير بـأداء واجبهم فيـه، من أغنيـاء الأمة بالتمويل، ومن العلماء الشرعيين بالأسفار إلى تلك البلدان لتبصـير النـاس بـالخطر التنصـيري وأسـاليبه المـاكرة، وتعليمهم عقيـدة الإسلام وفرائضه، والرد على شبهات المنصرين في تزيين دينهم أو الطعن في دين الإسلام، وكذلك إقناع بعض ذوي الاختصاصات التي يحتـاج إليها المسـلمون المتسـهدفون بالتنصـير، كـالطب والـبيطرة والهندسة الزراعية والكهربية ونحوها، لمشاركة العلمـاء الشـرعيين في مسـاعدة المسـلمين المسـتهدفين الـذي يغـريهم النصـارى بالمسـاعدة في تلك المجـالات، وهكـذا يحـدد لكل مخيم هدفه ويخطط في إقامته لتحقيق ذلك الهدف.
إن المخيمـات تعتـبر مجـالا خصـبا لأهل الحق لإبلاغ حقهم إلى عقول الناس وبخاصة الشباب، كما أنها مجـال كـذلك لإزالة الباطل من العقـول وصـيانتها منـه، إذا ما وجد المشـرفون الأكفـاء الـذين يقومون عليها.

والمناسـبات المسـوغة لإقامتها كثـيرة، والمهم اهتبـال الفـرص والتحلي بالحكمة والعمل الهـادئ، والبعد عن الشـعارات المثـيرة التي تسبب قطع الطريق على الحق قبل وصوله إلى العقول.

الوسيلة الرابعة عشرة: العلا قات الدبلوماسية.

إن العلاقـات الـتي تربط بين الـدول-سـواء أكـانت دول البلـدان الإسـلامية فيما بينهـا، أو هي مع الـدول غـير الإسـلامية-من أهم الوسائل التي يمكن استغلالها لإبلاغ الحق إلى عقول الناس وسبقه الباطل، لما للدول من إمكانات لا تتوافر للأفـراد ولا الجماعـات ولا الجمعيات.

والأصل في كل دولة أن تخـدم عقيـدتها ونظامها بالأسـاليب المتاحة لها.

ومجـالات علاقـات الدولة بالدولة مجـالات واسـعة، تشـمل كل النشاطات المهمة تقريبا: السياسية والاقتصادية والثقافية-وهي من أهم العلاقـات بل أهمهـا-والأمنية والعسـكرية والتجاريـة، وكثـيرا ما تتعدى إلى الشـؤون الاجتماعيـة، ولـذلك تجد لكل سـفارة ملحقاتها المتخصصة في مجالها من العلاقات.

والـواجب أن يكـون ممثلو الدولة الـتي تقر بمنهج الإسـلام، من الملـتزمين بـذلك المنهج في حيـاتهم نظريا وعمليـا، حـتى يكونـوا صورة تحكي لرائيها ما عليه تلك الدولة من الالتزام بمنهج الإسلام.

إن السفير المسلم يجب أن يكون داعية إلى الإسلام، وأن يكون مثقفا ثقافة إسلامية متحليا بأخلاق الإسـلام محققا العبودية لله في نفسه، وأن يكون شجاعا في قوله: {إنني من المسلمين...}.

وكذلك الملحقـون بالسـفارات ينبغي أن يكونـوا ممثلين لـدينهم، إيمانا وفكرا وسلوكا.

واقع محزن لبعض سفراء المسلمين.

وما قيمة سـفير علمـاني أو ملحق علمـاني يمثل دولة إسـلامية، وهل يؤتمن من يكره الإسلام أن ينصر قضايا الإسلام؟!

إن كثيرا من سفراء حكومات الشعوب الإسـلامية، يسـيرون في سلوكهم في خط معاكس لمنهج الإسلام، وأمثال هؤلاء إنما يمثلون في حقيقة الأمر منهجا غير منهج الإسـلام، وانتسـابهم إلى الإسـلام يشوه صورته لدى غير المسلمين.

كيف يمثل الإسلام من لا يصلي جمعة ولا جماعة ولا صـلاة العيد مع المسـلمين، وبخاصة في البلـدان غـير الإسـلامية، وكيف يمثل

الإسلام من يحتسي في الحفلات المختلطة الصاخبة كأس الخمر أمام الملأ، وكيف يمثل الإسلام من يراقص النساء الأجنبيات، وتراقص امرأته أو ابنته الرجال الأجانب؟!

كيف يمثل الإسلام من يستدعي من بلاده فرقَ الرقص والغناء لإظهار وجه بلده المسلم بالراقصين والمغنين الذين قد امتلأت بهم كل بلدان العالم؟!

كيف يمثل الإسلام من يحارب الدعاة إلى الله، من الأئمة والخطباء الذين يبينون للناس حقائق الإسلام، ويقف في صف دعاة يحرفون معاني الإسلام ويطوعونها لأهوائه العلمانية؟!

هذه الصورة السوداء هي الغالبة على سفارات كثير من حكومات الأقطار الإسلامية التي لم ترض الإسلام منهجا لحياتها وحياة شعوبها، يعرف ذلك من تجول في عواصم بعض الدول، وبخاصة الدول غير الإسلامية التي تشكو الأقليات الإسلامية فيها شكوى مرة من تصرفات تلك السفارات العابثة.

ولكن-والحق يقال-يوجد أفراد في بعض السفارات-وإن كانوا قليلين-يمثلون الإسلام خير تمثيل هم وأهلوهم. كثر الله من أمثالهم.

سبل سباق السفارات الإسلامية إلى العقول.

وإذا وجد السفير الذي يمثل الإسلام [1] ويصطبغ بمعانيه فإنه-هو وملحقو سفارته يستطيعون أن يوجدوا سبلا كثيرة لسبق الحق إلى عقول الناس، ومن ذلك ما يأتي:

أولا: ينبغي أن يكون الملحق الثقافي في سفارته، جامعا بين الشريعة الإسلامية والثقافة العامة، ومضيفا إلى اللغة العربية أو لغة بلاده الإسلامية لغة البلد الذي يعمل فيه، ويكون عنده قدرة على الإجابة عن أسئلة الناس واستفساراتهم الإسلامية التي ليست شديدة الصعوبة، وإذا وجدت أسئلة صعبة يسرع في الاتصال بالعلماء الكبار في بلده للاستفادة منهم، ليفيد الناس بالإجابات الصادرة منهم، وأن يكون قادرا على رد كثير من الشبهات التي يوردها أعداء الإسلام بقصد تشويه صورته، كالمستشرقين والمنصرين والملحدين والإباحيين وغيرهم، وليس من اللائق بملحق

---

[1] -هذا إذا كانت دولته التي يمثلها مسلمة تطبق الإسلام وتعتز به وتعينه على القيام بالواجب الإسلامي في وظيفته، أما إذا كانت تحارب الإسلام فالغالب أنها لا تختار إلا من هو على شاكلتها إذ فاقد الشيء لا يعطيه، فإن شذت واختارت رجلا صالحا فليتق الله ما استطاع ولا يكلف الله نفسا إلى وسعها.

ثقـافي مسـلم يحضر اجتماعا يُتَّهَم فيه الإسـلامُ بالباطل فلا يقـدر على تفنيد ذلك الباطل.

ثانيا: نبغي أن تزود كل سفارات بلـدان المسـلمين، بمكتبة تضم أهم مصـادر الإسـلام ومراجعـه، في التفسـير والعقيـدة والحـديث والفقه والأصـول والتـاريخ والحضـارة الإسـلامية وغيرها من كتب اللغة العربية، وما أمكن من الكتب الإسـلامية الـتي كتبت بلغة البلد الذي فيه السـفارة أو يـترجم إليها ليتمكن أعضـاء السـفارة أو أهل البلد من الاستفادة من تلك المكتبة.

ثالثـا: ينبغي أن تـزود تلك السـفارة بكتيبـات صـغيرة، كل كـتيب يتضمن شرح أحد الموضـوعات الإسـلامية، كالعقيـدة المبسـطة، لا المعقــدة، وبــدون ذكر مــذاهب الفــرق واختلافهــا، بل تــذكر منها العقيـدة الإسـلامية على بسـاطتها كما جـاءت في القـرآن والسـنة بعيدة عن الفلسفات الكلامية، وكصفة صلاة النـبي صـلى الله عليه وسـلم، والطهـارة والوضـوء، والغسـل، وأحكـام الصـيام، والحج، والزكـاة، وغيرها من فـروض العين وفـروض الكفايـة، والمعـاملات المشـروعة والمحرمـة، والأخلاق، وبيـان شـمول الإسـلام، وبعض الكتيبـات تكـون في الـرد على الشـبهات الـتي يتهم بها الإسـلام، كشبهات المستشـرقين والمنصـرين وغـيرهم، تكتب كلها بلغة البلد الــذي به السـفارة أو تـترجم إلى تلك اللغـة، وتـوزع على أفـراد المســلمين الــذين يــترددون على الســفارة أو على المراكز والمؤسسات الإسلامية والمساجد.

رابعا: ينبغي أن يكـون عند كل سـفارة إسـلامية إمكانـات لكتابة نشـرات صـغيرة وطبعها وتوزيعهـا، لبيـان ما يطـرأ في المناسـبات والنــوازل مما يتعلق بالإسـلام، وكـذلك إعلانـات وملصـقات لنشر الوعي بالمعاني الإسلامية.

خامسـا: ينبغي أن تتـولى السـفارة الإسـلامية إقامة محاضـرات وندوات، تستضيف لها رجال العلم من بلـدها أو من البلد الـذي هي فيه، وتدعو لحضورها أعيان البلد ومفكريها، لتوضيح بعض المفاهيم الإسلامية، وبخاصة تلك التي يتعمد أعـداء الإسـلام تشـويه الإسـلام بها، كموضـوع المـرأة، وموضـوع الـرق، وموضـوع انتشـار الإسـلام بالسيف، والإكراه على الـدخول في الإسـلام، وموقف الإسـلام من الديمقراطية والتعددية والحزبية ونحوها.

سادسـا: ينبغي أن تــزود الســفارة الإســلامية ببعض أشــرطة الكاســيت وأشــرطة الفيــديو، المشــتملة على شــرح بعض الموضـوعات الإسـلامية، إما عن طريق المحاضـرات والنـدوات أو

المـــؤتمرات، أو غيرها من مظـــاهر الإســـلام، كمســـيرة الحج والتجمعات الإسلامية كصلاة الجمعة وصلاة العيـد، لما في ذلك من تشـويق المسـلمين وتحريك عـواطفهم نحو الإسـلام، وتعريف غـير المسلمين بذلك، وإهداء تلك الأشرطة للمراكز الإسـلامية والمراكز الثقافية غير الإسلامية، وحبذا لو كانت ترجمت بلغة أهل البلد.[1]

ســابعا: أن يغتنم المؤهلــون من أعضـــاء الســفارة الفـــرص والمناسبات والاحتفالات التي يدعون إليها، لشرح قضايا المسـلمين وعدالتها ومناصـرتها، والبعد عن الحيف فيهـا، ويفعلـون ذلك كـذلك بالتصريحات في أجهزة الإعلام، وبخاصة الغربية منها، ليوصــلوا إلى عقول الناس والرأي العام حقائق الأمور المتعلقة بالمسلمين والتي قلبها أعداء الإسلام بطـرق شـتى منها أجهـزة الإعلام، بحيث أصـبح المظلـوم بسـبب ذلك ظالمـا، والمعتـدي الظـالم مظلومـا، كما هو الشأن في قضية فلسطين وغيرها.

الوسيلة الخامسة عشرة: المال.

وهذه الوسيلة هي الوسيلة المادية الأساسية التي تحـرك معظم الوسائل، وبدونها تنحصر الوسائل الأخرى في زوايا ضيقة وقد يفقد كثير منها لفقد هـذه الوسـيلة، ولهـذا كـان شـأن المـال عظيما في الجهاد في سبيل الله، الجهاد الشرعي الشامل لكل نشاط يقوم به الإنسان في مرضاة الله، ومنه قتال أعداء الإسلام المشروع.

فالجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس ومقدم عليه في الــذكر في القرآن الكريم، إلا في موضع واحد، قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجـــارة تنجيكم من عـــذاب أليم. تؤمنـــون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم}.[2]

وقـال تعـالى: {الـذين آمنـوا وهـاجروا وجاهـدوا في سـبيل الله بـأموالهم وأنفســهم أعظم درجة عند الله وألئك هم الفــائزون} [3]. وغيرها كثير.

وقال تعالى: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأمـوالهم بأن لهم الجنة}. [4]

والسباق إلى العقول بالحق، نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله

---

[1]-ومما ينبغي الاهتمام به الآن: استغلال مواقع في وسيلة "الإنترنت" الـتي أصـبحت في متنـاول الناس في كل مكان.

[2]-الصف: 10، 11.

[3]-التوبة: 20.

[4]-التوبة: 111.

بمعناه الشامل [5] وتـدخل فيه جميع الوسـائل السـابقة، والمـال من أهم وسائل القيام بها.

فالتعليم يحتـاج إلى معلم مكفِّيٍّ في رزقـه، وكفايته في المـال، والتعليم يحتاج إلى مشرف ومدير مؤمَّن الرزق، وتأمينه في المال.

والتعليم يحتاج إلى مناهج وكتب، وهذه تقـوم بها لجـان واللجـان تحتـاج إلى المـال، والكتب تحتـاج إلى طباعة والطباعة لا تتيسر إلا بالمال، وهكذا جميع وسائل التعليم لا تحصل بدون مال.

والمســاجد تحتــاج إلى أرض وبنــاء وأئمة ومــؤذنين ومدرســين ولــوازم أخــرى كثـيرة، وبخاصة إذا كــان المســجد مجمّعا شــاملا لنشــــاطات كثـــيرة، تعليمية ودعوية واجتماعية وثقافية وصــــحية وغيرها، وكلها لا تقوم إلا بالمال.

والإعلام، وقد عظم خطــره في هــذا العصر وتشــعبت أنواعــه، وهيمن على الكرة الأرضية، وأصـبح يكـوِّن عقـول النـاس بـالقراءة والســماع والمشــاهدة، بمــواد يصـعب إحصــاؤها، ودعامته المادية الأساسية هي المـال، وبه يسـتطيع المسـلمون أن يوجـدوا الرجـال الإعلاميين والفنـيين والعلمـاء الشـرعيين والمـؤلفين، والأدوات من راديو وتلفاز وجرائد ومجلات وأقمـار صـناعية ومسـجلات وشـرائط كاسيت وفيديو، ويغطون كل العالم بإبلاغ الحق إلى عقـول النـاس، وكيف يمكن ذلك بدون مال؟!.

والمــؤتمرات والنــدوات تحتــاج إلى رجــال متخصصــين وكتــاب وعلماء ومفكرين يدعون لحضورها، وهم يحتاجون إلى نفقـات تنقل وسكن وإعاشة، وكلها لا بد لها من المال، وتحتـاج إلى لجـان إدارية وفنية وإعلامية، وكلها لا بد لها من المال.

والنــوادي بأنواعها قوامهـا-بعد الرجـال-المـال، وهكـذا الـرحلات والمخيمات والاتصالات كلها لا بد لها من المال.

وهكـــذا قوافل الـــدعاة الـــتي يجب أن تنتشر في الأرض لإبلاغ الحق إلى عقول الناس، لا قدرة لها إلا بالمال.

ومن هنا نعلم عظم وسيلة المال في السباق إلى العقول.

مسؤولية الموسرين في السباق إلى العقول.

ومن هنا يجب أن يعلم الأغنيــاء والموســرون عظم مســئوليتهم أمام الله في السـباق إلى العقـول بـالحق، فـأكثر الأغنيـاء لا قـدرة عندهم على أن يباشروا بأنفسهم العمل في هذا الميدان، إما لعـدم

---

[5]-راجع كتاب: الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته للمؤلف. (1/48) وما بعدها.

العلم الذي به يسابقون إلى العقول، وإما لضيق أوقاتهم ومشاغلهم الكثـيرة في جمع المـال وحفظه وتصـريفه، ولكنهم قـادرون على تحريك كل قـادر على الإسـهام في هـذا الميـدان بكل الوسـائل السابقة.

وإذا كان الواجب على العالم أن يبين بعلمه الحق للناس ويسبق به أهل الباطل إلى العقـول، وإذا كـان الـواجب على المعلم أن يجتهد في تعليم النشء العلـوم الإسـلامية وما يخـدمها، وإذا كـان الـواجب على الإعلامي أن يوصل الحق إلى عقـول النـاس في تخصصه، وإذا كان الواجب على القادر على التأليف أن يعكف على الكتابة ويخرج للنـاس الحق في كتب ونشـرات، وإذا كـان الـواجب على المهنـدس أن يصـنع الميكرفـون واللاقط والراديو والمسـجل والكاسيت، لنقل الحق إلى عقول الناس، فإن الـواجب على الغـني أن يمول كل أولئك وتخصصاتهم مما رزقه الله.

وكل وسيلة للسباق بـالحق إلى العقـول، يتوقف اسـتغلالها على المـال، فـإن إثم العجز عن اسـتغلالها يقع على أغنيـاء الأمة الإسلامية، وبخاصة ولاة الأمر فيها.

فكم من داعية يحـترق قلبه يـرغب في التنقل وإبلاغ الحق والسبق به إلى العقول أقعده عدم المال عن بغيته؟

وكم معلم كفء قادر على تعليم أبناء الأمة الإسـلامية ما ينفعهم ويوصل الحق إلى عقـولهم، عجز عن وظيفته بسـبب حاجته وكـده لجمع رزقه ورزق أهله، ولم يجد من ينفق عليه ليتفرغ للتعليم؟.

وكم كاتب عنده من الأفكار ما يحمي به عقول أبنـاء المسـلمين من الباطل ويوصل به الحق إلى تلك العقول، لم يجد صحيفة تنشر له أفكاره؟

وكم مؤلف تكدست عنده الكراريس النافعة المفيدة لم يجد من ينشر له كتبه؟

وكم قرية أو مدينة أو حـارة احتـاج أهلها إلى إقامة مسـجد أو وجود إمام كفء متفرغ، لم يتح لهم ذلك بسبب عدم وجود المال؟

وكم بلد يمكن أن تتخذ فيها وسائل إعلام لنشر الحق والرد على الباطل، لم يحظ أهله بذلك للعجز المالي؟

وكم من الناس يتيه في ضلال الكفر وسيئ الأخلاق، لم يجد من يهديه إلى الإسلام ومكارم الأخلاق، ولو وجد المال لوجد الهادي؟

إن غنيا واحدا من أغنياء المسـلمين، قـادر على إنشـاء جامعـات وتمويلها، وإن غنيا آخر، قادر على إنشاء إذاعة أو إذاعات وتمويلهـا، وإن غنيا واحـدا قـادر على إنشـاء محطة فضـائية أو محطـات للبث

التلفزيوني.
وإن غنيا واحــدا قــادر على إنشــاء عــدد من الجوامع والمســاجد والإنفاق عليها.
وإن غنيا واحــدا قــادر على إيجــاد مطبعة أو مطــابع لنشر الكتب والعلم والفكر.
وإن غنيا واحـــدا قـــادر على إنشـــاء دار أو دور للترجمة وتـــولي الإنفاق عليها.
وإن غنيا واحــدا قــادر على كفالة عــدد من الــدعاة في أقطــار العــالم، وعلى الإنفــاق على قوافل منهم تجــوب الأرض لإبلاغ الحق إلى عقول الناس.
وإن غنيا واحـــدا قـــادر على كفالة عـــدد من الطلبة المســـلمين لإكمال دراساتهم في مجالات متنوعة من التخصصات.
وإن غنيا واحدا قــادر على إيجــاد وســائل مواصــلات، في الــبر أو البحر أو الجو للدعوة إلى الله ومنافسة أعداء الله من المنصرين.
وإن غنيا واحدا قادر على إيجاد ملاجئ لأيتــام المســلمين، الــذين نزلت بهم نوازل العدوان والحروب والمجاعات والكوارث، فتسابق إلى إيـــوائهم وملء عقـــولهم بالباطل أهل الباطل من اليهـــود والنصارى والملحدين، ولو بذل الغني المسلم من ماله ما يوفر لهم الملجأ والطعام والشراب، والدواء والمدرس، لصان بذلك عقــولهم من الباطل وملأها بالحق.
فكيف لو اجتمع أغنياء المســلمين ونســقوا فيما بينهم، وأســندوا وضع أهداف السباق إلى العقول وخططها ووسائلها إلى أهل العلم والدعوة والفكر والخبرة، ثم شرعوا في بــذل الأمــوال واســتثمارها وتحبيســـها على مصـــالح المســـلمين الـــتي تحقق تلك الأهـــداف والخطط والوسائل.

أولويـــات ينبغي لـــذوي اليســـار معرفتها للعمل الإسلامي.

وينبغي أن يعـــرف أغنيـــاء الأمة الإســـلامية وحكامها أولويـــات الأعمال الإسلامية، حتى يهتموا بالأولى فالأولى منها، لما في فواتها من فوات مصالح عظيمة، وحصول مفاسد مهلكة، ونلخص ذلك في الأمور الآتية:
الأمر الأول: أنه يوجد كثـــير من أهل اليســـار يحبـــون الخـــير ويحـــاولون بـــذل شئ من أمـــوالهم في الأعمـــال الخيريـــة، ولكن

ينقصـــهم معرفة الأولويـــات، ولـــذلك قد يقـــدمون الحـــاجي على الضروري والتحسيني على الحاجي. والواجب أن يدرسـوا الميـادين الخيرية ويقدموا الأهم على ما سواه.

الأمر الثـــاني: أن كثـــيرا من الأغنيـــاء تخـــدعهم المشـــروعات الجماهيريـة، والـدعايات والصـور وإحسـان عـرض المشـروعات، بأهداف وخطط ووسائل ووساطات، وقد يكـون كثـير ممن يتقنـون ذلك العرض مبالغين في مشـروعاتهم، وقد يكـون بعضـهم مرتزقة ومتكسبين بأعمال خيرية وهمية، والواجب التريث والتـبين بـالطرق الممكنة من صدق أولئـك، وحبـذا لو أوفد المحسـنُ مَن يتعـرف له على المشروعات المدعاة بطريقة خاصة.

الأمر الثالث: أن بعض الأغنياء يربطون مسـاعداتهم بفئة معينـة، وقد توجد فئات غيرها أكثر نشاطا منها وأشمل نفعا وأصـفى منهجا وأعظم تأثيرا في الناس، كما أن بعض الأغنياء يتجهـون إلى أعمـال خيرية نافعـــة، ولكنها يوجد منها ما فيه غنيـــة، والحاجة داعية إلى أعمـال خيرية غـير موجـودة أو يوجد منها ما لا يكفي، فقد تجد من يكثر من بناء المساجد في أماكن تكثر فيها المسـاجد، ولا يوجد من يصلي في بعضها، ويهملون بناء المدارس في تلك الأمـاكن الـتي لا توجد بها مـدارس، بل قد توجد مـدارس غـير إسـلامية نصـرانية أو غيرها تفسد أبناء المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم.

الأمر الرابع: أن عدم وجود تنسـيق بين المحسـنين من الأغنيـاء، قد يجعل نشاطهم يتراكم في ميدان واحد وفي بلد واحد أو في فئة معينـة، وقد يكـون ذلك الميـدان أو البلد أو الفئة جـديرة بالاهتمـام، ولكن ميادين أخرى وبلدانا أخرى وفئات أخـرى محرومة من العـون والمساعدة، وهي لا تقل أهمية عن غيرها، ولو وجد تنسيق واتفـــاق لوصل الخير إلى الجميع.

الأمر الخامس: أن في الشريعة الإسـلامية بابا من أبـواب الخـير جـرب نفعه فـترات طويلة من الـزمن، وقد كـاد ينـدثر الآن بسـبب وجود حكومات علمانية تحارب الإسـلام وكل الوسـائل الـتي تـدعم بقـاءه وانتشـاره، وقد قضت على ذلك البـاب في كثـير من بلـدان المســلمين، ألا وهو الوقف الــذي يســتمر نفعه ويعم في ميـــادين كثـيرة، فلو اتجه الأغنيـاء إلى إحيـاء هـذا البـاب وحبس كل غـني أو عدد من الأغنياء بعض المرافـق، كالبسـاتين والعمـارات والـدكاكين على مشـــروع من المشـــروعات الخيريـــة، كمدرســـة، أو مركز إسلامي، أو جهاز إعلام إسـلامي، أو مطبعة إسـلامية، أو دار ترجمة أو دار نشر، أو غيرها من الوسائل التي يتم بها السـباق بـالحق إلى

العقـول، لكـان لـذلك ثمـاره العظيمة في هـذا المجـال، وقد يـترك الواقف واســــــتثماراته لهيئة يوثق بها علما وأمانة ووعيا ومعرفة بمقاصد الشريعة الإسلامية لتنفق منه بحسب ما ترى من المصلحة بعد دراسة وتثبيت.

وإذا رؤي أن مؤسسة ما من المؤسسات تستحق أن يوقف شئ على نشاطها المفيد نفذ ذلك.

وهذا خير من ترك الأمور بدون تنظيم وترتيب، وإيجاد شئ ثابت ينفق منه عند الحاجة، أولى من الإنفاق العشوائي الذي يكثر بسبب كثرة الطالبين للمساعدة في مواسم معينـة، قد يوجد من يسـتحق منهم وقد يوجد من لا يستحق.

ويمكن التغلب على محاربة أعــداء الإســلام للأوقــاف النافعــة، باختيار بعض البلدان الإسلامية التي يـرجى أن تسـلم الأوقـاف فيها من اعتــداء حكوماتها عليها لتســتثمر فيهــا، أو بعض البلــدان غــير الإسلامية التي فيها نوع ضمان [1] لمثل ذلك، وللحيل الشـرعية نفعها في هذا الباب.

الأمر السـادس: ينبغي لأغنيـاء المسـلمين عنـدما يسـافرون إلى خارج بلدانهم سواء أكانت بلدانا إسلامية أو غير إسلامية، أن يزوروا المراكز والمؤسسـات والمـدارس الإسـلامية، ويتفقـدوها ويعرفـوا مدى نشاطها وصلاح منهجها-إن كانوا قادرين على ذلك، وإلا أخــذوا معلومــات عنها وعرضــوها بعد رجــوعهم على أهل العلم والخــبرة بالمناهج، ليرشدوهم إلى صلاح تلك المنـاهج أو عـدم صـلاحها-فـإذا كـانت صـالحة قـدموا لها المسـاعدة المسـتطاعة ليسـتمر نفعهـا، وزيارة هذه المؤسسـات أولى من الزيـارات السـياحية المباحـة-بله المكروهة أو المحرمــــة-ويمكنهم الجمع بين الســـــياحتين المباحة والمندوبة.

ولو أن التجـار والأغنيـاء الـذين يـزورون كثـيرا من البلـدان في الخــــارج-أي في خــــارج بلــــدانهم-تفقــــدوا المراكز والمــــدارس والمؤسســات الإســلامية ورأوا نشــاطها وحاجتها إلى المســاعدة، لربما رقت قلــــوبهم وشــــعروا بــــأن من واجبهم مســــاعدة تلك المؤسســــات والأخذ بيــدها، وخاصة المؤسســــات الموجــودة في البلدان غير الإسلامية التي تستفيد منها الأقليات الإسلامية.

الأمر السابع: أن كثيرا من أغنياء المسلمين لا يبـذلون المـال إلا في إغاثة المنكــــوبين من المســــلمين، إما بكــــوارث طبيعية كالفيضــانات والــزلازل والحــروب، وما شــابه ذلــك، حيث يــرون

---

[1] -وهو أكثر رجاء من كثير من البلدان الإسلامية.!!!

المنكوبين وقد أخذ الجوع أو العطش أو المرض أو الجراح أو غيرها تحصـدهم حصـدا، فيسـرعون إلى إغـاثتهم، وذلك أمر مطلـوب بل فرض كفاية تأثم الأمة الإسلامية إذا لم يوجد فيها من يقوم به قياما كافيا، ولكن أولئك الأغنياء يغفلون عن مجالات الوقاية من الكوارث والنكبات قبل نزولها.

ومن أمثلة ذلـك: أن بعض الشـعوب الإسـلامية معرضة للاعتـداء عليها من قبل بعض الدول الكافرة، ويعرف الأغنياء المسـلمون بما فيهم بعض الحكـام أن تلك الشـعوب الإسـلامية تحتـاج إلى المـال الـذي يمكنها من الـدفاع عن نفسـها إذا هجم عليها ذلك العـدو، فلا تجد من يمـدها بالمـال المطلـوب، حـتى ينفذ العـدو عدوانه عليهـا، ويقضي على كل مؤسساتها الدينية والتعليمية والاقتصادية وغيرهـا، فيهـدم بيوتها ويقتل رجالها ويرمل نسـاءها وييتم أطفالها الـذين يشردون في العراء جوعى عطشى جرحى مرضى، وعند ذلك يبذل الأغنياء بعضا من أموالهم، لإنقاذ حيـاة بعض من نـزلت بهم النكبـة، واحتل العدو ديارهم ونهب أموالهم وسبى ذراريهم.

ولو أنهم-الأغنيـاء-جـادوا ببعض أمـوالهم تلك قبل الاعتـداء لكـان في ذلك وقاية من الاعتـداء قبل وقوعـه، فهل يعي الأغنيـاء هـذا الأمر؟!

الوسيلة السادسة عشرة: سباق المواقع.

أي أن يقوم كل شـخص من المسـلمين القـادرين على السـباق بالحق إلى العقول من موقعه الذي هو فيه بهذا السباق.

وليس لقادر عـذر في تـرك القيـام بهـذه الوسـيلة، لأنه لا يكلف الانتقال بالسباق إلى موقع آخـر، حـتى يعتـذر بـالوقت أو بالمـال أو غير ذلك، فالمطلوب منه أن يتخذ الوسائل الممكنة للسباق بـالحق إلى العقول في محيطه الذي هو فيه.

فـرب الأسـرة أو أي عضو من أعضـائها، عليه أن يحصن عقـول أفـراد أسـرته من الباطـل، ويوصل إليها الحق في محيط أسـرته وأقاربـه، والجـار عليه أن يفعل ذلك مع جيرانـه-من أمكن منهم-والمـدرس مع زملائه المدرسـين وطلابـه، والطـالب مع زملائـه، ويمكن أن يفعل ذلك مع أسـاتذته بالحكمة والأدب والأسـلوب المناسب.

والمدير يفعل ذلك مع موظفيه الصغار والكبار.

والموظف يفعل ذلك مع زملائه وخدمه.

والطـبيب يفعل ذلك مع مرضـاه ومراجعيه وزملائـه، والمهنـدس

يفعل ذلك مع زملائه وعمالـــــه، ورئيس المصـــــنع يفعل ذلك مع موظفيه وعمالـــــه، وهكـــــذا كل موظف مع زملائه ومن هم تحت إدارته.

والـــوزير في وزارته من أعلاها إلى أســـفلها، ورئيس الدولة مع من هم تحت يـــــده، والقـــــادرون على فعل ذلك مع رئيس الدولة يفعلون ذلك معه.

وفرق الرياضة فيما بينهم ومع الفرق الأخرى المشاركة لهم في رياضــتهم، ومســؤولو النــوادي مع من هم تحت يــدهم، وكل عضو يفعل ذلك مع العضو الآخر. وهكذا الخبراء في مجال خبراتهم.

فخـبراء المنـاهج يراعـون في وضع المنـاهج هـدف السـباق إلى العقول بالحق وصيانتها من الباطل.

ومؤلفو الكتب الدراسية يضعون ذلك الهدف في تأليف كتبهم.

وهكــذا لا يبقى أحد قــادر على الســباق إلى العقــول بــالحق إلا أمكنه القيام بذلك في موقعه.

وقد تتعدد المواقع للشخص الواحد، كأن يكون رب أسرة وإمــام مسجد، أو مدير مدرسة، أو رئيس شــركة، أو قائد كتيبــة، أو ضــابط عادي أو جندي أو غير ذلك.

وقد يكون موقع الشخص واسعا، كــرئيس الدولة المســؤول عن رعيته كلها، فهو قادر بما مكنه الله من المسؤولية الأولى، أن يــأمر وأن يعين المــأمور بما يحتــاج إليــه، وأن يعين من يتــابع الأمر حــتى ينفذ، وأن يكوِّن اللجان التي تبلغه بما يوجد من باطل قد غرس في العقول أو يراد غرسه، فيتخذ التدابير اللازمة في أي مرفق لصــيانة العقول وتصفيتها مما علق بها، وبالحق المفقود الذي يجب أن يصل إلى العقول فيتخذ التدابير اللازمة لإبلاغ ذلك الحق إلى العقول.

وهو كذلك مسؤول عن إبلاغ الحق إلى من أمكنه إبلاغه إليه من غير رعيته، للعلاقات الواســعة مع البلــدان الأخــرى، وبما عنــده من إمكانــات الاتصــال برؤســاء الــدول الأخــرى اتصــالا شخصــيا، أو عن طريق أي وسيلة من وسائل الاتصال، وبما عنده من وسائل الإعلام التي يمكن أن تصل إلى شعوب كثيرة مجــاورة وغــير مجــاورة، عن طريق الإذاعة والتلفاز والأقمار الصناعية وغيرها.

إن وســيلة المواقع وســيلة واســعة إذا نظرنا إليها هــذه النظــرة الشــاملة، بحيث يقــوم كل فــرد وكل شــركة أو مؤسســة، بالســباق بــالحق إلى العقــول من مــواقعهم، فما من صــاحب حق قــادر على السباق به إلى العقول إلا كان في موقع أو مواقع [1].

---

[1]-فالشخص أو الجماعة قد ترى موقعها ضيق المساحة، لكن المساحة هي الأرض كلها بالنســبة

وليعلم صـاحب كل موقع قـادر على صـيانة عقـول من هم في موقعه من الباطل أو إبلاغ الحق إليهـا، ثم لم يفعل ولم يقم بـذلك غيره قياما كافيا، أنه آثم سيسأله الله عن ذلك يوم لقائه.

وهـذه الوسـيلة جـديرة بـأن تسـمى دعـوة المواقع أو سـباق المواقع.

وبهـذا ينتهي الكلام على القسم الأول من وسـائل السـباق إلى العقول بالحق وهو الوسائل السلمية [1].

الوسيلة السابعة عشرة: الجهاد العسكري.

كل الوسائل الماضية وغيرها تشملها كلمة الجهاد في سبيل الله لأن الجهاد قسمان: قسم معنوي، وقسم مادي، فالوسائل الماضـية من قسم الجهـاد المعنـوي، والجهـاد المـادي هو الجهـاد القتـالي الشـامل لإعـداد الرجـال والعتـاد، ومقارعة طغـاة الباطل الـذين يصدون عن سبيل الله بالسيف والصاروخ.[2]

والجهـاد العسـكري ليس وسـيلة للسـباق إلى العقـول بـالحق بالإكراه، فلا إكراه في الدين، ولو أن أحدا أكره أحدا على أن يصرح بأنه مؤمن بدينٍ مَّا من الأديان، وقلبه غير مؤمن به في الواقـع، لما كان للإكراه معنى إلا العدوان.

وإنما الجهاد وسيلة لتحطيم السـدود وإزالة العقبـات الـتي تقف في طريق إبلاغ الحق إلى عقول الناس.

فـــإذا ما تمكن أهل الحق من إبلاغ الحق إلى عقـــول النـــاس، وتمكن الناس من سماع الحق دون عقبات، فلا سـبيل بعد ذلك إلى إكراه أحد ممن بلغه الحق على اعتقاده، بل إن شاء قبله وإن شـاء رفضه وحسابه على الله.

لكن لما كان أعداء الحق من الطغاة يضيقون بالحق، ولا يأذنون لأهله بأن يبلغوه للناس، بل يحاربونه ويحاربونهم، ويمنعـون النـاس من سماع الحق، ليختاروا الإيمـان به أو رفضـه، وفي نفس الـوقت يتخـذون كل وسـيلة للسـباق بالباطل إلى عقـول النـاس. فـإن الله تعالى شرع لأهل الحق أن يجاهدوا أولئك الطغـاة بالحديـد، ليتمكن أهل الحق من تبليغ الحق، ويتمكن الناس من سماعه.

وقد دل التـاريخ والقـرآن والواقـع، أنه لا غـنى لأهل الحق عن اتخاذ وسيلة الجهـاد العسـكري، لصـيانة عقـول النـاس من الإكـراه

لكل المواقع في سفر أو حضر.

[1] -أنظر ص 196من النسخة المخطوطة باليد.؟؟؟

[2] -راجع كتاب الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته (1/273-537) للمؤلف.

على اعتقاد الباطل، وليتمكن أهل الحق من إبلاغ الحق إلى عقــول الناس دون إكراه على اعتقاده.[1]

وما نشاهده في هذا العصر من محاربة الإسلام والدعاة إليه، بل من الاعتــداء على المســلمين، لإجبــارهم على التخلي عن دينهم والــدخول في الأديـان الوثنية والنصـرانية، كما هو الحـال في الهند والبوسـنة والهرسـك، وما يحصل في بعض البلـدان الإسـلامية، من حكوماتها العلمانية الــتي تُظهِــر-ولا تخفي-حربَها لــدعاة تطــبيق الشريعة الإسلامية، كل ذلك يدل دلالة واضحة أن هذه الوسيلة هي أنجع الوسائل-بعد أن أخفقت وسـائل كثـيرة من الوسـائل المعنوية في رد أعداء الإسلام إلى صـوابهم-في إتاحة الفرصة للحـق، ليصل إلى عقول الناس، ولصيانة تلك العقول من الباطل.

قيض الله للمسلمين من يقـودهم بالجهـاد في سـبيل الله لإعلاء كلمة الله، والله غالب على أمره.

وتحطيم الحــواجز الـتي يضـعها الطغـاة في طريق أهل الحــق، لإبلاغه إلى عقــول النــاس أمر مشــروع، لأن إبلاغ الحق إلى تلك العقـول مشـروع ولا يمكن أن يصل إليها إلا بتحطيم تلك الحـواجز، وتلك الحواجز هي الطغاة الذين يقفون ضد الحق بالقوة.

وهــاهم أهل الباطل اليــوم يتــذرعون بما يدعونه من حقــوق الإنسان، ليسقطوا دولا يزعمون أنها تقف ضد حقـوق الإنسـان في شـعوبها، ووصل الأمر بهم أن يعتـبروا من حقـوق الإنسـان عـدم تطبيق الشريعة الإسلامية في أي بلد إسلامي، ولو كـان غـالب أهل البلد ينادون بتطبيق الشريعة في بلـدهم، بل ولو أجـريت انتخابـات حزبية تعددية باسم الديمقراطية التي هم يزعمون تقديسها وعــدها من حقـوق الإنسـان في الشـعوب، وفـاز دعـاة تطـبيق الشـريعة الإسلامية فوزا ساحقا، فإن أعـداء الإسـلام ودعـاة حقـوق الإنسـان ومقدسي الديمقراطيـة، يقفـون بـدون حيـاء بجـانب فئة قليلة من عبيدهم وأذنابهم العلمانيين، لسحق الأغلبية المسـلمة من الشـعب، لئلا يستقر الحق ويعلو ويزهق الباطل ويزول.

وإذا كــان هــذا هو موقف أهل الباطل من أجل حمايته وحماية العقـول من نفـاذ الحق إليهـا، فـإن أهل الحق أولى بتحطيم سـدود أهل الباطـل-لا لإكـراه الطغـاة المـردة أنفسـهم على اعتقـاد الحق ولكن-لإيصــال الحق الــذي يحملونه إلى النــاس، وليســمع النــاس دعوتهم إلى الحق وبيانه، ثم يقرروا-دون إكـراه-اعتقـادهم الحق أو عدم اعتقاده.

---

[1]-للجهاد أهداف أخرى فصلت في المرجع السابق (1/107-116).

ولنضرب مثالا يقرب هذا المعنى:

حارة شب فيها حريق، فجاءت نجدة الإطفاء لإطفاء الحريق، وجاءت نجدة الإسعاف الطبي لنقل المصابين إلى المستشفيات لمعالجتهم، فوجدت النجدتان رجالا مسلحين يحيطون بتلك الحارة التي أصابها الحريق، يمنعون نجدة الإطفاء من إطفاء الحريق، ويمنعون نجدة الإسعاف الطبي من إسعاف المصابين، ويمنعون أهل الحارة من الهرب منها لينجوا بأنفسهم من الموت.

ألا يجب في هذه الحالة على الدولة أن تبعث فرقا من الشرطة أو الجيش، لطرد المسلحين الظالمين الذي يحيطون بالحارة المحروقة، لإجبار أهلها على البقاء في لهب النار ليحترقوا، ومنع من يريد إسعافهم من الوصول إليهم لإنقاذهم؟!

لا بد أن يكون جواب كل عاقل بالإيجاب.

وهكذا يجب أن يزال طغاة الباطل من طريق الحق، ليصل إلى عقول الناس، ومن طريق الناس ليصل إليهم الحق.

فالباطل أشد خطرا من النار، والحق أكثر ضرورة من الإطفاء والإسعاف، والناس الذين يحجر عليهم الطغاة ولا يأذنون لهم بسماع الحق وفهمه، أعظم حاجة إلى إطلاق حريتهم من الذين شب الحريق في منازلهم، وأهل الحق أجدر بالوصول إلى الناس من فرق الإغاثة المادية لإغاثتهم بالحق، وطغاة الباطل الذين يمنعون وصول الحق إلى الناس أولى بالاستئصال من مانعي نجدة الإطفاء من الحرائق، ونجدة إسعاف المصابين. فغاية ما يسببه الحريق هو تلف الأموال والنفوس في الدنيا، والأموال تعوض والنفوس لها آجال لا بد منها، والنفس التي تموت وهي مؤمنة ستنال الثواب الجزيل والفوز الدائم برضا الله وجنة الخلد.

أما البقاء في ضلال الكفر وظلما ته واتباع الباطل والبقاء في ظلماته، فإن نهايته الشقاء والنكد في الدنيا، والوقوع في سخط الله والعذاب الدائم في نار جهنم والعياذ بالله.

غايات أهل الباطل في السباق إلى العقول .

كما أن لأهل الحق غايات في سباقهم بـالحق إلى العقـول، فـإن لأهل الباطل-كذلك-غايات في سباقهم بباطلهم إلى العقـول، وقد لا يصــرحون بتلك الغايــات، ولكن أعمــالهم وتصــرفاتهم تــدل على غاياتهم.

ولنذكر أهم غاياتهم تلك إجمالا، ثم نشرع في تفصيلها:

الغاية الأولى: التمتع المطلق بكل ما في الحياة الدنيا.

الغاية الثانية: الصد عن سبيل الله.

الغاية الثالثة: تكذيب الرسل.

الغاية الرابعة: الحْوْل بين الناس وبين إقامة الحجة عليهم.

الغاية الخامسة: إخراج الناس من النور إلى الظلمات.

الغاية السادسة: إحلال الشرك محل التوحيد.

الغاية السابعة: إنكار الإيمان بالغيب.

الغاية الثامنة: محاربة الحكم بما أنزل الله.

الغاية التاسعة: محاربة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

الغاية العاشرة: غرس الأخلاق الفاسدة في نفوس الناس.

الغاية الحادية عشرة: الإفساد في الأرض.

الغاية الأولى: التمتع المطلق بكل ما في الحيـــاة الدنيا.

وكلمة: [المطلـق] هنا مقصـودة، لأن أهل الحق يتمتعـون بكثـير مما يتمتع به أهل الباطـــل، من مأكل ومشـــرب ومنكح ومســـكن ومركب ومنصب وجاه، وغير ذلك، ولكن تمتع أهل الحق بذلك ليس تمتعا مطلقا، وإنما هو مقيد بما أذن الله فيه وشرعه.

بخلاف أهل الباطـــل، فـــإنهم يتمتعـــون بكل ما في الأرض تمتعا مطلقا، أي خاليا من كل قيـد، من دين أو خلـق، ودون معـارض من رسل أو أنبياء ودعاة خير، ولا يقيدهم إلا قيد واحد فقـط، وهو عـدم القدرة على تناول ما يشتهون.

وهـذه الغاية لا تتحقق لهم إلا إذا كـثر أهل الباطل كـثرة، لا تـدع مجالا لأهل الحق في صدهم عن الوصول إلى غاياتهم تلـك، ولـذلك فهم يسعون جادين في سباقهم إلى عقـول النـاس، ليكسـبوا أكـبر عدد منهم، ليقفـوا في صـفهم للوصـول إلى غايـاتهم تلك وصد من يحاول منعهم منها.

وقد أبرز الله تعالى هذه الغاية في كتابه، والواقع يشهد بها، قال تعالى: {والـذين كفـروا يتمتعـون ويـأكلون كما تأكل الأنعـام والنـار مثوى لهم}[1].

وقـــال تعـــالى: {ذرهم يـــأكلوا ويتمتعـــوا ويلههم الأمل فســـوف يعلمون}[2].

وقال تعالى: {ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون} [3].

وقال تعالى: {لا يغرنك تقلب الذين كفـروا في البلاد متـاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد}[4].

وفي هذه الآيات يهدد الله تعالى الكافرين الـذين جعلـوا غـايتهم التمتع بالحياة الدنيا، وحرصوا على تحقيق هـذا التمتع الـذي ألهـاهم عن عبادة الله وطاعته وطاعة رسـله بما ينتظـرهم من جـزاء يـوم القيامة.

وقـــال تعـــالى:-مبينا نوعا من أنـــواع هـــذا التمتع وهو العلو في الأرض-{إن فرعـــون علا في الأرض وجعل أهلها شـــيعا يستضـــعف طائفة منهم يـــذبح أبنـــاءهم ويســـتحي نســـاءهم إنه كـــان من

1-محمد: 12.

2-الحجر: 3.

3-العنكبوت: 66.

4-آل عمران: 196،197.

المفسدين}[1].

وبين تعالى شيئا من علو فرعون، في قوله تعالى: {ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين، فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين} [2].

فغاية فرعون-وكذلك كل الفراعنة-العلو في الأرض بالملك والمال وكثرة الأتباع، ولذلك يحاولون خداع الجماهير والشعوب بمظاهر ملكهم وضعف أهل الحق والوقوف ضدهم.

وقال تعالى عن فرعون، أيضا-وقد أرسل إليه موسى يدعوه إلى طاعة الله، مع ما لدى موسى من آيات دالة على صدق رسالته-:{فكذب وعصى، ثم أدبر يسعى، فحشر فنادى، فقال أنا ربكم الأعلى} [3].

وقال تعالى-عن نموذج من نماذج التمتع بالمال والغنى والترف-في قصة قارون: {إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(76)وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(77)قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عندي أولم يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(78)فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يا ليت لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(79)} [4].

وهذا الاحتفاء بمن عندهم متاع الحياة الدنيا، هو من غاياتهم التي يريدون تحقيقها، وهم يعلمون أنهم لا يُحتَفِي بهم وهم على باطل إلا أتباعُهم من أهل الباطل، وأما أهل الحق فلا يعبأ ون بما عندهم من متاع الحياة الدنيا، ولهذا فإن أهل الباطل يضيقون ذرعا بأهل الحق، لعدم اغترارهم بما عندهم، كما قال تعالى في هذه القصة: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ

---

[1]-القصص: 4.

[2]-الزخرف: 51، 54.

[3]-النازعات: 21،24.

[4]-الآيات من سورة القصص.

وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ(80)}.[1]

فالميزان يختلف عند هؤلاء وأولئك: أهل الحق يزنون الناس وما يملكون بالإيمان والعمل الصالح والصبر، وهي الصفات التي يـترتب عليها رضـوان الله وثوابـه، وأهل الباطل يزنـون النـاس بما عنـدهم من ملك وغنى وشتان شتان.

ومما يـــــدل على أن أهل الباطل يضـــــيقون ذرعا بأهل الحق ونصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ليقيدوا تمتعهم في الحياة الدنيا بقيود شـرع اللـه: موقف قـوم شـعيب من نصـحه لهم بالتزام عبـادة الله وحـده والعـدل وتـرك الظلم والفسـاد، كما قـال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَـاهُمْ شُـعَيْبًا قَـالَ يا قـوم اعْبُـدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْـرُهُ وَلَا تَنْقُصُـوا الْمِكْيَـالَ وَالْمِـيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْـرٍ وَإِنِّي أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ مُحِيـطٍ(84)وَيَا قَـوْمِ أَوْفُـوا الْمِكْيَـالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَـوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِـدِينَ(85)بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْـرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ(86) قَالُوا يا شعيب أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْـرُكَ مَا يَعْبُـدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(87)}[2].

الغاية الثانية: الصد عن سبيل الله.

هــذه هي الغاية الرئيسة الثانية الــتي يريد أهل الباطل تحقيقها في السباق إلى العقـول، وهي الصد عن سـبيل الله ومحاربة الحق وأهلــه، ونصر الباطل وتثبيته في الأرض، أي تحقيق كل ما يضـــاد غايات أهل الحق ويخالفها من غايات.

وقد أوضح القـرآن الكـريم في آيـات كثـيرة منه أن أهل الباطل كلهم يصدون عن سبيل الله، سواء في ذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو المشركون الوثنيون أو المنافقون.

وفعل: "صَدَّ" يأتي لازمـا، ومعنـاه انصـراف الصـاد عن الشـيء والامتناع من قبوله، ويأتي متعديا، ومعناه صرف غـيره عن الشـيء وعن قبولـه، ولا يصـرف الإنسـان غـيره عن الحق إلا إذا كـان هو نفسه قد انصرف عنه، لأن صاحب الحق لا ينصرف عنه ولا يصـرف غيره.

قال تعالى عن أهل الكتاب: {قل يا أهل الكتاب لم تصـدون عن سـبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شـهداء وما الله بغافل عما

---

[1]-القصص.

[2]-الآيات من سورة هود.

تعملون} [1].
وقال تعالى عن علمائهم وعبادهم: {يا أيها الذين أمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله} [2].
وقال عن اليهود منهم: {فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا} [3].
وقال تعالى عن المشركين: {ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط}[4].
وقال تعال: {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون} [5].
وقال تعالى: {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم-إلى قوله:-ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ} [6].
وقال تعالى عن المنافقين-النفاق الاعتقاد-: {وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا} [7].
وقال تعالى: {اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين} [8].
وقال تعالى: {اتخذوا إيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون}[9].
هاتان هما الغايتان الرئيستان اللتان يضعهما أهل الباطل نصب أعينهم في سباقهم إلى العقول بباطلهم: التمتع بكل ما في الحياة الدنيا بدون التقيد بشرع الله، والصد عن سبيل الله من أجل إبطال الحق وتثبيت الباطل.

---

[1]-آل عمران: 99.
[2]-التوبة: 34.
[3]-النساء: 160.
[4]-الأنفال: 47.
[5]-النحل: 88.
[6]-محمد: 1،3.
[7]-النساء: 61.
[8]-المجادلة: 16.
[9]-المنافقون: 2.

الغاية الثالثة: تكذيب الرسل والكفر بالوحي.

إن أقوى وسـيلة يتمكن بها أهل الباطـل، من الخلاص من التقيد بـدين اللـه، ومن الاسـتجابة لرسـله، عليهم الصـلاة والسـلام، هي: تكـذيب أولئك الرسل في دعـواهم أن الله تعـالى بعثهم إلى الخلق لهـــدايتهم بوحيـــه، ووصف أولئك الرسل بضد ما يتصـــفون به من الصـفات الحميـدة الـتي أهلتهم لاختيـار الله لهم رسلا إلى النـاس، فيصفونهم بالضلال بدل الهدى، وبالسفه بدل الرشد، وبالجنون بدل كمـال العقـول، ويجعلـونهم محلا للسـخرية والاسـتهزاء بـدلا من الاحترام والتوقير.

وينعتون الـوحي الـذي أنزله الله عليهم وجميع الكتب السـماوية الــتي نــزل بها جبريل من عند اللــه-وآخرها القــرآن الكــريم-بأنها أساطير الأولين وبأنها كذب وافتراء.

قال تعـالى عن فرعـون وقومه في موسى عليه السـلام: {وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مـبين، فتـولى بركنه وقـال ساحر أو مجنون}[1].

وأخـــبر تعـــالى أن دأب الأمم المكذبة لرســـله عليهم الصـــلاة والسـلام في كل الأزمـان، هو الاسـتهزاء والسـخرية بهم، كما قـال تعـالى: {يا حسـرة على العبـاد ما يـأتيهم من رسـول إلا كـانوا به يستهزئون} [2].

وقال تعالى: {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون، أتواصوا به بل هم قوم طاغون} [3].

وهكـذا وصـفوا بينـات الرسل أنها سـحر، كما قـال تعـالى عن فرعون وقومه: {فلما جاءهم موسى بآياتنا بينـات قـالوا ما هـذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين}[4]

وقال عمن كفر بعيسى من بني إسرائيل: {فقـال الـذين كفـروا منهم إن هذا إلا سحر مبين} [5].

وقال تعالى عن المشـركين الـذين كفـروا بـالوحي المـنزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: {وإذا تتلى عليهم آياتنا بينـــات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما

---

[1]-الذاريات: 38،39.

[2]-يس: 3.

[3]-الذاريات: 52،53.

[4]-القصص: 36.

[5]-المائدة: 110.

هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفـروا للحق لما جـاءهم إن هـذا إلا سحر مبين} [1].

وقال تعالى عنهم: {ولو نزلنا عليك كتابا في قرطـاس فلمسـوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين...}[2].

وقـال تعـالى عنهم: {وقـالوا يا أيها الـذي نـزل عليه الـذكر إنك لمجنون}[3]

الغاية الرابعــة: الْحَـوْل بين النــاس وإقامة الحجة عليهم.

ويحصل ذلك بإعراض قادة الباطل عن سماع الحق الذي يأتي به أهلــه، وبحض غــيرهم على الإعــراض عن حجج الحق وتــدبرها والإصغاء إليها، بل وأمرهم بإحـداث اللغط والضوضـاء عنـدما يـدعو أهل الحق إليــه، كما قــال تعــالى عنهم: {وقــال الــذين كفــروا لا تسـمعوا لهـذا القـرآن والغـوا فيه لعلكم تغلبـون} [4]. وقـال تعـالى: {وَقَـالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَـدْعُونَا إِلَيْـهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْـرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُون} [5].

وليس من شرط هذا الحوْل وتحققه أن يصرح أهل الباطل بمثل ما دلت عليه الآيتان المـذكورتان، فيقولـوا: لا تسـمعوا كلام الـدعاة إلى الله، أو أن على قلوبنا أغطية لا يصل إليها ما يــدعون إليــه، بل يتحقق بكل سبيل يؤدي إلى ذلك الحول، كوضع منــاهج تعليميــة، أو برامج إعلاميــة، أو نــواد ثقافيــة، أو رياضــة، أو دور ســينما، أو غيرها مما يلهي الناس ويشغلهم عن ســماع الحق وحججه ودلائلــه، وهــذا الأسـلوب أشد تـأثيرا في النـاس من الأمر الصـريح بـالإعراض عن الحق [6].

---

[1]-سبأ: 43.

[2]-الأنعام: 7.

[3]-الحجر: 6.

[4] فصلت: 29.

[5]-فصلت: 5.

[6]-وسيأتي الحديث عن الوسائل في مكانه، هذا مع العلم أن بعض الغايات قد تكون وســائل الى غيرها من الغايات، فكون أمرٍ ما وسيلة أو غاية أمر نسبي.

الغاية الخامسة: إخـراج النـاس من النـور إلى الظلمات.

كما قال تعالى: {والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجــونهم من النور إلى الظلمات} [1].

الغاية السادسة: إحلال الشرك محل التوحيد.

ويكـون ذلك بتقـديس الطـواغيت الـتي تنصب نفسـها أو ينصـبها غيرها آلهة للبشــر، ســواء أكــانت قبــورا أو حجــارة أو أشــجارا أو حيوانات، أو هي من علمـاء السـوء الـذين يشـترون بآيـات الله ثمنا قليلا، كما فعل علماء اليهود من قبل وغيرهم، من أمثال المجــالس النيابية أو البرلمانية التي تعطي نفسـها حق التشـريع الـذي يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، تحقيقا لمصالح الطواغيت المحاربين للإسلام وشريعته.

ويدخل في ذلك طـواغيت الحكـام المسـتبدون الـذين يشـرعون للنـاس تشـريعا يخـالف شـريعة اللـه، ويحـاربون تلك الشـريعة عن طريق إصدار مراسيم وقوانين وأنظمة لا يقرها الإسلام، حربا منهم لله ورسوله وكتابه المبين.

ولهــذا كــان طــواغيت المشــركين العــرب يســتنكرون التوحيد ويتعجبون من الدعوة إليـه، ويظهـرون أن الأصل هو الشـرك الـذي يقـوم على تعـدد الآلهـة، مصـادمة للفطـرة الربانية الـتي فطر الله الناس عليها، كما قال تعالى عنهم: {وعجبوا أن جاءهم منــذر منهم وقال الكـافرون هـذا سـاحر كـذاب أجعل الآلهة إلها واحـدا إن هـذا لشيء عجاب} [2].

وقال تعالى عن علماء السوء الذين اشتروا الدنيا بالدين: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هـذا من عند الله ليشـتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} [3].

وقـال تعـالى: {اتخـذوا أحبـارهم و رهبـانهم أربابا من دون الله والمسـيح ابن مـريم وما أمـروا إلا ليعبـدوا إلها واحـدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون} [4].

---

[1] -البقرة: 257. وقد سبق بيـان النـور والظلمـات، عنـد الكلام على غايـات أهـل الحـق، ومنهـا: إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

[2] -ص:4،5.

[3] -البقرة: 79.

[4] -التوبة: 31.

وإنما كان اتخاذهم إياهم أربابا من دون الله، لاتباعهم في تحليل ما حـرم الله أو تحـريم ما أحل اللـه، كما وردت بـذلك السـنة في تفسير الآية.[1]

الغاية السابعة: إنكار الإيمان بالغيب والصد عنه.

ومعلـوم أن الإيمـان بـالغيب هو أسـاس التسـليم المطلق لله تعالى في أمره ونهيه والدينونة لـه، لهـذا يحـرص أهل الباطل على إنكـاره، لما في ذلك الإنكـار من إبطـال الـوحي والرسـالة من أساسـها، وما يتبع ذلك من محاربة لله ورسـوله صـلى الله عليه وسـلم، وكـذلك من قبله من إخوانه المرسـلين وتقليل أتبـاعهم، وتكثير سواد أهل الباطل الذين يقفون ضد دعوة الرسل.

ولهذا يتـذرع أهل الباطل إلى إنكـار هـذا الأساس بطلبهم آيـات مادية يأتي بها الرسل، للدلالة على صدقهم في دعوى الرسالة، مع أنهم مهما جاءتهم من آيات مادية لم تزدهم إلا جحودا واستكبارا.

قال تعالى عن فرعون الذي أوهم قومه أن موسى عليه السلام يـدعوهم إلى رب غـير موجـود، وأنه كـاذب-حاشـاه-في دعـواه الرسالة، مع ما أنزل الله من الآيات العظيمة المؤيدة لموسى على فرعون وقومـه، وكلها آيـات ماديـة، فجحـدها مع يقينه أنها من عند الله. قال تعالى: {وقـال فرعـون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري، فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين}[2].

وقـال تعـالى عن بـني إسـرائيل-وقد شـرفهم الله ببعث موسى رسولا منهم إليهم، وأنـزل عليهم التـوراة، وفضـلهم على كثـير من العـالمين-في زمـانهم-وأخـرجهم من اسـتعباد فرعـون وظلمه لهم: {وإذ قلتم يا موسى لن نـؤمن لك حـتى نـرى الله جهـرة فأخـذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون} [3].

وقـال تعـالى عن مشـركي قـريش: {فقد كـذبوا بـالحق لما جـاءهم} إلى قوله تعـالى: {ولو نزلنا عليك كتابا في قرطـاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين} [4].

وقال تعالى: {ولقد صرفنا للنـاس في هـذا القـرآن من كل مثل

---

[1]-يراجع في تفسير الآية في كتب التفسير، ومنها تفسير الطـبري، وتفسـير ابن كثـير، رحمهمـا الله.

[2]-القصص: 38.

[3]-البقرة: 55.

[4]-الأنعام: 5،7.

فأبى أكثر الناس إلا كفورا، وقـالوا لن نـؤمن لك حـتى تفجر لنا من الأرض ينبوعـــا، أو تكـــون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهـــار خلالها تفجـيرا، أو تسـقط السـماء كما زعمت علينا كسـفا أو تـأتي بالله والملائكة قــبيلا، أو يكــون لك بيت من زخــرف أو تــرقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تـنزل علينا كتابا نقـرأه، قل سـبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا}[1].

الغاية الثامنة: نبذ الحكم بما أنزل الله ومحا ربته.

والمقصد من نبذ الحكم بما أنزل الله ومحاربة شرعه، أن تَحْكُمَ النــاسَ أهــواءُ أهل الباطل ورغبــاتُهم الــتي يصــوغونها في صــورة قوانين وأعراف وأنظمة تصادم شـريعة اللـه، لأن نبذ الحكم بشـرع الله وتحكيم ما يلــبي رغبــاتهم وأهــواءهم، يسـهل عليهم اسـتعباد النـاس بتشـريعهم، فيتصـرفون في أنفسـهم وأعراضـهم وعقـولهم وأموالهم، كما يشاءون بعيدا عن شريعة الله التي تحفظ للناس كل ذلك، إضافة إلى التلاعب بالدين وإضاعته.

قـال تعـالى عن قـوم شـعيب-وهو يـأمرهم بـأمر الله وينهـاهم بنهيه-: {قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد} [2].

وقال تعالى عن قوم لوط-وقد نهاهم عن ارتكاب الفاحشة الـتي لم يســبقهم إليها من أحد من العــالمين، مع نهيهم عن الشــرك باللـه-: {فما كـان جـواب قومه إلا أن قـالوا أخرجـوا آل لـوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون} [3].

وقال تعالى عن مشركي العرب-وكـانوا يشـرعون لأنفسـهم من دون الله، فيحلون ما حـرم الله ويحرمـون ما أحل اللـه-: {وَكَـذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَــوْ شَــاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُــوهُ فَــذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَــرُونَ(137)وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـامٌ حُـرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـامٌ لَا يَـذْكُرُونَ اسْـمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِـرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَـرُونَ(138) وَقَـالُوا مَا فِي بُطُـونِ هَـذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيـهِ شُــرَكَاءُ سَـيَجْزِيهِمْ وَصْـفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(139)قَـدْ خَسِـرَ الَّذِينَ

---

[1]-الإسراء: 89،93.

[2]-هود: 87.

[3]-النمل: 56.

قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ(140)وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ متشابه كلوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(141)وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(142)ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(143)وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثنين قل ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(144)قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(145)}[1].

وقال تعالى عن المنافقين-وهم الذين يمثلهم العلمانيون اليوم ممن يحاربون الحكم بشرع الله، ويحاربون الدعاة إلى تحكيمه [2]: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا(60)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا(61)فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا(62)}[3]

الغاية التاسعة: محاربة الولاء لله ولرسوله والمؤمنين.

ويسابق أهل الباطل إلى عقول الناس بمحاربة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وتثبيته للشيطان وأتباعه، وللأهواء التي يتبعونها، لعلمهم بأن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ولاء للحق،

---

[1]-الآيات من سورة الأنعام.

[2]-لأن أكثرهم الآن يحكمون الشعوب الإسلامية بخلاف المنافقين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

[3]-الآيات من سورة النساء.

والولاء للحق يسلبهم ولاء الناس للباطل الذي لا يملكون سواه، ولا حياة لهم بدون أنصار يؤمنون بباطلهم ويؤيدونهم عليه.

ولهـذا تـرى أهل الباطل يحـاربون من يـوالي الله ورسـوله والمؤمـنين، ولا يُظْهِـرُ ولاءه لهم و لبـاطلهم، حربا شـعواء، كما يحاربون كل دعوة إلى هـذا الـولاء، خوفا من أن يكـثر أنصـار الحق وأوليـاؤه، ويقل أنصـار الباطل وأوليـاؤه، فيخسـرون بـذلك الجـاه والمال والمنصب، وينتهي تسلطهم على رقاب النـاس وطغيـانهم، ويقربون من يواليهم على باطلهم ويرفعـون منزلته بالجـاه والمـال والمنصب، مع العلم أن الذي يكـون ولاؤه لغـير الحق لا يثبت ولاؤه ولا يـدوم، لأنه إنما يـوالي من رأى أن في موالاته مصـلحة ماديـة، فإذا ظن أن تلك المصـلحة سـتنقطع، أو أنه سـينال مصـلحة أعظم منها من صاحب باطل آخر، نقل ولاءه لهذا وأصبح عدوا لمن سـبق أن كان مواليا له.!

الغاية العاشـرة: تثـبيت الأخلاق الفاسـدة في الأرض.

ومن أهم غايات أهل الباطل، تمكين الأخلاق الفاسدة وإشـاعتها بين الناس في الأرض، ومطاردة الأخلاق الفاضـلة وأهلها والتضـييق عليهم، لتأسن الأرض وتفسد الحيـاة، تحقيقا لإشـباع شـهواتهم ونزواتهم التي لا تتحقق مع وجود الأخلاق الفاضلة وغلبتها، كما قال تعالى: {والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الـذين يتبعـون الشـهوات أن تميلوا ميلا عظيما}[1].

وقـال تعـالى: {إن الـذين يحبـون أن تشـيع الفاحشة في الـذين أمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة} [2].

وقال تعالى: {ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يـأمر بالفحشـاء والمنكر} [3]

وقال تعالى: {الذين عاهـدت منهم ثم ينقضـون عهـدهم في كل مرة وهم لا يتقون}[4]

وقال تعـالى: { إذا جـاءك المنـافقون قـالوا نشـهد إنك لرسـول الله، والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون}[5].

---

[1]-النساء: 27.

[2]-النور: 19.

[3]-النور: 21.

[4]-الأنفال: 56.

[5]-المنافقون: 1

وفي الحـديث الصـحيح عن عَبْـدِ اللَّهِ بْنِ عَمْـرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَـلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: [أَرْبَـعٌ مَنْ كُنَّ فِيـهِ كَـانَ مُنَافِقًا خَالِصًـا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْـلَةٌ مِنَ النِّفَـاقِ حَتَّى يَـدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ][1].

وبنظرة عجلى إلى أحـوال الأمم اليـوم-بما فيها أغلب الشـعوب الإسلامية-يتضح للناظر ما تعانيه البشرية من الأخلاق الفاسـدة، وما جـنى به عليها دعـاة الباطل الـذين يحـاربون الأخلاق الفاضـلة بكل الوسائل والإمكانات، ويثبتون الأخلاق الفاسدة وينشرونها كذلك.

ويتضح للنـاظر كـذلك حاجة العـالم اليـوم إلى سـباق أهل الحق بأخلاقهم الفاضلة، إلى عقول النـاس، لينقـذوا البشـرية من الأخلاق الفاسدة التي اتخذ أهل الباطل كل الوسائل ليسبقوا بها إلى عقول الناس الذين ذاقوا من جراء ذلك شتى أنواع العذاب في الـدنيا، مع ما ينتظرهم من مقت الله وغضبه في الآخرة

الغاية الحادية عشرة: الإفساد في الأرض.

أراد الله تعـالى من عبـاده أن يصـلحوا في الأرض، ولا يفسـدوا، لأن الإفساد في الأرض يعود على استخلاف الله للإنسـان والغـرض منه بـالنقض، ولكن أهل الباطل –كعـادتهم-لا ترضى نفوسـهم بالصلاح والإصلاح، فيجتهدون في الإكثار من الإفساد فيها، ويسمون إفسادهم إصلاحا.

ويشـمل ذلك الإفسـاد: النسل والنفس والعقل والمـال، إضـافة إلى إفساد الدين، يستغلون خـيرات الأرض وبركـات السـماء، لنشر فسـادهم وظلمهم، وإنـزال الـرعب على الآمـنين واسـتعباد النـاس وإذلالهم والتكبر عليهم، كما قـال تعـالى: {وإذا قيل لهم لا تفسـدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} [2].

وقـال تعـالى: { ومن النـاس من يعجبك قوله في الحيـاة الـدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سـعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد}[3].

وبالمقارنة بين غايـات أهل الحق في سـباقهم إلى العقـول بحقهم، وبين غايات أهل الباطل في سباقهم إلى العقول ببـاطلهم،

---

[1] البخاري: 33. ومسلم: 88.

[2] -البقرة: 12.

[3] -البقرة: 203،204.

يُعلم ما يثمـره كل من السـباقين في حيـاة النـاس أفـرادا وأسـرا وأمما ودولا.

فعندما يسـبق أهل الحق بحقهم إلى عقـول النـاس، تتحقق في الأرض غايـاتهم من سـعادة وأمن على الـدين والنسل والعـرض والعقل والنفس والمال، وهي الضرورات التي لا حياة على الحقيقة إلا بحفظها، وما يكملها من حاجيات وتكميليات.

وعندما يسبق أهل الباطل بباطلهم إلى عقول الناس تتحقق في الأرض غاياتهم، من شقاء وخـوف ونكد بضـياع تلك الضـرورات وما يكملهـا، كما هو حـال العـالم اليـوم الـذي تقـدم فيه أهل الباطل بباطلهم، وتأخر أهل الحق بحقهم.

وسائل أهل الباطل في السباق إلى العقول .

ولا بد لأهل الباطل من اتخـــاذ وســـائل للســـباق ببـــاطلهم إلى العقول، وهي كثيرة، نذكر أهمها إجمالا، ثم نأتي إلى تفصيلها:

الوسيلة الأولى: تزيين الباطل وزخرفته

الوسيلة الثانية: الثناء على أهل الباطل وقادته

الوسيلة الثالثة: حشد قادة الباطل من يؤيد باطلهم

الوسيلة الرابعة: تخويف الناس من أهل الحق

الوســـيلة الخامســـة: إغـــراء أهل الباطل مؤيـــديهم بالمناصب والأموال

الوسيلة السادسة: وضع قوانين لنصر الباطل ومحاربة الحق

الوسيلة السابعة: جعل التعليم منطلقا لتضليل العقول به

الوسيلة الثامنة: الإعلام.

الوسيلة التاسعة: إقامة محاكم ظالمة لحماية الباطل وأهله

الوسيلة العاشرة: جعل وسائل الحق منطلقات للباطل

الوسيلة الحادية عشرة: استغلال اختلافات أهل الحق.

تمهيد:

اقتضت ســـنة الله الكونية أن يتصـــارع أهل الحق وأهل الباطل في هــذه الحيــاة منذ وجد أبو البشــرية آدم عليه الســلام، وعــدوه إبليس لعنه الله، وأن يمتد هذا الصراع في الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ابتلاء منه تعالى لأهل الحق بأهل الباطل، ولأهل الباطل بأهل الحــق، لــيزداد الأولــون إيمانا بحقهم ويحملــوه عملا وســلوكا ودعــوة وجهــادا، فينــالوا نصر الله وتمكينه لهم في الــدنيا، ورضاه ودار كرامته في الآخرة، وليزداد الآخرون الذين تكـبروا على أمر الله ودعوة أنبيائه تمردا وعتوا، فينالوا الضنك و الشــقاء والنكد في الدنيا-وإن تمتعوا بنعم الله فيها كالحيوانـات السـائمة-والعـذاب الأليم السرمدي وسخط الله في الآخرة.

قـال تعـالى: {الـذي خلق المـوت والحيـاة ليبلـوكم أيكم أحسن عملا} [1]

قال تعالى: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون} [2]

وقال تعالى: {فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقــاب-إلى قوله تعالى:-ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضــكم ببعض} [3]

وقال تعالى: {ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصــابرين ونبلو أخباركم}[4]

وقــال تعــالى: {وليبلي المؤمــنين منه بلاء حســنا إن الله ســميع عليم} [5]

وقال تعالى: {هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا} [6]

وقال تعــالى: {وجعلنا بعضــكم لبعض فتنة أتصــبرون وكــان ربك بصيرا} [7]

وإن الحق ليحمل عناصر قوته وبقائه في ذاتـــــــه، وإن الباطل ليحمل عناصر ضعفه واضمحلاله في ذاته.

أليس الحق نورا... والباطل ظلمات؟ أليس الحق هدى والباطل ضــلالا..؟ أليس الحق عــدلا والباطل ظلمــا..؟ أليس الحق صــلاحا

---

[1]-الملك: 2.

[2]-الأنبياء: 35.

[3]-محمد: 4.

[4]-محمد: 31.

[5]-الأنفال: 17.

[6]-الأحزاب: 11.

[7]-الفرقان: 20.

والباطل فسادا؟ أليس الحق طهارة وتقى والباطل رجسا وفسـقا؟ أليس الحق إيمانا وتوحيـدا والباطل شـركا وكفـرا وجحـودا؟ أليس الحق رحمة والباطل غلظة وقسـوة ووحشـية؟ أليس الحق بـرا والباطل إثما وعدوانا؟

إنه لو تـرك النـاس على فطـرهم الـتي فطـرهم الله عليهـا، لا يُكرهـون على اعتقـاد الحق ولا على اعتقـاد الباطـل، وإنما يعـرض عليهم هذا وذاك، لاختـاروا الحق ونبـذوا الباطـل، فـالفطر السـليمة التي لم تجتلها الشياطين لا تفضل الظلمات على النور، ولا الضـلال على الهـدى، ولا العـدل على الظلم، ولا الفسـاد على الصـلاح، ولا الرجس والفسق على الطهـارة والتقـوى، ولا الشـرك والكفر على الإيمان والتوحيد، ولا القسوة والعنف على الرحمة واللين.

ولكن كل مولـود يولد على الفطـرة، كما ثبت عن النـبي صـلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة، رضي الله عنـه: [قَـالَ قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهم عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مَا مِنْ مَوْلُـودٍ إِلَّا يُولَـدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِـي اللَّهم عَنْهم (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْـدِيلَ لِخَلْـقِ اللَّهِ ذَلِـكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) [1] لهـذا كله اقتضت حكمة الله أن يكـون لكل مبـدأ من يحمله من البشر يعتقدونه ويعملون به، ويدعون إليه ويدافعون عنه وينصرونه، ولو كان ذلك المبـدأ هو الحق الـذي أنـزل به كتبه وبعث به رسـله وشـرعه منهجا لكل البشـر: {ذلك ولو يشـاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض}.[2]

ومن هنا وجد في الأرض معسكران: معسكر الحـق، وهم حـزب الله، ومعسكر الباطل، وهم حزب الشيطان، وقد سبق الكلام على حزب الله وغاياتهم في السباق بـالحق إلى العقـول ووسـائلهم إلى ذلك، وكذلك سبق الكلام على حزب الشيطان وغاياتهم في السباق بالباطـل، وبقي الكلام على وسـائل حـزب الشـيطان الـتي يتخذ ها لذلك السباق.

وإذا كانت غايـات أهل الباطل في سـباقهم إلى العقـول-تتلخص في الصد عن سبيل الله، والتمتع المطلق-الذي لا يقيده شرع الله-بمتع الحيـاة الـدنيا، وتكـذيب الرسل وما جـاءوا به من وحي اللـه، والْحَـوْل بين أهل الحق وإقامة الحجة على النـاس-لئلا يكـثر سـواد أهل الحق فتضـعف سـلطة أهل الباطـل-وإخـراج النـاس من نـور

1-البخاري: رقم: 1271، ومسلم: 4803.

2-محمد:4.

الإيمــان إلى ظلمــات الكفــر، والســعي في إحلال الشــرك محل التوحيد، وإنكار الإيمـان بأصـوله وفروعـه، لما يلـزم من غرسه في نفوس الناس من التسـليم المطلق لله تعـالى ولما جـاء به رسـوله صـلى الله عليه وسـلم، ونبذ الحكم بما أنـزل اللـه، والتحـاكم إلى الطاغوت، لما في الحكم بما أنـزل الله من القضـاء على فسـادهم وشــــرورهم، ولما في تحكيم الطــــاغوت من تحقيق مــــآربهم من الاعتداء على ضرورات النـاس الـتي لا حيـاة لهم مسـتقرة بـدونها، وهي الــدين والنسل والنفس والعقل والمـــال-إذا كـــانت تلك هي غايـات أهل الباطل في سـباقهم إلى العقـول ببـاطلهم، فـإنهم قد اتخـذوا لتحقيقها كل وسـيلة متاحة لهم دون تقيد بشـرع أو قـانون، والغاية عندهم تسوغ الوسيلة.

الوسيلة الأولى: تزيين الباطل وزخرفته.

وقد تكون هذه الوسيلة أقدم الوسائل الـتي اتخـذها أهل الباطل للسـبق إلى العقـول، بل هي أول وسـيلة أضل بها عـدو الله إبليس أبَـوَيْ البشــر: آدم وحــواء عليهما الســلام، كما قــال تعــالى عنــه: {فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشـجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور} [1].

فقد هـون-الشـيطان-أمـرَ الله في نفوسـهما، وجعل الالـتزام به مؤديا إلى حرمانهما من العلو والرفعة والتمتع الطويل بالحيــــــاة، وأكد لهما بالأيمـان بأنه ناصح لهما لا يريد لهما إلا الخـير، فكـان هو قــدوة أهل الباطل في تــزيين الباطل وزخرفته والتنفــير من الحق والتهوين من شأنه.

وقـــال تعـــالى حاكيا عـــزم إبليس على هـــذا الـــتزيين المـــاكر، واستمراره عليه وبذل جهـده في إغـواء كل من لم يتحصن بعبودية الله من بني البشـر: {قـال رب بما أغويتـني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}[2].

وقــال تعــالى: {تالله لقد أرســلنا إلى أمم من قبلك فــزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم}[3].

وبيّن سـبحانه وتعـالى أن أهل الباطل يقـارنون النـاس ويزينـون لهم الباطل، كما قال تعالى: {وقيّضنا لهم قرناء فزينــوا لهم ما بين

---

[1]-الأعراف: 20،22.

[2]-الحجر: 39،40.

[3]-النحل: 63.

أيـديهم وما خلفهم وحق عليهم القـول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين} [1]

وهكـذا اسـتمر أهل الباطل في كل زمـان يزينـون الباطل ويزخرفونه ويشوهون الحق وينفرون منه.

وهانحن في هذا الزمان نشاهد ونسمع ونقـرأ من تـزيين الباطل والـدعوة إليه وتشـويه الحق والتنفـير منـه، ما لم يشـاهد ويسـمع ويقـرأ مثله في الأزمـان الماضـية بسـبب الوسـائل الكثـيرة الـتي أتيحت في هذا العصر.

فـاليهود زينـوا كثـيرا من أفكـارهم الـتي يصـطادون بها عقـول النـاس، ومن ذلك الماسـونية الـتي أصـبح كثـير من أغنيـاء العـالم ومثقفيهم، بل وبعض حكامهم أعضاء بها، يدير بهم اليهود مصالحهم في كل البلدان.

والنصارى زينوا نصـرانيتهم-مع مخالفتها للفطـرة كـذلك، لجعلها الثلاثة واحـدا والعبد معبـودا من دون اللـه، وما فيها من الضـلالات التي لا تقبلها العقول السـليمة-فأضـلوا كثـيرا من البشر في الأرض وبخاصة الجهـال والأيتـام والمرضى والمحتـاجين الـذين يمـدونهم بالمال، ويشترطون عليهم الدخول في دينهم المحرف المزيف!

والوثـنيون الـذين يعبـدون ما لا يحصى من المخلوقـات، من شمس وقمر وكواكب وأشجار وأحجار وحيوانات ونار وغيرها، زينوا وثنيتهم فاتبعها ملايين البشر في الأرض.

والملحدون زينوا إلحـادهم مع مخالفته للفطـرة واتبعه كثـير من الناس حتى قـامت عليه دولة كـبرى عـاثت في الأرض فسـادا أكـثر من نصف قـرن، ثم تهـاوت وتمـزقت وأصـبحت دولها تتنـاحر فيما بينها، بل أصبح في كل دولة منها أحزاب يتناحرون فيما بينهم.[2]

والقوميون زينوا قومياتهم حتى وجدوا من الأتباع ما أسـقطوا به الـدين والخلـق، كما حصل في عهد اليهـودي أتـاتورك الـذي حـارب الإسـلام حربا شـعواء، بلغت إلى منع رفع شـعيرة الإسـلام (الآذان) باللغة العربية لغة الإسـلام، وقلـده في ذلك زعمـاء في البلـدان العربية وغيرها حطمـوا بالقوميـات المنتنة كل مقومـات الأمة الإسلامية.

والعلمـانيون الـذين قـرروا فصل الـدين عن الحيـاة زينـوا ذلك للناس حـتى أصـبحت غـالب دول العـالم علمانية تقصي الـدين عن

---

[1]-فصلت: 23.

[2]-ولا تزال الصين الشعبية تحاول إظهار التمسـك بالشـيوعية والإلحـاد، ولكنهـا في طريقهـا إلى الاقتداء بأختها: دولة الاتحاد السوفييتي، طال الوقت أم قصر.

الحيـاة، بما في ذلك حكـام الشـعوب الإسـلامية-إلا ما نـدر-وليتها أقصت الدين عن الحياة في أنظمتها فقط وتـركت للنـاس حـريتهم في تطبيق ما يقدرون عليه من الإسلام، لو فعلت لكان الأمر أخف، ولكنها حاربته وحاربت دعاته وعلماءه الصادقين.

والمرابون زينوا للناس التعامل بالربا، حتى أصـبح هو الأصل في كل أنحــاء الأرض، بــرغم ما حصل منه ومن ويلات وكــوارث على العالم وحوربت المشاريع الاقتصادية غير الربويـة، فلم تـأذن غـالب حكومات الشعوب الإسلامية بالبنوك والمصارف الإسلامية.

وعبــاد الشــهوات زينــوا للنــاس فعل الفــواحش والمنكــرات، بأساليب شتى وبثـوا وسـائل نشـرها حـتى أصـبح عـالم الأرض من البشر-إلا من شاء الله-لا يفكر إلا في إشباع غرائزه بالشـهوات من غير تفريق بين حلال وحرام...

وهكـذا لم يبق باطل في الأرض إلا زينه أهلــه، بكل وســيلة من الوســائل المتاحة لهم، ودعــوا إليــه، وأوجــدوا له أنصــارا يكــثرون سواده ضد الحق وأهله.

والخلاصة أنهم زينـوا للنـاس الشـرك بالله والخـروج عن طاعته وشرعه والتعلق بغيره، كما زينوا اتباع الهـوى والشـهوات، واتخـذوا لــذلك كافة الوســائل المتاحة للســباق إلى عقــول النــاس بالباطل الذي زينوه وزخرفوه، قلبا للحقائق وإضلالا للعقول وزخرفة للباطل وتنفيرا من الحق. ألا ترى كيف وصف فرعون شركه وظلمه وعلوه وتكبره واسـتعباده للنـاس، والوقـوف ضد رسـول الله موسى عليه الســلام وما جــاء به من الــوحي والــدعوة إلى التوحيد والعــدل والتواضع وغـير ذلك من طاعة اللـه، وصف كل ذلك بأنه ما رآه من مصــلحة قومه وهــدايتهم إلى الطريق الراشد القــويم؟! كما قــال تعالى عنـه-وهو يقف أمـام حجج الرجل المـؤمن موقف المهـزوم-: {قــــال فرعــــون ما أريكم إلا ما أرى وما أهــــديكم إلا ســــبيل الرشاد}[1].وتزيين الباطل شبيه بالسـحر في قلب الحقـائق، كما في حـديث بُرَيْـدَةَ قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهم عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" فَقَالَ صَعْصَـعَةُ بْنُ صُـوحَانَ-وهو أحد رواة الحديث_: صَدَقَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَمَّا قَوْلُهُ إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا فَالرَّجُلُ يَكُونُ عَلَيْـهِ الْحَـقُّ وَهُـوَ أَلْحَنُ بِـالْحُجَجِ مِنْ صَاحِبِ الْحَقِّ فَيَسْحَرُ الْقَوْمَ بِبَيَانِهِ فَيَذْهَبُ بِالْحَقِّ.[2]

---

[1] -غافر: 29.

[2] -أبو داود رقم: 4359

الوسيلة الثانية: الثناء على أهل الباطل وقادته.

إن المبادئ لا تنتشر ولا تثبت ولا يكون لها أتباع وجماهير، إلا إذا حملها قادة يطبقونها في حياتهم ويخلصون لها ويتحمسون للدعوة إليها، ويتخذون كل الوسائل المتاحة لنشرها وتثبيتها، وكل صاحب مبدأ يريد نشره والدعوة إليه وتزيينه والثناء عليه، لا بد أن يَبْرُز هو للناس قائدا داعيا الناس إلى مبدئه، ولا بد أن ينال من الثناء عليه وعلى سيرته ما يجعل الناس يلتفون حوله ويتبعونه ويؤمنون بمبدئه.

وإذا كان صاحب الحق يكفيه ثناءً عليه الحقُّ الذي يحمله ويدعو إليه عند ذوي العقول السليمة والفطر المستقيمة، فإن صاحب الباطل يحتاج من الثناء الكاذب والإطراء المبالغ فيه من أجل تضليل عقول الناس واستخفافهم ليتبعوه ويقدسوه هو ويطيعوه، ما يستغرق الزمان الذي يعيش فيه ويطبق آفاق المكان الذي يريد أن يكون له فيه نفوذ.

لذلك ترى قادة الباطل ينفقون أموالا طائلة، ويعدون أدوات يصعب حصرها وجيوشا من البشر متخصصين في كل مجال، من أجل الثناء عليهم وإطرائهم، حتى تظهر مفاسدهم مصالح، وسوآتهم مفاخر.

فيوصف الجبان الرعديد بأنه الشجاع الصنديد، والبخيل الشحيح بأنه الكريم السميح، والظالم الغشوم بأنه العدل الرحيم، والغبي البليد بأنه الذكي الوحيد، والعاصي الفاسق بأنه ذو التقوى السابق.

ولما كان قادة الباطل بيدهم مقاليد الأمور، فإنهم يستغلون في الثناء عليهم مرافق دولهم كلها: التعليم والإعلام والمؤتمرات والندوات وكل المناسبات، فلا تسمع الأذن كلاما خاليا من مدحهم، ولا تقرأ العين مكتوبا مجردا من إطرائهم. ما يفعله غيرهم من المحا مد ينسب إليهم، وما يفعلونه هم من المساوي ينسب إلى سواهم، يكاد عبيدهم يقولون فيهم: (ليس كمثلهم شئ وهم...!)

بل إنهم يمدحون أنفسهم بأنفسهم، لينطلق خدمهم في الثناء عليهم وقد لا يبلغ ثناء غيرهم عليهم مهما بالغوا في الثناء ما أثنوا به على أنفسهم.

وقد كان فرعون نموذجا لزعماء الباطل في هذا الباب وغيره من أبواب الشر والفساد، فقد أثنى على نفسه-بعد أن جمع قومه- بأنه ربهم الأعلى، مسوغا بذلك عصيانه لله ولرسوله موسى عليه السلام عندما دعاه إلى الهدى، كما قال تعالى عنه: {هل أتاك حديث موسى، إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى، اذهب إلى

فرعــون إنه طغى، فقل هل لك إلى أن تــزكى، وأهــديك إلى ربك فتخشى، فأراه الآية الكبرى، فكذب وعصى، ثم أدبر يسعى، فحشر فنادى، فقال أنا ربكم الأعلى}[1].

وقال تعالى عنه: {وقـال فرعـون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غـيري، فأوقد لي يا هامـان على الطين فاجعل لي صـرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين، فاستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق}[2].

إن أهل الباطل مفســدون، وفســادهم ظــاهر غــير خفي في الغالب، ولكنهم يقلبـون الحقـائق فيحصـرون الصـلاح في أنفسـهم، كما قال تعالى عن المنافقين: {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون} [3].

وهكذا يثني زعمـاء الباطل على أنفسـهم بحيـازة الملك والمـال والغنى، معَرِّضـين بفقر أهل الحق وضـعفهم، مسـوغين بـذلك أنهم أحق بالاتباع والطاعة في بـاطلهم من أهل الحـق، كما قـال تعـالى عن فرعون أيضا: {ونادى فرعون في قومه قـال يا قـوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجـري من تحـتي أفلا تبصـرون، أم أنا خـير من هذا الذي هو مهين ولا يكـاد يـبين، فلـولا ألقي عليه أسـورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين، فاسـتخف قومه فأطـاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين}[4].

إن زعمـاء الباطل عنـدما يبـالغون في الثنـاء على أنفسـهم-وذم أهل الحق كما سـيأتي-إنما يريـدون بـذلك صـرف عامة النـاس عن سـماع الحق والإصـغاء إلى أهله والتفكـير فيـه، لأنهم يعلمــون أن الحق إذا تــرك له الســبيل ليصل إلى عقــول النــاس، فإنه يــدمغ الباطل ويزهقـــه، ويجعل أهله حثـــالات لا قيمة لهم، ويظهر دعـــاة الحق وحامليه أئمة هــداة وأبطــالا، يقــودون النــاس إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

ولهــذا تجد أهل الباطل يحــاولون إبــراز أنفســهم مهما تنــوع بــاطلهم-أنهم منقــذو الشــعوب وحماتهــا، ومفكروها ونجــوم فنها وأســاطين آدابهــا، وقــادة جيوشــها وأعلام اقتصــادها، وهم ساسة فاشلون حطموا الشعوب بسياستهم الخرقاء وأذلوها لأعدائها الذين ينهبـون خيراتها ويتخـذونها أسـواقا مربحة لتجـارا تهم وصـناعاتهم،

---

[1]-النازعات: 15،24.

[2]-القصص: 38.

[3]-البقرة:11.

[4]-الزخرف: 51،54.

ويجد أهل الباطل جماهير في شعوبهم يستخفونها فتخف لتأييدهم والتسبيح بحمدهم وتنفيذ أو أمرهم التي تصدر لتثبيت الباطل وتأييده ونشره، ومحاربة الحق ومحاصرته وطرده، وهذه الجماهير قسمان:

قسم مضلَّل العقول، يظن الباطل حقا والحق باطلا بسبب الزخم الداعم لهذا الباطل بالوسائل المتنوعة، وعدم وجود وسائل داعمة لتوصيل الحق إلى عقولهم، ولو أتيح للحق وسائل توصله إلى عقول هذا القسم لأصبح كثير منهم من أهل الحق ومناصريه ضد الباطل وأهله.

وقسم يعرف الحق والباطل، ويعلم أنه قد سلك طريق الباطل ومناصرته ضد الحق وأهله، لضعف همته واتباع هواه وإشباع شهواته المادية والمعنوية التي يمنحه إياها زعماء الباطل، من مال وجاه وسلطان.

أما الذين يفرقون بين الحق والباطل ويقفون بجانب الحق ضد الباطل فهم فئة قليلة من البشر في كل الشعوب، وهذه الفئة هي التي يخافها زعماء الباطل، لاطلاعها على أسرار الباطل، ومقدرتها على تبصير الناس بالحق ودحض الباطل وفضح أهله، بدلا من الثناء عليهم وعلى باطلهم، ولهذا تجد زعماء الباطل يحاربون هذه الفئة حربا شعواء، إلا إذا وجد بعض أفرادها وسيلة يتقوون بها على تلك الحرب، كأن يكونوا من أسر زعماء الباطل يكتمون إيمانهم بالحق، كحال مؤمن آل فرعون في دفاعه عن موسى عليه السلام، كما فصل دفاعه سورة غافر في مناظرة طويلة مع فرعون وقومه[1].

الوسيلة الثالثة: حشد قادة الباطل من يؤيد باطلهم.

وهم يحاولون أن يكثروا سواد مؤيديهم، من كل فئات الشعوب، ممن جهلوا الحق وخدعوا بالباطل أو استمرءوه.

إن أهل الباطل وقادته لا يقوى شأنهم ولا يستقر قرارهم ولا يبقى باطلهم، إلا إذا أيدتهم قوة تفوق قوة أهل الحق أضعافا مضاعفة، بحيث تكاد قوة أهل الحق المادية تنعدم بجانب قوة أهل الباطل، وإنما يستمد أهل الباطل قوتهم من الجماهير المؤيدة لهم، لذلك تراهم يجتهدون في حشد الجماهير التي تؤيدهم في الحق وفي الباطل.

---

[1]-الآيات: من 28،45 من السورة المذكورة.

أصـناف الفئـات الـتي يحشـدها أهل الباطل لتأييد باطلهم.

أولا: فئة الأغنياء المترفين.

و المـترفون من الأغنيـاء هم من أكـثر الفئـات اسـتجابة للباطل وتأييــده، وأكــثر نفــورا من الحق ومناصــرته، والســبب في ذلك شـعورهم بـأن الحق يقيد الشـهوات الجامحة والـنزوات الطائشـة، ويضع للنـاس منهجا يطهر القلـوب ويهـذب النفـوس، ويـدعو إلى التسامي عن عفن المعاصي وأدران الفـواحش، ويوجه ذوي المـال واليسار إلى الإنفاق في الطاعات وعـدم الإسـراف في المباحـات، كما يـأمر بالتواضع ومصـاحبة الفقـراء والمسـاكين وعـدم التكـبر عليهم واحتقـــارهم، والمـــترفون قد ألفـــوا الانغمـــاس في دنس المعاصـي، والفـرار من الطاعـات، قست قلـوبهم حـتى لم يعـودوا يفكرون إلا في المزيد من أسباب قسـوتها، وأعمـاهم الـترف حـتى أصـــبحوا يعبدونه من دون الله ســـيماهم التكـــبر على الحق وأهله وتقوية الباطل وأهله.

والغـــالب أن الـــترف يلازمه الظلم، والظـــالم يـــدأب في نصر الباطل وأهله ومحاربة الحق وأهله، قـال تعـالى: {وكم قصـمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين، فلما أحسوا بأسـنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومسـاكنكم لعلكم تسألون} [1].

وقـال تعـالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسـقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا} [2].

وقال تعالى: {واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين} [3].

وقال تعالى: {وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قـال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون}[4]

قال سيد قطب رحمه الله في ظلال آية سورة الإسراء:

[والمـــترفون في كل أمة هم طبقة الكـــبراء النـــاعمين الـــذين يجدون المـال والخـدم، ويجـدون الراحـة، فينعمـون بالراحة والدعة وبالســـيادة، حـــتى تترهل نفوســـهم وتأسن وترتع في الفسق

[1]-الأنبياء: 11، 12.
[2]-الإسراء: 16.
[3]-هود: 116.
[4]-سبأ: 34.

والمجانــة، وتســتهتر بــالقيم والمقدســات والكرامــات، وتلغ في الأعــراض والحرمـات، وهم إذا لم يجـدوا من يضـرب على أيـديهم عاثوا في الأرض فسادا ونشـروا الفاحشة في الأمة وأشـاعوها، وأر خصـوا القيم العليا الـتي لا تعيش الشـعوب إلا بهـا. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي وتفقد جيوشها وعناصر قوتها وأسباب بقائها فتهلك وتطوى صفحتها][1].

ومن هنا كـان من أعـداء الأنبيـاء والرسل الـذين جـاءوا بـالحق، الأغنياء المترفون، كما قال تعالى عن قارون: {إن قارون كــان من قوم موسى فبغى عليهم}[2].

وقال تعالى عن كفار قريش: {إن الذين كفروا ينفقون أمــوالهم ليصــدوا عن ســبيل اللــه، فســينفقونها ثم تكــون عليهم حســرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون}[3].

ولهذا اشتكى نبي الله موسى إلى ربه من الغنى والترف اللذين آتاهما الله فرعون وملأه فرصدوهما لمحاربة الحق، وطلب من ربه أن يســلبهم هــذه النعمة الــتي أطغتهم، كما قــال تعــالى: {وقــال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينــةً وأمــوالا في الحيـاة الـدنيا ربنا ليضــلوا عن ســبيلك ربنا اطمس على أمــوالهم واشــدد على قلــوبهم فلا يؤمنــوا حــتى يــروا العــذاب الأليم، قــال قد أجيبت دعوتكما} [4].

هــذه إحــدى الفئــات الــتي يحشــدها أهل الباطل للســباق إلى العقول بالباطل وصدها عن الحـق، ولهـذا تجد المنظمـات المحاربة للحق المؤيــدة للباطل تحــرص على هــذه الفئة من النــاس لتنضم إليهــــا، لأنها تعينها على تحقيق أهــــدافها كما هو شــــأن المنظمة الماسونية التي هي إحدى منظمات اليهود في العالم.

ثانيا:فئة علماء السوء.

وهذه الفئة أشد خطرا على الحق وأهله وأعظم الفئات مناصرة للباطل وأهله، لأنها تغزو العقول باسم الدين وبصـفة علمـاء الأمـة، وتنسب الباطل الذي تحاول السبق به إلى العقــول إلى اللــه، همها حطام الـدنيا وشـراؤه بالـدين، والتقـرب بتأييـدهم للباطل إلى أهله

---

[1]-في ظلال القرآن: (15/2217).

[2]-القصص: 76.

[3]-الأنفال: 36.

[4]-يونس: 88،89.

من الطغاة الظالمين.
إن هــذه الفئة تكتم الحق وتلبسه بالباطــل، وتصــدر الفتــاوى الظالمة والأحكام الآثمة، كل ذلك بصـفتهم علمـاء الأمة وفقهاءهـا، يوقعون في فتاواهم وأحكامهم عن الله ورسوله، فتسفك بفتـاواهم الدماء وتستحل الحرمات وتصـادر الأمـوال، ويخـرج بها النـاس من ديــارهم ويفــرق بينهم وبين أولادهم وأزواجهم، تفتح لهم الأبــواب الــتي يلجـون منها بأفكـارهم إلى العقـول، وتهيأ لهم الوسـائل في الإعلام والتعليم، والمنـابر وقاعـات المحاضـرات، وأمـاكن الحشـود والتجمعات، حـتى ينشـروا الباطل باسم الحـق، وتسد تلك الأبـواب وتمنع كل تلك الوســائل، من أن يتخــذها علمــاء الحق ومفكــروه وسيلة لنشر الحق والرد على الباطل، ولذلك تضـلل عقـول النـاس فيصبح الحق عندهم باطلا والباطل حقا.
ولقد كان علماء السوء من أهل الكتاب هم قدوة علمـاء السـوء من هذه الأمة، قال تعالى عن أولئك: {فويل للذين يكتبـون الكتـاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون}[1].
وقــال تعــالى: {الــذين آتينــاهم الكتــاب يعرفونه كما يعرفــون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون}[2].
وقـــال تعـــالى: {وإن منهم لفريقا يلـــوون ألســـنتهم بالكتـــاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولــون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}[3].
وقال تعالى: {يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون}[4].
الله يــبين الحق للنــاس ويــأمر ببيانــه، وهم يلبســونه بالباطل ويكتمونه، كما قال تعالى: {إن الذين يكتمـون ما أنزلنا من البينـات والهــدى من بعد ما بيّنــاه للنــاس في الكتــاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتـوب عليهم وأنا التواب الرحيم}[5].
وقــال تعــالى: {إن الــذين يكتمــون ما أنــزل الله من الكتــاب ويشــترون به ثمنا قليلا أولئك ما يــأكلون في بطــونهم إلا النــار ولا

1-البقرة: 79.
2-البقرة: 146
3-آل عمران: 78.
4-آل عمران: 71.
5-البقرة: 159،160.

يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم}.[6]
فكل من لبس الحق بالباطل وكتم الحق وهو يعلمـــــه، فهو من علماء السـوء الـذين اقتـدوا بعلمـاء بـني إسـرائيل، يسـتحقون هـذا الوعيد الشـــديد الـــذي ســـجله الله في آخر كتـــاب أنزله على آخر رسول وهو القرآن الكريم.
ولقد نجح أعـداء الإسـلام ومحـاربو الحـق، في حشد كثـير من علمـــاء الســـوء الـــذين ينفـــرون النـــاس من دعـــاة الحق وأهلـــه، ويصـــفونهم بما ليس فيهم من القبـــائح، ويطعنـــون في عقائـــدهم ومقاصـدهم زورا وبهتانـا، وقد يكـون عند أهل الحق بعض الأخطـاء التي وقعوا فيها عن اجتهاد وحسن نية، يؤجرون فيها على اجتهادهم عند اللـــه، ولكن علمـــاء الســـوء يضـــخمونها ويحكمـــون على أهلها أحكاما جائرة سيكافئهم الله عليها بما يستحقون.

ثالثا: فئة الأدباء والشعراء والكتاب.

وهم الـذين أوتـوا من البلاغة والفصـاحة والقـدرة على صـياغة الأفكـــار والمعـــاني بأســـاليب جذابة شـــعرا أو نـــثرا، يقلبـــون بتلك الأسـاليب الحقـائق، ويصـورون الحق في صـورة الباطـل، والباطل في صورة الحق، ليضللوا بـذلك العقـول، ويسـابقوا أهل الحق إليها بباطلهم.
وهـذه الفئة هي من أهم الفئـات الـتي يتخذ كثـيرا منهم زعمـاءُ الباطل وقادته وسـيلة للسـباق إلى العقـول ببـاطلهم، وهم الـذين يقـودون الإعلام والتعليم والنـوادي الأدبية والثقافيـة، وينـالون من التأييد والتمكين والاحترام ما يجعلهم قادة الشعوب وموجهيهـا، من أجل أن يفسـدوا عقـول أبنائها بالباطـل، ويحولـوا بينها وبين الحق الذي يحاربون أهله ويصدونهم عن السبق به إلى تلك العقول.
وقد يكـون كثـير ممن يسـمون بالأدبـاء والكتـاب والشـعراء لا يسـتحقون تلك التسـمية، لهبـوط مسـتواهم في كل تلك المجـالات وضـعفهم فيهـا، ولكن قـادة الباطل يرفعـون شـأنهم ويـبرزونهم ويطلقون عليهم من الألقاب والصـفات ما لا يسـتحقونه، فيسـمون بالرواد والكتاب وقادة الأدب والفكر وغير ذلك، حـتى يخـدعوا عامة النـاس بهم ليقبلـوا إلى ما يكتبـون وما ينشـرون من شـعر ونـثر ومحاضـرات وغيرهـا، لما فيها من تـزيين الباطل وتـزو يقـه، وذم الحق وتقبيحه.
وإن الذي يتتبع وسائل الإعلام في الشـعوب الإسـلامية، وما يبثه

[6]-البقرة: 174.

فيها أمثال هؤلاء من تأييد الباطل ومحاربة الحق، وما ينشر لهم من الكتب والبحوث والمقالات، وما يحدثونه من آثار سيئة في عقول الناشئة وعامة الناس، ليصاب باليأس وخيبة الأمل في إصلاح الأمة التي أريد لها أن تنقاد إلى الباطل وتنأى عن الحق، لولا الأمل الكبير في لطف الله بهذه الأمة ووجود بقية من دعاة الحق صامدة صابرة، تتخذ ما تستطيعه من وسائل السباق الشرعية إلى عقول الناس، والله تعالى يبارك في جهودها فتؤتي ثمارا أعظم مما تؤتيه وسائل أعداء الحق وأنصار الباطل إذا قورن بين هذه وتلك.

ولعل أفراد هذه الفئة وجمعياتها ومؤسساتها كلها، يشملها قول الله تعالى: {والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون}[1]. بجامع أنهم يقلبون الحقائق، ويمدحون المذموم، ويذمون الممدوح ويكونون أداة لقادة الباطل والطغيان لإفساد العقول.

رابعا: فئة الجيوش والشُّرَط.

وهم الذين يشملهم كلهم لفظ "الجنود".

وهم الفئة التي تتولى نصر الباطل وأهله وإكراه الناس على قبوله والصد عن بيانه للناس، بقوة السلاح والسلطة، فهم الذين يزجون بأهل الحق في السجون والمعتقلات، وهم الذين يسومونهم سوء العذاب، وهم الذين يستحلون الحرمات ويصادرون الأموال، وهم الذين يكممون الأفواه ويستعبدون الناس لقادة الباطل، وهم الذين يخدون الأخاديد ويحرقون الناس بالنار إذا ما أصروا على التمسك بالحق، وهم الذين يخرجون أهل الحق من ديارهم لأنهم يقولون: ربنا الله، ذلك أن أهل الحق أقدر على أسر القلوب والعقول، لما عندهم من الحجج والبراهين التي لا يجد لها أهل الباطل ما يقاومها، إلا الحديد والنار والتنكيل عن طريق جنودهم المناصرين لباطلهم.

فإبراهيم الذي قال الله تعالى فيه: {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم}[2]. لم يجد طغاة الباطل الذين أقام عليهم الحجة بالحق ما يقف أمام حجته وينصر آلهتهم إلا النار: {قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين}[3]. {فما كان جواب قومه إلا أن قالوا

1-الشعراء: 224-226.

2-الأنعام: 83.

3-الأنبياء: 68.

اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار}[1].

وهكذا أصحاب الأخدود، كما وردت قصتهم في سورة البروج، كما قال تعالى: {قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون على المؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} [2].

ولو لم يجد فرعون جنودا ينصرون باطله ويحارب بهم الحق، لما وصل إلى ذلك العلو والتكبر والجبروت، ولهذا قرنه الله بجنوده في الاستكبار والعقاب كما قال تعالى: {واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون... فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين} [3].

والذي يتأمل ما يحدث اليوم في العالم، من قيام جنود طغاة الباطل بمناصرته بالقوة ومحاربة الحق وأهله بالقوة، يظهر له خطر هذه الفئة على الحق وأهله[4]، ولو تخلت هذه الفئة عن مناصرة الباطل وتركت دعاته ودعاة الحق يتسابقون إلى العقول، كل يدلي بما يؤيد دعوته بالطرق السلمية، لما وجد أهل الباطل لأنفسهم مكانا يقودون فيه الأمة إلى مهاوي الهلاك، ولهذا ينال جنود الباطل وطغاته عقابهم من الحق جل جلاله، كما قال تعالى: {فأخذناه وجنوده} [5].

خامسا: فئة الجواسيس.

تمهيد: التجسس قسمان:

القسم الأول:تجسس مشروع.

وهو أن يقصد منه ولي أمر المسلمين معرفة بعض الصالحين من أفراد رعيته، ليسند إليهم وظيفة من الوظائف التي تتحقق بها مصالح الرعية، أو يقصد منه معرفة أهل الرِّيَب والإجرام ليتجنب توليتهم على مصالح الرعية أو يحمي الرعية من إجرامهم، أو يقصد منه جمع المعلومات عن العدو الحربي، لحماية الدولة الإسلامية من العدوان، وإعداد العدة الكافية لهزيمته....

1-العنكبوت: 24.

2-البروج: 4،8. راجع قصتهم في تفسير ابن كثير.

3-القصص: 39، 40.

4-وفي حملة الجيش التركي على الدعوة الإسلامية ومدارسها هذه الأيام، مثال لهذا الخطر.

5-القصص: 39.

القسم الثاني: غير مشروع.

وهو أن يُقْصَد من التجسس تتبع عورات الناس والبحث عن عيوبهم وفضحها، لأن تتبع عورات الناس للكشف عن أسرارهم بدون وجه شرعي محرم، بدليل نهي الله تعالى عنه في كتابه، ونهي رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته كما سيأتي، ولأن الأصل حسن الظن بالناس، بل وستر معاصيهم ما لم يجاهروا بها أو يصروا عليها.

ويستثنى من ذلك ما إذا ظهرت أمارة أو خبر ثقة على وجود اعتداء على حرمة يفوت تداركها، لو لم يُعَجَّل ببعث عيون لاكتشافها قبل وقوعها وردع المعتدي عن عدوانه، كالقتل وارتكاب فاحشة الزنا، و كذا إذا وقعت جريمة اعتداء ولم يعرف مرتكبها، فإن الواجب على ولي الأمر البحث عن مرتكبها ببعث العيون للقبض على المجرم وعقابه.[1]

ومن هنا نعلم أن الجواسيس الذين يرتكبون التجسس غير المشروع، قد انحطت نفوسهم عن معالي الأمور إلى دركات الخسة، وبخاصة من آثروا الكون في صف قادة الباطل، لنصرتهم ونصرة باطلهم، ومحاربة الحق وأهله بأحط الأعمال وأخسها، وهي تتبع عورات الناس بغير حق، وبخاصة دعاة الحق الذين يتجسسون عليهم في منازلهم وأماكن أعمالهم وإحصاء حركاتهم في حلهم وترحالهم، والتنصت عليهم بما يزود هم به أهل الباطل من الوسائل، وكثيرا ما يتقمص أولئك الجواسيس ثياب التقوى والصلاح، ليوهموا أهل الحق أنهم منهم ومن أخلص الناس للحق، ليخدعوهم بذلك ويعلموا غاياتهم ووسائلهم التي يسابقون بها إلى عقول الناس بالحق، وينقلوا ذلك إلى قادة الباطل ومحاربي الحق، ليضعوا التدابير اللازمة لمحاربة الحق الذي ينوي دعاته إبلاغه إلى عقول الناس، بل قد يزيد الجواسيس مِن عندِهم ما يوغرون به صدور قادة الباطل على أهل الحق من أجل محاربة الحق وأهله.

كما أن بعض الجواسيس يندسون في صفوف دعاة الحق ويتخذون كل الوسائل للتحريش بينهم، حتى يصدعوا صفوفهم ويفرقوا كلمتهم، وهذه الفئة تتكون من غالب طبقات الأمة، فقد يكون منهم الرجل والمرأة والطالب والمعلم والمدني والعسكري والمثقف والجاهل، كل منهم يوضع في المكان المناسب له.

---

[1] -راجع كتاب التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية. لمحمد راكان الدُّغْمي الفصل الأول من الباب الثاني منه. نشر دار السلام للطباعة والنشر.

ويكمن خطـرهم في أن السـباق بهم إلى العقـول بالباطل غـير منظور، لأنهم بمنزلة السراق الذين يتخفـون عن أعين النـاس لأخذ أموالهم من حرزها.

سيئات الجواسيس وخطرهم.

والجواسيس يجمعون بين سيئات متعددة:

منها ســوء الظن الآثم، ومنها التجسس على النـــاس، ومنها اغتيــابهم، بل وبهتهم، ومنها النميمة عليهم، ومنها التحــريش بينهم وإلقـاء العـداوة في صـدورهم، وكل واحـدة من هـذه كافية لنصـرة الباطل ومحاربة الحق.

وخطر الجواســيس على الحق أعظم مما يتصــوره كثــير من الناس، فهم-مع ما سبق-يخططون لإسـقاط دول، واغتيـال زعمـاء، ونشر فساد في الأرض.

ومن أقرب الأمثلة على ذلك اغتيال الجـنرال ضـياء الحق[1] الـذي شعر أعداء الحق أنه كان متجها إلى تطبيق الشريعة الإسـلامية في شعبه الـذي أسس على أن يُحكَم بالإسـلام، وإعـداد العـدة الحربية لردع أعداء المسلمين.

وما من داعية يشعر أعداء الحق أنه سـيحقق بدعوته نشر الحق وإبلاغه إلى عقـــول النـــاس، إلا أســـرعوا باغتياله عن طريق جواسيسـهم، كما حصل للأسـتاذ الداعية حسن البنا رحمه اللـه، أو قتله بمحاكمة ظالمة، كما حصل للداعية المجاهد سيد قطب رحمه اللـه، وكـذلك الداعية المجاهد الشـيخ أحمـدو بلو النيجـيري رحمه الله...

وما من حكومة يظهر لأعـــداء الإســـلام عزمها على نشر الحق وتطبيقه في شـعبها إلا نصـبوا لها العـداء وحاربوها في عقر دارهـا، ومن أخطر وسائلهم لمحاربتها الجواسيس الذين أعدوهم لذلك[2].

وما من جماعة اقـــتربت من تســـلم الحكم في بلادها بطريق مشـروع عند أعـداء الإسلام وهي تريد تطـبيق الإسـلام، إلا تكـالبوا عليها وحاربوها وداسوا على مبادئهم الـتي يـدعون إلى تطبيقها في العـالم، ما دامت تلك المبـادئ سـتكون وسـيلة لنشر الحق وإبلاغه إلى عقول الناس، وما قصة الانتخابات الجزائرية التي كـادت توصل جبهة الإنقاذ إلى الحكم إلا أحد الأدلة على ذلك.

1-وغيره.

2-ولجواسيس اليهود والنصارى دور كبير في إسقاط آخـر رمـز للخلافـة وهي الخلافـة العثمانيـة كما هو معلوم ويمكن مراجعة مذكرات السلطان عبد الحميد.

فقد أجمعت على محاربتها دول الغـــرب وجواسيسه وأذنابـــه، وفتح جنــود الباطل لأعضــاء الجبهة الســجون والمعتقلات ونصــبوا المشــانق وأنزلــوا الــدبابات وعــاثوا في الأرض فســادا، ملغين في ســبيل نصــرة الباطل ومحاربة الحق أهم مبــدأ يتغنــون به ويــدعون إليه وهو ما يسمى بالديمقراطية، وللجواســيس في ذلك دور عظيم كما هو معلوم.

ولخطر الجاسوسية ومساويها التي تقوم عليها، وهي-كما مضى- سوء الظن، والغيبة، والنميمــة، وتتبع العــورات، والتحــريش، وإيجـاد الفرقة والأحقــاد بين النــاس، جــاء الإســلام بــالنهي عنها وعن تلك المساوي كلها.

فقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}[1]

وقــال تعــالى: {يا أيها الــذين آمنــوا اجتنبــوا كثــيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسســوا ولا يغتب بعضــكم بعضا أيحب أحــدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقــوا الله إن الله تــواب رحيم}.[2]

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: [إيــاكم والظن فــإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا.] [3]

وقـــال: [إنك إن تتبعت عـــورات النـــاس أفســـدتهم أو كـــدت تفسدهم]. [4]

وقد شــرع الله تعــالى الاســتئذان على أهل المنــازل، صــيانة لأسرارهم وحماية لعــوراتهم، ولهــذا قــال الرســول صــلى الله عليه وســلم لمن اطلع من بعض حجــره: [لو أعلم أنك تنظر لطعنت به [5] في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر.] [6]

وقال صلى الله عليه وسلم: [لا يدخل الجنة نمّام.] [7].

والخلاصة أن قادة الباطل يحشدون كل الطاقات ويحشرون كل فئات الشعوب التي تستجيب لهم، ليسبقوا ببــاطلهم وصــولَ الحــقَّ إلى عقــول النــاس، أو يصــدوا عقــول النــاس عن ســماع الحق

---

[1]-الحجرات: 6.

[2]-الحجرات: 12.

[3]-متفق عليه.

[4]-صحيح رواه أبو داود، وهو من أحاديث رياض الصالحين (ص: 560).

[5]-وفي رواية: (بها) أي بالمدرى التي كانت بيده، وهي تذكر وتؤنث، والمراد نصل السهم.

[6]-البخاري. يشرح فتح الباري (11/24).

[7]-متفق عليه، واللفظ لمسلم، جامع الأصول (8/450).

والاستجابة له، فقد يدخل في تلك الفئـات الصـناع الـذين يصـنعون لهم الآلات والأدوات الـتي تسـتعمل لنشر الباطل أو لتعـذيب أهل الحق أو تشـويه الحـق، وكـذلك يسـتعملون الفئة الجاهلـة، وهي جماهير الشعوب المتخلفة، لتأييد الباطل ومحاربة الحـق، بـالتجمهر والهتافـات والمظـاهرات الصـاخبة، الـتي يطلقـون فيها ألسـنتهم بالسب والشتم لدعاة الحق ووصفهم بأقبح الصـفات، للتنفـير منهم ومن الحق الـذي يـدعون إليـه، كل ذلك من بـاب التقليد والخفة والاستجابة الطائشة للدعوات المضللة، ألا ترى الجماهير الفرعونية كيف اسـتجابت للتجمهر الـذي لا تـدري لمن تكـون الغلبة فيـه، كما قال تعالى: {فجمع السحرة لميقات يوم معلـوم، وقيل للنـاس هل أنتم مجتمعون، لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين}[1].

وهم الذين قال الله تعالى عنهم: {فاستخف قومه فأطاعوه} [2].

الوسيلة الرابعة: تخويف الناس من الحق وأهله.

أهل الحق معروفون أنهم أرحم الناس بالنـاس، لأن الحق الـذي يحملونه ويدعون الناس إليه ويريـدون تطبيقه في الأرض، إنما جـاء من عند الله والله هو أرحم الـراحمين ودينه كله رحمـة-وإن بـدا أحيانا في بعض أحكامه شـيء من المشـقة-فإنها في حقيقتها وغايتها وثمارها رحمـة، ولكن طغـاة الباطل يصـورون أهل الحق بـأنهم مصـدر قلق وشـقاء، وأن لهم من وراء دعـوتهم مـآرب تضر الأمة وتحرمها من أمنها واستقرارها في أرضها، ومن الخيرات التي تنالها قبل انتصـار أهل الحـق، وأنهم سيقضـون على مرافق الأمة ومقوماتها.

فقد حـذر فرعـون ملأه من موسى وما جـاء بـه، كما قـال الله تعالى عنه: {قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخـرجكم من أرضكم فماذا تأمرون}[3].

وقال تعالى: {قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجـاكم من أرضـكم بسـحرهما ويـذهبا بطـريقتكم المثلى، فـأجمعوا كيـدكم ثم ائتوا صفا، وقد أفلح اليوم من استعلى} [4].

وقال تعالى: {قال الملأ من قـوم فرعـون إن هـذا لسـاحر عليم

---

[1]-الشعراء: 38،40.

[2]-الزخرف: 54.

[3]-الشعراء: 34،35.

[4]-طه: 63،64.

يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون} [1].

وهكذا تجد أعداء الحق الذين يقودون الناس بالباطل، يحذرون الناس من قيادة أهل الحق، ويخوفونهم بأنهم سيعاملونهم بقسوة، ويغصبونهم حقوقهم، ويخرجونهم من ديارهم، ويفقدونهم مناصبهم، ويزيدون في هذا العصر أنهم سيقضون على حرية المرأة ويحرمونها حقوقها، وسيصبح كثير من الناس مقطعي الأيدي والأرجل، وستلهب ظهورهم بالسياط، وستقطع رقابهم بالسيوف بسبب إقامة الحدود، كما أن الاقتصاد-وهو هنا الاقتصاد الربوي-سينهار، وسيحرم الناس من تناول ما يرغبون فيه من الملذات والشهوات، كشرب المسكرات وممارسة البغاء المرخص به قانونا، حتى في بعض الشعوب الإسلامية التي يتولى شؤونها من يحاربون حكم الله ويطبقون حكم الطاغوت.

بل بلغ الأمر بقادة الباطل من المنتسبين إلى الإسلام أن يحذروا قادة الباطل من غير المسلمين، من انتصار دعاة الحق من المسلمين، بأنهم مثل السرطان سيقضون على الحضارة الغربية، حتى يتم التعاون بينهم جميعا-أي بين قادة الباطل من أبناء المسلمين وقادة الباطل من غير المسلمين-على القضاء على دعاة الحق ومحاربته من الداخل ومن الخارج.

هذا مع علم أعداء الحق وطغاة الباطل أن كل ما يخوفون به الناس من انتصار الحق ودعاته، ما هو إلا افتراء قصدوا به الحفاظ على بقائهم قادة للناس بباطلهم الذي ذاق الناس في ظله كل ألوان الشقاء والتعاسة والذلة، ويعلمون أن قادة الحق ودعاته لو تولوا شؤون الناس، لانكشف لهم ما لدى دعاة الحق من الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وتبين لهم زيف دعاية قادة الطغيان الذين خدعوهم بباطلهم وبالتنفير من الحق الذي حرموا الناس من العيش السعيد في ظله.

ومن أوضح الأمثلة في هذا العقد من القرن الخامس عشر الهجري، والقرن العشرين الميلادي [2] أن أعداء الإسلام في الغرب قد جعلوا من أسس حضارتهم، تطبيق ما يسمونه بالديمقراطية، وتسخير مناهج تعليمهم وإعلامهم وسياستهم وعلومهم الإنسانية والعسكرية وغيرها، للدعوة إلى تطبيق الديمقراطية في العالم، ويزعمون بأنهم يعاملون الدول التي تستجيب لهذا التطبيق معاملة متميزة بالإعانات الاقتصادية والعسكرية والصناعية والمالية.

---

[1] -الأعراف: 109،110.

[2] -كتبت هذه الأسطر في 19/7/1414هـ-1/1/1994م.

ولكن الواقع أثبت أن دعوة دول الغرب إلى تطبيق الديمقراطية في العـالم، مقيد ومشـروط بـأن تكـون نتـائج الديمقراطية وجـود حكومــات علمانية متشـــددة ضد الإســـلام والمســـلمين، في بلاد الإســـلام والمســـلمين، أما إذا أدت الديمقراطية إلى قيـــام دولة إسلامية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فـإن هـذه الديمقراطية مرفوضـة، تجب محاربتها بكل الوسـائل حـتى لا يحكم الإسلام البلدان الإسلامية، وهـذا ما حصل في الجزائر عنـدما فاز الإسلاميون في الانتخابات وكادوا يحكمـون البلاد، مع أن الدولة الجزائرية ودول الغـــرب كلها والـــدول العلمانية في الشـــعوب الإسلامية، تعاونت جميعا على عـدم فـوز الجماعـات الإسـلامية في الجزائر، هـذا كله كـان قبل الانتخابـات، أما بعد الانتخابـات فقد جن جنون أعداء الإسـلام في الغـرب وفي الشـرق، ووقفـوا كلهم صـفا واحـدا ضد النتـائج الديمقراطية الـتي يـدعون إليهـا، وأصـروا على نــزول الــدبابات وفتح السـجون والمعتقلات، لزعمــاء الجماعــات الإسـلامية ومن يؤيـدهم من الشـعب، وسـفك دمـائهم وتعـذيبهم وانتهاك أعراضـهم ومطـاردتهم وتشـريدهم، وحجتهم في ذلك كلـه، الخـوف من تـولي الإسـلاميين الحكم، فـإنهم إذا تولـوا سيقصـون غـــيرهم من مناصب الدولة وســيحرم الشـــعب من التمتع بالحرية والخيرات، وهم يطبقون هذه الخطة، اقتداء بفرعـون وملئه عنـدما حذروا الناس من موسى وهـارون، كما حكى الله تعـالى ذلك عنهم في قوله: {قال للملأ حوله إن هذا لسـاحر عليم، يريد أن يخـرجكم من أرضكم فماذا تأمرون} [1].

وغيرها من الآيات التي سبق ذكرها قريبا في هذه الوسيلة.

الوسـيلة الخامســة: إغــراء المؤيــدين بالمناصب والأموال.

فالســحرة الــذين جمعهم فرعــون للاســتعانة بســحرهم على موسى، سألوا فرعون هل سينالون منه أجرا إذا هم غلبوا موسـى؟ فأجابهم بالإيجاب وزادهم إغـراءً، بـأنهم سـيكونون من ذوي القـرب والحظوة منه، وهذا ما يطمع فيه بـائعو أنفسـهم لـذوي السـلطان، قال تعالى: {فلما جاء السحرة قالوا لفرعـون أئن لنا لأجـرا إن كنا نحن الغالبين، قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين}[2].

---

[1]-الشعراء: 34،35.

[2]-الشعراء: 41،42.

وقال تعالى: {وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين، قال نعم وإنكم لمن المقربين}[3].

وهكذا يسابق دعاةُ الباطل دعاةَ الحق إلى عقول الناس بالمال والمنصب والجاه بدلا من الحجة والبرهان، وما أكثر المتهافتين على المال والمنصب والجاه ممن باعوا أنفسهم وعقولهم، فأصبحوا وسيلة من وسائل السباق إلى العقول بالباطل، وهم يعلمون أنهم على باطل، جريا وراء المصالح الوهمية التي يغريهم بها طغاة الباطل ضد الحق.

ولما كان أهل الباطل يملكون-غالبا-المال والجاه والمنصب، فإنهم يستقطبون ضعاف النفوس، ممن يعلمون الحق والباطل وقد يظهرون أنفسهم بمظهر أهل الحق، من أجل أن يخدعوا الجهال من أتباع الحق، فيصرفوهم عنه إلى الباطل باسم الحق، وإنما يفعل ذلك ضعاف النفوس هؤلاء مع علمهم بالحق الذي يحاربونه والباطل الذي يؤيدونه، لما ينالونه من أهل الباطل ودعاته من مال ومنصب وجاه، لأن ضعاف النفوس هؤلاء كلما كانوا أكثر نفعا لأهل الباطل وأكثر ضررا للحق وأهله، كان أهل الباطل أكثر إغداقا عليهم بما يطمحون إليه، وبخاصة المال الذي تنشأ به مؤسسات متنوعة يكون هدفُها سبقَ الباطلِ الحقَّ إلى عقول الناس، ويكون مديرو هذه المؤسسات من أمثال هؤلاء الضعاف، ولا تجد بلدا من بلدان المسلمين-في الغالب-يخلو من أمثال هؤلاء.

ولكن الذي يبشر بالخير أن كثيرا من المسلمين قد عرفوا قادة الباطل المُستَغِلِّين، وضعاف النفوس المُسْتَغَلّين، وكشفوا أحوالهم فأصبحوا مثل مرضى الجذام ينفر المسلمون منهم ومن أفكارهم، إلا من أراد أن يهلك عن بينة.

الوسيلة السادسة: وضع قوانين وأنظمة تؤيد الباطل.

وهذه الوسيلة من أهم وسائل أهل الباطل في سباقهم بباطلهم إلى العقول، ذلك لأنهم إذا شعروا بظهور الحق للناس وتعلقهم به وميلهم إليه، لقوة حججه وبراهينه، ونفورهم عن الباطل ونبذهم له، لانكشاف زيفه وتهافت شبهه، أقول: إذا شعر أهل الباطل بذلك، فزعوا إلى أعوانهم من فئات الشعب يستصرخونهم، لوضع كل الوسائل التي تحول بين الحق وعقول الناس، وتمكن الباطل

---

[3]-الأعراف: 113،114.

من الوصول إلى تلك العقول.
ومن تلك الوسائل: إصدار قوانين تحظر نشاط أهل الحق وتصد الناس عن الاستماع إليه وعن اتباعه، وتجعل كل وسيلة من وسائل وصول الحق إلى العقول جريمة، يعاقب عليها القانون، ويصبح كل من اتخذ وسيلة لإبلاغ الحق إلى عقول الناس، مجرما يستحق العقاب.
وبذلك يُسَهِّل قادةُ الباطل سبلَ السباق بباطلهم إلى العقول، ويفتحون لتلك السبل وأهلها الأبواب، ويمدون لها يد العون، ويحاصرون كل سبيل من سبل السباق بالحق إلى العقول، ويغلقون أمامها وأمام أهلها كل الأبواب.
وقد تكون تلك الأنظمة والقوانين ظاهرة، وقد تكون خفية، وقد يكون ظاهرها الرحمة، وباطنها من قبله العذاب.
إن كثيرا من البلدان الإسلامية التي يحارب حكامها الإسلام، تبيح قوانينها وأنظمتها الزنا، وكل الوسائل المؤدية إليه، ولا يعد جريمة إلا في حالات استثنائية خاصة، وعقوبة هذه الحالات لا تردع مجرما ولا تشفي غيظ معتدًى عليه ممن تنتهك أعراضهم، بل إن بعض قادة الباطل في تلك البلدان ينظمون تعاطي الفاحشة وتشرف على تنظيمه بعض مؤسسات الدولة، وذلك باسم الحرية الشخصية، وتنشر فضائح تلك الفواحش في وسائل الإعلام بأساليب متنوعة ماكرة، كما تنشر وسائل التحريض عليها بالصورة والكلمة باسم حرية الصحافة أو الإعلام الحر.
وعامة البلدان الإسلامية بها قوانين وأنظمة للمعاملات الربوية التي حرمها الله في كتابه وجعلها من محاربة الله تعالى.
ويكمن خطر تلك القوانين المؤيدة للباطل والمحاربة للحق، في أن الحكومات تفرض على الناس احترامها، وتخصص لها أجهزة تتولى تنفيذها قسرا، وتعاقب كل من يحاول بيان بطلانها ومعارضتها لحكم الله ورسوله، وتبالغ في مدحها والثناء عليها، وتنسب كل نعمة من نعم الله الدنيوية على العباد، إلى وضع تلك الأنظمة والقوانين وحمايتها وتنفيذها. ومع تطاول الزمان يألف الناس ذلك ويسهل عليهم العمل به، وتنشأ الأجيال في ظله لا تعرف سواه، فيرسخ في عقولهم أنه حق، ويعظم الخطر عندما يدعي أنصار الباطل أن ذلك من الإسلام أو لا ينافيه، فيقبله الناس على هذا الأساس، ويكون الخطر أشد عندما يجد دعاة الباطل ومؤيدوه من باع دينه بثمن بخس ممن ينتسب إلى العلم، فيفتي باسم الإسلام بأن ذلك الباطل أمر مشروع، وقد يكون ما أفتى به

يخالف إجماع علماء الإسلام المبني على نصوص الوحيين، كما أفتى بعض العلماء في هذا العصر بإباحة الربا الذي هو حرب لله ورسوله، وكما أفتى بعض قادة الباطل ممن يحسبون من العلماء بأن سفور المرأة-وليس المراد بالسفور هنا كشف الوجه والكفين، بل المراد كشف غالب جسد المرأة-لا يخالف شرع الله!

وهكذا يضع أنصار الباطل قوانين مفصلة في كل باب من أبواب حياة الناس: الأسرية والمالية والاقتصادية والجنائية والسياسية والعسكرية والقضائية والتعليمية والإعلامية، تحاصر الحق وتطارده وتشوهه، وقد تستبيح دم أهله، وتؤيد الباطل وتنشره وتكرم كل من يدعمه ويدعو إليه.

الوسيلة السابعة: جعل التعليم منطلقا لتثبيت الباطل.

وهذه الوسيلة من أمضى الوسائل للسباق إلى العقول، بإبلاغ الحق أو الباطل إليها، وحجب الحق أو الباطل من الوصول إليها.

وذلك للأسباب الآتية:

السبب الأول: أن التعليم يرافق الإنسان من طفولته إلى شيخوخته، فهو مستمر باستمرار حياة الإنسان.

والتعليم يصوغ الطفل في طفولته الصياغة التي يريدها صاحب قرار التعليم، سواء أكان صاحب القرار هي الأسرة أو المدرسة أو الدولة، لأن الطفل لا يملك في طفولته إلا التلقي والتقليد والمحاكاة، ومن كان أسبق إلى إبلاغ فكره إليه، حقا كان ذلك الفكر أو باطلا، كان أملك لعقله وأقدر على قيادته بفكره.

ولهذا كان التعليم من أهم عناصر الرسالة الإلهية، كما قال تعالى: {كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون}[1].

وكان ذلك تحقيقا لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الضاربة في أعماق التاريخ، كما قال تعالى: {ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم} [2].

ولما كان الطفل قابلا للصياغة المطلوبة بالوسيلة التعليمية،

---

[1] -البقرة: 151.

[2] -البقرة: 129.

اشتد سباق أهل الحق وأهل الباطل بهذه الوسيلة إلى عقله[1].

وقد بين الرسـول صـلى الله عليه وسـلم كيف يصـرف أهل الباطل الأطفال عن فطـرة الله الـتي فطر النـاس عليها بتعليمهم، كما في حديث أبي هريـرة رضي الله عنـه، قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: [ما من مولـود إلا يولد على الفطـرة] ثم يقول: اقرءوا: {فطرة الله الـتي فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم}.

وفي رواية للبخـاري: [فـأبواه يهودانه أو ينصـرانه أو يمجسـانه، كما تُنتَج البهيمـةُ بهيمـةً جمعـاء، هل تحسـون فيها من جـدعاء] ثم يقـول أبو هريـرة: {فطـرة الله الـتي فطر النـاس عليهـا، لا تبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم}.[2]

والوسـيلة الدائمة المسـتمرة، يـدوم تأثيرها ويسـتمر ويُثَبِّت الفكـرةَ الـتي يـراد لها السـبق إلى عقـول النـاس، ومعلـوم دوام واستمرار وسيلة التعليم ومراحلها التي يمر بها الدارس، فقد تصل- في زماننا هـذا-إلى ثلاثين عاما أو أكـثر من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة العليا: الماجستير والدكتوراه، إضافة إلى ما يتعلمه الطفل في محيطه الأسري والشعبي.

السبب الثاني: أن التعليم توضع له مناهج معينة مدروسـة، يـراد بها تحقيق أهـداف محـددة في كل المراحل التعليميـة، فـإذا كـانت الأهـداف والمقاصد الـتي وضـعت المنـاهج التعليمية لتحقيقهـا، هي تثبيت الباطل ونصـره ونشـره، ومحاربة الحق وخذلانه ومحاصـرته، فـإن الأجيـال المتلاحقة من أبنـاء المسـلمين تنشأ بعقـول اسـتولى عليها الباطل وحجب عنها الحـق، ولـذلك يحـاربون الحق وأهله وغـالبهم يجهلـه، ويؤيـدون الباطل وأهله وهم يجهلـون أنه باطـل، وذلك مبتغى طغاة الحكم الذين لا بقاء لهم إلا ببقاء الباطل وتَوَارِي الحق، فإنهم يُسخِّرون كل إمكاناتهم لحرب الحق.

السبب الثالث: أن منـاهج التعليم توضع لها كتب تتضـمن موادها ما يناسب عقول المتعلمين في جميع مراحل التعليم، ويـترتب على دراسـتها والنجـاح في امتحانها حمل مـؤهلات، لها شـأنها في تقلد المناصب والبروز في الشعب، ولهذا يجتهد الدارسـون في القـراءة وتكرارها حـتى تترسخ معانيها في عقـولهم الـتي تصـبح وعـاء لتلك المعاني.

وأهل الباطل لا يفسحون المجال لغير الباطل أن يحتل صفحات

---

[1] -سبق الكلام على ما ينبغي على أهل الحق فعله حيال وسيلة التعليم ص....

[2] -البخاري ومسلم: جامع الأصول (1/268).

تلك الكتب، ولهـذا تنشأ الأجيـال من أبنـاء المسـلمين بعقـول ملئت بالباطل وحجب عنها الحق.

السبب الرابع: أن التعليم يُعَدُّ له رجال متخصصـون في كل علم من العلوم الإنسانية والتجريبية، يدأبون على غرس تلك العلـوم في عقول الطلاب، فيحققـون بـذلك إيصـال المعـاني الـتي وضـعت لها منـاهج وأعـدت لها كتب إلى عقـول طلابهم، وأهل الباطل يُعِـدُّون المدرسين من أنصارهم، ليحققوا بهم السـبق ببـاطلهم إلى عقـول النـاس، ولا يـأذنون لأهل الحق بالتـدريس والتعليم، خشـية من أن يستولوا على عقول المتعلمين بـالحق الـذي يـدمغ الباطل فـإذا هو زاهق.

السـبب الخـامس: أن التعليم يختـار لإدارته والإشـراف على مسـيرته رجـال مؤهلـون في مجاله لـديهم-مع التأهيـل-الرغبة والحماس في نجاحه وبلوغه أهدافـه، وأهل الباطل يختـارون لإدارة التعليم والإشـراف على مؤسسـاته المتنوعة من يؤيد بـاطلهم ويحارب الحق وأهله.

ولهذا نشـاهد على قمة المؤسسـات التعليمية في البلـدان الـتي يحـارب طغـاة الحكم فيها الإسـلام رجـالا لا دين لهم-وإن تسـموا بأسماء مسلمين-ولا خلق يجعلهم قـدوة حسـنة، بل يضـايقون ذوي المؤهلات-سواء أكانت مؤهلاتهم إدارية أو تربوية، أو علمية في أي علم من علـوم الإسـلام أو العلـوم الكونية والتطبيقيـة-كل ذلك من أجل أن يسـتبدوا بالتوجيه في هـذا المجـال الـذي يصـوغ العقـول، ويسبقوا بباطلهم إليها ويحجبوا عنها الحق الذي يحمله أهله.

وقد يوضع على قمة التوجيه في مجـال التعليم من هو فاشل في إدارته، تضيع بإدارته المصالح أو تعظم، وتكـثر المفاسـد، ولكن مؤهله لدى طغـاة الحكم وأنصـار الباطل هو محاربته للحق وتأييـده للباطـل، ويعلم هـذا كل من عنـده وعي وبصـيرة واهتمـام بمصـالح الإسلام والمسلمين.

السـبب السـادس: أن أعـداء الحق ومحاربيه وأنصـار الباطل ومؤيديه يسـتغلون وسـيلة التعليم في كل حقبة بما يتناسب معهـا، فـإذا تغـيرت أهـدافهم بتغـير أهـوائهم أو ما يظنونه مصـالح لهم، أو بتوجيه سـادا تهم المسـتعمرين، غـيروا المنـاهج والمـواد والكتب بحسب ذلك، ويصبح ما كان عنـدهم محمـودا أمس مـذموما اليـومَ، ويغيرون حقائق التاريخ والمولاة والمعـاداة، كل ذلك بحسب أهـواء نفوسهم الـتي لا يهـدأ لها بـال إلا إذا ملأت عقـول النـاس بباطلهـا، وحجـرت عليها من أن يصل إليها الحق الـذي يَفقِد أهل الباطل

المؤهلَ بوجوده لقيادة الناس بباطلهم.

وهـذا ما يفسر اتجـاه بعض الحكومـات في الشـعوب الإسـلامية إلى مراجعة مناهج التعليم وكتبه ومواده، لحذف كثير من النصـوص الإسـلامية من القـرآن والسـنة، وبعض الموضـوعات في السـيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وبخاصة ما يتعلق بالجهاد في سبيل الله، والعلاقـات مع اليهـود والنصـارى، لحاجـات في نفوسـهم يريـدون قضاءها، ولا يتم قضاؤها إلا بصياغةٍ جديدة لعقول أبناء الأمة.

ومن هنا يجب على الأمة الإسلامية أن يـراقب أهل الحل والعقد فيها مسيرةَ تعليم أبنائها، حتى لا يعبث أعداء الإسلام بعقول أجيالها عن طريق هذه الوسيلة الفعالة في صياغة العقول، لأن آثار التعليم تشمل حياة الأمة كلها، فلا يجـوز أن يسـتبد بمناهجه ومـواده وكتبه والمشـــرفين عليه ومعلميه ومتعلميــــه، من يحـــارب الحق ويؤيد الباطل ويفسد عقــول النــاس بأفكــاره، لتحقيق أهدافه المضــادة لمصالح الأمة.

وقد يحتال أعداء الإسلام من أنصار الباطل على الأمة الإسلامية التي يسـوؤها صـياغة عقـول أبنائها بوسـيلة التعليم صـياغة تجعلهم عبيدا مطيعين للطغاة، قد يحتـالون عليها بإيجـاد مـدارس يسـمونها دينية يضـعون لها منـاهج يحصـرون فيها الـدين في مـواد لا تتجـاوز الشـعائر التعبدية وبعض أحكــام الأســرة، وســرد بعض الأحــداث التاريخية، ويفتحون في تلك المدارس الباب لمن يرغب في دراسة الإسلام، ويُخْلون مناهج تلك المدارس من المواد التي يُسَــيِّرون بها هم حياة الناس، كالإدارة والاقتصاد والشؤون السياسية والعسكرية والإعلامية والتربويـــة، ثم يعمـــدون إلى إنشـــاء مـــدارس ومعاهد وجامعات يسـمونها بالمدنيـة، ويضـعون لها منـاهج مقطوعة الصـلة بالإسـلام، ويضـعون لها منـاهج تجمع بين العلـوم الإنسـانية الـتي وضـــعها البشر بمعـــزل عن منهج اللـــه-وقد توافق بعض جزئياتها الإســلام وغالبها يخالفــه-ســواء منها ما يتعلق بعلم النفس أو علم الاجتمــاع، أو الشــؤون السياســية، أو الاقتصــادية، أو العســكرية، وكــذلك العلـوم التجريبية الكونية والطبيـة، وغيرها مما لا تسـتغني عنه الأمم، وينهل المتعلمون من تلك العلوم، وينالون بها المـؤهلات التي تمكنهم من قيادة الشعوب الإسلامية بمناهج علمانيـة، لا تهمل الدين الإسلامي وتطبيقه فحسب، بل تحاربه وتحارب كل من يـدعو إليه، وقد تحارب من يلتزم به، ولو لم يدع إليه خشية من أن يكـون التزامه به يدعو الناس إلى الاقتداء بـه، لأن الإسـلام هو الحـق، وما هم عليه هو الباطـل، وأهل الباطل يخشـون من أن يسـابقهم أهل

الحق إلى عقــول النــاس، وإذا فتح المجــال لأهل الحق ليســابقوا بحقهم إلى العقول، فـإنهم يغلبـون أهل الباطل ويسـبقونهم بـالحق إلى عقول الناس، وإن كانت إمكاناتهم أقل بكثير من إمكانـات أهل الباطـــل، لما يحمله الحق من قـــوة الحجة والبرهـــان، وما يحمله الباطل من خرافات وأوهام.

أما الدارســون في المــدارس الدينية المــذكورة آنفــا، فــإنهم يُحرَمـون من الوظـائف والمناصـب، لعـدم وجـود مـؤهلات تـوازي المؤهلات التي يحملها طلاب المدارس المسماة بالمدنيـة، ولو وجد من يحمل تلك المؤهلات من الملـتزمين بالإسـلام، فإنه لا يفسح له مجـــال اعتلاء مناصب مثل مناصب العلمـــانيين، كل ذلك لإبعـــاد الملـتزمين بالإسـلام الـذي هو الحق من أن يـؤثروا به على عقـول الناس.

الوسيلة الثامنة: الإعلام.

والإعلام يشـمل كل ما يصل إلى النـاس من رسـائل، سـماعا أو قراءة أو مشاهدة، أو كل ذلك مجموعا.

وهــذه الوســيلة هي أعظم الوســائل ســرعة، حيث يصل بعض أنواعها إلى النــاس لحظة إرســالها، كما هو الحــال في رســائل المذياع، والتلفاز، والهاتف، والفاكس، والبرق من كل أنحاء الأرض، وإلى كل بلـــدان العـــالم، كما يصل بعض أنواعها الأخـــرى خلال ســاعات من كل أنحــاء الأرض إلى كل البلــدان، إذا قصد المرسل ذلك وتــوافرت عنــده الإمكانــات كأشــرطة الكاســيت والفيــديو والصحف، من جرائد ومجلات ومنشـورات، ويصل بعض أنواعها بعد إعـداده خلال أيـام، ومن ذلك المنشـورات والكتيبـات الصـغيرة، بل الكتب التي جعلتها المطابع شبيهة بالجرائد في سرعة وصـولها إلى القراء.

وقد حدثت اليوم وسيلة أخرى أسـرع من جميع الوسـائل، وهي: وسيلة "الإنترنت" الـتي يسـتطيع المـرء عن طريقها أن يتجـول في كل أنحاء العالم في لحظات، مسـتقبلا أو مرسـلا، في كل ما يخطر بباله أو لا يخطـر، ويسـتطيع الحصـول على ما يريـد، أو إيصـال ما عنــده إلى من يريــد، بالصــوت والصــورة والكتابــة، ويســتطيع أن يحتفظ بما يريد من معلومــات... كل ذلك مع قلة التكــاليف الــتي تجعل كثيرا من الناس يتمكنـون من الإفـادة أو الاسـتفادة من هـذه الوسيلة، بدون مشقة...

وقد أصبحت القنوات الفضائية الآن تغطي غالب أجزاء المعمور.

وهناك محاولات لاستحداث وسائل أسرع [1]

كما أن هــذه الوســيلة-وســيلة الإعلام-أكــثر الوســائل انتشــارا وأشمل تلقيا، حيث تصل إلى كل الناس: القـارئ والعـامي، المبصر والكفيف، الحاضر والبـادي، كل منهم يسـتطيع أن يتلقى ما يناسـبه قراءة أو سماعا أو مشاهدة.

وهي كذلك أيسر من كثـير من الوسـائل الأخـرى-كـالتعليم-فـإن المتعلم مثلا يحتاج إلى ملازمة المدرسة في أوقات معينـة، ويحتـاج إلى كتب معينة وأساتذة معينين.

أما وســـــــــيلة الإعلام فإنها تصل إلى المتلقي وهو في منزله مشـاهدة وسـماعا وقـراءة، فما أيسر أن يقتـني المسـتمع مـذياعا صـــــغير الحجم يحمله معه أينما ارتحل فيســـــمع منه كل ما يريد سماعه، وكذلك يسهل عليه الحصول على شرائط كاسيت ومسجل صغير، وحمل ذلك معه وتكرار سماعه...

وهكـــذا بقية أنـــواع الإعلام، كالصـــحف والمجلات اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية.

واستغلال هذه الوسيلة للوصول إلى عقـول النـاس، عظيم الأثر في العالم، ومن كان أقدر على استغلالها، كان أسبق من غيره إلى إيصال أفكاره ومبادئه إلى عقول الناس.

ولما كان طغاة الباطل في الشعوب الإسـلامية هم المسـيطرين على مرافقهـا، فقد احتكـروا هـذه الوسـيلة احتكـارا يكـاد يكـون مقصورا على نشر مبادئهم وأفكارهم لتحقيق أهدافهم ومصـالحهم، ولما كان غالب حكام الشـعوب الإسـلامية علمـانيين-كما يصـرحون هم أنفسهم بذلك-فإن وسيلة الإعلام في بلدانهم قد أعــدت لنشر كثير من الباطل وبثه وإذاعته، ومحاصرة الحق وأهله، والحجر على عقــول النــاس من أن يصل إليها ذلك الحــق، وإذا أذن لشــيء من الحق أن يصل إلى عقول النـاس، فـإن الحق الـذي يـؤذن له بـذلك إنما هو جزء يسير لا يؤثر على مسيرة الباطل الذي هو الغالب.

وذلك الجــزء اليســير من الحق يشــبه قطــرة طيب من العطر تلقى في بحر من القــــاذورات، لا تشم لها رائحة مع روائح الباطل المز كم للأنوف. لذلك تجد أهل الباطل أسرع سبقا، وأشمل تلقيـا، وأوسع زمانا، في وصول باطلهم إلى عقـول النـاس، من أهل الحق الذين لا يملكون من الإمكانات ما يملكه أهل الباطل.

---

[1] -يراجـع كتـاب: "المعلوماتيـة بعـد الإنـترنت-طريـق المسـتقبل" تـأليف: "بيـل جتس" مؤسـس شركة: "مايكروسوفت" نشر " عالم المعرفة، رقم: 231.الكويت.

مظاهر التمكين للباطل، ومحاصرة الحق في وسائل الإعلام.

ويمكننا تَبَيُّنُ مظـاهر نشر الباطل وبثه والتمكين له في وسـائل الإعلام، ومظاهر محاصـرة الحق وأهله والحجر على عقـول النـاس من أن يصل إليها الحق عن طريق تلك الوسـائل، يمكننا تبـيين ذلك من واقع وسائل الإعلام في كل البلدان الـتي يحـارب حكامها الحق وينصرون الباطل.

المظهر الأول:إسناد الوظائف العليا إلى من يسـند الباطل.

الوظائف العليا هي مراكز التوجيه والتخطيط والمتابعـة، وهي لا تسـند إلا إلى من عُرِفُـوا بحب الباطل ومناصـرته ومن أُشْـرِبتْ نفوسـهم حب الفسـاد ونشـره في الأرض وإشـاعة الفـواحش ووسـائلها، كما عرفـوا بـبيع نفوسـهم بثمن بخس لمن يمنحـونهم مناصب هـذه الوسـيلة، واسـتعدادهم الكامل ليكونـوا أبواقا لهم يتلمسون-ولو من بعد-ما يرضي قادتهم، فيسـخرون وسـائل الإعلام كلها لتحقيق ذلك الهـدف، مبـالغين في قلب الحقـائق وتضـليل الناس، ليصبح الحق عندهم باطلا والباطل حقا، ويترتب على اختيار هؤلاء الموظفين الكبار الذين هذه بعض صفاتهم، أن يجمعوا حولهم مـوظفين من جنسـهم وعلى شـاكلتهم، يبـالغون في إرضـائهم كمبالغتهم في إرضاء القادة الذين اختاروهم، وبـذلك تصـبح وسـائل الإعلام-في الغـالب-مصـادر تضـليل وكـذب وقلب حقـائق، تطـرق عقـول النـاس-باسـتمرار-بالباطل وتحـول بين تلك العقـول وبين وصـول الحق إليهـا، إلا ما نـدر مما فيه مصـلحة تعينهم على تثـبيت الباطل، وإزالة الحق ومطاردته.

المظهر الثـاني: فتح أبـواب هـذه الوسـائل لـذوي الأفكار الفاسدة.

من أبـرز هـذه المظـاهر: فتح أبـواب هـذه الوسـائل كلها لـذوي الأفكـار الفاسـدة والعقائد الكـافرة والأخلاق المنحطـة، لنشر أفكـارهم وعقائـدهم وأخلاقهم بين النـاس، وإبـراز أصـحاب هـذه الأفكـار والعقائد والأخلاق، وإطـراؤهم إطـراء يجعلهم أمـام عامة النـاس قـادة يُتَّبَعـون وزعمـاء يُقتَـدَى بهم، ويثـنى على أفكـارهم وعقائدهم وأخلاقهم، مع تكرار أفكارهم واختيـار الأوقـات المناسـبة لنشرها، بحيث يعرض على أكبر قـدر من المتلقين وهم مسـتعدون

لاستقبال النشر.

وبنظــرة عجلى إلى شاشــات التلفــاز في العــالم-ومنه العــالم الإســلامي-وبإصــغاء قليل إلى جهــاز المــذياع، وبتصــفح يســير في الصحف والمجلات، سترى وجوها، وتسمع أصواتا، وتقــرأ صــفحات، لأمثــال أولئك المفســدين الــذين أفســدوا عقــول النــاس بأفكــارهم وعقائدهم، وجعلوهم يَسْبَحون في بحار منتنة من الســلوكيات الــتي زينوها لهم وساقوهم إليها سوقا عن طريق وسائل الإعلام.

إن المفكرين الــذين يســيطرون على وســائل الإعلام بأفكــارهم، هم العلمانيون الذين-لا أقــول: إنهم يفصــلون الــدين الإســلامي عن الدولــة، ولكن أقــول: إنهم-يحــاربون الإســلام والــداعين إليــه، وإن المتفلسفين الذين يلبســون ثيــاب الفلســفة، ومن يســمون بالأدبــاء والشعراء والمثقفين الذين يشككون في الــوحي والرســالة واليــوم الآخر، ويسخرون من أحكام الإسلام، وإن الإباحيين الــذين يســمون بالفنــانين، من الــذين ينشــرون الفاحشــة، ويــدعون إلى الأخلاق الفاســدة والوقــوع في حمأتهــا، من ممثلين ومســرحيين ومغــنين وراقصــين وبهلوانــيين وغــيرهم، هــؤلاء كلهم هم الــذين تفتح لهم وسائل الإعلام أبوابها، وتصفهم بالنجوم والــرواد والأدبــاء والكتــاب، وهم الــذين ضــلت بهم الشــعوب الإســلامية وتحطمت معنوياتها وانحطت أهدافها حتى أصبحت فيما أصبحت فيه من الذلة والهــوان والتبعية.

المظهر الثــالث: نشر وســائل الفــواحش وإشــاعة والمنكرات.

وهذا المظهر في غاية الوضــوح في وســائل الإعلام، فــإن كثــيرا مما تنشره تلك الوسائل هو من المنكرات والفواحش الــتي تغضب الله ورســوله والمؤمــنين، ولا ترضي إلا من يحــارب الله ورســوله والإسلام.

شواهد لنشر وسائل الفواحش وإشاعة المنكرات.

ومن الشواهد على نشر وسائل الفــواحش، وإشــاعة المنكــرات ما يأتي:

الشاهد الأول:الإكثار من الأغنيات الماجنة

وهي الأغنيــات الــتي تــزين الفاحشة صــراحة أو ضــمنا، بأصــوات نساء فقدن الحياء واستمرأن السقوط في مستنقع الرذيلــة، فَيَفْتِنَّ

بأغنياتهن المتضمنة للدعوة إلى المنكر، وبأصواتهن الخاضعة بقــول المنكر شبابَ الأمة وشاباتها الذين يجهلــون دينهم، ولم يــتربوا عليه التربية التي تقيهم الفسق والعصيان.

وكـــذلك يفتنَّهم بتكســـرهن وتمـــايلهن وبعـــريهن الفاضح المعد للفتنة، يشاهد ذلك الناس في المسارح والمراقص مباشـرة، أو في شاشـــات التلفـــاز في الـــبيوت، وقل مثل ذلك في المغـــنين من الرجال.

الشاهد الثاني:شغل أوقات الناس بأنواع الرقص.

والرقص يعد إعدادا يجـذب إليه كل فئـاتهم: الصـغار "الأطفـال" والمراهقين والشباب، الرجال والنساء، الحضريين والأعراب.

إن الذي يتتبع وسائل الإعلام التي يسيطر عليها أعـداء الحق في الشعوب الإسلامية، ليهوله ما يشاهده من كثرة الرقص والراقصين وشـغل النـاس بـذلك وإلهـائهم بـه، هـذا مع ما يصـاحبه من عــري فاضـــح، وبخاصة في الفتيـــات المراهقـــات، ومن اختلاط الشـــبان والشابات، واحتضان بعضـهم لبعض أمـام الجمـاهير المشـاهدة في المسارح مباشرة أو على شاشات التلفاز.

الشاهد الثالث: الإشادة بأعمـال مفسـدي الأجيـال المسلمة.

وهم الذين يسمونهم بالفنانين والأدباء والمفكرين(وكثــير منهم إبـاحيون) تخصص وسـائل الإعلام أوقـات طويلة لإجـراء مقـابلات معهم، لإبراز تاريخهم المليء بالفساد الخلقي والإفساد الاجتمـاعي والقدوة السـيئة، وللإشـادة بأعمـالهم الفنية العفنة وتزيينها ودعـوة النـاس إلى متابعتها والاقتـداء بأسـاطينها العظـام، الـذين ينتقـدون الـــدعوة إلى العفة والطهر وحجـــاب المـــرأة، والبعد عن اختلاط الرجال والنساء غـير المشـروع، والنهي عن خلـوة الرجل بـالمرأة، ويدعون إلى تعاطي كل ما يسهل فعل المنكرات والفـواحش باسم حرية المـــرأة، وعملهـــا، والثقة فيهـــا، وباسم التنمية واســـتغلال الطاقـــات، وباسم إحيـــاء الـــتراث الشـــعبي، والبعد عن الـــتزمت والجمــود، وغــير ذلك مما يزينــون به المنكر ويظهرونه في صــورة المعـروف، ويشـوهون به المعـروف ويظهرونه في صـورة المنكـر، وبذلك يقلبون الحق باطلا والباطل حقا، ويضـللون عقـول الجهـال-وما أكثرهم-بدعاياتهم.

الشاهد الرابع:نشر حوادث المنكرات والفــواحش، وقصص الغرام.

والعلاقات المحرمة-أي يشيعون الفاحشة بين الناس-للإغـراء بها والتحريض عليها، مع الصور التلفازية أو الفوتوغرافية.

الشــاهد الخــامس:الأفلام المعــدة لنشر وســائل الفاحشة.

وقد تكـــون تلك الأفلام المعـــدة مكشـــوفة في نقل صـــورة الفواحش مباشرة، فلا يؤذن بنشـرها في أجهـزة الإعلام الرسـمية، ولكن يعطى أهلها الـذين أعـدوها الضـوء الأخضر لنشـرها وتـداولها بين الأسر وفي ملتقيات خاصة من أجل هـدم الأخلاق وإشـاعة قلة الحيـاء، وقد تكـون متضـمنة للـدعوة إلى الفاحشة بنشر وسـائلها، كأفلام الغـرام والحب الـتي تحـرض على الخلـوة بـالمرأة المتزينة المتبرجة، وتعرض ما يحصل بين المـرأة والرجل من عنـاق وقبلات ونظرات وتبادل كلمات غرامية سـاقطة، وهـذه الأفلام إما أن تنشر كما هي في البلدان التي وصل حكامها إلى درجة من الوقاحة وقلة الحيـاء في محاربة الفضـائل ونشر الرذائـل، وإما أن تحـذف منها بعض اللقطات المثـيرة خشـية من انتقـاد بعض الغيـورين من أبنـاء البلـدان الـتي لا زال يوجد فيها من يقـول كلمة الحــق-وبخاصة إذا طفح الكيل وبلغ السـيل الـزبى، واللقطـات الـتي تحـذف في هـذه الأفلام يستطيع من يريد مشاهدتها شراء الأفلام نفسـها من محلات متخصصة في بيعها...

قد يقال: ما صلة هذه الأمور بالسباق إلى العقول؟

والجواب أن المقصود بالسباق إلى العقول عند أهل الباطل، هو شغلها بالباطل الذي يصدها عن الحق، وهذه الأمور كلها تــؤدي إلى هذا الهدف.

فـإذا راقبت كثـيرا من النـاس وجـدت هـذه الأمـور قد اسـتولت عليهم وشـغلتهم وألهتهم فلا يفكــرون في الخــير والفضـيلة-إلا من هــداه الله وتفقه في الــدين واتجه إلى اللـــه-لأن هــذه الأمــور قد وضعت حواجز بينهم وبين الخير والفضيلة والتفكير فيهما

المظهر الرابـع: المبالغة في شـغل عقـول النـاس بالرياضة.

المحلية منها-في المحافظات والقرى-والقطرية-على المستوى

القطري-والإقليمية-على مستوى مجموعة الدول الإقليمية-العالمية، وإبراز ذلك في جميع وسائل الإعلام: المقروءة والمسموعة والمشاهدة.

أساليب المبالغة في شغل عقول الناس بالرياضة.

ويتخذ هذا المظهر أساليب متعددة:

الأسلوب الأول: الإشادة بالرياضة.

وبخاصة كـرة القـدم-إشـادة تجعلها أعلى وأسـمى-عند النـاس وبخاصة الناشئة-من الجهـاد في سـبيل الله[1]، ومن ارتيـاد المسـاجد والتفقه في الـدين وحفظ كتـاب اللـه، وإذا أردت أن تعـرف مـدى تـأثير هـذه الإشـادة، فتجـول في أحيـاء كثـير من مـدن المسـلمين وشـوارعها، وانظر يمنة ويسـرة لـترى فـرق الشـباب والأطفـال الصـغار الـذين يتبـارون في كـرة القـدم، وانظر إلى ملابسـهم والشـارات الـتي تزينها وتـدل على تشـجيع وتأييد النـوادي الـتي اسـتولت على عقـولهم، فلا تجـدهم يفكـرون إلا في شـراء ملابس الرياضة، واقتناء عـدد من الكـرات وإصـلاح ملاعب في تلك الأحيـاء والمباراة فيها، للوصول إلى أعلى ما يمكن من التدرب والمران، لا يملـون من تضـييع أوقـات طويلة في هـذا العمل الـذي أشـربته قلـوبهم، ثم فتش عن نشـاطهم المدرسي ومـذاكرة دروسـهم وإتقانهـا، فسـتجد كثـيرا منهم أصـفارا إلى اليسـار، حـتى يضـطر المسـؤولون في المـدارس إلى نقلهم من صف إلى آخر وهم لا يستحقون ذلك، فيتخرج جيل ممسوخ هو المسؤول عن تنمية بلدان المسلمين!

وقبل ذلك تجد كثـيرا من هـؤلاء لا تتجه أبصـارهم إلى المسـاجد وقد لا يصلون حتى في منازلهم، وكل ما يتمنـاه أن يصـبح يوما من الأيام من نجوم الرياضة التي تشيد بها وسائل الإعلام تلك الإشادة.

ومن الإشادة بالرياضة وأهلها وجعل الناس يفتنون بها، ما تلقـاه من الـدعم المـالي والإنفـاق السـخي على النشـاط الرياضي في وسـائل الإعلام، حيث تأخذ فيها حـيزا واسـعا وأوقاتا طويلة قبل المبـاراة وأثناءها وبعـدها، من مقـابلات مع المسـؤولين عن الأندية الرياضـية والمـدربين الرياضـيين واللاعـبين، وفي كل تلك الأوقـات

---

[1] -ومما يدل على استيلاء الرياضة على عقول الشباب، سجود أفراد بعض الفرق الرياضية شكرا في وسط الملاعب الرياضية، لتحقيقهم فوزا رياضيا، وجماهير المسلمين تشـاهد ذلـك على القنـوات الرياضية في الوقت الذي يسيطر اليهود على أرض المسلمين وينتهكون أعراضهم، ويهدمون بيوتهم، ويدنسون مقدساتهم، ويقتلون شبابهم، ويعتقلون نساءهم، ويهينون علماءهم...!

الطويلة تظهر الرياضة في مظهر الأهـداف العليا الـتي تسـتحق الاهتمـام والـدعم من كل فئـات المجتمـع، وتنفق الأمـوال الكثـيرة على وسـائل الإعلام الـتي تنقل ذلك للنـاس وبخاصة عن طريق التلفاز وبثه المباشر عن طريق الأقمـار الصـناعية من أقصى نقطة في العالم أو إليها.

فـإذا ما فـاز فريق من فـرق البلـدان الإسـلامية في أي مبـاراة، سمعت وقرأت وشاهدت من وسائل الإعلام، من الإطراء والمبالغة في الثنـاء وإظهـار الفـرح والسـرور بـذلك، ما يربو على الاحتفـاء بالنصر في المجالات العليا: السياسـة، والاقتصـادية، والجهاديـة، بل تشـعر أنهم قد حققـوا فَتْحا من الفتوحـات الإسـلامية الـتي كـان يحققها سلفنا الصالح، عندما كان في قمة العزة والمجد.

وتـرى على إثر ذلك الفـوز المسـيرات المزعجة في الشـوارع والسـاحات، مع رفع البيـارق والرايـات والأعلام، ومع التصـفيق والـرقص والتزمـير بـأبواق السـيارات إلى درجة إقلاق النـاس ومضايقتهم في منازلهم، وطرقهم ومحلاتهم التجارية.

وبـذلك ينقـدح في أذهـان النـاس وعقـولهم، أن هـذا هو النصر المؤزر الذي يجب أن يحققه شـبابهم لبلـدانهم الـتي يحتل الأجنـبي اليهودي قلبهـا-فلسـطين-دون أن تنـوه وسـائل الإعلام بما يجب أن يعـده له المسـلمون من الجهـاد في سـبيل الله الـذي حجبت هـذه الإشادة بالرياضة عقول الشباب من التفكير فيه.

الأسـلوب الثـاني: الاهتمـام المبـالغ فيه بالرياضة والرياضيين.

ويتـبين ذلك في الإنفـاق السـخي على مرافقهـا، وبحضـور مناسباتها افتتاحا واختتامـا، واسـتقبال اللاعـبين بالحفـاوة والتكـريم وبالجوائز والهدايا التي يغدقونها عليهم، وبنقلهم في طائرات خاصة إلى أي مكان في العالم، وإنزالهم في أفخم فنـادق الدرجة الأولى-ذات النجوم الخمسة!-ومستلزمات ذلك كله.

وهـذا الاهتمـام وهـذا التقـدير لا ينالهما كثـير من المـؤتمرات والندوات والمناسبات الإسلامية في وسائل الإعلام، فيرى الأطفـال والمراهقون والشباب والآباء والأمهات ما يحظى به الرياضـيون من الاهتمام والتكريم، ويـرون الإهمـال أو شـبهه لمن عـداهم ممن هم عـدة مسـتقبل بلـدانهم، فيتمـنى الصـغار والمراهقـون وكثـير من الشـباب وأقـاربهم تلك الحظـوة الـتي تنقلها لهم وسـائل الإعلام

بالصوت والصورة والسطور، وبذلك تحتل الرياضة العقول بـدلا من أن تحتلها الأهداف العليا الـتي تحتـاج الأمة الإسـلامية إلى تحقيقها لإخراجها مما هي فيه من الذل والهوان.

ومن ذلك ملايين الدولارات لاستئجار لاعـبين مشـهورين بالنجـاح المنشـود، لينضـموا إلى فريق أو نـاد لـترتفع بهم سـمعة الفريق أو النادي، أو مدربين أجانب من اليهـود أو النصـارى لـيرتقي بتـدريبهم اللاعبون.

وتــرى في مقابل ذلك رجــال الطب، والمهندســين، وأســاتذة الجامعات والمتخصصين في العلـوم النـادرة، كعلـوم الـذرة وغيرها تصرف لهم مرتبات قد لا تفي بحاجاتهم، وترى وسائل الإعلام تــبرز اللاعبين والمدربين إبـرازا مسـتمرا مبالغا فيـه، وتـرى رجـال العلم مغمورين لا يدري عنهم إلا الفئة الجادة القليلة التي عرفت قـدرهم وأخـذت تتلقى على أيـديهم علـومهم، أما عامة النـاس فلا يعرفـون عنهم شــيئا، وبــذلك يزهد النــاس في هــؤلاء العلمــاء وعلــومهم، ويتجهون للاعبين والمدربين، لأن اكتساب الشـهرة باتبـاع طـريقهم والقرب منهم سهل ميسور، فلا يتعبـون أنفسـهم ويكـدون عقـولهم في تلك العلوم الصعبة التي لا ينالون منها الشهرة ولا المال الــذين ينالهما اللاعبون ومدربوهم؟

وبهــذا تحتل الرياضة وأهلها العقــول بــدلا من أن تحتلها العلــوم النافعة وأربابها.!

اهتمام الكاتب بالرياضة.

هذا وليعلم أن الكـاتب ليس من المسـتهينين بالرياضة من حيث هي، ولا بأهلهـــا، كيف وهو أول من جد واجتهد في تكـــوين فـــرق رياضية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنـورة، وطـالب وألح على المسؤولين فيها، وعلى رأسـهم سـماحة الشـيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، باسـتقدام مـدربين رياضـيين لطلاب الجامعة ونجح في ذلك فعلا، في وقت كان بعض العلماء يصرحون بتحريم كرة القــدم لما يحيط بها من منكرات، ومن أهمها اللعب في أوقـات الصـلوات وعدم أداء الصلاة حتى يخـرج الـوقت، ومنها كشف العـورات بلبس السراويل القصـيرة وغـير ذلك وسـعى الكـاتب-وكـان مسـؤولا عن شـؤون الطلاب في الجامعة إلى اشـتراك فـرق طلاب الجامعة في المباريــــات مع طلاب الجامعــــات الأخــــرى في المملكة العربية السـعودية، وحــاول-ونجح-في إقامة الصــلوات في داخل الملاعب الرياضـية وإدخـال نشـاطات أخـرى مع الرياضــة، منها مسـابقات

القــرآن الكــريم والســنة النبوية والســيرة المطهــرة، والنشــاط الكشفي ومسابقة الشعر وغيرهـا، وكـان لـذلك أثـره في الأوسـاط الرياضية لا زال بعضه موجودا إلى الآن.

ولعل في ملفـــــات شـــــئون الطلاب القديمة في الجامعة من الوثائق ما يثبت اجتهاد الكاتب في إدخال الرياضة في الجامعة.

أقول: إن الكـاتب ليس من المسـتهينين بالرياضة ولا بأهلهـا، بل إنه يمارسها هو بنفسه إلى وقته هذا الذي يكتب فيه هذه السـطور، ويعلم ما فيها من فائدة لتقوية الأجسام وتخفيف الوزن من السمنة المتعبـــة، ولكنه ضد المبالغـــات في الرياضة إلى درجة إشـــغال الشـــعوب الإســـلامية بها وتبديد أموالها فيهـــا، وتكـــريم اللاعـــبين والمدربين أكثر من تكريم علماء الإسلام والمتخصصـين في العلـوم النافعة لبلدان المسلمين، بل وأكثر من الجيوش التي تحـرس هـذه البلـدان وتـدافع عنهـا، والإشـادة بالرياضة والرياضـيين والغض من شـأن الجهـاد والمجاهـدين، مع حاجة الأمة الإسـلامية إلى رفع راية الجهاد للدفاع عن أرضها ومقدسـاتها وأعراضـها الـتي تنقل وسـائل الإعلام صورا محزنة منها، ويناشد بعضُ المسلمين أعداءَ المسلمين من اليهــود والنصــارى والوثنــيين-الــذين هم وراء كل تلك المآسي والكــوارث-أن ينصــروا المســلمين ويرفعــوا عنهم ذلك الاعتــداء! ويوجهون شباب المسلمين إلى الملاعب الرياضية بدلا من توجيههم إلى إعداد أنفسهم إعدادا جهاديا يتـدربون على السـلاح وصـنعه مع نية التقرب إلى الله، ليدفعوا عن أعراضهم وأراضيهم.

الكــاتب هو ضد هــذه الحالة المزرية الــتي لو تنبه لها شــباب المسلمين الـذين ألهتهم الرياضة وتسـليط وسـائل الإعلام الأضـواء عليهم، لَخَجِلوا مما هم فيه ونأوا بأنفسهم عن هذا الإلهـاء والتحقـوا بالمجاهــدين في ســبيل اللــه، للــدفاع عن الأعــراض المنتهكة والأراضي المحتلة والمقدسات المهدمة، فهل يعي المسؤولون عن الأمة الإسـلامية، وهل يعي شـبابها وشـعوبها هـذا الخطر المحـدق الذي صرف عقـولهم عن معـالي الأمـور وعن العـزة إلى سفاسف الأمور وأسباب الذلة ؟!

المظهر الخامس: عدم ثبات الولاء والبراء.

إن الأصل في المسلم أن يكون ثابت الولاء للحق-لله ولرســوله وللمؤمنين-ثابت البراء من الباطل-من الشيطان وأوليائه الكافرين- ملتزما بالإيمان الصادق والعلم النافع والعمل الصالح، مناصرا للحق واقفا ضد الباطل في كل الأحـوال، ولكن غـالب وسـائل الإعلام لا

عقيـدة لها ثابتـة، ولا ولاء لها دائم، ولا تلـتزم الصـدق في كثـير من الأمور.

فالعـدو الـذي تصب عليه جـام غضـبها فـترة طويلة من الـزمن، لكفـره-في نظرهـا-أو عدوانـه، أو فسـاد مبدئه أو فسـقه أو سـوء سياسته وقبح تصرفه، يصبح صديقا حميما بين عشية وضحاها، وهو لا يـزال على ما هو عليه من المبـدأ والفسق وسـوء السياسة وقبح التصرف.

والصـديق المـؤمن-في نظرهـا-المنصف ذو السياسة الحسـنة والتصرف الحميد الذي ظلت تلك الوسائل تثني عليه وتمدحه وتبالغ في الثناء عليه ومدحه، يصبح بين عشية وضحاها عـدوا لـدودا، وهو لا يـزال على إيمانه وإنصـافه وسياسـته الحسـنة وجميل تصـرفه، والعـداء للأول ينقلب ولاء، والـولاء للثـاني ينقلب عـداء، جريا وراء إرضاء أهواء أعداء الحق المتقلبة-حسب المصالح التي يظنون أنهم يحققونها من تلك التقلبـات الـتي قد تكـون في حقيقة الأمر إرضـاء لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى في الدول الغربية.

وهـذه التصـرفات الإعلامية المتقلبة تـؤثر على عقـول عامة النـاس، بل إنها تبلبل عقـول بعض من يظنـون أنفسـهم مثقفين، وتجعلها تضـطرب وتـوالي من والته أجهـزة الإعلام، وتعـادي من عادته بشعور وبغير شعور، والذي يتابع الأحداث في تلك الوسائل لا يخفى عليه هذا الأمر.

ولعل مثـالا واحـدا نـذكره باختصـار يكفي لإيضـاح هـذا المظهـر، فالحكومـات في الشـعوب الإسـلامية ظل إعلامهـا-غالبـا، ولو في الظـاهر-يـذكر دولة اليهـود بالعـدو المحتـل، أو العـدو الإسـرائيلي وينقـل-هـذا الإعلام-القـرارات المتكـررة بمقاطعة جميع الشـركات اليهودية أو المتعاملة مع اليهود-وإن كـانت بعض الـدول المتسـلطة على الشـعوب الإسـلامية تتعامل في واقع الأمر مع الدولة اليهودية مباشرة أو بوساطة شركات-وكان-هذا الإعلام-يصـرح بأنه لا مكـان للعدو اليهودي في قلب العالم الإسلامي أو العربي.

ثم جـاءت فـترة تراجع فيها هـذا الإعلام، فأخذ يصـرح بأنه لا اعتراف بالدولة اليهودية ولا سـلام إلا بانسـحابها من الأراضي الـتي احتلتها عـام 1967م وحصـول الفلسـطينيين على تقرير مصـيرهم بإقامة دولتهم في أرضهم: الضفة الغربية وقطـاع غـزة، على غـرار ما حصل للمسلمين في الهند: باكستان الشرقية وباكسـتان الغربية اللتين تفصل بينهما الهند بمسافات شاسـعة كـانت نتيجتها انفصـال الدولتين بترتيب هندي....

ثم انتقل الإعلام الحكومي في كثير من الدول الحاكمة للشعوب الإسلامية للرضا بمدينة (أريحا أولا!) وبعض الأميال من غزة، مع ما زرع فيهما من مســـتوطنات يهودية مســـلحة، ومع إحاطة الجيش اليهـودي بهمـا، ومع السـيادة اليهودية الكاملة عليهـا، وبعد الاتفـاق الســـري بين ما ســـمي بمنظمة التحرير واليهـــود ســـكت الإعلام الحكومي عن ذكر اليهود بالعدو، فلا يصف دولة اليهود إلا بما سمت به نفسـها: "إسـرائيل" وأخـذت وسـائل الإعلام تمهد لإعلان إلغـاء مقاطعة الشـــركات اليهودية رســـميا، أما في الواقع فقد باشـــرت بعض الدول هذا الإلغاء وتم لقاء مسئوليها مع اليهود سرا أو جهرا.[1]

وكـان إعلام حكومـات الشـعوب الإسـلامية يكـرر كلمـة: العـدو الصـهيوني ويتحاشى بعضه ذكر العـدو اليهـودي، بل يصـرح بأنا لا نعادى اليهود لأنهم أبنـاء عمنـا، ولكنا نعـادي الصـهيونية، إلا أن هـذا الإعلام تخلى فجـأة عن ذكر العـدو الصـهيوني أيضـا، إرضـاء لـدول الغرب التي أصدرت عن طريق الأمم المتحـدة-وهي واجهة الغـرب وبوقه-قرارا باعتبار أن الصهيونية ليست عنصرية!.

وهكذا مدينة القـدس كـان الإعلام في الـدول الحاكمة للشـعوب الإسلامية يصرح بأنها عاصمة فلسطين، وأن بيت المقـدس لا بد أن يكـــون بأيـــدي المســـلمين، ولكن هـــذا الإعلام بـــدأ يفـــتر الآن عن تصريحاته وإن كـان بعضه لا زال بين حين وآخر يـذكر القـدس على استحياء.

ومما يـدل دلالة واضـحة أن الإعلام في الـدول المسـيطرة على العالم الإسـلامي، الـذي لا يوجد له ولاء ثـابت يرضـاه الله ورسـوله والمؤمنـــون، يصف المجاهـــدين في فلســـطين بـــالمتطرفين ويقف ضدهم في صف دول الغرب، والـدول العلمانية والأحـزاب العلمانية في الشعوب الإسلامية ومنها فلسطين.

ومما يـدل على ذلك أن وسـائل الإعلام المـذكورة لا تكـاد تـذكر مجاهـدي الفلـبين المتمسـكين بالإسـلام، وهم الـذين تضـمهم جبهة تحرير مورو الإسلامية التي تدعو إلى تحرير جنوب الفلبين وتطـبيق أحكـام الشـريعة الإسـلامية فيـه، ويرأسـها الشـيخ سـلامت هاشم الأزهري، ولكن تلك الأجهزة تهتم بجبهة تحرير مورو الوطنية الـتي يرأسـها نـور مسـواري (ياسر جنـوب الفلـبين!)، وهو يتقـرب إلى الحكومة النصـرانية في الفلـبين ويريد أن يعقد صـلحا معها [2] على

---

[1]-وقد ارتقت بعض الحكومات في الشعوب الإسلامية اليوم إلى إقامـة علاقـات دبلوماسـية مـع اليهود، بعضها باسـم سـفارات، وبعضـها باسـم مكـاتب، مـع المواقـف المتشـدد المبنيـة على التـدين اليهودي الذي اتبعته حكومة الليكود بزعامة نيتان ياهو!

[2]-وقد تم هذا العقد في هذه الأيام في أوائل شهر ربيع الأول 1417هـ-.

أساس علماني وعلى حساب الجبهة المجاهدة، ولا تجد هـذا الإعلام دائما-إلا في حالات استثنائية مؤقتة لغرض خاص-في صف الإسـلام ودعاتـه، وإنما يكـون ضد الإسـلام وضد دعاته في صف عـدوه من اليهـود والنصـارى والوثنـيين والأمثلة على ذلك لا تحصى كـثرة، وما على من يريد التأكد من ذلك إلا أن يشـاهد ويسـمع ويقـرأ ما تيسر له من وسائل الإعلام.

المظهر السـادس: تقليد أجهـزة الإعلام الأجنبيـة، في المصطلحات.

ومن تلك المظاهر تقليد أجهزة الإعلام التابعة للدول الحاكمة للشعوب الإسلامية لأجهزة الإعلام النصرانية واليهودية والشيوعية، والوثنية في الغرب أو الشرق، في إدخال المصطلحات التي ترددها هذه الأجهزة الكافرة ضِّد الإسلام والمسلمين في قاموس تلك الأجهزة الإعلامية المقلِّدة.

مصطلح الأصولية.

ومن ذلك مصطلح: (الأصولية [1]) التي تطلق في الغرب على فئة معينة من النصارى البروتستانت، الذين يتمسكون بظـواهر نصـوص محرفة تمسـكا جامـدا، ويحكمـون على كل من يخـالف ظـواهر نصوصـهم تلك من النصـوص المحرفة أيضا عند الفئـات النصـرانية الأخرى بأنهم على باطل، وأن الحق هو ظـواهر نصوصـهم المحرفة فقـط، ويقفـون موقفا متشـددا ضد كل من يخـالفهم، ويتسم تشددهم بالعنف.

هذا المعنى المولود في الغرب أطلقه أعداء الإسـلام من اليهـود والنصارى على كل من تمسك بالإسلام تمسـكا صـحيحا ودعا إليـه، وهـو-بهـذا المعـنى-إطلاق ظـالم جـائر، لا أصل له في القـاموس الإسلامي، بل إن كلمة (أصول) في الشريعة الإسـلامية تطلق على علم يروض العقل على البحث والاستنباط، انطلاقا من قواعد ينـدر وجـود مثلها في أي دين أو أي علم عند غـير المسـلمين، إنه علم أصول الفقه الذي هو ميزان دقيق يضبط منهج الفقيه في اسـتنباط الأحكـام، ويعصـمه من الزلل في اجتهـاده، يعلم ذلك كله من له

---

[1]-وتطلـق كلمـة أصـولي في اللغـة الإنجليزيـة (Jurist) على الضـليع في القـانون، والمحـامي، والقاضي، وفيها نوع شبه بكلمة أصولي في الإسلام كما سيأتي، أما الأصولية بـالمعنى الظـالم الـذي يطلق على الجماعات الإسلامية فهو: "ESSENTIALISM".

إلمـام بهـذا العلم العظيم من المسـلمين وغـيرهم، ولـذلك تطلق كلمـــة: "أصـــولي" على المتخصص في هـــذا العلم، وجمعـــه: "أصوليون" والذي يتقن هذا العلم يصـول ويجـول في ميـدان الفقه المســتنبط من القـــرآن والســـنة وهو متحـــرر العقل من التقليد الأعمى، عارف أين يضع قدمه آمن من المزا لق الـتي يقع فيها من يجهل هـذا العلم، مقـدر للمصـالح الراجحة والمفاسد حق قـدرها، ويكفي من أراد الوقوف على حقيقة ذلك قـراءة جـزء من المقاصد من كتـاب "الموافقـات" للإمـام الشـاطبي رحمه اللـه، هـذا هو الأصولي عند المسلمين.

وقد يطلق على العـالم المتضـلع في العقيـدة (الإيمـان) وقد يسـمى فيلسـوفا-والأصل أن يسـمى حكيمـا-ومع ذلك أطلق أعـداء الإسـلام من اليهـود والنصـارى وغـيرهم كلمة أصـولي أو أصـوليين، على علماء الإسلام وأتباعهم من المتمسـكين بالـدين الـداعين إليه بالموعظة والحكمة والمجادلة بـالتي هي أحسـن، كما أطلقـوا على الدعوة إلى الإسلام وتطبيقه في العـالم الإسـلامي كلمة "أصـولية" التي يعلمون أنها مصطلح غربي ينفر من يسـمعه من أهل الغـرب، والهـدف من ذلك تلـبيس الإسـلام والمسـلمين بثـوب لم يفصل عليهما، وإنما فُصِّـل على مبـدأ يجـافي الإسـلام ويضـاده وعلى فئة بعيدة كل البعد عن الجماعات الإسلامية، وذلك للتنفير من الإســلام والمسلمين والتخويف منهما والتحريش عليهما لمحاربتهما.

وقد راق هـذا المصـطلح لأجهـزة الإعلام العلمانية في البلـدان الإسلامية، فأخذوا يرددونه في وسائل إعلامهم كلها في كل مناسبة وأخـذوا يطلقـون هـذا المصـطلح ظلما وعـدوانا على علمـاء أجلاء يســتحقون أن يوصــفوا بالأصــوليين حسب المصــطلح الإســلامي الســابق الــذكر، لا بحسب هــذا المصــطلح الغــربي الظــالم، كما أطلقوه على جماعات أبعد ما تكون عن هذا المعنى.

وعلى سبيل المثال نذكر حزب الرفاه الـذي يرأسه المهنـدس " نجم الدين أربكان" والذي له فـترة طويلة يـزاول السياسة ويـدخل في الانتخابات ويفوز بأصوات تمكنه من المشـاركة في الحكم، وقد يفوز بأصوات ولا يتمكن بها من المشـاركة في الحكم وهو الغـالب، ولم يصــدر منه شئ من الاعتــداء على أحــد، بل يُعتــدى عليه في وســائل الإعلام ويحـــارَب حربا شـــعواء لا يحاربها حـــزب آخر من الأحـزاب التركية المعـترف بهـا، ومع ذلك إذا فـاز ببعض البلـديات المهمة ارتفعت الأصـوات المعادية للإسـلام واصـفة له بالأصـولي المتطـرف، مع أن هـذا الحـزب لشـدة اعتداله واعترافه بالقومية

التركية وعزمه على نقل النــافع من الحضــارة المادية الغربية إلى بلاده، أخذ بعض الكتــاب الــذي يعــترفون بوجــود أصــوليين في الجماعات الإسلامية بالمفهوم الغربي السـابق-أخـذوا يـدافعون عن حزب الرفاه ويبرؤ ونه من الأصولية المذكورة [1].

ومن ذلك كلمة "التطــرف" الــتي تطلق على الفــرد المســلم الملتزم بدينه والآمر به الناهي عما نهي عنه، بل إن كلمة التطــرف يطلقونها على الجماعــات الــتي هي أشد بعــدا عن الــدخول في المسائل الخلافية بين المسلمين، مثل جماعة الدعوة والتبليغ الـتي نشأت في الهنـد، وعليها بعض المآخـذ، ولكنها تحـاول أن لا تتـدخل في السياسة الشــرعية الإســلامية، ولا في الخلافـــات المذهبية الفقهية أو غيرهـــا، حرصا منها على أن تهــدي النـــاس-بحسب ما تفهمه من الإسلام-إلى التمسك بالشعائر العبادية والأخلاقية والزهد في الــدنيا، ومع ذلك يعتقل أفرادها في بعض البلــدان الإســلامية، وهم كعادتهم يتعبدون في المساجد لا يؤذون أحدا، ويوصفون بأنهم متطرفون والعـالم كله يعلم أن هـذه الجماعة لا توجد جماعة مثلها يمكن أن توصف بالهـدوء و البعد عن كل ما يثـير النـاس حـتى إنها كـانت-ولا زالت-تـذهب إلى البلـدان الغربية والشـيوعية وتقيم فيها المؤتمرات الحاشدة، ولكنها في كثـير من البلـدان الإسـلامية الـتي تحكمها الدول العلمانية جماعة متطرفة![2].

ونحن لا ننكر أنه يوجد غلاة من بعض الأفراد أو بعض الجماعـات التي وجدت في العالم الإسلامي، لظروف معروفة من أهم أسبابها الغلو العلماني من طغاة الحكم، ولكننا نأبى إقرار أمرين:

الأمر الأول: إطلاق كلمة أصولي-بالمفهوم الغربي-على أي فــرد مســـــلم أو جماعة إســــــلامية مهما بلغ تطرفها ومهما وقفنا ضد تطرفها، لأن هذا المصطلح أجنبي وعندنا مصطلحات إسلامية تغـني عنه مثـــل: الغلاة وذوو العنف أو الخـــوارج، إذا وجــدت الصـــفات والشروط التي لا يصح الإطلاق بدون وجودها.

الأمر الثاني: إطلاق لفظ التطرف على كل ملتزم بدينه داع إليه

---

[1]-راجــع على ســبيل المثــال عــدد 5599، الخميس 16شــوال، ص9، وعــدد 5601 الأربعــاء 18شوال، ص7، وعدد 5602ـ 19شوال ص6، وعدد 5604 السـبت 21شـوال ص7، وعـدد 5606، 23شوال ص8، وعدد 5607، 24شوال ص8، كلها في عام 1414ه-من جريدة الشرق الأوسط (وقد كون أربكان حكومة مع حزب الطريق القويم بزعامة.. الخ...).

[2]-راجع الشرق الأوسط عدد:5609، الخميس 26شوال 1414ه-ص4، وهذه الجريـدة من أشـد الجرائد حرصا على إيراد هذه المصطلحات وعلى نشر مقالات الكتاب الذين يسـتعملونها للتنفـير من الإسلام ودعاته.

مع أنها تنشـر بعض المقـالات-أحيانـا-تـبين الحقيقـة في هـذا الشـأن راجـع عـدد:5611 السـبت 28شوال 1414ه-ص15.

على الوجه المشــروع في الكتــاب والســنة، ســواء أكــان الملــتزم الداعي فردا أو جماعة، وعلى مسؤولي وسائل الإعلام في البلــدان الإسلامية أن يقلعوا عن هذا الجنــاح العظيم، وإلا فليعلمــوا أنهم-إن لم يقلعوا عن ذلك-قد أصبحوا في صف أعـداء الله ورسـوله الـذين يشاقون الله ورسـوله ويوالـون أعـداء الله ورسـوله، ويتبعـون غـير سبيل المؤمنين: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تــبين له الهــدى ويتبع غــير ســبيل المؤمــنين نوله ما تــولى ونصــله جهنم وســاءت مصيرا} [1].

مصطلح الإرهاب والإرهابي.

ومن ذلك: إطلاق لفظ: "إرهابي"-نسـبة إلى "إرهـاب"-على كل من تمسك بالإســـلام ودعا إلى العمل به والحكم بشــــريعته، وإلى إعــداد المســلمين العــدة لإقامة هــذا الــدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، وحذر من تآمر أعدائه عليه وعلى أهله.

وقد انتشر هــذا المصــطلح-أصــلا-من أجهــزة الإعلام الغريبــة، وبخاصة بعد تفكك الدول الشيوعية-الاتحاد السوفييتي-والهـدف من ذلك توجيه قادة الغرب الحرب الشاملة على الإسلام والتنفير منــه، والتخويف منه بعد أن رأوه ينتشر بســـــــرعة في معاقل العلمانية الغربية، ورأوا بيوت الله تنافس كنـائس النصـرانية في ديارهـا، كما رأوا كثيرا من شـباب المسـلمين المـؤهلين في جميع التخصصـات، وفي أنحـاء الأرض كلهـا، يعـودون إلى التمسك بـدينهم بقـوة، ورأوا الشعوب الإسلامية تتطلع إلى تطـبيق شـرع اللـه، بـدلا من قـوانين الغرب التي فرضت عليهم بالقوة.

ويعلم قــادة الغــرب من البــاحثين والسياســيين والعســكريين وغــيرهم، أن مبــادئ الأرض كلهــا، لا قــدرة لها على مواجهة هــذا الــدين، ما بقي ســليما صــافيا من التحريف والتبــديل، وما بقي له رجال يحملونه، إيمانا وعلما وعملا ودعوة وإعدادا وعدة للدفاع عنه وتبليغه إلى الناس كافة.

وقد حــاول أعــداء هــذا الــدين تحريف نصوصه وتشــويه معانيه قديما وحديثا، فلم يفلحوا في ذلك، لأن الله تعـالى قد تـولى حفظه

---

[1] -النساء: 115.

هذا، ومـع أن رجـال الإعلام المنتسـبين إلى الإسـلام لا يخجلـون من ظلمهم في اسـتعمال هـذه المصطلحات في غير محلها فقد انتقد بعض الكتاب الأجـانب ذلـك في كتـاب ألـف بعنـوان: " انتقـام اللـه" THE REVENGE OF GOD ويسـمى المؤلـف: جيـل كيبـل ووضـح أن كلمـتي التطـرف والأصولية مصطلحات دخيلان على الحركة الإسـلامية، وأنهمـا مسـتمدان من الديانـة المسـيحية كمـا ذكرت ذلك من قبل. راجع جريدة الشرق الأوسـط-الـتي تبتهج بهـذه المصـطلحات الظالمـة في كـل أعدادها تقريبا-عدد5626 الأحد 13/11/1414ه-الموافق: 24/4/1994م.

بنفسه، وهيأ له من يحميه من علماء الأمة جيلا بعد جيل.

ولهـذا تـرى قـادة الباطل يبتكـرون في كل عصر ما يحـاربون به دين اللــه، من الوســائل المعنوية والماديــة، وحــربهم له بالوســائل المعنوية أشد على المسلمين من الوسائل المادية.

ذلك أن الوســائل المعنوية تشــكك جهلة المســلمين في دينهم، وتؤثر في عقـول بعض الغـافلين من المنتسـبين إلى العلم، ممن لا يتنبهــون لكيــدهم، كما أن تلك الوســائل تنفر غــير المســلمين من الإقبـال إلى الإسـلام والتعـرف على ما فيه من المحاسـن، لينقـذوا أنفسهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان.

ومن أهم وسائلهم المعنوية التي اجتهدوا في تضليل المســلمين واســتغفالهم بهــا، وفي تنفــير غــير المســلمين عن التعــرف على الإسلام والدخول فيه، مصطلحا: "إرهاب وإرهـابي" اللــذين تلقاهما منهم كثــير من المســلمين من الكتــاب والإعلامــيين والسياســيين، وغــيرهم وأخــذوا يطلقونهما على كل فــرد أو جماعة أو دولة تــدعو إلى تطبيق الإسلام في حياة المسلمين، وتنادي بإعداد العدة لجهـاد المعتدين، على ضرورات حياة الأمة الإسلامية من اليهود والنصـارى والوثنــيين. وأصــبح الآمــرون بــالمعروف والنا هــون عن المنكر من علماء الأمة الإسلامية ودعاتها-الذين يحثـون المسـلمين على إعـداد العدة لإرهاب أعدائهم، والدفاع عن أعراضهم وأوطـانهم وأمـوالهم، في فلســطين، وفي كشــمير، وفي إريتريــا، وفي الصــومال، وفي الفلبين، وفي البوســنة والهرسـك، وفي الشيشـان... ومن يمد لهم يد العــون بالمــال-إرهــابيين تجب محــاربتهم والتضــييق عليهم، والوقوف ضـدهم في صف أهل الباطل المعتـدين على كل حق من حقوق المسلمين.

وغفلوا أو تغافلوا عن نصوص القرآن والسنة، ومقاصد الشـريعة الإسلامية الرامية إلى تحقيق العـزة لهـذه الأمـة، العـزة الـتي تقيها من أن يجعل الله للكافرين عليها سبيلا، وأن العزة لا تتحقق لهم إلا بإعداد العدة المستطاعة التي تـرهب أولئك الأعـداء، وتحـول بينهم وبين العدوان على مقدسا تهم وحرما تهم.

وحققوا بذلك ما تمناه أهل الباطل من تفـوقهم على المسـلمين في مجال العلم والاقتصـاد والسياسة والإعلام والسـلاح وغيرهـا، و من ضعف المسلمين وذلتهم، ليكونوا أتباعا لهم يصـرفون شـؤونهم كما يريدون، لأنهم قد سلبوا هذه الأمة سلاح إرهابها عـدوها بإعـداد العدة، وأحرزوه لأنفسـهم، فـاختلت المـوازين، وأصـبح المسـلمون الذين شرع الله لهم إرهاب عدوهم أذلة، وأصـبح أعـداؤهم من أهل

الباطل أعزة عليهم مستقلين بإعداد العدة التي تـرهب المسـلمين، بدلا من الأصل الذي أراده الله، وهو: إرهاب أعدائه الكافرين، وفي ذلك إبطال لأمر الله الشرعي، الذي سجله تعالى في كتابه الكريم: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّ ةٍ وَمِنْ رِبَـاطِ الْخَيْـلِ ترهبـون بِـهِ عَدوَّ اللهِ وَعَدُوَّكمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِم لاَ تَعْلَمُـونَهُم اللـهُ يَعْلَمُهُم وما تنفقوا مِنْ شـيء فيِ سَـبِيلِ اللـهِ يُـوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُـونَ}.[1] وطمس لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: [ونصرت بالرعب.][2]

ومعلوم بداهة أن الذي يملك القوة التي يرهب بها عـدوه تكـون له القيادة في الأرض، وأن الذي لا يملك تلك القـوة المرهبة يكـون مستضـعفا ذليلا، والأصل أن تكـون العـزة لصـاحب الحـق، والذلة لصاحب الباطل!.

فهل يليق بالمنتسبين إلى الأمة الإسـلامية "أمة الحـق" وبخاصة من يعد من المثقفين، أن يستخفهم أهل الباطل ويجنـدوهم لتحقيق مآربهم، فيسـتعملوا مرافق المسـلمين من وسـائل الإعلام وتـأليف الكتب، لإعانة أعدائهم عليهم، وتضـليل المسـلمين والعبث بعقـول جهالهم، بتشويه المصطلحات الشرعية الواردة في القرآن والسنة، وجعل الحق منها باطلا؟!

وليت الـــذين خـــدموا أعـــداء الحق وأنصـــار الباطل بنشر مصطلحاتهم المشوهة للإسلام والمنفرة منه-كالإرهـاب والإرهـابي-اطلعوا على شـكوى بعض الغربـيين الـذين دخلـوا في دين الإسـلام من هجوم قومهم عليهم بتلك المصـطلحات الظالمـة، ليخجلـوا من مســارعتهم-متعمــدين أو مســتغفلين-إلى الوقــوف في صف أهل الباطل باستعمال مصطلحاتهم ونشرها وإطلاقها على غير أهلها.

شـــكوى بعض المســـلمين في الغـــرب من تلك المصطلحات الظالمة.

ولنـذكر-على سـبيل المثـال-شـكوى المسـلم الألمـاني الـدكتور "مراد هو فمان" [3] من إطلاق أعداء الإسلام مصطلح "إرهابي" على

---

[1]-الأنفال: 60.

[2]-البخاري: 323، ومسلم: 810.

[3]-ولـد في عـام: 1931م. دكتـوراه في القـانون، عمـل في وزارة الخارجيـة الألمانيـة من سـنة 1961م وتولى مناصب في بعثاتها في عدة بلدان. دخـل في الإسـلام سـنة 1980م في مدينـة بـون، ألف عـددا من الكتب، منهـا:(نهج فلسـفي لتنـاول الإسـلام) و (دور الفلسـفة الإسـلامية) و (يوميـات ألماني مسلم) و (الإسلام كبديل) وقد شنت أجهزة الإعلام الألمانية عليه حملـة عنيفـة بسـبب تأليفـه هذا الكتاب الذي يـرى فيـه أن الإسـلام هـو المؤهـل لإنقـاذ الأمم ممـا هي فيـه من شـقاء وضـنك. و (الإسلام عام 2000) و (رحلتي إلى مكة).

المسلم الذي يشتبه في صدور عنف منه، دون غيره من أهل الديانات والمبادئ الأخرى.

قال: (فالإعلام الغربي يقف على خلفية صلبة من العداء للإسلام، ولديه قرون استشعار انتقائية لكل همسة تنسب للإسلام، ولديه مصطلحات خاصة جدا، لا يستخدمها إلا للإسلام والمسلمين. فمثلا لم نقرأ في صحيفة أوربية-أيا كانت-مصطلح "إرهابي" أطلقته على شخص يهودي أو مسيحي... ولكن نقرأ "إرهابي مسلم" وهذا المصطلح ملأ صفحات الجرائد الأوربية والأمريكية خلال تغطيتها لحادث تفجير المركز التجاري العالمي بنيويورك في مطلع عام 1993م.

وإذا حدث وهاجم إرهابي خارج العالم الإسلامي هدفا ما، جاءت التقارير الصحفية بمصطلح "مقاتل، محارب، فدائي" ولن نقرأ أبدا مصطلح "إرهابي كاثوليكي" أو "متعصب مسيحي" أو "إرهابي هندوسي" حتى الهجوم بالغاز في مترو طوكيو في مارس 1995م نسب إلى راديكاليين!!).[1]

العلوم النظرية.

ومن ذلك: إطلاق لفظ (العلوم النظرية) على كافة العلوم الإسلامية، حيث يقال عند المقارنة بين العلوم الإسلامية، وغيرها من العلوم المادية-التي هي من فروض الكفاية في الإسلام-: العلوم النظرية والعلوم التطبيقية، مع أن الدين الإسلامي كله تطبيق وعمل في حقيقة الأمر، وقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان الشرعي يشمل الاعتقاد والقول والعمل، وعلى ذلك جماهير علماء الإسلام.[2]

وإذا تأمل الباحث أبواب الإسلام-أصوله وفروعه-وجد غالبها عملية، فالطهارة عمل، والصلاة عمل، والزكاة عمل، والحج عمل، والصيام عمل، والجهاد-إعدادا وتنفيذا-عمل، والبيع والشراء المشروعان، والشركات بأنواعها عمل، والقضاء والحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل، والتعاون على البر والتقوى عمل، وهكذا ما قد يظن الجهال أنه ليس من الإسلام كالصناعة والزراعة والتطبيب وغيرهما، وكل باب من أبواب الاقتصاد عمل،

---

[1] -جريدة (أخبار العالم الإسلامي) التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة. عدد: (1625) صفحة (9) بتاريخ: 19-25 جمادى الأولى سنة 1418 ه--20-26 أكتوبر سنة 1997م.

[2] -وهذا المعنى مبسوط في كتب العقيدة وكتب التفسير وشروح الحديث. راجع تعريف الإيمان في كتاب: (الإيمان هو الأساس) للمؤلف.

والتعليم والإعلام والسياسة الشرعية، كل ذلك عمل.

ويجب أن يعلم أن كل أعمـال المسـلم-سـواء منها ما كـان من العبـادات أو من المعـاملات هي من الإسـلام، يثـاب على فعلها أو تركها إذا قصد العبد بفعلها التقـرب بها إلى اللـه، والأدلة متظـافرة على ذلك، وقد بسط العلماء القول فيها.

ويكفي أن تعلم أن أعمـــال العبد كلها لا تخــــرج عن الأحكـــام التكليفية الخمســة، وهي: الــواجب والمنــدوب والمبــاح والمحــرم والمكروه، وهي الأحكام الشرعية التي بينها علماء أصول الفقه في كتبهم، فمن فعل الــواجب أو المنــدوب أو المبــاح قاصــدا بــذلك التقرب إلى الله أثابه الله على ذلك، ومن ترك المحـرم والمكـروه قاصـدا به وجه الله أثابه الله على ذلـك، ومن فعل المحـرم عاقبه الله على فعله، ومن ترك الواجب عاقبه الله على تركه. وهذا يــدل على أن ذلك كله عبـادة، وهو عمل وتطـبيق... وتقســيم العلمــاء أبــواب الشــريعة إلى عقائد وعبـادات ومعـاملات، إنما قصــدوا به تقــريب أبــواب هــذه الشــريعة لطلاب العلم، وإلا فكلها دين وكلها إسلام، وإن اعتبر بعضها أصولا وبعضها فروعا....

فكيف يقــال بعد هــذا كلــه: إن العلــوم الإســلامية نظرية غــير تطبيقية؟!

وإن الذين يطلقون هذا المصطلح على علوم الإسـلام لا يخلــون من إحدى طوائف ثلاث:

طائفة مــاكرة من أهل الباطل الــذين يتعمــدون هــذا الإطلاق، للتهوين من شأن الإسـلام، وأنه من الأمـور النظرية الـتي لا تتوقف حياة المسلمين وتقدمهم على تطبيقها، وهذا هو منهج من يســمون بالعلمانيين، بدليل أنهم يحاربون تطبيق الشريعة الإسلامية والـدعاة إلى ذلك التطبيق. وإنما تعمدوا هذا الإطلاق ليغرسوا هـذا المعـنى-وهو تهوين شأن الإسلام-في عقول أبناء المسلمين...

وطائفة جاهلة تلقفت هـــذا المصـــطلح من الطائفة الســـابقة، وأطلقته دون وعي لمقاصد أهل الباطل في هذا الإطلاق.

وطائفة غافلة، أي إنها أطلقت هذا المصـطلح عن غفلـة-بسـبب التضــليل الإعلامي-وليس عن جهــل، فــإذا نبهت على خطر هــذا الإطلاق نبذته وحذرت منه.

ما رتبه أهل الباطل على هذا الإطلاق:

وقد رتب أهل الباطل على هذا الإطلاق نتيجتين خطيرتين:

النتيجة الأولى: تهوين شأن الإسلام كما مضى.

والنتيجة الثانيـة:أن تقـدم الأمة إنما يتوقف على العناية بـالعلوم العملية التطبيقية.

وهي الــتي تمس حيــاة النــاس ويتوقف على إحرازها تقــدم الشعوب، بخلاف العلـوم النظريـة، وعلى رأسـها العلـوم الإسـلامية وما يخدمها.

ويكفي أن يذكر المسلم الحـرب الشـعواء على مـدارس تحفيظ القرآن الكريم، ومعاهد الأئمة والخطباء والقضـاة في بعض البلـدان الإسلامية-ومنها تركيا-

أليس المسـلمون في حاجة إلى مفـتين وقضـاة شـرعيين وأئمة وخطباء وأساتذة لتعليم أبنائهم العلوم الإسلامية وما يخـدمها كاللغة العربية بفروعها، والحضارة الإسلامية عـبر التـاريخ.... كحـاجتهم-بل أشد-إلى أطباء ومهندسين وصناع...؟!

وقل من تنبه لخطر هــذا الإطلاق في وســائل الإعلام المضــللة وحذر منه، بل أصبح كثير من الكتاب والأدباء والمؤلفين والإعلاميين يســتعملونه، وصــار عند عامة المســلمين من المســلمات الــتي لا تنــاقش. ولا شك أن هــذا من تخطيط أهل الباطل في ســباقهم بباطلهم إلى عقول أبناء المسلمين.

عبدة الشيطان!

ومن ذلك: مصطلح: (عبـدة الشـيطان) الـذي اهتمت به وسـائل الإعلام في هــذه الحقبة من الــزمن، حيث أطلق على من ســموا أنفسهم بذلك، ممن ظهـروا في بعض البلـدان الإسـلامية والغربيـة. ويوهمون كثيرا من الناس-ومنهم بعض المسلمين-أنه لا يطلق هــذا اللفظ إلا على أمثال هؤلاء ممن يصرحون بأنهم يعبدون الشــيطان، مع أن هذا اللفظ يطلق في القرآن وفي السنة على من اتبع ســبل الشـيطان مخالفا أمر الله وصـراطه المسـتقيم شـاملا لعـدد كبـير ممن ينتسبون إلى الإسلام بأسمائهم ويحاربونه بسلوكهم.

والــــذي يتتبع بعض الآيــــات القرآنية يتــــبين له أن كثــــيرا من المنتسبين إلى الإسلام الذين لا يصرحون بأنهم من عبدة الشيطان، بل قد يســتعيذون منه ويلعنونــه، هم أشد عبــادة للشــيطان ممن يصــرحون بــأنهم يعبدونــه، وبخاصة أولئك الطغــاة الــذين حرمــوا الشعوب الإسلامية من التمتع بحكم الله الذي أنزله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسـلم، وأحلـوا محله الحكم بالطـاغوت. بل إن هؤلاء هم السبب الرئيس لظهور من يصرحون بعبادة الشيطان، لأنهم لو حكموا كتاب الله وسنة رسوله صـلى الله عليه وسـلم في

حياة الناس لأوجدوا المناخ الإسلامي الذي يقي المسلمين-وغيرهم-من اتباع خطـوات الشـيطان، وقضـوا بـذلك على الوسـائل الداعية إلى عبــادة الشــيطان... ولكنهم-مع تمجيد وســائل الإعلام لهم-لم يدَعوا خطوة من خطوات الشيطان خطوها، ولا سبيلا من سـبله إلا سلكوها.

والله تعالى يقول: {يا أيها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(168)[1]

ويقـول: {يا أيها الَّذِينَ آمَنُـوا ادْخُلُـوا فِي السِّـلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُـوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(208)[2].

ويقول: {وَمِنْ الْأَنْعَـامِ حَمُولَـةً وَفَرْشًـا كُلُـوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(142).[3]

ويقول: {يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّـيْطَانِ فَإِنَّهُ يَـأْمُرُ بِالْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَـرِ وَلَـوْلَا فَضْـلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَـاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(21).[4]

ومن أعظم خطـوات الشـيطان التحـاكم إلى الطـاغوت الـذي فرضه الطغاة على الناس فرضا في كل شأن من شـؤون حيـاتهم، والقرآن الكريم يدل على تكذيب من يدعي الإيمان وهو يتحاكم إلى الطاغوت، ويدل على أن من أطـاع غـير الله في تحليل ما حـرم أو تحريم ما أحل قد عبد غيره تعالى. فكيف بمن شـرع للنـاس تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله وفـرض ذلك فرضا على النـاس، وفرض عليهم التحاكم إلى الطاغوت بسطوته وسلطانه.؟!

قــال تعــالى: {اتَّخَــذُوا أَحْبَــارَهُمْ ورهبا نهم أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِـيحَ ابْنَ مَـرْيَمَ وَمَا أُمِـرُوا إِلَّا لِيَعْبُـدُوا إِلَهًا وَاحِـدًا لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(31).[5]

وقال تعـالى: {أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُـونَ أَنَّهُمْ آمَنُـوا بِمَا أُنـزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنـزِلَ مِنْ قَبْلِـكَ يُرِيـدُونَ أَنْ يَتَحَـاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَـدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60)}.[6]

---

[1]-البقرة

[2]-البقرة.

[3]-الأنعام.

[4]-النور

[5]-التوبة.

[6]-النساء.

المظهر السابع: محاصرة كل وسيلة إعلامية تحمل الحق.

وكما تفتح أجهزة الإعلام الأبـواب لأفكـار أهل الباطل الفاسـدة، لتصل إلى عقول الناس، فإنها تحاصر أفكار أهل الحق من أن تصل إلى تلك العقول. وذلك باتباع الأسلوبين الآتيين:

الأسلوب الأول: عدم الإذن بالمطبوعات التي تتضمن بيان الحق وفضح الباطل.

ســــواء كـــــانت تلك المطبوعـــــات كتبا أو جرائد ومجلات،أو منشـورات، تمنع طبعا وبيعا وتوزيعا في داخل الشـعوب الإسـلامية التي يحارب حكامها الحق.

الأسلوب الثاني: استنفار جيش الجمارك لمنع وسائل الحق.

نعم يستنفر قادة الباطل جيشا كبيرا من المــوظفين في إدارات البريد والجمـــارك الجوية والبرية والبحريـــة، لرصد المطبوعـــات وشرائط الكاسيت والفيديو الـتي تـرد إلى الشـعوب الإسـلامية-ولو كـــانت من بلد إســـلامي-وهي تحمل الحـــق، فتصـــادر وتمنع من الوصـول إلى عقـول النـاس في داخل تلك الشـعوب، مع تيسـير دخــول الوســائل المماثلة الــتي تحمل الباطــل، بحيث تغــرق بها المكتبات التجارية وتكون في متناول الأفراد والأسر، وكذلك تسـهل سبل نشر الكتب والجرائد والمجلات وأشـرطة الكاسـيت والفيـديو الــتي تنشر الباطل سـواء أكـان عقـديا أو فكريا أو أخلاقيـا، يـؤذن بطبعها وبيعها وتوزيعها، وقد تتولى إدارات الإعلام في تلك الشعوب الإســــلامية توزيع تلك الوســــائل مجانا إمعانا في نشر الباطل ومحاصرة الحق.

وتَــدعمُ محاصــرةَ الحق والحجر على العقــول منــه، بمنع كل وسيلة إعلامية تحمله، ونشر الباطل وتسهيل كل وسيلة تحمله إلى عقول الناس، أنظمةٌ إعلامية وأجهـزة إدارية تنفيذية ظـاهرة وخفية تسهر على تنفيذ المخطط الآثم الـذي قصد به الحجر على العقـول من أن يصل إليها الحـــق، وفتح الأبـــواب للباطل ليســـتقل بتلك العقول.

بل إن بعض محـاربي الحق الـداعمين للباطل في بعض البلـدان الإســلامية، يحــاربون من أعلن توبته إلى الله من الأعمــال الــتي تصــرف عقــول النــاس عن الحق إلى الباطــل، ويمنعــون كتبهم ومـذكراتهم بسـبب تـوبتهم، خشـية من أن يكـثر التـائبون إلى الله ويقل رواد الفتنة وناشرو الفـواحش والـداعون إلى المنكـرات، كما

قــال تعــالى: {وَاللَّهُ يُرِيــدُ أَنْ يَتُــوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيــدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُــونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27).[1]

وهؤلاء الذين يحجرون على العقــول من أن يصل إليها الحق في وسائل الإعلام، أو ييسرون السبل لوصول الباطل إلى تلك العقــول عن طريق تلك الوسائل، هم في الحقيقة أشد خطرا على الإســلام والمســلمين من قطــاع الطــرق الــذين يخيفــون الســبل ويســلبون الأموال ويزهقون الأرواح. ذلك أن قطاع الطرق يشعر الناس كلهم بخطرهم والضــرر الــذي ينزلونه بالنــاس، فيتــداعى لــدرء خطــرهم الخاصة والعامة ويتعــاون على حــربهم الحكــام والمحكومــون، فلا يدوم خطرهم بل يــزول في وقت قصــير-نســبيا-أما أعــداء الإســلام الــذين يــدأبون بالســباق إلى العقــول بــإبلاغ الباطل إليها وقطع الطريق على الحق من أن يصل إلى تلك العقــول، فــإن خطــرهم لا يظهــر-في أول وهلــة-إلا لفئة قليلة من النــاس، وهم المفكــرون الإسلاميون من ذوي العلم والبصيرة، والحرص على مصــالح الأمــة، وهؤلاء يقف لهم أعداء الإسلام بالمرصــاد مكممين أفــواههم من أن تصــدع بــالحق وتنبه على الخطــر، مكســرين أقلامهم من أن تخط كلمة تحــذر النــاس من شــرهم وفســادهم، بل إنهم يُضَــايَقُونهم في رزقهم ووظــــائفهم وتنقلاتهم، وقد يــــزج بهم في الســـجون والمعتقلات، ويــنزل بهم من التعــذيب والعقــاب ما لا يطــاق، وقد يقتلــون في ســجونهم غيلة أو يحكم عليهم بالقتل ظلما وعــدوانا، ويعلن للناس أنهم مجرمــون، والنــاس لا يعلمــون حقيقة الأمــر، لأن عقولهم قد ضــللتها أجهــزة الإعلام الــتي هــيئ لها أن تصل إلى تلك العقول.

ولا يعلم غــالب النــاس بخطر هــؤلاء المفســدين للعقــول، إلا بعد فوات الأوان، بفساد العقول وما يترتب عليه من آثار مــدمرة لحيــاة الأمـــة، وهنا يكمن الخطر العظيم، كما هو واقع الأمة الإســـلامية اليوم.

المظهر الثــامن: قلب الحقــائق الــتي تضــلل بها الشعوب.

إن تلك الأجهزة تتعمد تضليل الشعوب الإسلامية بقلب الحقــائق في كل منـــاهج حيـــاتهم ومرافقهـــا، في الشـــؤون السياســـية

---

[1]-راجــع جريــدة: الاقتصــادية الســعودية. عــدد: 1615 الثلاثــاء: 6/10/1418هـ--3/2/1998م. صفحة: 14 بعنوان: (منع مذكرات الفنانات التائبات).

والاقتصادية والثقافية والعسـكرية، والعلاقـات الدوليـة، بحيث تظهر وسائل الإعلام لتلك الشعوب صواب تدبير قادة الباطل من الطغـاة المحاربين للإسلام والحق والمؤيدين للباطـل، في كل تلك المنـاهج والمرافق، وأن الغاية من تدبيرهم وتصرفاتهم إنما هي مصلحة تلك الشعوب وعزها وسؤددها.

مع أن الواقع بخلاف ذلـك-في الأغلب الأعم-إذ تكـون سياسـتهم لشـــعوبهم سياسة غش وخـــداع، يتوســـلون بها إلى ما يحقق مصالحهم الذاتية، ولو حطموا بذلك مصالح تلك الشعوب وجلبوا لها المفاسد المدمرة، من ظلم وغصب ونهب ونشر فسـاد وإذلال، كما يحطمون اقتصـاد تلك الشـعوب باسـتنزاف خيراتها وإنفـاق أموالها فيما لا يعود عليها بفائدة، بل يعود عليها بالضرر، ويعـود على أعـداء الأمة الإسـلامية بالفائـدة، ويحملـون تلك الشـعوب بالـديون الربوية الـتي تتضـاعف عليها وترهقها وتجعلها خاضـعة لأعـدائها من اليهـود والنصارى الذين يغرقونها بتلك الديون، وغالب تلك الأموال والديون يسـتأثر بها قـادة الباطل الـذين يضـللون النـاس بالـدعايات الكاذبة التي تقلب الحقائق وتفسد العقول.

وهكذا يضللون عقول الشعوب الإسلامية بالثقافات الأجنبية التي تحارب الإسلام وتشوهه، كأفكار كثير من المستشرقين والمنصرين والملحدين، ومن يسمون بالأدباء، وكثير منهم منحلون، والعلمـانيين والحداثيين والماسونيين وغيرهم من دعـاة الفسـاد الـذين تـؤثرهم-غالبـا-أجهـزة الإعلام على من سـواهم من دعـاة الحـق، حـتى لا يسـابقوهم بهـذا الحق إلى عقـول النـاس، مع المـدح المبـالغ فيه لأولئك وغمز وذم هؤلاء.

أما التضليل الإعلامي للشعوب في الشـؤون العسـكرية فحـدث عنه ولا حرج.

إن الشـعوب الإسـلامية عنـدما تسـمع وتـرى وتقـرأ الضـجيج الإعلامي الذي يطري القوى العسكرية، سواء ما تعلق منها بـالجنود أو المعـدات، وما صـرف في ذلك من أمـوال هائلـة، ينقـدح في عقولهم أن لديهم قـوة عسـكرية قـادرة على دفع عـدوان أي عـدو عليها، بل ربما ظنت أكثر من ذلك أن تلك القوة قـادرة على إخافة العـدو وإرهابه وهو في عقر داره، تحقيقا لأمر الله تعـالى بإعـداد العـدة الـتي تـرهب العـدو، ولكن إذا جد الجد وحـان وقت العـدوان على تلك الشـعوب تـبين لأهلها مـدى تضـليل عقولها من أجهـزة إعلامها التي خدعتها بقلب الحقـائق وكـثرة الأكـاذيب، وظهر لها أن الأموال الهائلة التي قيل: إنها أنفقت لتقوية جيوشها، قد ذهبت إلى

خزائن أخرى لا صلة لها بتلك القوة الوهمية الــتي ظنوها ملجأ لهم-بعد الله-من أي عدوان خارجي، وقد لا يرون لتلك القــوة من أثر إلا عندما تنزل شوارع مـدنهم لضـرب المعارضـين من أبنـاء الشـعوب الذين ينادون بإصلاح الأمـور وتقـويم السياسة المعوجـة، فيـذكرون عندئذٍ قول الشاعر:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر

والخلاصة أن وسـائل الإعلام تضـلل العقـول، وتقلب الحقـائق، وتصور الحق في صورة الباطل، وتصـور الباطل في صـورة الحـق، وتوهم الناس بأن الكذب صدق، وأن الصـدق كـذب، وأن الشـجاعة جبن وأن الجبن شـجاعة، وأن الظلم عـدل، وأن العـدل ظلم، وأن المصلحين مفسـدون، وأن المفسـدين مصـلحون: {وإذا قيل لهم لا تفســـــدوا في الأرض قـــــالوا إنما نحن مصـــــلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} [1].

هكــذا اســتغل أعــداء الحق من حكــام الشــعوب الإســلامية المحاربين للإسلام وسيلة الإعلام، لتثبيت الباطل ونشره، ومطـاردة الحق ومحاصرته وتشويهه.

---

[1]-البقرة: 11،12.

الوسيلة التاسعة: إقامة محاكم ظالمة لحماية الباطل وأهله.

مقومات هذه الوسيلة:

ولهذه الوسيلة مقومات:

المقوم الأول: وضع قوانين ونظم تمكنها من نصر الباطل.

يصدر تلك القوانين طواغيت الظلم والاستبداد وأرباب المعاصي والشهوات، وذوي العقائد الفاسدة والأفكار الهدامة، ليكون ما يأتونه من الباطل وما يتركونه من الحق مشروعا، ليس لأحد الاعتراض عليه.

كما يصدرون قوانين أخرى تحظر الحق وتعاقب أهل الحق والدعاة إليه، وتعتبرهم شذاذا خارجين عن القانون الذي أوهموا الشعوب أنه إنما وضع لمصلحتها ولتثبيت الحق والعدل، وهو في حقيقة الأمر إنما وضع لمصلحة قادة الباطل ومحاربة الحق وأهله.

المقوم الثاني: محاربة الحكم بشرع الله.

ويحاربون الحكم بشرع الله الذي أنزله في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بحجة أنه غير صالح للتطبيق في هذا العصر، واعتبار الدعاة إليه مجرمين مرتكبين للخيانة. ولذلك يتعرضون للمحاكمة الظالمة التي قد يصل الحكم فيها إلى القتل، بعد أن ينال الداعية إلى حكم الله من الأذى في نفسه وأهله وكل من يمت إليه بصلة، ما يصعب تحمله والصبر عليه إلا من أولي العزم من المؤمنين.

المقوم الثالث: تنصيب قضاة يعادون الإسلام والدعاة إليه.

ومعاداتهم للإسلام قد يكون بسبب جهلهم بالحق الذي جاء به هذا الدين مبينا في الكتاب والسنة، وقد يكون بسبب بغضهم لذلك الحق الذي يخالف أهواءهم وشهواتهم ومعتقداتهم-مع علمهم بما فيه-وينبني على هذا العداء إصدار الأحكام الظالمة على دعاة الحق، مناصرة لأهل الباطل ودعاته.

المقـــوم الرابـــع: حرمـــان الظلمة أهل الحق من المحاماة العادلة.

وذلك بمنعهم من يتصدى للمحامـاة عن أهل الحق المظلـومين، إذا علم منهم الصدق والوقـوف مع أهل الحق ضد الباطـل، وتعـيين أهل الباطل محامين مـوالين لهم ولبـاطلهم، معـادين للحق وأهلـه، ويترتب على ذلك أن يكون المـدعي والمحـامي والشـاهد والقاضي كلهم من المحـاربين للحق المؤيـدين للباطـل، وبـذلك لا يتوقع أن تصدر من هؤلاء القضاة أحكام عادلة، بل ظالمة آثمة[1].

وقد تستيقظ ضـمائر بعض القضـاة عند المحاكمة وسـماع حجج أهل الحق فيحـــاولون تخفيف الظلم عنهم، وعندئـــذٍ يلجأ الحكـــام المحاربون للإسلام-وهو الحـق-إلى تكـوين محـاكم خاصة عسـكرية تصدر أحكاما متفقا عليها قبل إجراء المحاكمـة، لا تسـتغرق إلا وقتا قصيرا ينفذ الحكم بعدها مباشرة.

المقوم الخامس: تضليل الرأي العام في الشعوب الإسلامية.

وتتولى هذا التضليل-كما هي العـادة-وسـائل الإعلام الـتي تـدين أهل الحق قبل المحاكمة وفي أثنائها وبعدها، حيث تلفق تهما كاذبة على أهل الحق وتعلنها وتكررها حـــتى تصـــبح كأنها حقيقة واقعـــة، وأهل الحق لا يســمع لهم صــوت، حــتى عنــدما يحــاكمون لا تنقل وسـائل الإعلام ما دار في وقت المحاكمـة، ولو نقل للنـاس ما دار في المحـاكم الظالمـة، لعلمـوا حجج وبـراهين أهل الحـق، وكـذب وتزوير أهل الباطـل، وتـبين لهم ظلم قـادة الباطل الـذين صـدرت منهم الأحكام الآثمة على أهل الحق.

الوسـيلة العاشـرة: جعل وسـائل الحق منطلقـات للباطل.

الاستيلاء على المساجد وجعلها منطلقا للباطل.

ومن أهم الوسائل التي ينطلق منها الحق المسـاجد الـتي شـرع

---

[1]-ينطبق على هذه مثل يمني يقول: المدعي من أسلم والشاهد من أسلم، والقاضي من أسلم، فكيف أسلم؟! وأسلم: اسم قبيلة.

الله عمارتها لذكره الشـامل للعبـادة، ونشر العلم النـافع في الـدنيا والآخرة، وتربية الأجيال على دين الله وتقوية أواصر الإخاء والمحبة والإيثار بينهم، وغرس معاني العزة الربانية في نفوسهم، والبعد عن أسباب الضعف والذلة لأعداء الله.

يضاف إلى ذلك أن المساجد من أهم مواضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لما يحدث فيها من تَعَلُّم وتعليم، وتلاوة الأئمةِ آياتِ الله في الصلوات وإلقاء المواعظ والخطب، وبخاصة خطب الجمعة التي فرض الله على المؤمنين حضورها والإنصات لها كل يوم جمعة، وحرم عليهم فيها الكلام والتشاغل عنها، وبذلك كانت المساجد أهم منطلقات الحق في السباق إلى العقول.

مسلكان خطيران.

ولكن أعداء الإسلام المحاربين له-وهو الحق-اسـتولوا على هـذه المنطلقات وسلكوا بشأنها مسلكين خطيرين:

المسلك الأول: إبعاد أهل الحق عن السـبق به في المساجد.

نعم لقد أبعد أهل الباطل أهل الحق والـــدعاة إليه من علمـــاء الأمة الصـادقين عن توجيه الشـعوب الإسـلامية من تلك المسـاجد، بالتعليم والدعوة والمواعظ والخطب، والتعاون على البر والتقـوى، والتنبيه على المخـــاطر المحيطة بالأمة من داخل بلـــدانهم أو من خارجها، كل ذلك من أجل إبقاء الباطل الذي اسـتغلوا كل الوسـائل السـابقة وغيرها لإيصـاله إلى عقـول النـاس، والحجر على تلك العقـول الـتي ملأها بالباطل من أن يصل إليها الحق الـذي يملكه أولئك العلمـاء والـدعاة، الـذين لا يخـافون في الله لومة لائم ولا يبيعون دينهم بدنيا غيرهم من أهل الباطل.

المسـلك الثـاني: اصـطناع أئمة وخطبـاء مـوالين للباطل.

وهؤلاء الأئمة والخطباء قسمان:

القسم الأول: جاهل، وقد يكون حافظا للقرآن الكـريم أو كثـيرا منه وهو لا يفهم منه شـيئا، وقد يكـون عـاجزا عن تلاوة بعض آيـات القرآن تلاوة صحيحة، فإذا خطب النـاس وجدته ذاعي يلـوك لسـانه غير قادر على نطق جملة من الخطب المنبرية التي يقرأ منها نطقا صـحيحا، وغـالب تلك الخطب يكـون من الكلام المسـجوع الميت الذي لا يمت إلى أوضاع الأمة الحاضرة بصلة.

القسم الثاني: عندهم علم بالقرآن والسنة-في الجملة-وعنـدهم مقدرة على تبصير النـاس وتعليمهم وتتبع الأحـداث الـتي تـنزل بهم وما يعانونه من مشـكلات، وبيـان أسـبابها وآثارهـا، والمخـارج من مضايقها، ولكنهم-مع قدرتهم تلك-قد بـاعوا أنفسـهم لأعـداء الحـق، ونصـبوا أنفسـهم أبواقا لبـاطلهم، وكثـير منهم من ذوي التقعر في الكلام والتفيهق فيه، تسمعهم يوم الجمعة وهم يجلجلـون بأصـوات مرتفعة في مكـبرات الصـوت على منـابر جوامع كبـيرة في غـالب البلـدان الإسـلامية من شـرق الـدنيا إلى غربهـا، تنقل خطبهم في أجهزة الإعلام-المذياع والتلفاز وتنشرها الصحف والمجلات-الموالية لأهل الباطل، وإذا أصغى المصلون الـذين ألـزمهم الله حضـور تلك

الخطب وسماعها، إذا أصغوا إلى تلك الخطب، وجـدوا أغلبها بعيـدة كل البعد عن الموضـــوعات الـــتي تهمهم في حيـــاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والتعليمية والإعلامية وغيرها، أو أنها تؤيد الأوضـــاع الفاســـدة في كل تلك المجـــالات، وتثـــني على صانعي الفساد من أهل الباطل، وتحـرض على أهل الحق وتصـفهم بأوصاف منفرة كاذبة جائرة، كل ذلك يقصد به تضليل عقول الناس واستغفالها وقلب الحقائق عليها.

والجيد من أولئك الخطبـــاء من يحـــاول تنزيه لســـانه عن غمط الحق والتحريش على أهله، ويخفف من الثنـاء على الباطل وأهلـه، ولكنه قد يبتعد عن الحديث عن مشكلات الأمة النازلة بها، التي هم في أمس الحاجة إلى بيانها توجيههم لحلها والخروج من مضايقها.

فإذا نزلت بالناس مجاعة وفقر-فعم الضرر شعوبهم ما عـدا قلة قليلة من ذوي اليســـار والغـــنى، وبخاصة ذوي النفـــوذ والمناصب الـــذين اســـتولوا على مرافق الأمة وخيراتها ونهبوها بوســـائل وحيل شـتى في أوقـات سـابقة، فأصـبحوا يتنعمـون بها والنـاس يموتـون جوعا-سمعتَ خطب أولئك الأئمة تثني على الفقر والصبر عليه، ولا تتعرض لترف المترفين وبذخ الظالمين وتحثهم على البذل والعطاء والتعاون الإيثار.!

وإذا هجم العـدو على بلاد المسـلمين فاحتلها وعـاث في الأرض فسادا، سمعت أولئك الخطباء وهم يشنون الغارة في خطبهم على غـــير الحـــدث الماثل خطـــره، فيســـهبون في ذم بعض التصـــرفات السيئة التي يمكن تأجيلها-وإن كانت مهمة [1]-وتقديم ما هو أهم منها وأخطر.

وإذا استحلت الحرمات واغتصبت المحصنات الغافلات المؤمنات في عقر دار المسلمين ضربوا عن ذلك صفحا، وسمعتهم يتحـــدثون عن الحيض وأقســـامه وكثـــير من أحكامه المعقـــدة أمـــام حشـــود الرجال الذين يستحل حرما تهم أعـداؤهم في عقر دارهم، وهم في أمس الحاجة إلى ســـماع ما يحثهم على الجهـــاد في ســـبيل الله بالأنفس والأموال.

وإن أمثال هؤلاء كمثل طبيب يرى مريضين: أحدهما عنده صداع خفيـف، والآخر مصـاب إصـابات خطـيرة برصاصـات قاتلـة، تـدعو الضـــرورة إلى الإســـراع بمعالجتـــه، فيتركه ويهتم بمعالجة صـــاحب الصداع !.[2]

---

[1]-كالتدخين مثلا

[2]-المقصود من هذا أن بعض أولئك الخطبـاء، وكـذلك بعض المفـتين والوعـاظ، يهملـون مـا هـو

وهكـذا يجد المصـلون أنفسـهم أمـام خطبـاء-كـأجهزة الإعلام-يصفون الظلمة بالعدل، والجبناء بالشجاعة، والفسـاق بالطاعـة، أو يجدون أنفسـهم أمـام خطبـاء يتحـدثون عن موضـوعات بعيـدة عن حيـاتهم، أو هي من حيـاتهم ولكنهم يحتـاجون إلى الحـديث عما هو أهم وأولى، فلا يجـدون ملجأ يلجئـون إليه إلا أن يهربـوا من أولئك الخطبـاء وخطبهم، إلى وضع رؤوسـهم على أكفهم ليخلـدوا إلى النوم حتى تقام الصلاة!

وبهـذا جعل أهل الباطل منطلقـات الحق منطلقـات لبـاطلهم، تلك المنطلقات التي قال الله تعالى فيهـا: {إنما يعمر مسـاجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونـوا من المهتـدين، أجعلتم سـقاية الحـاج وعمـارة المسـجد الحـرام كمن آمن بالله واليـوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين} [1].

وقـال تعـالى: {في بيـوت أذن الله أن ترفع ويـذكر فيها اسـمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجـارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه الأبصار } [2].

وليس المراد من ذكر الله وتسـبيحه مجـرد قـول بـدون تطـبيق لشـرعه والـدعوة إليه والأمر به والنهي عن الصد عنـه، فقد قـال تعالى-مبينا أن الجهاد في سـبيل الله هو مما يـدفع الله به الاعتـداء على تلك المسـاجد الـتي يـذكر فيها اسـمه-: {أذن للـذين يقـاتلون بـأنهم ظلمـوا وإن الله على نصـرهم لقـدير، الـذين أخرجـوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهـدمت صـوامع وبيع ومسـاجد يـذكر فيها اسم الله كثـيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} [3].

وإن الذين يجعلون مساجد الله الـتي هي-في الأصـل-منطلقـات للحق، منطلقات للباطل، لمن أحق النـاس دخـولا في قوله تعـالى: {ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسـمه وسـعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي

ضروري أو أولى بالاهتمام لأنه حدث الساعة، وضرره على الأمة أشـد من غـيره، ويهتمـون في نفس الوقت بما يمكن تأجيله أو تناوله بما يحقق معرفته دون إهمـال الضـروري أو الأهم، أي إنهم يهولـون ما لا يحتاج إلى التهويل ويهملون ما هو مهول فعلا، وليس المقصود إهمال الأحكام الـتي يحتـاج إليهـا الناس في أي باب من أبواب الشريعة.

[1]-التوبة: 18،19.

[2]-النور: 36،37.

[3]-الحج: 39،40.

ولهم في الآخر عذاب عظيم} [1].

وجعل أعداء الحق وأنصار الباطل هذه المساجد-التي أعدت في الأصل لتكون منطلقات للحق-منطلقات للباطل هو نفس السيرة التي سار عليها المنافقون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، باتخاذهم مسجد الضرار الذي اتخذوه معارضة ومضادة لمساجد المسلمين، وفي طليعتها مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: {والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون} [2].

والفرق بين من نزلت فيهم الآية وبين أعداء الحق في هذا الزمان من وجهين:

الوجه الأول: أن الذين نزلت فيهم الآية لم يكونوا حكاما للمسلمين، وإنما كانوا يتآمرون في الخفاء، لأن قيادة المسلمين كانت بيد الرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بإحراق ذلك المسجد وأراح المسلمين شر أعدائهم المتآمرين.

أما في هذا الزمان فإن الذين يتخذون مساجد المسلمين ضرارا للإسلام والمسلمين، هم حكام يحاربون الله ورسوله ويفرضون على المسلمين الحكم بغير ما أنزل الله، وفي يدهم القوة والحكم، ولذلك تكون السيطرة على المساجد لهم، ولا يؤم الناس فيها ويقوم بالدعوة والتعليم والخطابة فيها-غالبا-إلا من يواليهم ويضلل عقول الناس أو يخدرها بالباطل، ولا يصدع بالحق الذي يحاربه أولئك الحكام.

الوجه الثاني: أن الذين نزلت فيهم الآية لم يستطيعوا أن يسيطروا على أكثر من مسجد واحد-وكان ذلك بمؤامرة خفية-لم تدم لهم طويلا. أما الذين اتخذوا المساجد منطلقات للباطل في هذا الزمان، فقد استطاعوا أن يسيطروا على غالب مساجد المسلمين، وبخاصة المساجد الكبيرة ذات الشأن في البلدان الإسلامية، لأنهم هم قادة المسلمين وحكامهم، وسيطرتهم عليها مبنية على حق مشروع بقوانين وأنظمة وأجهزة صنعوها لأنفسهم، بحيث تعد تصرفاتهم في تلك المساجد مشروعة وهي الأصل، حسب تلك القوانين والأنظمة، وتعد تصرفات غيرهم فيها-ولو كانت

---

[1]-البقرة: 114.

[2]-التوبة: 107.

هي الشـرعية في الحقيقـة-خارجة عن القـانون والنظـام، يسـتحق أصحابها العقاب والمساءلة. وبهذا أصبحت مسـاجد المسـلمين-في الغالب-ينطبق عليها قول الشاعر:

حرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس[1]

اتقوا الله ما استطعتم.

ومع ذلك يجب على أهل الحق من العلمـــاء والمفكـــرين والخطبـاء، أن يحرصـوا على العمل في المسـاجد، وعـدم التخلي عنها، ومحاولة القيام بما يقدرون عليه من إيصال الحق إلى عقـول الناس، سواء بقراءة القرآن في الصلوات، أو بالخطب والمواعـظ، أو بالتـدريس والتعليم، والإمـام الحكيم يسـتطيع أن يتحين الفـرص ويفيد النـــاس في الحـــدود المســتطاعة، ومن يتق الله يجعل له مخرجا.

ولا ينبغي لمن عنده لقادر على إفادة المصـلين-ولو قلت-التخلي عن القيام بما يقدر عليه.

الوسـيلة إلحادية عشـرة: اسـتغلال أهل الباطل اختلاف العلماء.

طرق الاستغلال.

ولهم في هذا الاستغلال طرق شتى، نذكر منها ما يأتي:

الطريق الأولى: إعداد عملاء يلبسون لباس التقوى والصدق.

ويظهرون الحماس للإسلام والغيرة عليـه، والانخـراط في بعض الجماعـات الإسـلامية، والتظـاهر بالإعجـاب بمناهجها وأفكارها ومظاهرها وحفظ مصطلحاتها وتكرارها، حتى تثق تلك الجماعة في

---

[1] -ذكرت هنا مثالا واحدا لاتخاذ أهل الباطل منطلقات الحق منطلقات لباطلهم، وهي: المسـاجد، وهناك منطلقات كثيرة للحق يتخذها أهل الباطل منطلقات لباطلهم، كالقرآن الكـريم (أسـاس جميـع منطلقات الحق) الذي يحرفه أعداء الإسلام من المستشـرقين والمنصـرين، أو علمـاء السـوء الـذين اتبعوا علماء أهل الكتاب في اشترائهم بآيات الله ثمنا قليلا.... وقد يكون تحريفـه عن طريـق تفسـير ألفاظه بغير معانيها المرادة، أو عن طريق ترجمته. وكذا سنة الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم الـتي يعمد أهل الباطل إلى الطعن فيما صح منها، أو تحريف معناه، وإلى اختلاق أخبار كاذبة وإسـنادها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن اللـه تعـالى هيـأ لحفـظ كتابـه وسـنة رسـوله من يـذب عنهمـا، ويرمي بشهب الحق كل باطل حاول أهله إيصاله إلى عقول الناس بتحريف الوحيين لفظا أو معنى...

أولئك العملاء من باب حسن الظن بالمسلم، فإذا بلغوا هذا المبلـغ، أخــذوا يــورون نــار الحقد في نفــوس أعضــاء من يتلــون بهم من الجماعات ضد الجماعات الأخرى ومناهجها وأفكارها، وشن الهجوم عليها وتنفـير النـاس منها واتهامها بـالتهم الباطلـة، فيكـون من أثر ذلك نفــور عامة النــاس من تلك الجماعــات الــتي اتخــذتها تلك الجماعة والعملاء المندسون فيها هدفا للسب والشتم والتحذير من مناهجها ودعوتهـا، مع أن لـدى تلك الجماعـات الـتي حصل التنفـير منها كثيرا من الحق، وقد يكون غالب ما عندها هو الحق، وإذا كـان عندها شيء من الخطأ فقد يكـون ناشـئا عن اجتهـاد، وقد لا يكـون خطأ في حقيقة الأمر-وإن كان خطأ عند جماعة أخرى-وبهذا يحصل حجر على عقــــول النــــاس من أن يصل الحق الــــذي عند تلك الجماعـات إليهـا، مع أن تلك الجماعة الـتي انـدس فيها العملاء، قد يكــون ما عنــدها من الخطأ أو الباطل أكــثر مما عند الجماعــات الأخــرى، فتحــاول تلك الجماعة والعملاء الــذين اندســوا فيها أن يسبقوا بما عندهم من الخطأ أو الباطل إلى عقول النـاس الـذين لا يفرق كثير منهم بين الخطأ والصواب ولا بين الحق والباطل.

الطريق الثانية: استغلال الحاجة للدعم المالي.

مع ســـوء تقـــدير بعض قـــادة تلك الجماعـــات لعـــواقب ذلك الاستغلال، أو مع ضعف إيمان بعض قادة تلك الجماعـات، أو جهلهم بحقــائق الشــريعة الإســلامية ومقاصــدها، والمصــالح والمفاسد المترتبة على تصـرفاتهم المبنية على ذلك الاسـتغلال، فـإذا ما وجد أهل الباطل أنفســهم في حاجة إلى نصر بــاطلهم والســبق به إلى عقول بعض الناس أو عــزوا لتلك الجماعة أو الجماعـات بتأييد ذلك الباطل ولبس الحق به والتمـاس أدلة تسـنده، إما بتأويل فاسـد،أو رأي شـاذ، أو غـير ذلـك، فتفعل ما طلب منها فتلبس الحق بالباطل على كثير من الناس.

الطريق الثالثــة: اســتغلال عواطف بعض العلمــاء في ا لمناسبات.

وذلك بتحريضــهم للوقــوف ضد خصم معين في ظــرف خــاص لغــرض محــدد، وقد يكــون ذلك الخصم من ذوي الإلحــاد أو ممن يحارب حكم الله ويعادي دعاة الإسلام ويعذب علماءه، وهذه الأمور تقتضي كفـره، ولكن أهل الباطل من أمثاله يوالونه ويتعـاونون معه على الحق وعلى الباطـل، فـإذا ما جـرى بينهم وبينه نـزاع وخصـام

يقتضيان حشد أهل الباطل أعوانا لهم عليه من رعايا هم أو غـيرهم للوقوف ضـده في حق أو باطـل، اسـتغلوا عواطف العلمـاء الـذين يبغضـون ذلك الخصم لجرمه وهيجـوهم عليـه، لإصـدار الفتـاوى والبيانات التي تدينه وتحكم عليه بما هو أهل لـه، من فسق أو ظلم أو كفر كان متصـفا بها قبل هـذه الفتـاوى والبيانـات، فيـترتب على ذلك أثران خطيران في عقول عامة الناس:

الخطر الأول: أن يفهم كثـير من النـاس أن أهل الباطل الـذين اسـتغلوا العلمـاء ضد ذلك الخصم هم على الحـق، وخصـمهم على الباطل في ذلك الظـرف الخـاص وفي القضـية الـتي كـانت سـببا للنزاع بينهم وبين ذلك الخصم، وقد يكـون الواقع بخلاف ذلـك، فقد يكون الخصم على الحـق، ومسـتغلي العلمـاء على الباطل في تلك القضية، فيكون في فتاوى العلماء وبياناتهم في هذا الظرف تضـليلا للعقول وتأييدا لظلم صاحب باطل على مثله.

الخطر الثاني: أن أهل الباطل الذين اسـتغلوا بعض العلمـاء ضد ذلك الخصم، إذا زال سبب خلافهم مع خصـمهم، عـادوا إلى موالاته والتعاون معه-على الحق وعلى الباطل-وقد ينصرونه على خصم له بالحق وبالباطل، وقد يحـاولون اسـتغلال أولئك العلمـاء-أو غـيرهم-للوقوف معهم في ذلـك، وقد يسـتجيب لهم بعض العلمـاء لأسـباب مشابهة للأسباب السابقة التي جعلتهم يقفون ضد ذلك الخصم أولا، فيُحـدِث ذلك بلبلة في عقـول النـاس واضـطرابا، فيقفـون موقف الريبة من العلماء، وقد لا يقبلون فتاواهم ولو كانت حقـا، وفي ذلك حجر على عقـول النـاس من أن يصل إليها الحـق، وسـبق بالباطل إليها [1]. وهذه الوسيلة من أخطر الوسائل الـتي يتخـذها أهل الباطل للسـبق ببـاطلهم إلى العقـول، أو الحجر عليها من أن يصل إليها الحق. لذلك يجب أن يكون العلماء والجماعات الإسلامية على حـذر شديد، من أن يكونوا أداة لأهل الباطل الذين يجيدون المكر والحيل والاستدراج والاستغلال.

---

[1] -ومما يضلل عقول الناس أن أهل الباطل لا يأذنون للعلماء الذين استغلوهم ضـد ذلـك الخصـم في ظرف معين أن يبينوا للناس مفاسد ذلـك الخصـم وظلمـه عنـدما ينتهي ظـرف الخلاف بين أهـل الباطل وخصمهم، بل قد يعاقبون من يذكره بسوء ولو كان حقا.!.

نتائج البحث :

تمهيد وتلخيص.

ذلك هو الحق، وهذا هو الباطـل، وأولئك هم أهل الحـق، وهـؤلاء هم أهل الباطـل، وتلك غايـات أهل الحق الـذي من أجله يسـابقون إلى العقول، وتي وسائلهم التي يتخـذونها لهـذا السـباق، وهـذه هي غايات أهل الباطل التي من أجلها يسـابقون إلى العقـول، وذي هي وسائلهم التي يسابقون بها لإبلاغ باطلهم إلى العقول.

وبقى أن نـبين بعض النتـائج المترتبة على هـذا السـباق الأزلي الأبدي، لعل معرفة هذه النتـائج تحفز أهل الحق على التشـمير عن ساعد الجد، ليسـبقوا أهل الباطل بما عنـدهم من الحق إلى عقـول الناس، أداء للواجب الذي كلفهم الله إيـاه، وإنقـاذا للعـالم من آثـار الباطل الـذي جد أهلـه-ولا زالـوا يجـدون-للسـبق به إلى العقـول، والحجر عليها من أن يصل إليها الحق الذي لا نجاة لهـذا العـالم في الدارين إلا به.

ولعل معرفة هــذه النتــائج توقظ ضــمائر بعض أهل الباطــل، وتنفض غباره عن فطـرهم، فيعزمـوا على الأوبة إلى الله والرجـوع إلى الحـق، ليكفـروا عن سـيئاتهم الـتي دمـروا بها العـالم بسـبب سباقهم الشديد إلى عقول الناس بباطلهم، والدخول في صف أهل الحق ليصـبحوا من رواد السـباق به إلى العقـول بـدلا من السـباق إليها بالباطـل، ولعل كثـيرا من سـكان هـذا الكـوكب يـدركون خطر تضليل عقولهم من قبل أهل الباطل، وما تـرتب على هـذا التضـليل من مصـائب ومحن دمـرت العـالم، وحـرمتهم من الحق الـذي ينـير العقــول، إذا وصل إليها فيخرجها من الظلمــات إلى النــور، فــإذا أدركوا هذا الأمر أعملوا عقـولهم ودربوهـا، لتقف موازِنَـةً بين دعـاة الحق ودعاة الباطل، سَبَّاقة إلى استقبال الحق ورفض الباطل.

يتضح مما سبق أن لكل أمة، أو جماعـة، أو دولة غايـات تسـعى للوصـول إلى تحقيقها بالوسـائل الممكنة الـتي تـرى في اتخاذها ما يحقق لها تلك الغايــــات، وأن من أعظم مجــــال تلك الغايــــات والوسائل، العقول البشـرية الـتي تحـاول كل أمة أو جماعة أو دولة استقطاب أصحابها بإقناعهم بصحة مبادئها أو رجحانها، لما تحققــه-في زعمهم-تلك المبادئ من فوائد تعـود إلى من يلـتزم بها ويناضل من أجلها، لتكون لها الهيمنة على ما سواها من مبادئ.

ولهذا كان السباق إلى العقول بالغايات والوسـائل، دأب كل أمة وشغلها الشاغل.

وإذا تأمل الباحث أو الناظر في غايات المتسابقين إلى العقول ووسائلهم على مر الدهور، من يوم خلق الله الخلق وإلى أن تقوم الساعة، وجد المتسابِقين-قسمين:

القسم الأول: هم أهل الحق الذين يكون الحق محور سباقهم، لإيصاله إلى عقول البشر، ووقاية تلك العقول من أن يصل إليها الباطل، أو اجتثاث ما وصل منه إليها وإزالته منها.

والقسم الثاني: هم أهل الباطل الذين يكون الباطل محور سباقهم، لإيصاله إلى عقول البشر، ووقاية تلك العقول من أن يصل إليها الحق،أو تضليل العقول التي وصل إليها شيء من الحق والتلبيس عليها، بأن ما وصل إليها باطل أو لا جدوى منه.

ولكل قسم غاياته التي يسعى لتحقيقها بالسباق إلى العقول، ووسائله التي يتخذها لذلك.

وبالمقارنة بين غايات أهل الحق ووسائلهم، وغايات أهل الباطل ووسائلهم تظهر النتائج الآتية:

النتيجة الأولى: غايات السباق إلى العقول بالحق ربانية.

إن غايات السباق إلى العقول بالحق كلها ربانية، بمعنى أن الذي حدد تلك الغايات وأمر بها، هو الله تعالى، وأن غايات السباق إلى العقول بالباطل كلها شيطانية، بمعنى أن الذي حدد تلك الغايات، ودعا إليها، هو الشيطان الرجيم.

وهذه النتيجة وحدها كافية للفرق بين غايات الفريقين، إذ مُحَدِّدُ غايات أهل الحق هو رب العالمين الرحمن الرحيم الذي يريد لعباده سلوك الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا: {يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم، والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما، يريد الله ليخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا، يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما} [1].

ومُحَدِّدُ غايات أهل الباطل هو الشيطان الرجيم، العدو المبين الذي يأمر بالفحشاء والمنكر ويدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير: {يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا

---

[1]-النساء: 26،29.

تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} [1].

{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[2]

النتيجة الثانية: منتهى غايات أهل الحق رضا الله.

ورضاه إنما يكون باتباع منهجه، الذي أنزله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه الغاية تتحقق بها سعادة البشرية كلها في الدنيا والآخرة، لأن تطبيق منهج الله تكمن فيه هذه السعادة، وإذا سعى أهل الحق سعيا يحقق رضا الله عنهم تحقق لهم هم أنفسهم الرضا والطمأنينة، ولذا تجد أهل الحق دائما في سعي حثيث لتحقيق كل ما يرضي الله، والبعد عن كل ما يسخطه، ومن ذلك سباقهم إلى العقول بالحق لإسعاد أصحابها في الدارين.

أما منتهى غايات أهل الباطل فهي التمتع بكل ما في الحياة الدنيا من أكل وشرب وثراء ومسكن ومركب ومنكح على أي حال من الأحوال، دون نظر إلى حلال أو حرام، ودون نظر إلى ما يرضي الله أو يسخطه، ولذا تجدهم في سعي حثيث لما يشبع شهواتهم ويرضي أهواءهم ويحقق مآربهم، وإن كان في ذلك شقاؤهم وشقاء البشرية كلها في الأرض، اتباعا لمنهج الشيطان وبعدا عن منهج الله، كما قال تعالى: {قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو، فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى} [3].

وقال تعالى: {ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم} [4]

وقال تعال: {إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل

---

[1]-البقرة: 168،169.

[2]-فاطر: 6.

[3]-طه: 123،127.

[4]-محمد: 3.

الأنعام والنار مثوى لهم} [1]

النتيجة الثالثة الحق الإلهي منحصر في الإسلام.

وهو الذي تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، و كل ما خالف ذلك من الأديان السابقة سماوية أو غير سماوية، أو المذاهب والأفكار اللاحقة فهو الباطل.

ولذلك فإن المسلمين وحدهم هم الذين يملكون الحق والوسائل المشروعة المؤدية إلى تحقيق غايات السباق إلى العقول بالحق. وأما غير المسلمين فلا يملكون مما يخالف دين الله إلا الباطل، ولهذا فإن المكلفين السباقَ إلى العقول بالحق هم المسلمون الذين يملكون هذا الحق.

فقد بعث الله الأنبياء والرسل عليهم السلام يدعون إلى الحق ويحذرون من الباطل، كما قال تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} [2]. وقد فصل الله تعالى قصص الرسل مع قومهم وما قاموا به من البلاغ المبين الذي دعوا فيه إلى الحق ونهوا عن الباطل، وختمهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، الذي قال عنه وعن أمته المتبعة لمنهجه: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين} [3]

وقد قام أهل الحق من الأنبياء وأتباعهم، وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان، فسابقوا أهل الباطل بالحق إلى العقول وحققوا كل الغايات التي حددت لهذا السباق، واتخذوا كل وسيلة متاحة مشروعة لهذا السباق، حتى رفرفت راية الحق في كل أنحاء الأرض التي استطاعوا الوصول إليها، وسعد الناس بالحق سعادة شاملة في كل مناحي حياتهم: الإيمانية، والعبادية، والتشريعية، والسياسية،والاقتصادية، والتعليمية، والجهادية، والأسرية، والمالية وغيرها.

والواجب على الأمة الإسلامية اليوم أن تقوم بهذا الواجب الذي لا يملكه غيرها، وهو السباق إلى العقول بالحق ووقاية تلك العقول من وصول الباطل إليها، وتطهيرها مما وصل إليها منه فأفسد

---

[1] -محمد: 12.

[2] -النحل: 36.

[3] -يوسف: 108.

حياتها، وكل قادر على القيام بهـذا الـواجب من المسـلمين-كل في موقع مسئوليته وقدرته-آثم إذا لم يقم به.

النتيجة الرابعــة: ســبق الحق إلى العقــول يحفظ ضرورات الحياة.

إن من ثمــرات ســبق الحق إلى العقــول يحقق توحيد الله في الأرض وإقامة شريعة الله، ونشر العـدل، وغـرس الإيمـان والأخلاق الحســنة في النفــوس ومطــاردة الشــرك، ونبذ حكم الطــاغوت، ومحاربة الظلم والقضــاء عليه أو التخفيف منــه، وبالجملــة: حفظ الضــــرورات الخمس، الــــتي هي الــــدين والنسل والعقل والنفس والمال، وكل ما يخدم حفظها من الحاجيات والتحسينيات.

ومن ثمار سـبق أهل الباطل بباطلهم إلى العقـول، إهـدار هـذه الضرورات وما يخدمها.

أي إن البشرية تفسد حياتها إذا سـبق أهل الباطل ببـاطلهم أهل الحق إلى العقول، وتستقيم حياتها وتسعد إذا ســبق أهل الحق أهل الباطل بالحق إلى العقول.

وإنا لنرى آثار هذه النتيجة اليوم واضحة في الأرض، فقد اعْتُـدِيَ على ضرورات الحياة وما يخـدمها، فأفسد أهل الباطل على النـاس دينهم، واعتدوا على نسـلهم، وعقلهم، ونفسـهم، ومـالهم، ونشـروا الظلم والفحشاء والمنكر، وحكموا بالطاغوت ونبذوا حكم الله، ولم يبق في الأرض صلاح إلا حورب، ولا فساد إلا نشر ودعم.

النتيجة الخامســة: في ســبق الحق إلى العقــول تكثير أنصاره.

إن سبق أهل الحق بحقهم إلى العقول، يكـثر سـواد المسـلمين في الأرض فيكثر الأعوان والأنصار وينتشر الحق، ولهذا دخل الناس في دين الله أفواجا عنـدما قـام الرسـول صـلى الله عليه وسـلم وأصحابه بالدعوة إلى الله، وتبعهم على ذلك التابعون بحـق، فوصل الحق إلى عقول الناس في مشــارق الأرض ومغاربها من بكين إلى لشــبونة، ومن جاكرتا وما نيلا إلى نواكشــوط، ومن موســكو إلى الحبشة وعـدن، وأصـبح العلمـاء-في جميع العلـوم والتخصصـات-والأدباء والمفكرون والقـواد والساسة في بلـدان العـالم كلهـا، من أنصار الحق وحماته.

وإن سبق أهل الباطل بباطلهم إلى العقول يكثر سواد أهل الكفر في الأرض، فيكثرِ بذلك أنصار الباطل وأعوانه فينتشر في الأرض ويطارِد الحقَّ وأهله ويسلبهم مجدهم وعزهم، ويهجم عليهم في عقر دارهم.

وهذا ما نشاهده اليوم، حيث جد أهل الباطل في السباق به إلى العقول جدا لم يسبق له نظير، فحققوا بذلك غاياتهم المدمرة، واتخذوا كل ما أتيح لهم من الوسائل لإبلاغ الباطل إلى عقول الناس، فكثر بذلك سوادهم في بلاد الكفر وبلاد الإسلام، حتى فسدت عقول كثير من أبناء المسلمين الذين وقفوا محاربين لدينهم في صف أعدائه الذين سبقوا بباطلهم إلى عقولهم.

وخلاصة هذه النتيجة أن سباق أهل الحق به إلى العقول ينشره ويثبته ويكثر أنصاره، ويجتث الباطل ويذل أهله ويجفف منابعه، وأن سباق أهل الباطل به إلى العقول ينشره ويثبته ويكثر أنصاره ويضيق دائرة الحق ويفتن أهله.

فليعِ ذلك أهل الحق وليجدوا في السباق به إلى العقول امتثالا لأمر الله وحفاظا على سعادتهم وسعادة البشرية بسعادتهم.

النتيجة السادسة: سبق الحق يقيم حجة الله على خلقه.

إن سبق أهل الحق بحقهم إلى عقول الناس، يقيم الحجة على الناس ويوضح لهم المحجة ويظهر الحقائق ويزيل اللبس والزيف، فيحيا من حيي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، لأن الألفاظ توضع لمعانيها والمصطلحات تطلق على ما وضعت له، فلا يلتبس الحق بالباطل، إذ يعرف معنى الإيمان والبر والتقوى والإحسان والمعروف والطاعة والصدق، والمؤمن والبر والمتقي والمحسن، وفاعل المعروف والمطيع الصادق، كما تعرف معاني الكفر والفجور والفسق والإساءة والمنكر والمعصية والكذب والكافر والفاجر والفاسق والمسيء وفاعل المنكر والعاصي والكاذب، ويعرف من يقاتل في سبيل الله "المجاهد" الذي يستحق أن يكون شهيدا إذا قتل، والمعتدي الظالم المحارب لله ولرسوله، الذي يستحق نار جهنم إذا قتل: {الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشطان كان ضعيفا} [1].

و سبق أهل الباطل بباطلهم إلى عقول الناس، يؤدي إلى فقد

[1] النساء: 76.

إقامة الحجة على الناس، ويـوقعهم في اعتقـاد الباطل حقا والحق باطلا، أو في التباس الحق بالباطل.

وإنك إذا أنعمت النظر في هذه النتيجة اليـوم تـبين لك أن كثـيرا من المسـلمين فضلا عن سـواهم، قد التبس عليهم الحق بالباطـل، وأصـبح كثـير من المصـطلحات الشـرعية عنـدهم تطلق على غـير حقائقها أو على بعض حقائقها دون بعض، وانبنى على ذلك انحراف في الاعتقاد وانحراف في السلوك وانحراف في العمل.

ولتوضيح ذلك إليك بعض الأمثلة:

المثال الأول: الإيمان.

ورد الإيمان في الكتـاب والسـنة مـرادا به الاعتقـاد الجـازم فيما أخبر الله به من الغيب، من الإيمان به إيمانا مبنيا على ما وصف به نفسه في القــرآن والســنة من أنه الخــالق المــدبر الإله المعبــود الموصوف بصفات الكمال والجلال...

والإيمـان بكتبه وملائكته ورسـله واليـوم الآخر والإيمـان بالقـدر خيره وشـره، وأن كتابه هو المهيمن على سـائر الكتب الـتي نـزلت فحرفت، وأن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبيـاء لا نــبي بعــده، وأن من مقتضى الإيمــان به إتباعــه، ومن مقتضى الإيمان بالقرآن تحكيم ما شرع الله فيـه... وأن من الإيمـان القـول باللســان كـالنطق بالشـهادتين.... ومنه العمل بـالجوارح كالصـلاة المفصلة صفتها في السنة النبويـة.... أي أن الإيمـان اعتقـاد وقـول عمل، وأن هـذا الاعتقـاد والقـول والعمل لا بد أن يكـون موافقا لما أراده اللــه، والــذي أراده لا يوجد إلا في كتـاب الله وســنة رســوله صلى الله عليه وسلم.

هذا هو معـنى الإيمـان باختصـار شـديد [1]، وهو في غاية الوضـوح لمن تتبع الكتاب والسنة وما فهمه علماء الأمة قديما وحديثا.

ولكن هذا المعنى التبس على كثير من الناس-أعـني المسـلمين فضلا عن غيرهم-ولهـذا تـرى بعضـهم يطلق لفظ "المؤمـنين" على المســلمين واليهــود والنصــارى، بنــاء على أنهم كلهم أهل كتب سـماوية يؤمنـون باللـه... مع أن القـرآن الكـريم قد وصف اليهـود والنصارى بالكفار ووصـفهم بالمشـركين-وإن كـانوا في الأصل أهل كتاب-كما وصفهم بأنهم حرفوا كتبهم وبـدلوها، ووصف القـرآن بأنه مهيمن على الكتب التي سـبقته، فلا يصح إطلاق الإيمـان الشـرعي

---

[1]-وقد فصلت القول فيه في مجلد مستقل بعنوان: ,, الإيمان هو الأسـاس،، وقـد طبـع في هـذا العام: 1418هـ-.

الذي يقبله الله ويثيب أصحابه بـدخول جنته وينجيهم من عذابـه، إلا على الإيمان الذي أراده الله وبينه في كتابه وسنة رسـوله، ولا يصح إطلاق المـؤمن إلا على المسـلم الـذي اتصف بـذلك الإيمـان الـذي أراده الله، فليس اليهودي بمؤمن ولا النصـراني-فضلا عن غيرهمـا- بمقتضى المصطلح الإسلامي بل هما كافران مشركان.

وهنـاك غبش آخر عند كثـير من المسـلمين في معـنى الإيمـان فالإيمـان إذا أطلق في الكتـاب والسـنة هو الإيمـان الـذي سـبق التعريف به، وعلى وجوده بذلك المعنى تترتب آثاره، فـإذا وعد الله المؤمنين بالنصـر-مثلا-فـالمراد بهم المؤمنـون المتصـفون بالإيمـان الذي أراده، فقد قـال تعـالى: {يا أيها الـذين آمنـوا إن تنصـروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}[1]

والمسـلمون-اليـوم-وقد ابتعد غـالبهم عن معـنى الإيمـان الـذي أراده الله إما بتركه كلية كحـال الملحـدين من أبنـاء المسـلمين، أو بمحاربة كثير مقتضياته كتحكيم شرع الله الـذي لا إيمـان بدونـه، أو بالإكثـار من ارتكـاب المعاصي كـالزنى وشـرب الخمـر، أو بمـوالاة أعداء الله من اليهود والنصـارى والوثنـيين والملحـدين والمنـافقين- ومنهم العلمانيون-

هؤلاء الذين يدعون الإسـلام والإيمـان و جلهم على هـذه الصـفة يتسـاءلون: أين نصر الله الـذي وعـدنا به على عـدونا وقد أصـبحوا سـادة لنا يأمروننا وينهوننـا، وتفوقـوا علينا في الإدارة والصـناعة والسياسة والاقتصاد وغيرها؟! ظنا منهم أن المؤمنين الذين أرادهم الله هم أمثـالهم، وهـذا خطأ فـاحش أوقعهم فيه الجهل بالمصطلحات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة.

ولقد تساءل المسلمون من أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم الـذين كـانوا على نهج الله مطيعين لله ولرسـوله محكمين شـرعه، فـأدال عليهم عـدوهم من المشـركين يـوم أحـد، بسـبب مخالفة وقعت منهم لرسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في تلك الغزوة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهـرهم، تسـاءلوا: كيف ينتصر علينا المشركون ونحن مسلمون نجاهد في سبيل الله؟ فأجابهم الله تعالى أن ذلك إنما كـان بسـببٍ من عند أنفسـهم، كما قال تعالى: {أو لما أصابتكم مصيبة قد أصـبتم مثليها قلتم أنى هـذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير}[2]

وإذا كـانت هـذه هي إجابة الله للمسـلمين من أصـحاب رسـول

1-محمد: 7.

2-آل عمران: 165.

الله صلى الله عليه وسلم وتلك كانت حالهم، فكيف بنا اليوم وهذه هي حالنا؟!

إن سـبب هـذا الغبش هو عـدم وضـوح حقـائق الأمـور وسـوء تصـورها، لأن أهل الحق قصَّـروا في السـباق بها إلى العقـول، وجد أهل الباطل فسـبقوا إلى تلك العقـول ببـاطلهم، فـالتبس الحق بالباطل.

وقل مثل ما عـرفت عن معـنى الإيمـان في المعـاني الأخـرى كالشهادة[1] الـتي يوصف بها الشـيوعي الملحد والعلمـاني المحـارب لشـريعة اللـه. والرشد الـذي يوصف به السـفيه. والصـلاح الـذي يوصف به الفاسد، وهكذا...

ويتحمل وزر ذلك كل قـادر على بيـان الحق والباطل للنـاس والسبق بذلك إلى عقول الناس فلم يفعل، ومن باب أولى من كان كـذلك فلبس الحق بالباطل مشـتريا بآيـات الله ثمنا قليلا، كما قـال تعالى: {وإذ أخذ الله ميثـاق الـذين أوتـوا الكتـاب لتبيننه للنـاس ولا تكتمونه فنبـذوه وراء ظهـورهم واشـتروا به ثمنا قليلا فـبئس ما يشترون} [2].

المثال الثاني: الأمن.

إن الأمن في المصـطلح الإسـلامي يقصد به كل ما يحقق للإنسان الطمأنينة والرضا والعيش الهـنيء في الـدنيا، بحيث تحفظ له الضرورات الخمس، وهي: دينه، وعقله، ونفسه، ونسـله، ومالـه، وكل ما يخـدمها من الحاجيـات والتكميليـات. وفي الآخـرة بـالفوز برضا الله ونيل ثوابه والخلـود في نعيمه في الجنة الـتي فيها مـالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأساس تلك الضـرورات وما يخدمه أكلها حفظ الـدين الـذي إذا حفظ حفظت مصالح الإنسان، ودفعت عنه المفاسد، وإذا لم يحفظ ضاعت مصالحه، وتناوشته المفاسد من كل جانب. هـذا هو مفهـوم الأمن في المصـطلح الشـرعي باختصـار شـديد، وبفقـده يحل بالإنسان الخوف في الدارين.

وإذا تأملنا آيـتين وردتا في القـرآن الكـريم اجتمع فيهما أسـاس الأمن وأسـاس الخـوف، وجـدنا أن أسـاس "الأمن" الشـامل لحيـاة النـاس-أفـرادا وأسـرا ودولا-في الـدنيا والآخـرة، هو الإيمـان بالله

1-أي إطلاق لفظ الشهيد على من قتل في معركةٍ مّا.

2-آل عمران: 187.

وتوحيده واتبـاع ما جـاء به رسـله، وأن أسـاس "الخَـوَف" الشـامل لحياة الإنسان-فردا وأسـرة ودولـة-في الـدنيا والآخـرة، هو الشـرك بالله والصد عنه وعن اتباع ما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام.

فقد بين الله تعالى ذلك على لسان أبي الأنبيـاء وقـدوتهم خليله إبراهيم، الـذي خوفه قومـه، وقد أصر على دعـوتهم إلى توحيد الله وطاعته وترك الشـرك به وغلبهم بحججه وبراهينـه، خوفـوه من أن تصيبه آلهتهم التي يعبدونها من دون الله بسوء، فرد عليهم ببيان أن المؤمن بالله جدير بالأمن وأحق به لما حباه الله به من الهداية، ولا يليق به أن يخـاف من الأربـاب المزيفـة، وأن غـير المـؤمن بالله المشرك به هو الجدير بالخوف وعدم الاطمئنان لاسـتناده إلى ما لا ينفع ولا يضر من دون اللـه، كما قـال تعـالى: {وَكَيْـفَ أَخَـافُ مَا أَشْـرَكْتُمْ وَلاَ تَخَـافُونَ أَنَّكُمْ أَشْـرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَـزِّلْ بِـهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَـرِيقَيْنِ أَحَـقُّ بِـالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُـونَ الَّذِينَ آمَنُـوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [1]

كما بين تعالى أن المشركين به الصادين عن سبيله ليسـوا أهلا للأمن من مكره وبأسه وعقابه لهم في الدنيا في مبيتهم نائمين، أو في نهـارهم لاعـبين عـابثين، قـال تعـالى: { أَفَـأَمِنَ أهل الْقُـرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُـنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَـائِمُونَ أو أمن أهل الْقُـرَى أَنْ يَـأْتِيَهُمْ بَأْسُـنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَـأَمِنُوا مَكْـرَ اللَّهِ فَلَا يَـأْمَنُ مَكْـرَ اللَّهِ إلا الْقَـوْمُ الْخَاسِرُونَ}[2]

وقال تعالى: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِـفَ اللَّهُ بِهِمْ الأَرضَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} [3]

ولهـذا كـان عبـاد الله المؤمنـون-وفي طليعتهم أصـحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم-يخافون على أنفسهم من عذاب الله في الآخرة فينالون بذلك الخوف الأمنَ فيهـا، كما قـال تعـالى: {وَالَّذِينَ يُصَـدِّقُونَ بِيَـوْمِ الدِّين وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَـذَابِ رَبِّهِمْ مُشْـفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَـأْمُونٍ(28)} إلى قوله تعـالى: {أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [4]

وهؤلاء الذين يخـافون من عـذاب الله في الآخـرة وينـالون فيها الأمن، هم الــذين يخــافون في الــدنيا من أســباب ذلك العــذاب، فيتخذون الوسائل للبعد عنها، ولذا كان أصـحاب رسـول الله صـلى

---

[1]-الأنعام: 81، 82.

[2]-الأعراف: 97، 98، 99.

[3]-النحل: 45.

[4]-المعارج: 26-28، 35.

الله عليه وسلم مع شدة طاعتهم لله ولرسوله وتمسكهم بدينهم، يخافون على أنفسهم من النفاق. كما قال البخاري رحمه الله: (بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلاَّ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ أَدْرَكْتُ ثَلاَثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ مَا خَافَهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ وَلاَ أَمِنَهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ وَمَا يُحْذَرُ مِنَ الإِصْرَارِ عَلَى النِّفَاقِ وَالْعِصْيَانِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

وفي بعض أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم: [أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يومَ الْوَعِيدِ][1]

فإذا حقق الإنسان هذا الأساس، وهو توحيد الله وطاعة رسله كان جديرا بالأمن، ولا يحول بينه وبين الأمن تمتعه بما يروح به عن نفسه من اللهو المباح، كما يظهر ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنَى تُدَفِّفَانِ وَتَضْرِبَانِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ: (دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْهُمْ أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ) يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ. [2]

والذي يتأمل أنظمة الشريعة الإسلامية الشاملة للعقيدة، والعبادة، والأخلاق، والتعليم والتزكية، والمعاملات، والسياسة الشرعية، والفروسية والجهاد، والقضاء وديوان المظالم، والحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و العقوبات من الحدود والقصاص والتعازير، والاقتصاد، والأسرة، والأطعمة والأشربة، وغير ذلك من أبواب الإسلام... الذي يتأمل تلك الأبواب مجتمعة أو أي باب منها، لا يفوته إدراك تحقيقها للأمن الذي تنشده البشرية أمس واليوم وغدا... [3]

---

[1]-جملة من دعاء طويل ذكره الترمذي. وقال في آخره: حديث غريب.

[2]-البخاري: 934

[3]-وهو كما ترى شامل لأمن الفرد والأسرة والدولة، لأن كلا منهم عليه حقوق وله واجبات، إذا أدى ما عليه من واجبات، وأعطي ما له من حقوق تمتعوا جميعا بالأمن ونجوا من الخوف.

الأسس التي يتحقق بها الأمن في الدارين.

ويتحقق الأمن في الإسلام بثلاثة أسس رئيسة:

الأســـاس الأول: فقه كل مســـلم بـــدين الله في ما يزاوله من عمل.

سواء منه ما، تعلق بالله، أو ما تعلق بنفسه، أو ما تعلق بغيره من المخلوقين.

الأســاس الثــاني: العمل بما علم من دين اللــه.عمل الفــرد، وعمل الأسرة، وعمل الأمة مجتمعة...

الأساس الثالث: إقامة ولي الأمر أحكام الله الواردة في القـرآن والسـنة، بحيث يلـزم من شذ عن تطـبيق شـرع الله به بالوسـائل الشرعية التي قررها الإسلام...

هذا المفهوم الشـامل للأمن في الإسـلام، لم يعد هو المفهـوم عند عامة المســـلمين، بل أصـــبح مصـــطلح: "الأمن" يعـــني في قواميس الكتـاب، والإعلامـيين،والعسـكريين، والساسـة، وكثـير من المفكـــرين والمـــؤرخين والأدبـــاء والفنـــانين... يعـــني الوقاية من الجريمة-المحددة عند هؤلاء-قبل وقوعها، وضبط المجرم-بالمفهوم المحدد عندهم كذلك-وعقابه بعد وقوعها.

وأكــثر ما تعــني أمن الدولة ورجالها من الاعتــداء. ويــدخل في ذلــك-تبعــا-حماية نفــوس الرعايا وأمــوالهم، وما يخل بــالأمن-في مفهومهم-من الأعراض.[1]

منهجان ونتيجتان:

انبنى على المفهوم الشـرعي للأمن العنايـة-تعبـدا-بالإنسـان من وقت ولادته إلى أن يلقى ربه عناية شـــــرعية: العناية بجســـــمه، والعناية بعقلـــه، والعناية بروحه وعاطفتـــه، وتوجيهه تعليما وتربية وتدريبا على أن يؤدي إلى غيره من الناس حقوقهم، وألاَّ يأخذ منهم ما لاحق له فيه، وأن يـأتي إليهم بما يحب أن يـأتوا هم إليـه. أي أن يطبق في صــلته بالله وبالنــاس شــريعة الله الــتي لا يتحقق الأمن بدونها.

فكـــانت النتيجة أمن النـــاس على دينهم، وعقلهم، ونفســـهم، ونسـلهم، ومـالهم، بحيث يلـتزم كل منهم بحفظ ذلك للآخـرين كما يحفظها لنفسه، فإن خرج أحد عن هذا الالتزام الذاتي واعتدى على

---

[1] -الاعتداء على الأعراض-كالزنا-ليس جريمة في قوانين أكثر الحكومات في الشعوب الإسلامية، إلا في حالات نادرة، كأن تزني المرأة على فراش الزوجية...!

غيره ردعته الأمة-عن طريق ولي أمرها-بالزواجر الشـرعية من حد أو قصاص أو تعزير... وأصبح كل واحد من الأمة: حاكما أو محكوما، سيدا أو مسودا، خادما أو مخدوما، متمتعا بالأمن الذي كفله له دين الله.

وانبنى على مفهـوم الأمن غـير الشـرعي[1] عنايـةُ أهله بالوقاية من الجـرائم الـتي أثبتوها في قواميسـهم، أو العقوبة عليهـا، وقد يكـون كثـير مما سـموه جـرائم طاعـات وعبـادات ومصـالح للأمـة، وليست جرائم في حقيقة الأمر.

فكانت النتيجة جعل ما هو صـلاح وبر وإحسـان جريمـة، وجعل من هو صالح وبار ومحسن مجرما، وجعل ما هو جريمة حقيقة خيرا وبـرا وإحسـانا، وجعل من هو مجـرم فعلا، صـالحا وبـارا ومحسـنا. فَحَرَّموا كثيرا من الواجبـات والمنـدوبات والمباحـات، وأحلـوا كثـيرا من المحرمات والمكروهات....

الأمثلة على المفهوم الأول تجسـدها أبـواب الشـريعة الإسـلامية التي تضمنها القرآن والسنة، وعلامتها تطبيقها، فما طبقت الشريعة في زمان أو مكان إلا تمتع جيلهما بالأمن.... وفي تاريخ الإسـلام في عصوره المفضلة خير شاهد.

وإننا نرى في زمننا هـذا فرقا شاسـعا بين الأمن في دولة تطبق كثيرا من شرع الله، وأخرى تحارب تلك الشريعة!.[2]

والأمثلة على المفهـوم الثـاني لا تخفى على من يتتبع تـاريخ المسلمين الطويل، فما ابتعد المسلمون عن الإسـلام، إلا نـزل بهم من الخـوف وارتفع عنهم من الأمن ما يناسب ابتعـادهم، والـذي يعيش في عصرنا هذا يرى ذلك عيانا.

فقد حَـرَمَتْ الـدول العلمانية المحاربة لشـرع الله رعاياها من الحكم بما أنـزل اللـه، وقتلت وسـجنت وشـردت آلاف العلمـاء والـدعاة إلى اللـه، بسـبب دعـوتهم إلى تطـبيق هـذه الشـريعة، وعطلت حد الـردة الـذي يحمي كيـان الأمة الإسـلامية من الانهيـار، وعطلت فريضة الجهاد في سبيل الله، وهو الـدرع الـواقي للـدعوة إلى الله، والسد المنيع من اعتداء أعداء الله على بلدان المسـلمين وأعراضهم وأموالهم التي أصـبح يسـيطر عليها أراذل خلق الله من اليهـود، وفي ذلك اعتـداء على إحـدى ضـرورات الحيـاة، وهي دين الأمة.

---

[1] -أعني الأمن الوضعي الذي سبق التعريف به.

[2] -راجع التشريع الجنائي الإسلامي (2 / 708-716) لعبد القادر عودة رحمه الله.

وعطلت الحدود، ومنها حد القصاص، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي النفس...

وأحلت الزنا والوسائل المؤدية إليه، وحاربت وسائل الوقاية منه كالحجاب، وعطلت عقوبة الزنا، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي النسل والعرض.

وأحلت الخمر الذي يفقد العقول وظيفتها، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي العقل.

وبنت اقتصاد الأمة على مبادئ تخالف مبادئ الاقتصاد الإسلامي، ومن أخطر تلك المبادئ المعاملات الربوية التي حرمها الله وجعل متعاطيها محاربا له تعالى... وعطلت حد السرقة، وفي ذلك إهدار لإحدى ضرورات الحياة، وهي المال.

وإذا كانت النتيجة هي إهدار ضرورات الحياة، فما بالك بما يخدمها من الحاجيات و والتكميليات؟!.

لذلك ترى من الفسق والمنكر والعدوان على كل شعائر الله وحقوق عباده في البلدان الإسلامية، ما يثبت لك اعوجاج مفهوم الأمن لدى قادة الباطل...

المثال الثالث: الإجرام والمجرمون.

إن المراد بالإجرام في المصطلح الإسلامي هو كسب الإنسان السوء والمعصية والمنكر والاعتداء على حقوق الله وحقوق عباده، يشمل ذلك الكسب الاعتقادي كالشرك، والعملي كالسرقة والزنا وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق والظلم بكل أنواعه، ومنه أكل أموال الناس بالباطل.

والمراد بالسوء والمعصية والمنكر والحقوق المعتدى عليها هنا، ما اعْتُبِرَ عند الله في دينه كذلك، لا ما اعتبره البشر كذلك وهو عند الله غير معتبر، والإنسان الذي يكسب هذه الأمور المعتبرة عند الله جريمة، هو المجرم ولا يستوي عند الله الإجرام والإسلام، والإفساد والإصلاح، ولا المسلم والمجرم، ولا المفسد والمصلح.

وإذا تأمل الباحث إطلاق لفظ: المجرمين في كتاب الله تعالى ألفاه -غالبا-يقابل المسلمين، وهو يشمل الكافر والمنافق.

من ذلك قول الله تعالى: {ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} [1].

---

[1] -الأنفال: 8.

وقولـه: {فمن أظلم ممن افـترى على الله كـذبا أو كـذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون}[1].

وقوله تعال: {ويوم يقول نادوا شركائي الـذين زعمتم فـدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا، ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا} [2].

وقوله تعالي: {تالله إن كنا لفي ضـلال مـبين، إذ نسـويكم بـرب العالمين، وما أضلنا إلا المجرمون} [3].

وقوله تعـالى: {يعـرف المجرمـون بسـيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقـدام، فبـأي آلاء ربكما تكـذبان، هـذه جهنم الـتي يكـذب بها المجرمون} [4].

وقوله تعالى: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين} [5].

هذا هو المصطلح الإسلامي للمجرم، ولكن أعـداء الحق وأنصـار الباطل كثيرا ما يطلقون هذا المصطلح اليـوم على علمـاء الإسـلام ودعاته، الذين ينادون بتحكيم شرع الله في الشعوب الإسلامية.

ولما كان الحكـام الـذين يحـاربون شـرع الله يعلمـون أن لأولئك العلماء والـدعاة، تـأثيرا على نفـوس تلك الشـعوب، وأن نتيجة هـذا التأثير هي الاسـتجابة لـدعوة العلمـاء ونصـرة الحق الـذين يـدعون إليـه، فقد اعتــبروا دعــاة الإســلام وحــداة الحق مجــرمين، لأنهم يريدون-في زعمهم-قلب أنظمة الحكم الطاغوتية.

لـذا سـلطوا عليهم أجهـزة إعلامهم لتكـرر وصـفهم بـالإجرام، وأنشئوا لهم محاكم عسكرية أو مدنية طاغوتية تعتـبرهم-قبل إعلان الحكم عليهم-مجــرمين، إجراما يــرقى إلى درجة الخيانة العظمى الـتي يسـتحق صـاحبها القتـل، وإذا فر العـالم الداعية إلى الحق وإقامة شرع الله، إلى بلد يحكمه طـاغوت آخر تعـاون طاغوتا البلد ين بنـاء على اتفاقـات تسـمى تبـادل تسـليم المجـرمين، مع أن المجرم الحقيقي هو أولئك الطغاة الذين يحاربون تطبيق شرع الله ويسومون أولياء الله سوء العذاب باعتبارهم مجرمين.

ولذلك يجب على كل قادر على بيان الحق أن يكون سباقا بذلك البيـان إلى عقـول النـاس، ليكونـوا على بصـيرة بحقيقة الإجـرام والمجرمين، فلا تخدع عقولهم دعايات الضلال والمضـللين، فيسـوء

---

[1]-يونس: 17.

[2]-الكهف: 52،53.

[3]-الشعراء: 97،99.

[4]-الرحمن: 41،43.

[5]-القلم: 35.

بـذلك تصـورهم ويؤيـدون بسـببه أهل الباطل المجـرمين على أهل الحق المسلمين.

المثال الرابع: معنى الدين.

الدين في المصطلح الإسـلامي يعـني الإسـلام الشـامل، الـذي يدخل فيه الإيمان بالقلب والقول باللسان والعمل بالأركان، وتـدخل فيه الشـــعائر الدينية والشـــرائع العمليـــة، من معـــاملات مالية واقتصادية وقضائية وسياسية واجتماعية، وبالجملة يدخل فيه كل ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو ما قال الله عنه: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضـيت لكم الإسلام دينا}[1]

ولكن أنصـار الباطـل، وأعـداء الحق المحـاربين لشـريعة اللـه، خططوا لإزالة هذا المفهوم من عقول أبناء المسلمين، بحيث جعلوا الدين لا يتجاوز معنى العبـادة بمفهومها الضـيق، وهو أنها صـلة بين العبد وربه فقط، وكل إنسان حر في أداء تلك العبــادة واعتقادها أو عــدم ذلــك، فمن أراد أن يتطهر ويصــلي فليفعل ومن لم يــرد فهو أمير نفسه.

أما شــؤون الحيــاة الاجتماعيــة-عــدا بعض أحكــام الأســرة- والاقتصـادية والسياسـية والتعليمية والإعلامية والعسـكرية وغيرهـا، فلا تدخل في الدين ولا للدين فيها حَلٌّ ولا ربط.

ولهذا حُصِر الدين في منـاهج التعليم والإعلام والفتـوى ونحوهـا، في أبواب الطهارة والصـلاة والحج والصـوم، وخصصت له وريقـات في المدارس الابتدائية يدرسها الطـالب الصـغير دراسة ممسـوخة، وتسمى مادة:"الدين" التي تجعل الطالب وأسرته ومجتمعه لا تفهم من الدين إلا ذلك.[2]

وهكذا شأن الإعلام الذي تقدم فيه فتاوى مشابهة لما في مناهج التعليم، إذ الغــالب أن تكــون الفتــاوى تتعلق ببعض أبــواب الفقه الإسلامي، كالطهارة من وضوء وغسل وحيض ومسح على الخفين، وصلاة وحج وصوم، ونحو ذلك مما هو جزء من الدين، وبنشره يأذن قــادة الباطل لوســائل الإعلام، مما لا يعــارض مصــالحهم معارضة مباشرة كبعض أحكام الأسرة....

أما ما يعتــبره قــادة الباطل متعارضا مع مصــالحهم، كــأبواب

---

[1]-المائدة: 3.

[2]-هذا في غالب البلدان الإسلامية.

الاقتصاد والسياسة الشرعية، والولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله، والشورى، والعلاقات الدولية ونحوها، فلا تكاد تذكر في أجهزة إعلام أعداء الحق المحاربين للإسلام، خشية من أن يسبق الحقُّ الباطلَ إلى عقول الناس. والذي تهتم به وسائل الإعلام من هذه الأبواب هو ما يخدم مصالح قادة الباطل مما يخالف كثير منه دين الله وشريعته...

وبسبب ذلك أصبحت عقول كثير من أبناء المسلمين غير إسلامية على الحقيقة، لأنها لم تفقه حقيقة الإسلام الشامل، بل صُوِّر لهم أن دين الإسلام يعني التأخر والرجعية، وأنه يخالف روح العصر والتقدم، وأنه شبيه بالحكومة الإلهية التي حاربها الغرب عندما كانت الكنيسة تتدخل في كل شيء، وتزعم أنها تمارس نشاطها نيابة عن الله، وأنه لا يمكن أن يتقدم المسلمون ويتحضروا إلا إذا حاربوا دينهم من الناحية التشريعية، كما فعل الأوربيون مع الكنيسة ومنعوها من التدخل في حياتهم.

ولهذا تجد أجهزة أعداء الحق تشن غارتها على أي بلد يطبق شيئا من أحكام هذا الدين[1]، كالقصاص والحدود...

ومن هنا لبسوا عقول أبناء المسلمين مناظير مضللة غير مناظير الإسلام، فأصبح بذلك الحق عندهم باطلا والباطل حقا، وانقلبت عليهم الموازين، وتغيرت الجهات، فأصبح العلو سفلا والسفل علوا، والأمام وراء والوراء أمامَ، فاحتاجوا إلى من يشمر عن ساعد الجد وينبههم على هذا الخطر الذي أحاط بهم وهم لا يعلمون، لأن أعداء الحق سبقوا بباطلهم إلى عقولهم وحالوا بينهم وبين وصول الحق إليها.

فلْيَحْدُ حادي الحق تلك العقول المضَلَّلَة، ليربأوا بأنفسهم عن البقرة التي لبسها صاحبها نظارة خضراء، لترى العشب اليابس أخضر، فيكثر درها، وليقل لأصحاب تلك العقول ناصحا:

فتح عينيك يا راجي	تبصر في الليل
والبس دوما منظارك	الساجي
هل تدري ما المنظار	يهدي فيه [2] أبصارك
واسلك نهجا يرضاهُ	وحيَ الله تختار
وافتح أذنك يا راجي	للمخلوقينَ اللهُ
نحو الفردوس العالي	واتبع من يحدو الناجي
حرِّكْ عقلَك يا راجي	والزم خير الأعمال

1-مثل المملكة العربية السعودية.

2-في الليل، والمقصود ظلمة الجهل.

واحـذر شـؤم التقليـدِ تفقه قصد المنهـــاجِ
واصـحب قوما صـلاحا نهج الأعمى المنكـــودِ
أهــل التـــــــقوى منهم مسـكٌ قد فاحا
والــسنَّـةْ والــرضـــــــوان
والجــنَّةْ

وإن من أعظم المصـائب أن يقع في هـذا التقليد من يـزعم أنه مجتهد يحـارب التقليـد، بحيث إذا خـالف بعضَ كبـار الأئمـة-كالأئمة الأربعة-بدون تمحيص في مسألة شرعية، وإذا طلب منه التأمل في آرائهم وأوجه استدلالهم، صعر خده وأشـار بيـده إلى صـدره قـائلا: نحن رجال وهم رجال! وإذا سمع قولا يهواه من زميل له أو متعالم صغير، أسرع في الأخذ به ونشره والدفاع عنه، دون تمحيص-أيضـا-ولم يشـعر بأنه قلد من لا يسـتحق التقليـد، ونسي أن يقـول: نحن رجال وهم رجال!

وإذا لم يتدارك دعاة الحق عقول الناس بسبق الحق إليهـا، فـإن أهل الباطل يتربصون بها، وقد أحـاطوا بها من كل جـانب ليضـلوها، ويقودها إلى دمارها أوغاد جهلة لا يألون جهـدا في إهـدار ضـرورات حياتها:

هل قد علمت بما جــــــــــرى أو أنت سـائل من درى
أربـــاب أحلام صـــغار صــاروا رؤوسا للــورى
وإذا سـبرت عقــولهم بـــانت أقل وأحقـــرا
وهي الـــتي ألقت بهم في قعر بحر لا يـــرى
وهنـــاك في ظلماته ظنوا الأمـام هو الـورى
وبـــنوا عـــلى الظـن الـردي سـيرا حــثيثا مـنكـرا

النتيجة السابعة: وفـرة إمكانـات سـباق أهل الحق المعنوية.

لقد منح الله تعـــالى أهل الحق من الإمكانـــات المعنويـــة، ما يستطيعون بها سبق أهل الباطل بحقهم إلى عقول الناس.

من تلك الإمكانـات توافق منهـاج هـذا الـدين، الـذي هو الحق والذي لا يملكه إلا المسلمون، مع الفطرة، ولو تراكمت عليها أتربة الباطل ردحا من الزمن.

فأصول منهاج هذا الـدين من الإيمـان والرسـالة والـوحي تُقِرُّبها

الفطر وتتجـاوب معهـا، كما تخضع لها العقـول وتسـتقبلها، مُسـلِّمةً بـالحجج والـبراهين الـتي تكمن فيها من جهة ويتضـافر معها الكـون كله علويه وسـفليه من جهـة، وبخاصة إذا اجتهد أهل الحق فسـبقوا أهل الباطل بتلك الأصول-مع الحجج والبراهين-إلى عقول الناس.

يتضح ذلك بالمقارنة بين أصول هذا الدين وبين العقائد الأخــرى، كاليهودية والنصرانية المحرفـتين، والوثنيـات المنتشـرة في الأرض، كالهندوسية والبوذية وغيرهما.

وعلى سبيل المثال، فإن الإله المعبود في دين الإسلام قد حسم معناه حسما لا يتطرق إليه الشك في قاعدة قواعد الإسلام: [لا إله إلا الله] وجميع نصوص القرآن تدل عليه.

مثل قوله تعــالى: {هل هو الله أحـــد، الله الصـــمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد}. [1]

ومثل قوله تعالى: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} [2]

وقوله تعالى: {الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة} [3]

فهو خــالق الكــون وحــده وهو المعبــود وحــده، وهو مــنزه عن صفات المخلوقين: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصــير}. وكل مخلوقات الله تدل على ذلك.

فـإذا رجع البـاحث إلى عقيـدة اليهـود وتصـورهم للإلـه، وجـدهم يصفونه بأوصاف يـنزهون أنفسـهم عنها كقـولهم-تعـالى الله عنـه-: {إن الله فقــير ونحن أغنيــاء}. وقــولهم: {يد الله مغلولــة... غلت أيــديهم ولعنــوا بما قــالوا}. وما يصــفونه تعــالى به في التــوراة الموجودة بين أيدي الناس اليوم، يصعب على الباحث إيــراده تنزيها لمداد قلمه من أن يسطره في جناب الله سبحانه وتعالى.

أما النصارى فقد جعلوا الإله الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدا.

وأما الوثنيون فكل حجر عندهم إله وكل شـجرة إله وكل حيـوان إله.

فإذا قارن العاقل بين ما جاء في قاعــدة قواعد الإســلام: [لا إله إلا الله] وما يفسرها من نصوص الكتاب والسنة، وبين هــذه العقائد الفاسدة، مالت فطرته السليمة إلى تلك القاعدة، ونفرت من هــذه العقائد الفاسدة، مقتديا بخليل الله إبراهيم عليه السلام الذي حاول اليهود والنصارى وغيرهم صرف الناس عن ملته، فــأبى الله لهم إلا ملته، كما قال تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَـدُوا قُـلْ بَـلْ

---

[1]-الإخلاص.

[2]-البقرة: 255.

[3]-النساء: 87.

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ} [1]

وقال تعالى: {ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين} [2]

وتلك هي فطرة الله التي أمر بها رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم ودعا إليها الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} [3]

فما تضمنته أصول هذا الدين من حق وما أودعه الله في نفوس الخلق من الفطرة، يرجحان كفة سبق أهل الحق بحقهم إلى عقول الناس، إذا جدوا في ذلك واجتهدوا.

فإذا انتقلنا إلى فروع هذا الدين من شريعة الله الشاملة، وجدناها كذلك تناسب الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتحقق لهم مصالحهم في الحياة الدنيا والآخرة، بخلاف القوانين البشرية التي يكتنف واضعها الجهل والظلم والغفلة، والتي تغلب مفاسدها ما قد يوجد فيها من مصالح، لأن مصدر شريعة هذا الدين هو الله المتصف بالعلم المحيط بكل شيء، والعدل الثابت الذي لا يتغير، المنزه عن الجهل والظلم والغفلة {لا تأخذه سنة ولا نوم}.

فتَوَافُقُ منهاج هذا الدين وفطرة الناس من أهم ما يعين دعاة الحق على السبق بحقهم إلى عقول الناس، بخلاف أهل الباطل، فإن باطلهم يحمل في ذاته ما يعطل سيره، أو يبطئه، كما أن الفطرة السليمة تنفر منه، والفطر التي فسدت باجتيال الشياطين، تتيقظ لخطره إذا انُفض عنها غباره، بدعوة أهل الحق وسبقهم إلى عقول أصحابها به.

ومناهج التعليم-لو بنيت على أساس المنهج الرباني-في بلدان المسلمين، لكان لها أثر عظيم في السباق إلى عقول الناس الوافدين إلى هذه البلدان من بلدان غير المسلمين، وهم يمثلون كل المستويات التعليمية، ومن أهل الديانات المتنوعة من مشارق الأرض ومغاربها، من يهود ونصارى ووثنيين وملحدين، إضافة إلى تحصين تلك المناهج عقولَ أبناء المسلمين من سبق أهل الباطل بباطلهم إليها، كما هو الحال اليوم، حيث يؤثر الوافد من أهل الباطل بباطله في ذرية أهل الحق!.

هذه إشارة عابرة إلى ما منح الله به أهل الحق من الإمكانيات

---

[1]-البقرة: 135.

[2]-آل عمران: 67.

[3]-الروم: 30.

المعنوية الـــتي تمكنهم من غلبة أهل الباطل في ســـباقهم إلى العقول.

وهي لا توجد عند غـير أهل الحق من المسـلمين، وهي أسـاس الإمكانات وأعظمها تأثيرا في النفوس.

يضـاف إلى ذلك أن منهـاج الحق الـذي لا يملكه إلا المسـلمون، وهو: الكتاب والسنة، محفـوظ من التغيـير والتبـديل بـإذن الله إلى يـوم القيامـة، فهو ثـابت دائم لا ينقطع تـأثيره في الخلق ما اجتهد المسلمون في تطبيقه ودعوة الناس إليه: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}.[1]

النتيجة الثامنـة: وفـرة إمكانـات سـباق أهل الحق المادية.

وإن لدى المسلمين من الإمكانات المادية الهائلة للسباق بالحق إلى عقـول النـاس، ما يعينهم على ذلـك، لو بـذلوا جهـدهم في استغلالها-مع ما اختصوا به من الإمكانات المعنوية السابقة-ولـتركوا دعاة الباطل وراءهم بمسافات يلهثون دون أن يتمكنوا من سـبقهم بباطلهم إلى العقول.

الامتداد المكاني.

فالرقعة الأرضـية الـتي يسـكنها المسـلمون تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى حدود الصـين شـرقا، ومن المحيط الهنـدي إلى حـدود روسـيا شـمالا، ولا يوجد بلد غـير إسـلامي إلا وقد وجد فيه مسلمون قلوا أم كثروا.

وهـذا الامتـداد المكـاني يـوفر لهم فرصة عظيمة للوصـول إلى عقـول النـاس الـذين يعيشـون فيـه، كل منهم في موقعه بـدون اضطرار إلى الانتقال من مكان إلى مكان آخر بعيد.

فكل صـــاحب باطل يعيش بين غالبية من أهل الحق ســـيكون المسلمون أكثر سبقا إلى عقله بالقدوة الحسـنة-لو وجـدت فيهم-، ثم بالـدعوة والبلاغ المـبين، وكل صـاحب حق وجد من المسـلمين بين غالبية من أهل الباطـل، سـيؤثر فيهم ويسـبق إلى عقـولهم بمقدار القدوة الحسنة التي يحملها وبمقدار قيامه بالدعوة إلى الله بالوسائل الشرعية المتاحة المناسبة لكل بلد.

---

[1] -الحجر:9.

الكثرة العددية.

والكــثرة العددية للمســلمين، وهم فقط الــذين يملكــون الحق الإلهي الربـــاني، تـــؤهلهم، لو اســـتقاموا على نهج الله واتخـــذوا الوسائل المتاحة الشرعية للسـباق إلى العقـول، من سـبق غـيرهم من أهل الباطل إلى تلك العقول.

الثروات الكثيرة المتنوعة.

والــثروات الهائلة الــتي تحتــوي عليها أراضــيهم، من طاقــات ومعادن وزراعة وحيوان وغيرها تعينهم-لو استغلوها استغلالا سليما- على إيجاد وسائل لا حصر لها للسباق بالحق إلى العقول.

العلاقات العالمية.

وصِـــلاتُهم بالعـــالم: الاقتصــادية، والثقافيــة، والدبلوماســية، والإعلامية، وغيرها، تسهل عليهم اقتحـام الحـواجز الـتي تحـول بين الحق وبين وعقول الناس في العالم كله، لو كان المسلمون جادين في سباقهم بالحق إلى تلك العقول.

المواصلات والاتصالات.

ووسائل المواصلات والاتصـالات الـتي يملكها المسـلمون-سـواء كــانت برية أو بحرية أو جويــة، هاتفية أو إعلاميــة-تخــدمهم خدمة عظيمة في السباق إلى العقول بالحق الذي يملكونه.[1]

النتيجة التاســـعة: تعــــاون أهل الحق يحقق لهم السبق إلى العقول.

إن المسـلمين-وهم أهل الحــق-لجد يــرون بالســبق بــالحق إلى عقـــول النـــاس، ولو تعـــاونوا فيما بينهم وبـــذل كل منهم-أفـــرادا وجماعات-وسـعه في حـدود تخصصه للسـباق بـالحق إلى العقـول، لكانت لهم الغلبة على أهل الباطل.

فقهاء الإسلام

فالفقهاء في الدين عندهم القدرة على إبلاغ الحق الربــاني، إلى عقول الناس بالدعوة والتعليم بكل وسيلة تتاح لهم من الوســائل ة الكثيرة.

[1]-ولا تزال هذه الوسائل التي تعين المسلمين على سبقهم بـالحق إلى العقـول تـزداد يومـا بعـد يوم، ومنها: وسيلة (الإنترنت) الـتي اسـتغلها أهـل الباطـل أعظم اسـتغلال في سـبقهم بـباطلهم إلى العقول...

أغنياء الأمة الإسلامية.

وأغنياء الأمة الإسلامية-وقد لا يكونون علماء-قادرون على تمويل مشـروعات السـبق إلى العقـول الـتي يقـوم بها فقهـاء الإسـلام ودعاته، من الدعوة، والتعليم في المساجد والمدارس أو الجامعات أو التجمعات، أيا كان نوعهـا، كما أنهم قـادرون على إنشـاء مطـابع وطبع نشـرات أو كتب أو مصـاحف، أو إقامة مـؤتمرات أو نـدوات متنوعة، هدفها كلها السبق بالحق إلى العقول.

ولاة أمور المسلمين.

وولاة المسلمين وحكامهم قادرون على تسـخير كل ما يملكـون من وسائل، للسباق إلى العقول بالحق-مع تحقيق تلك الوسائل لما وضعت له من مصالح الـدول-والحكـام أكـثر قـدرة من غـيرهم في هذا المجال، لأنهم يملكون إمكانات الشعوب وطاقاتها ومرافقها.

ومما يؤسف له أن غـالب حكـام الشـعوب الإسـلامية قد نصـبوا أنفسـهم لـدعم سـباق أهل الباطل ببـاطلهم إلى عقـول النـاس، وللحجر على تلك العقول من أن يصل إليها الحق!

جيوش الأمة الإسلامية.

وجيوش المسلمين قادرة على ردع من وقف في صف الباطـل، ليسـبق به إلى عقـول النـاس، ولإعانة أهل الحق في أن يسـبقوا بالحق إلى عقول الناس.

وهكـذا كل صـنف من أصـناف المسـلمين يعين أهل الحق في سباقهم به إلى عقول الناس بما يقـدر عليه بحسب موقعـه، تحقيقا للتعاون على البر والتقوى الذين أمر الله بهما.

النتيجة العاشـرة: دور الجمـاهير في سـبق الباطل إلى العقول.

إن قادة الباطل وطغاته لا يحققون السـباق بالباطل إلى عقـول النـاس إلا بحشد الجمـاهير المؤيـدة لهم، جاهلة كـانت أو مـؤْثرة لمصـــالح مادية زائلـــة، ولو لم تســـتجب لهم تلك الجمـــاهير لما استطاعوا أن يحققوا غاياتهم الفاسدة.

المشرعون والمنفذون.

فمن تلك الجمـاهير من يُشَـرِّع لقـادة الباطل وطغاته القـوانينَ التي تحارب الحق وتؤيد الباطل، كعلماء القانون.

ومن تلك الجماهير من يقر تلك التشريعات والقـوانين، كأعضـاء

البرلمان.

ومن تلك الجماهير من ينفذ تلك القوانين كالوزراء والمحـافظين والشرطة.

رجال القضاء.

ومن تلك الجماهير من يحكم بتلك القوانين كالقضاة.

الإعلاميون.

ومن تلك الجمـاهير من يضـلل عقـول النـاس بالثنـاء على تلك القوانين كالإعلاميين.

أساتذة الجامعات.

ومن تلك الجماهير من يدرس تلك القوانين ويؤصلها في عقــول الناس، كأساتذة الجامعات.

الجيوش.

ومن تلك الجمـاهير من يـرغم النـاس على قبـول تلك القـوانين كالجيوش.[1]

اللاهون وأهل المجون.

ومن تلك الجمــاهير من يفسد أخلاق النــاس ومجتمعــاتهم بما يشغل عقـولهم عن التفكـير في الحق والباطل وتـرجيح الحق على الباطل، كالمغنين والرقاصين والمبالغين في بعض أنواع الرياضة...

وهكذا كل فئة من جمـاهير الشـعوب الإسـلامية، يسـتغلها دعـاة الباطل وقادته وطغاته في الحجر على عقــول النــاس من أن يصل إليها الحق، أو في سبق الباطل إليها.

ولو أن تلك الجمــاهير عــرفت حقيقة مقاصد قــادة الباطــل، والأضــرار المترتبة على اســتغلالها لتحقيق تلك المقاصــد، لوقف عقلاؤهم في صف أهل الحق لوقاية العقــول من الباطل وإمــدادها بالحق.

فلو فكر مشرعو القوانين الوضعية المخالفة لحكم الله وشـرعه في المظــالم المترتبة على قــوانينهم، وأن ذلك محاربة لله تعــالى ولتطـبيق شـريعته، وأنهم سـيقفون بين يـدي الله يـوم الحسـاب، ليجازيهم على محادتهم لـه، لما شـرعوا تلك القـوانين الـتي أعـانوا بتشريعها أنصار الباطل على أنصار الحق.

ولو فكر من يســمون بــالنواب، الــذين أرادت تلك الأمة منهم

---

[1]-وفي الجيش التركي مثال!.

تحقيق مصالحها التي تسعدهم في الدنيا والآخـرة، لما وافقـوا على قوانين الطواغيت التي تستغل لهدم الضرورات التي يجب حفظها.

ولو فكـرت السـلطات التنفيذيـة، من وزراء الأمة ومحافظيها وأجهزة أمنها من شـرطة وغيرهـا، في الـوزر الـذي يتحملونه أمـام الأمة وأمـــام اللـــه، لما كـــانوا أداة قهر وإذلال للأمة بتنفيذ تلك القوانين الظالمة.

ولو فكر الإعلاميـون، بكل فئـاتهم في تلك العقـول الـتي خلقها الله، لتفرق بين الحق لتتبعه، وبين الباطل لتجتنبه، فكانوا سـببا في تضليلها حتى غـدا الحق عنـدها بـاطلا والباطل حقـا، لما وقفـوا في صف قادة الباطل ضد الحق وأهله إلا من أضله الله على علم.

ولو فكر نجـوم الفن والرياضـة-كما يسـمون!-في شـغل عقـول النــاس عن الحـــق، وقـــارنوا بين فعلهم الـــذي شـــغلوا به عقـــول الجماهير-مباحا كـان أو محرمـا-عن أهـداف الأمة الإسـلامية العليـا، كالجهـاد في سـبيل الله الـذي هي أحـوج إليه في هـذا الـزمن من غيره، لما يلقاه المسلمون من الإذلال والقهر والقتل، والإخراج من بيـوتهم وتشـريدهم في الأرض، وانتهـاك أعراضـهم، لو فكـروا فيما يفعلون وفي هذه المآسي لتخلـوا عن قـادة الباطـل، وانضـموا إلى صـفوف أهل الحـق، لإنقـاذ أمتهم مما حل بها من مصـائب وفتن، ولسـخر الفنـانون فنهم في السـباق إلى العقـول بـالحق، وسـخر الرياضيون رياضتهم إلى فروسية للجهاد في سبيل الله.

ولو فكـرت جيـوش المسـلمين في ذلك كلـه، وتـذكروا الـواجب الملقى على أكتـافهم وهو رفع راية الإسـلام في الأرض، لكـان لهم شأن آخر مع الباطل وقادته!

النتيجة الحادية عشرة: أثر التنازع في السباق إلى العقول.

إن من أهم العقبات التي وقفت في طريق سـباق أهل الحق به إلى العقول تنازعهم فيما بينهم، التنـازع الـذي مـزقهم شر ممـزق وجعل بعضـــهم يشـــغل نفسه ببعض، بســـبب من الجهل والهـــوى وتقديم حظوظ النفس على المصالح العامـة، وإرضـاء أعـداء الحق الذين استغلوا تنازع أهله، ليكون السبق إلى العقول بالباطل أسرع من السبق إليها بالحق.!

تنازع بين الدول.

فأصـبحت كل دويلة من دويلات المسـلمين، تكيد لجارتها سـرا

وعلنـا، وتنفق وقتها ومالها وطاقـات أبنائها للكيد المـذكور، وبـذلك ضللت كل دويلة عقول أبناء شعبها، حـتى من يُظَن أن لـديهم حظا من الثقافة الدينية وغير الدينية، تجـدهم منسـاقين لمعـاداة الدويلة الأخـرى والحقد على حكامها ومحكوميها على السـواء، بـدون دليل واضـح-غالبـا-لمشـروعية تلك المعـاداة وذلك الحقـد، إلا التضـليل الإعلامي الذي تتعمده دويلتهم.

تنازع بين الأحزاب في كل دولة.

ومن جهة أخرى فقد تصدع كل شـعب على حـدة، بسـبب كـثرة الأحزاب التي زرعها أعداء الحق من المسـتعمرين وملئـوا أدمغتهم وعقـولهم، بأفكـار ومـذاهب أجنبية كلها باطلـة، فشـغل كل حـزب نفسه بما معه من الباطل، ليسبق باطل غيره من الأحزاب الأخرى إلى عقول الناس، وليقي أعضاءه من أن يصل إليها باطل الأحـزاب الأخرى، فأصبحت الأحزاب تتصارع بالباطل ضد الباطل.

تعاون قادة أحزاب الباطل ضد الحق وأهله.

ومن جهة ثالثة فإن أحـزاب الباطل المتصـارعة فيما بينها تجتمع كلها، لتسابق بباطلها أهل الحق إلى عقول الناس.

تنازع أهل الحق فيما بينهم.

ثم من جهة رابعة تجد أهل الحق يتنـــــازعون فيما بينهم تنازعا يندى له الجبين، إذ يصل إلى أن تشغل كل جماعة نفسـها بالجماعة الأخرى، وقد تكون الجماعتان متفقـتين في الأهـداف والوسـائل-إلا فيما فيه متسع للاجتهـــاد-وقد تكونـــان-في الأصل جماعة واحـــدة، ولكن الهوى وحظوظ النفس والشيطان، زينت لبعض قادتها سلوك السبل المؤدية إلى التنازع والخلاف.

وبـذلك تشـغل كل جماعة نفسـها بـالأخرى وتسـابق كل جماعة أختها بما تزعم أنه الحق عنـدها، لاسـتقطاب عقـول أكـبر عـدد من النـاس لتقوية جماعتهـا، فـإذا رأى النـاس هـذا السـلوك نفـروا من الطائفتين معا، اتقـاء للفتنة وشـكا في النوايا الـتي تكمن وراء ذلك التمزق والتفرق.

ولو سلم المسلمون من هذا التمزق والتنازع ومن شغل بعضهم نفسه ببعض، لاجتمعت طاقـاتهم كلها لسـبق ما عنـدهم من الحـق، إلى عقول الناس بدلا من سبق أهل الباطل بباطلهم.

قدوة سيئة منفرة.

ولقد كان هذا السلوك المشين من المسلمين من أهم الأسـباب التي حجبت عقول غـير المسـلمين عن البحث عن الحق والالتفـات

إليه، فكان ذلك فتنة لغير المسلمين الذين يصرحون بأن المسلمين لو كان ما عندهم حق قابل للتطـبيق، لطبقـوه في مجتمعـاتهم قبل أن يدعوا غيرهم إليه، وهذه هي القدوة السيئة التي تنفر الناس من الحق الذي يملكه المسلمون!

النتيجة الثانية عشـــرة: أثر العنف في ســبق الحق إلى العقول.

إن إصــرار أهل الباطل على تثبيته بــالقوة، تــرتب عليه رد فعل عرقل سبق أهل الحق بالحق إلى العقول.

كثير من دعـاة الإسـلام الـذين حرصـوا على السـبق بـالحق إلى العقول، اجتهـدوا في سـباقهم إلى العقـول، أن يصـلوا إلى هـدفهم بـالتعليم والتزكيـة، والـدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة، واتخذوا ما يقدرون عليه من الوسائل البعيدة عن الشدة والعنف.

ولكن أنصـــار الباطل صـــدوا عن الحق بأنفســـهم، وصـــدوا عنه غــيرهم، واتخــذوا كل الوســائل للســباق إلى الباطــل، بما في ذلك وسائل العنف، من سجن وتعذيب وتشريد وتقتيل.

وترتب على شدة أهل الباطل في سباقهم إلى العقول بباطلهم، والحجر على العقول من وصول الحق إليها، ردُّ فعل عنيف من قبل بعض شـباب المسـلمين فقـابلوا الشـدة والعنف بمثلهمـا، فحملـوا السـلاح، ضد الحكومـات العلمانية الـتي حـاربت تطـبيق الشـريعة الإسلامية في شعوبها، وقاموا باغتيـالات أنصـار تلك الحكومـات من العسـكريين وغـيرهم، بل بلغ الأمر ببعض أولئك الشـباب، أن قتلـوا الأبريــاء، من الأطفــال والنســاء والعُــزْل من الرجــال، بــزعم أنهم يأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكـر، وهو تصـرف منكر لا يقـره شرع الله، لأن الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر، يشـترط فيهما العلم بأن هذا معروف يؤمر به، وذاك منكر ينهى عنه،وأن لا يــترتب على الأمر والنهي مفاسد أعظم.

وكثــير من الشــباب الــذين يتصــرفون تلك التصــرفات العنيفة لا يتــوافر فيهم هــذا الشــرط، لأن الطريقة الــتي سـلكوها في أمـرهم ونهيهم، تــرتبت عليها مفاسد أعظم من المفاسد الــتي زعمـوا أنهم أرادوا إنكارهـــا، إذ ازداد أهل الباطل عنـــادا وإصـــرارا على محاربة الإســـلام، بل أعطتهم تلك التصـــرفات مســـوغا لمحاربة الـــدعوة الإسـلامية، حيث كممـوا أفـواه دعـاة الحق من علمـاء المسـلمين ومفكر يهم، الذين لو تمكنوا من الاتصال بجماهير الشعوب-وبخاصة شبابهم-لفقهوهم في الدين، ولتمسك هؤلاء الشباب بدينهم وطبقوا ما أمكنهم تطبيقه بهــدوء، وبــدون اســتعمال عنف ولا شــدة، ولما أطلقوا رصاصهم على أنصار الباطـل، بل سيسـلكون سـبيل التربية على هــذا الــدين والــدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسـنة، حـتى تتمكن دعوتهم من الوصـول إلى عقـول النـاس، فمن اسـتجاب لها

حمدوا الله على هدايته، ومن أبى فعليه ذنب إبائه.

ولو أن قـادة الباطل أعطـوا دعـاة الحق من علمـاء الإسـلام، فرصة للـــدعوة إلى ما عنـــدهم من الحق بالوســـائل المتاحة لهم سلميا، لما حصل هذا العنف الذي قام به هذا الشباب.

فـإذا أصـبح أي شـعب من الشـعوب الإسـلامية قـابلا لتطـبيق الإسلام بمعناه الشـامل، واختـار أن يحكم بهـذا الـدين، فهـذا هو ما يسعى إليه دعاة الحق في سباقهم إلى العقول، وهذا حق للشعوب الإسلامية لا يجوز لأحد أن يحرمها منه.

وإذا تـــاب أهل الباطل من بـــاطلهم واســـتجابوا لرغبة هـــذه الشعوب، فطبقوا حكم الله فيهـا، فـإن دعـاة الحق الـذين اجتهـدوا في السبق به إلى العقول سيكونون هم وأتبـاعهم من شـباب الأمة الإسلامية، سباقين إلى طاعتهم في المعروف، وأعوانا وأنصارا لهم في تنفيذ شرع الله الحنيف.

وإن تولى أولئك الحكـام وأعرضـوا عن الحكم بشـريعة الله ولم يرضـوا حكم اللـه، فليكن الْحَكَم بينهم وبين دعـاة الحق أهـلُ الحل والعقد من تلك الشـعوب المسـلمة، وسـينتقل الحكم من الطغـاة إلى الصالحين عن طريق السلم والاختيار دون عنف ولا شدة.

ولكن قادة الباطل فتحوا الأبواب لأحزاب الباطل كلها، أن تنشر باطلها وتسـابق به إلى عقـول النـاس، وحـرمت على دعـاة الحق ومفكري الإسلام أن يوصلوا الحق إلى عقول النـاس، بالـدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والتعليم والتربية، وزجوا بكثـير من علماء الإسلام ودعـاة الحق ومفكريه في السـجون والمعتقلات، بل أذاقوهم أشد العذاب وأزهقوا أرواحهم بدون حق.

وتلفت شباب الإسلام ليجدوا من يرشـدهم ويفقههم في الـدين، من العلماء والمفكـرين تفقيها صـحيحا ليس فيه تحريف ولا كتمـان للحق، فلم يجدوا-في الغالب-إلا موظفين لدى قادة الباطل وطغاته الذين يحاربون شرع الله والدعاة إليه، وكثـيرا ما يفـتي بعض أولئك العلماء بفتاوى تؤيد أنصار الباطل، بالحق وبالباطل متبعين في ذلك أساليب متنوعة من التأويلات الفاسدة، ووجدوا-أي الشباب-العلماء والمفكرين الـذين يصـدعون بكلمة الحق ويبلغـون دين الله للنـاس على حقيقته، في السجون وعلى أعواد المشانق، والذي لا زال في منزله محجور عليه لا يتصل بالناس ولا يتصلون به إلا نـادرا وخفيـة، فأخـــذت أولئك الشـــبابَ الغـــيرةُ وذهبـــوا يقلبـــون الكتب القديمة والحديثة ويقـــرءون تلك الكتب بأنفســـهم، وبخاصة آيـــات القـــرآن والسنة، وليس عندهم قواعد التفقه في الدين، لا من أصول الفقه،

ولا من أصول الحديث، ولا من أصول التفسير، ولا إلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها، ولا اطلاع على أقوال علماء الأمة المعتبرين...

وعندما يقرءون النصوص، يقرؤونها وهم يبحثون عن أدلة تؤيد ما قد وقر في أذهانهم سابقا، من أن هؤلاء الحكام ظلمة، وأنهم يحاربون دعاة الحق ويحاربون تطبيق الشريعة، وأن من يحارب ذلك فهو كافر، والكافر لا يجوز أن يحكم المسلمين، بل يجب الخروج عليه، تحقيقا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن من يعين الكافر على كفره فهو مثله، وأن نصر المظلوم واجب، وإقامة شرع الله فرض، فيجدون في النصوص التي يقرؤونها من الكتاب والسنة، ما يؤيد فهمهم في الظاهر، ولا يثقون في العلماء الذين هم موظفون مع قادة الباطل-وليس كل عالم توظف مع قادة الباطل مؤيدا لباطلهم-حتى يصححوا لهم بعض تصوراتهم، ويبينوا لهم المصالح الراجحة من المرجوحة، أو المفاسد الراجحة من المرجوحة.

لذلك انطلقوا حاملين السلاح موجهين رصاصهم إلى صدور كل متعاون مع أهل الباطل، من جنود وعلماء وأدباء وغيرهم، من أهل البلد أو الأجانب، فأحدثوا في تلك البلدان فتنة واضطرابا، وشل بذلك الاقتصاد وتعطلت المصالح، بل إنهم قد قتلوا بعض دعاة الحق الذين يظنون أنهم يؤيدون قادة الباطل، وقد ينال قتلُهم النساءَ، وهم يعتقدون أن ذلك كله مشروع لهم حسب فهمهم، كما فهم بعض الخوارج ذلك في السابق.

هذه التصرفات من بعض شباب المسلمين، التي كان السبب الأساسي لوجودها تصرفات قادة الباطل الذين كمموا أفواه العلماء والدعاة والمفكرين، كانت سببا في تشويه الإسلام والنفور من سماعه أو البحث عن حقائقه ومحاسنه.

واستغل ذلك أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والعلمانيين وأخذوا ينفرون من الجماعات الإسلامية ودعاة الإسلام عامة، فكان ذلك من أهم العقبات التي بطأت بالسباق بالحق إلى العقول!

ولذا ينبغي للشباب المسلم الذي يريد رفع راية الإسلام في الأرض، أن يهتم بالتفقه في الدين، ويأخذ الحق ممن وجده من العلماء، فليس كل العلماء الموظفين في الحكومات من المؤيدين للباطل، بل يوجد فيهم من يبين الحق في حدود طاقته، وعلى هذا الشباب أن يتجه-بعد أن يتربى ويتعلم على أيدي العلماء-إلى تربية نفسه وتربية غيره على حقائق الإسلام، حتى تصبح الشعوب

الإسـلامية قـادرة على إيجـاد من يحكمها بالإسـلام إما بـالطرق السـلمية، وإما بتنحية من يحـارب الإسـلام بأسـهل الطـرق وأخفها ضررا.

النتيجة الثالثة عشرة: دور القـوة في السـباق إلى العقول.

إن من أهم وسائل السباق بالحق إلى العقول القـوة العسـكرية الجهادية التي تقتضي توفير الجيش المسلم-الجيش بمختلف فئاته- الكافي الذي يسـتطيع أن يحمي بلاد المسـلمين، ودينهم، ونفسـهم، وعقلهم، ونسـلهم، ومـالهم، في داخل بلادهم، من الاعتـداء عليها ممن انحرفـوا من أبنـاء المسـلمين، كالشـيوعيين وكل فئـات العلمانيين الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين شرا، ويتخـذون كل الوسائل السلمية لتضليل عقـول أبنـائهم والسـبق إليها بما عنـدهم من الباطـل، فـإذا لم ينجحـوا في تحقيق أهـدافهم بتلك الوسـائل السلمية، تـآمروا فيما بينهم ليجهـزوا على الحق بـالقوة العسـكرية الـتي منها الانقلابـات، ومنها إنـزال الجيش لضـرب دعـاة الحق إذا نجحت دعوتهم ورأوا بدو ثمارها، وفي هـذه الحالة لا بد للمسـلمين من قـوة رادعة تقف أمـام قـوة أعـداء الحـق، فلا يفل الحديد إلا الحديد.

ولا بد من إعـداد جيش إسـلامي قـوي كـذلك يحمي بلـدان المسلمين وضرورات حياتهم، من اعتداء أعداء الحق وقادة الباطل من غير المسلمين الذين يتربصون الدوائر بالإسلام والمسلمين من خارج بلـدانهم، حيث يتعـاونون هم وأعـداء الإسـلام من المنتسـبين إلى الإسلام في بلاده، لضـرب قـادة الحق ودعاته بـالقوة، فـإذا لم يكن لقادة الحق ودعاته قوة أعظم من قوة العـدو أو مسـاوية لهـا، فإن أعداء الحق سوف يسحقونه ويسحقون قادته ودعاته، وهـذا ما نشاهده اليـوم في كل بلـدان المسـلمين، وبخاصة فلسـطين الـتي اسـتولى عليها اليهـود واسـتولوا على أجـزاء أخـرى من بلـدان المسلمين، ولا زالوا يطمحون إلى المزيد من بلداننا.

ولما كان هدف اليهود من إعداد جيشهم هو ضـرب الحق ودعاته في داخل فلسـطين وخارجهـا، فقد أعـدوا جيشا هجوميا أخـافوا به قادة البلدان الإسلامية، وجعلوهم يستسلمون لهم واحدا بعد الآخر.

ولما كـان هـدف غـالب حكـام الشـعوب الإسـلامية من إعـداد جيوشـهم هو حماية كراسـيهم، فقد اقتصـروا على إعـداد جيوشـهم

لهذه المهمة، ولـذلك تـرى أعـداد المسـلمين في البلـدان العربية [1] وحـدها تزيد عن مـائتي مليـون، وعـدد اليهـود قد لا يصل إلى أربعة ملايين، ومع ذلك ترتعد فرائص كثير من الحكام العـرب من الجيش اليهودي الذي أرهبه وزلزل أقدامه أطفـال الحجـارة الـذين صـدقوا الله ما عاهدوا عليه!

وتقتضي القوة الجهادية توفير السـلاح وما يخدمـه، بحيث يكـون عند دعاة الحق من السلاح ما يماثل سلاح قادة الباطل أو يزيد في الكم والنوع. ويجب ان تكون عندهم وسائل تغنيهم عن الحاجة إلى عدوهم في كل شيء من أنواع السلاح وتوابعه، وهذا يستلزم إقامة مصانع للسلاح بتعاون بين قادة الحق من المسـلمين، كل يـؤدي ما يملكه لإقامة تلك المصانع من مال وخبراء وغير ذلك.

ومما لا شك فيه أن صاحب القـوة أقـدر على سـبق من لا قـوة عنده إلى العقول، من حيث إنه يمنع الضـعيف من الوصـول بمبدئه إلى عقـول النـاس بـالقوة، وهو قـادر على الوصـول بمبدئه إلى العقول بالقوة، كما أنه قادر على حماية عقـول النـاس من وصـول مبدأ غيره إليها.

ليس الهدف من إعداد القوة الإكـراه على الـدخول في الإسلام.

وليس المـراد من هـذه النتيجة أن يسـتعمل أهل الحق القـوة لإكراه الناس على قبول الحق الذي عندهم واعتقـاده بـدون اختيـار منهم، وإنما المـراد اتخـاذ قـادة الحق وأتبـاعهم هـذه القـوة لإزالة السدود التي تعـترض وصـول الحق إلى عقـول النـاس، فـإذا وصل الحق بحججه وبراهينه إلى تلك العقـول، فأهلها بالخيـار بين أن يستجيبوا لذلك الحق فيقبلوه، أو يرفضـوه ويتحملـوا نتـائج رفضـهم الـتي منها عـذاب الله الأليم لهم، لرفضـهم الحق بعد أن قـامت عليهم الحجة به.

وكذلك يتخذ أهل الحق القوة لوقاية عقول الناس من إكراه أهل الباطل لأهلها، بقبول باطلهم بدون اقتناع منهم بذلك [2].

---

[1]-أما عدد المسلمين في العالم فقد تجاوز المليار!.

[2]-يراجع في هذه النتيجة كتاب: (الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته).

النتيجة الرابعة عشرة: تـدريب من يسـابق بـالحق إلى العقول

أهداف التدريب.

إن الواجب على أهل الحق أن يقيمـوا مؤسسـات تـدريب تمكن المتدربين منهم من ثلاثة أهداف:

الهدف الأول: فقه الغايات.

يجب على من يريد القيام بالسباق بالحق إلى العقـول، أن يفقه الغايات التي يسابق بالحق من أجلها، حتى يسعوا إلى تحقيقها وهم على علم بحقيقتها وبأولويات تلك الغايات، فإن فقه صـاحب المبـدأ لمبدئه شرط أساسي في وصوله إليه، وهذا ما أشار إليه قـول الله تعـــالى: {قل هـــذه ســـبيلي أدعو إلى الله على بصـــيرة أنا ومن اتبعني} [1].

وما أرسل الله تعـالى رسـوله إلى النـاس إلا بهـداه الـذي أنزله إليه ليـــدعو النـــاس إلى دينـــه-وهكـــذا بقية الرسل عليهم الصـــلاة والسلام-وكـان الرسـول صـلى الله عليه وسـلم يفقه أصـحابه هـذا الدين ويثني على من فقهه الله فيه، ويدعو لهم بذلك: [اللهم فقهه في الدين..] [2][من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين].

وكـان يـبين لدعاته الـذين يبعثهم لـدعوة النـاس غايـاتهم الـتي يدعون الناس إليهـا، كقوله لمعـاذ رضي الله عنـه: [إنك تـأتي قوما أهل كتـاب فليكن أول ما تـدعوهم إليه شـهادة أن لا إله إلا اللــه..] الحديث.

الهدف الثاني: فقه الوسائل.

ولا بد لمن يسـابق بـالحق إلى العقـول، من فقه الوسـائل الـتي يجب اتخاذها للســبق إلى العقــول بتلك الغايــات كل في موقعــه، بحيث تكون فئات أهل الحق كلها سـاعية في السـباق إلى العقـول بالحق في مجال عملهـا: المدرسـون، والخطبـاء، والأدبـاء والكتـاب والمفكـــرون، والقضـــاة، والأطبـــاء والمهندســـون والفلكيـــون، والإعلاميون، وعلماء الاجتماع وعلماء النفس، والاقتصاديون والتجار والعمــال، والطيــارون-مــدنيين كــانوا أو عســكريين-والرياضــيون

---

[1] -......

[2] -البخاري:140

وغيرهم.

كل فئة من هذه الفئات تدرب على ما ينقصها من الوسائل التي يجب اتخاذها للسبق بالحق إلى العقول، حتى يتمكنوا من إبلاغ الحق إلى عقول كل من لهم به علاقة، في أسرهم وجيرانهم وزملاء عملهم من المسلمين وغير المسلمين.

وبذلك تتسع دائرة السباق إلى العقول بالحق، فلا توجد فئة من المسلمين ولا فرد منهم إلا وهو ساع في إيصال الحق إلى عقول الناس في موقعه وفي حدود قدرته، وبالوسائل التي يجيدها.

الهدف الثالث: إقناع المتدرب بأداء واجبه في هذا السباق.

ويجب أن يبين للمتدرب أن الواجب عليه أن يقوم بالعمل الجاد في السباق بالحق إلى العقول، وأنه مسؤول أمام الله عنه، لا يجوز له التقصير فيه لأمرين:

الأمر الأول: أنه واجب عليه يثاب على القيام به، ويعاقب على تركه إن لم يقم به غيره قياما كافيا.

الأمر الثاني: أن ذلك حق للناس الذين اتبعوا الباطل، بسبب سبق أهله به إلى عقولهم، فلا بد من إبلاغ هذا الحق إلى عقولهم، لإنقاذهم من الباطل الذي اتبعوه، أو لإقامة الحجة عليهم.

النتيجة الخامسة عشرة: تقصير أهل الحق في السباق إلى العقول.

إن تقصير أهل الحق في السبق به إلى العقول من أهم الأسباب لنزول الفتن والمصائب بالأمة الإسلامية، وهاهي الفتن والمصائب تتابع على المسلمين في كل مكان، حتى أصبحوا مع كثرتهم أذلة، ومع توافر وسائل غناهم فقراء، ومع إمكانات وجود عوامل قوتهم ضعافا، مزقهم الله شر ممزق وجعل بأسهم بينهم، يقتل بعضهم بعضا، ويكفر بعضهم بعضا، ويستعين بعضهم بعدوهم على بعض، يعيشون في وضع شاذ بين الأمم. هذا الوضع الشاذ تأبى حكمة الله أن يستمر طويلا، وإذا لم يغيروا ما بأنفسهم فإن الله لا بد أن يستبدل بهم غيرهم سنة الله في خلقه: {يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة

إلا قليـل، إلا تنفـروا يعـذبكم عـذابا أليما ويسـتبدل قوما غـيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير}[1]. {فلولا كـان من القـرون من قبلكم أولو بقية ينهـــون عن الفســـاد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفـوا فيه وكـانوا مجـرمين، وما كــان ربك ليهلك القــرى بظلم وأهلها مصــلحون} [2]{ها أنتم هــؤلاء تــدعون لتنفقــوا في ســبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يســتبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} [3]

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه.

وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.[4]

---

[1]-التوبة: 38،39.

[2]-هود: 116،117.

[3]-محمد: 38.

[4]-كان الفـراغ من كتابـة هـذا السـفر في اليـوم الثـاني من شـهر ربيـع الأول من عـام 1415هـ للهجرة في الساعة الثالثة إلا عشرين دقيقة بعد منتصـف ليلـة الثلاثـاء في المدينـة المنـورة في حي الأزهري.

وكان الفراغ من تصحيحه الأول، في: اليوم السـابع والعشـرين من شـهر جمـادى الأولى، لعـام: 1418هـ-في نفس الحي.

وكان الفراغ من تصحيحه الثاني في الساعة الثالثة بعـد منتصـف ليلـة الإثـنين السـابع من شـهر رمضان المبارك من نفس العام المذكور.

وكــان الفــراغ من تصــحيحه الثــالث وتنســيقه في الكمــبيوتر في: 22/2/1419هــ في الســاعة السابعة من صباح يو الثلاثاء. والحمد لله على توفيقه.

وكان الفراغ من تصحيحه الرابع في الساعة الرابعة والنصف عصـرا من يـوم الخميس الموافـق للثاني عشر من شهر ربيع الأول من نفس السنة، في مدينة: "جاكرتا" عاصمة إندونيسيا، في فنـدق: (GRAN MELIA).